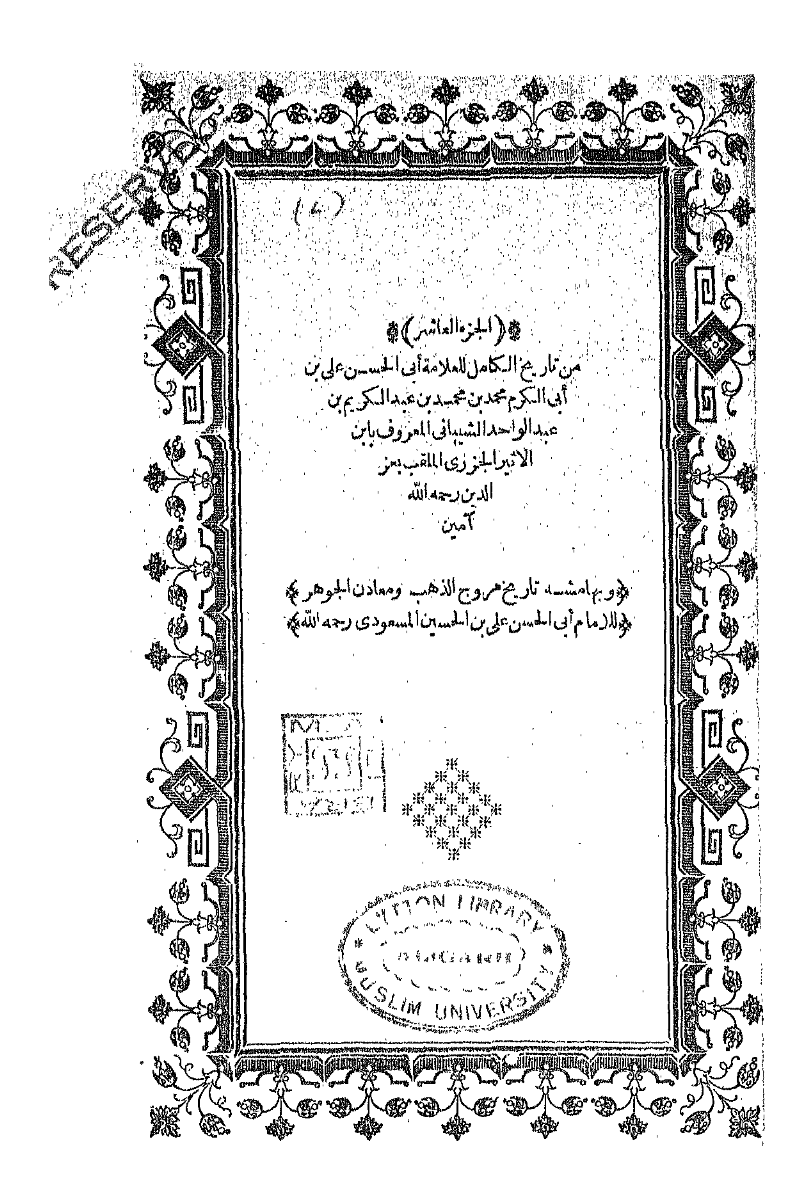


﴿الجزء العاشر﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر﴾
﴿للامام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله﴾

وفارق بك فتزوج أم سليمان السلطان طغرلبك بعد أخيه داود ووصى له بالملك بعده وكان من أمره ما نذكره وكان خيراعادلا حسن السيرة معترفا بنعمة الله تعالى عليه شاكرا عليها فمن ذلك انه أرسل الى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد قاضى سرخس يقول له بلغنى اخرابك البلاد التى فتحتها وملكتها وجلا أهلها عنها وهذا مالاخفاء به فى مخالفة أمر الله تعالى فى عباده و بلاده وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وايحاش الرعية وقد علمت اننا لقينا أعداءنا ونحن فى ثلاثين رجلا وهم فى ثلثمائة فغلبناهم وكنا فى ثلثمائة وهم فى ثلاثة آلاف فغلبناهم وكنا فى ثلاثة آلاف وهم فى ثلاثين ألفا فهزمناهم وقاتلنا بالامس شاه ملك وهو فى اعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم وهرب من بين أيدينا الى خمسمائة فرسخ من موضعه فظفرنا به وأسرناه وقتلناه واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكا متبوعين بعد ان كنا أصاغر تابعين وما تقتضى نعم الله علينا ان نقابلها بهذه المقابلة فقال طغرلبك قل له فى الجواب يا أخى أنت ملكت خراسان وهى بلاد عامرة فعمرتها ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وأنا وردت بلادا خربها من تقدمنى واجتاحها من كان قبلى فما اتمكن من عمارتها والاعداء محيطة بها والضرورة تقود الى طرقها بالعساكر ولا يمكن دفع مضرتها عنها وله مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل

❁(ذكر حريق بغداد)❁

فى هذه السنة احترقت ببغداد الكرخ وغيره و بين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التى وقفها اردشير الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك الكندرى فاختار من الكتب خيرها وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بنى مقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق فأزالهم عميد الملك وقعد يختارها فنسب ذلك الى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذى عمر المدارس ودون العلم فى بلاد الاسلام جميعها ووقف الكتب وغيرها

❁(ذكر انحدار السلطان الى واسط وما فعل العسكر واصلاح دبيس)❁

فى هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك الى واسط بعد فراغه من أمر بغداد فرآها قد نهبت وحضر عنده هزارسب بن بنكير وأصلح معه حال دبيس بن مزيد وأحضره معه الى خدمة السلطان وأصعد فى صحبته الى بغداد وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين وضمن واسطا أبو على بن فضلان بمائتى ألف دينار وضمن البصرة الاغر أبو سعد سابور بن المظفر وعبر السلطان الى الجانب الشرقى من دجلة وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد فى صفر سنة اثنتين وخمسين ومعه أبو الفتح بن ورام وهزارسب بن بنكير بن عياض ودبيس بن مزيد وأبو على بن الملك أبى كاليجار وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم واجتمع السلطان بالخليفة وأمر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والامراء وأصحابهم وعمل السلطان أيضا سماطا احضر فيه الجماعة وخلع عليهم وسار الى بلاد الجبل فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وجعل ببغداد شحنة الامير برسق وضمنها أبو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين بأربعمائة ألف دينار

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة عزل أبو الحسين بن المهتدى من الخطابة بجامع المنصور لانه خطب للعلوى ببغداد

بالثقة فأصبح يوم الأربعاء ميتا وحمل الى سامرا فدفن بها وانصرف أبو أحمد عن محاربة صاحب الزنج

❁ وفى سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام فى خلافة المعتمد وهو ابن تسع وعشرين سنة وهو أبو المهدى المنتظر والامام الثانى عشر عند القطعية من الامامية وهم جمهور الشيعة وقد تنازع هؤلاء فى المنتظر من آل النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن بن على عشرين فرقة وقد ذكرنا حجاج كل طائفة منهم لما أحبته نفسها واختارته لمذهبها فى كتابنا المترجم بسر الحياة وفى كتاب المقالات فى أصول الديانات وما ذهبوا اليه من الغيبة وغير ذلك (وقد كان المهتدى) سير بقبيحة أم المعتز وعبد الله بن المعتز واسمعيل بن المتوكل وطلحة ابن المتوكل وعبد الوهاب ابن المنتصر الى مكة فلما أفضت الخلافة الى المعتمد بعث بجماعتهم الى سامرا وفى سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب ابن الليث الصفار نحو العراق فى جيوش عظيمة فلما نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط وبغداد وقد أتينا فى كتابنا فى أخبار الزمان على بدو خبر يعقوب بن الليث ببلاد سجستان وكونه فى حال صغره صفارا وخروجه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم﴾

فى هذه السنة فى صفر توفى الملك فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان قد ثار به غمااليكه سنة خمسين واتفقوا على قتله فقصدوه وهو فى الحمام وكان معه سيف فاخذه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى أدركه أصحابه وخلصوه وقتلوا أولئك الغلمان وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة يكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها وبقى كذلك الى هذه السنة فاصابه قولنج فمات منه وملك بعده أخوه ابراهيم بن مسعود بن محمود فاحسن السيرة فاستعد لجهاد الهند ففتح حصونا امتنعت على أبيه وجده وكان يصوم رجبا وشعبان ورمضان

﴿ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغرى بك داود﴾

فى هذه السنة استقر الصلح بين الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على ان يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك منازعة الآخر فى ملكه وكان سبب ذلك ان العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا ان كل واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر وليس يحصل غير انفاق الاموال واتعاب العساكر ونهب البلاد وقتل النفوس فسعوا فى الصلح فوقع الاتفاق واليمين وكتبت النسخ بذلك فاستبشر الناس وسرهم لما أشرفوا عليه من العافية

﴿ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب ارسلان﴾

فى هذه السنة فى رجب توفى جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق أخو السلطان طغرلبك وقيل كان موته فى صفر سنة اثنتين وخمسين وعمره نحو سبعين سنة وكان صاحب خراسان وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم ومانعهم عن خراسان فلما توفى ملك بعده خراسان ابنه السلطان ألب ارسلان وخلف داود عدة أولاد ذكور منهم السلطان ألب ارسلان وياقوتى وسليمان

وقاروت

﴿ذكر خلافة المعتمد على الله﴾

وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وعشرين سنة ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد كوفية يقال لها فتيان ومات فى رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو ابن ثمان وأربعين سنة فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

ولما أفضت الخلافة الى المعتمد على الله استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزر الحسن بن مخلد ثم صارت الوزارة الى سليمان بن وهب ثم صارت الى صاعد وخلع المعتمد على أخيه أبى أحمد الموفق وعلى مفلح يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وأشخصهما الى البصرة لمحاربة صاحب الزنج فأوقع مفلح التركى بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين فأصاب مفلحا سهم فى

ذي القعدة توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان فوجد عليها وجدا شديدا وحمل تابوتها الى الري فدفنت بها وفيها ثالث جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب الى ناحية المشرق فطال لبثه وفيها جمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا وحصر الرحبة وضيق على أهلها فملكها في صفر من هذه السنة وفيها توفيت والدة الخليفة القائم بأمر الله واسمها قطر الندى وقيل بدر الدجى وقيل علم وهي جارية أرمنية وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين أبو علي المعروف بالجازري النهرواني وكان مكثرا من الرواية (الجازري بالجيم وبعد الالف زاي ثم راء) وفيها توفي باي أبو منصور الفقيه الجبلي بالباء الموحدة وبعد الالف ياء تحتها نقطتان ومحمد بن عبيد بن أحمد بن محمد أبو عمرو بن أبي الفضل الفقيه المالكي

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وزارة ابن دارست للخليفة﴾

لما عاد الخليفة الى بغداد استخدم أبا تراب الاثيري في الانهاء وحضور المواكب ولقبه حاجب الحجاب وكان قد خدمه بالحديثة وقرب منه فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوسف في وزارة أبي الفتح منصور بن أحمد بن دارست وقال انه يخدم بغير اقطاع ويحمل مالا فأجيب الى ذلك فأحضر من الاهواز الى بغداد وخلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر وجلس في منصبه ومدحه الشعراء فممن مدحه وهناه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها

أمن الملك بالامين أبي الفتح * وصدت عن صفوه الاقذاء
دولة أصبحت وأنت ولي الامر أي فيها الدولة غراء

وهي طويلة وكان ابن دارست في أول أمره تاجر الملك أبي كاليجار

﴿ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم﴾

في هذه السنة توفي المعز بن باديس صاحب افريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد وكانت مدة ملكه سبعا وأربعين سنة وكان عمره لما ملك احدى عشرة سنة وقيل ثماني سنين وستة أشهر وكان رقيق القلب خاشعا متجنبا لسفك الدماء الا في حد حليما يتجاوز عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه مكرما لاهل العلم كثير العطاء لهم كريما وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتي وكان عنده وقد جاءه هذا المال فاستكثره فأمر به فأفرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أمرت باخراجه من أوعيته قال لئلا يقال لو رآه ما سمحت نفسه به وكان له شعر حسن ولما مات رثاه الشعراء فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال

لكل حي وان طال المدى هلك * لا عز مملكة يبقى ولا ملك
ولى المعز على أعقابه فرما * أو كاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى في خزائنه * هام الملوك وما أدراك ما ملكوا
ما كان الا حساما سله قدر * على الذين بغوا في الارض وانتهكوا
كأنه لم يخض للموت بحر وغى * خضر البحار اذا قيست به برك
ولم يجد بقناطير مقنطرة * قد أرعبت باسمه ابريزها السكك
روح المعز وروح الشمس قد قبضا * فانظر بأي ضياء يصعد الفلك

ولما توفي ملك بعده ابنه تميم وكان مولد تميم بالمنصورية التي هي مقره منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدية في صفر سنة خمس وأربعين فأقام بها الى ان وافاه أبوه المعز

لتسع خلون من رجب من السنة في الموضع المعروف باصطربذ بين السيب ودير العاقول فانهزم الصفار واستباح عسكره وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب وذلك أنه بثق عليه النهر المعروف بالسيب فغشي الماء الصحراء وعلم الصفار أن الحيلة قد توجهت عليه وقد كان حمل على أصحاب السلطان في ذلك اليوم بضع عشرة حملة وغرق ابراهيم ابن سيما وقتل بيده خلقا كثيرا وطعن محمد ابن أوتامش التركي وكان يتوهم أنه خادم وقال لاصحابه ما رأيت في عسكرهم مثل هذا الخادم وقد كان الصفار في هذا اليوم قصد الميمنة وكان عليها موسى ابن بغا وقتل خلقا كثيرا من الناس منهم المغربي المعروف بالمبرقع ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه وأتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد فغنم الاكثر من ماله وعدده واستنقذ محمد ابن طاهر بن عبد الله ابن طاهر وكان مقيدا كان أسره من نيسابور على ما قدمناه ومعه الحسين ابن قريش وأتى الموفق وكان في القلب محمد بن طاهر ففك قيوده وخلع عليه ورده الى مرتبته وقيل ان السبب كان في هزيمة الصفار في ذلك اليوم مع ما ذكرنا من بثق النهر وانتظام الخيول فيه أن بصيرا الديلمي مولى سعيد بن صالح الحاجب كان في الشذوات في بطن دجلة فوافى مؤخر عسكر

فى الفتنة وأقيم مقامه الشريف أبو على الحسن بن عبد الودود بن المهتدى بالله وفيها توفى على بن محمد بن ابراهيم الزوزنى أبو الحسن صحب أبا الحسن الحصرى وروى عن أبى عبد الرحمن السلمى وهو الذى نسب اليه رباط الزوزنى المقابل لجامع المنصور وفيها فى جمادى الاولى توفى محمد بن على بن الفتح بن محمد بن على أبو طالب العشارى ومولده فى المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وسمع الدارقطنى وغيره

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عود ولى العهد الى بغداد مع أبى الغنائم بن المحلبان﴾

فى جمادى الآخرة ورد عدة الدين أبو القاسم المقتدى بأمر الله ولى العهد ومعه جدته أم الخليفة وخرج الناس لاستقباله وجلس فى الزبزب وعلى رأسه أبو الغنائم بن المحلبان وقدم له بباب الغربة فرس فحمله ابن المحلبان على كتفه وأركبه وسلمه الى مجلس الخليفة فشكره وخرج ابن المحلبان فركب فى الزبزب وانحدر الى دار افردت له بباب المراتب ودخل الى الخليفة واجتمع به وكان سبب مسير ولى العهد مع ابن المحلبان انه دخل داره فوجد زوجة رئيس الرؤساء وأولادهما وهم مطلوبون من البساسيرى فعرفوه ان رئيس الرؤساء أمرهم بقصده فادخلهم الى أهله وأقام لهم من جاهم الى ميافارقين فسار وامع قراوش لما أصعد من بغداد ولم يعلم بهم ثم لقيه أبو الفضل محمد ابن عامر الوكيل وعرفه ما عليه ولى العهد ومن معه من ايثار الخروج من بغداد وما هم عليه من تناقص الحال فبعث ابن المحلبان زوجته فاتتهم سرا فتركهم عنده ثمانية أشهر وكان يحضر ابن البساسيرى وأصحابه ويعمل لهم الدعوات وولى العهد ومن معه مستترون عنده يسمعون ما يقول أولئك فيهم ثم اكترى لهم وسار هو فى صحبتهم الى قريب سنجار ثم جاؤا الى حران وساروا مع صاحبها أبى الزمام منيع بن وثاب النميرى حين قصد الرحبة وفتح قرقيسيا وعقد لعدة الدين على بنت منيع وانحدروا الى بغداد

﴿ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب﴾

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابى مدينة حلب وضيق عليها واجتمع معه جمع كثير من العرب فاقام عليها فلم يتسهل له فتحها فرحل عنها ثم عاودها فحصرها فملك المدينة عنوة فى جمادى الآخرة بعد ان حصرها وامتنعت القلعة عليه وأرسل من بها الى المستنصر بالله صاحب مصر ودمشق يستنجدونه فأمر ناصر الدولة أبا محمد الحسين بن الحسن بن حمدان الامير بدمشق ان يسير بمن عنده من العساكر الى حلب يمنعها من محمود فسار الى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها ثم ان الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتد القتال بينهم فانهزم ناصر الدولة وعاد مقهورا الى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام أمره بها وهذه الوقعة تعرف بوقعة الفنيدق وهى مشهورة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الاخرم الخفاجى وردت اليه امارة بنى خفاجة وولاية الكوفة وسقى الفرات وضمن خواص السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كل سنة وصرف عنها رجب بن منيع وفيها توفى أبو محمد النسوى صاحب الشرطة ببغداد وقد جاوز ثمانين سنة وفيها سد بنو ورام بثق النهروانات وشرع العميد أبو الفتح فى عمارة بثوق الكرخ وفيها فى

المعروفة باوق وترقى الامر بيعقوب الى أن كان من أمره ودخوله بلاد زابلستان وهى بلاد فيروز بن كبك ابن زابلستان وما كان من أمره مع زنبيل ملك السند على حسب نسط ودخوله بلاد هراة ثم بلخ واعماله الحيلة الى أن دخل بلاد نيسابور وقبضه على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين ثم دخوله الى بلاد طبرستان ومواقعته الحسن بن زيد الحسنى مع ما قدمنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجى وما كان من أمره فى أيام عبد الله بن طاهر واليه تضاف الحمزية من الخوارج وانتهينا باخبار يعقوب بن الليث من بدئه الى غايته ووفاته ببلاد جنديسابور من كور الاهواز فلما نزل يعقوب ابن الليث دير العاقول خرج المعتمد فعسكر يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين فى الموضع المعروف بالقائم بسامرا واستخلف ابنه المفوض ووصل المعتمد الى سيب بنى كرمان يوم الخميس لخمس خلون من رجب من هذه السنة فواقع الصفار يوم الاحد

وفيها توفي أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى الشمشاطي بدمشق وكان عالما بالهندسة والرياضيات من علوم الفلاسفة واليه ينسب الرباط الذي عند جامع دمشق

﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة﴾

في هذه السنة عقد للسلطان طغرلبك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله وكانت الخطبة تقدمت سنة ثلاث وخمسين مع أبي سعد قاضي الري فانزعج الخليفة من ذلك وأرسل في الجواب أبا محمد التميمي وأمره ان يستعفي فان أعفي والا تمم الامر على أن يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار ويسلم واسطا وأعمالها فلما وصل الى السلطان ذكر لعميد الملك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء فقال لا يحسن ان يرد السلطان وقد سأل وتضرع ولا يجوز مقابلته أيضا بطلب الاموال والبلاد فهو يفعل أضعاف ما طلب منه فقال التميمي الامر لك ومهما فعلته فهو الصواب فبنى الوزير الامر على الاجابة وطالع به السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم ان همته سمت به الى الاتصال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وتقدم الى عميد الملك الوزير ان يسير ومعه ارسلان خاتون زوجة الخليفة وان يصحبها مائة ألف دينار برسم الحمل وما شاكلها من الجواهر وغيرها ووجه معه فرامرز بن كاكويه وغيره من وجوه الامراء واعيان الري فلما وصل الى الامام القائم بأمر الله وأوصل خاتون زوجة الخليفة الى دارها وأنهى حضوره وحضور من معه وذكر حال الوصلة فامتنع الخليفة من الاجابة اليها وقال ان أعفينا والا خرجنا من بغداد فقال عميد الملك كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعند الاجابة الى ما طلب فالامتناع سعي على دم وأخرج خيامه الى النهروان فاستوقفه قاضي القضاة والشيخ أبو منصور ابن يوسف وأنهيا الى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه وصنع له ابن دارست وزير الخليفة دعوة فحضر عنده فرأى على مصحف مكتوبا معاوية خال علي فأمر بحكه وكتب من الديوان الى خمارتكين الطغرائي كتابا يتضمن الشكوى من عميد الملك فورد الجواب عليه بالرفق وكتب الخليفة الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونعول على أمانتك ودينك فحضر يوما عند الخليفة ومعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود فأخذ المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه وقال للخليفة اسأل مولانا أمير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فغالطه وقال قد سطر في المعنى ما فيه كفاية فانصرف عميد الملك مغيظا ورحل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة وأخذ المال معه الى همذان وعرف السلطان ان السبب في اتفاق الحال من خمارتكين الطغرائي فتغير السلطان عليه فهرب في ستة غلمان وكتب السلطان الى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف يعتب ويقول هذا جزائي من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته وانفقت أموالي في نصرته وأهلكت خواصي في محبته وأطال العتاب وعاد الجواب اليه بالاعتذار وأما الطغرائي فانه أدرك ببروجرد فقال أولاد ابراهيم ينال للسلطان ان هذا قتل أبانا ونسأل ان نمكن من قتله وأعانهم عميد الملك فاذن لهم في قتله فساروا الى طريقه وقتلوه وجعل مكانه ساوتكين وبسط الكندري لسانه وطلب طغرلبك ابنة أخيه زوجة الخليفة لتعاد اليه وجرى ما كان يفضي الى الفساد الكلي فلما رأى الخليفة شدة الامر أذن في ذلك وكتب الوكالة باسم عميد الملك وسيرت الكتب مع أبي الغنائم بن المحلبان كان العقد في شعبان سنة أربع وخمسين بظاهر تبريز وهذا ما لم يجر للخلفاء مثله فان بني بويه مع

من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف وحسن انقيادهم لامره واستقامتهم على طاعته لما كان قد علموه من احسانه وعمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته فما ذكر من ظهور طاعتهم له انه كان بأرض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد النقلة والرحيل من تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع وانه رؤي رجل من أصحابه قد أسرع الى دابته والحشيش في فيها فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة يخاطبها فقال بالفارسية أمير المؤمنين دوابرا أزتر بيندو تفسير ذلك اقطعوا الدواب عن الرطبة وأنه رؤي في عسكره في ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته فقيل له في ذلك فقال نادى منادي الامير البسوا السلاح وكنت أغتسل من جنابة فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب عن السلاح وكان الرجل اذا أتاه راغبا في خدمته مؤثرا للانقطاع اليه تفرس فيه فاذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبر ما عنده من رمي أو طعان أو غير ذلك من ثقافة فاذا رأى منه ما يعجبه سأل عن خبره وحاله ومن أين أقبل ومع من كان فاذا وافقه ما سمعه منه قال له اصدقني عما معك من المال والمتاع والسلاح

لما انتزح عن القيروان من العرب وقام بخدمة أبيه وأظهر من طاعته وبره ما بان به كذب ما كان ينسب اليه ولما استبد بالملك بعد أبيه سلك طريقه في حسن السيرة ومحبة أهل العلم الا انه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب وزالت الهيبة والطاعة عنهم في أيام المعز فلما مات ازداد طمعهم وأظهر كثير منهم الخلاف فممن أظهر الخلاف القائد حمو بن مليك صاحب سفاقس واستعان بالعرب وقصد المهدية ليحاصرها فخرج اليه تميم وصافه فاقتتلوا فانهزم حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ومضى حمو ونجا بنفسه وتفرقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين وسار تميم الى سوسة وكان أهلها قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه فملكها وعفا عن أهلها

❁(ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وامارة ابنه شرف الدولة)❁

في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينيه وأذنيه فحمله ابنه شرف الدولة الى نصيبين حتى حفظ خزائنه بها وتوفي هنالك وسمع فخر الدولة أبو نصر محمد بن جهير حاله فسار من دارا الى نصيبين وجمع بني عقيل على أن يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم وكان القائم بامره جابر بن ناشب فزوجه فخر الدولة باخت مسلم وزوج مسلما بابنة نصر بن منصور

❁(ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان)❁

في هذه السنة توفي نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر ولقبه القادر بالله نصر الدولة وكان عمره نيفا وثمانين سنة وامارته اثنتين وخمسين سنة واستولى على الامور ببلاده استيلاء تاما وعمر الثغور وضبطها وتنعم تنعما لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه وملك من الجواري المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار وأكثر من ذلك وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة وأرسل طباخين الى الديار المصرية وغرم على ارسالهم جملة وافرة حتى تعلموا الطبخ من هنالك وأرسل الى السلطان طغرلبك هدايا عظيمة من جملتها الجبل الياقوت الذي كان لبني بويه اشتراه من الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك ووزر له أبو القاسم ابن المغربي وفخر الدولة بن جهير ورخصت الاسعار في أيامه وتظاهر الناس بالاموال ووفد اليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه ان الطيور في الشتاء تخرج من الجبال الى القرى فتصاد فأمر أن يطرح لها الحب من الاهراء التي له فكانت في ضيافته طول عمره ولما مات اتفق وزيره فخر الدولة بن جهير وابنه نصر فرتب نصرا في الملك بعد أبيه وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر في آخرها لنصر فاستقر في الامارة بميافارقين وغيرها وملك أخوه سعيد آمد

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في رجب خلع على الكامل أبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي وقلد نقابة النقباء ولقب الكامل ذا الشرفين وفيها تولى شمس الدين أسامة بن أبي عبد الله بن علي نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى وفيها في جمادى الاولى انكسفت الشمس جميعها فظهرت الكواكب وأظلمت الدنيا وسقطت الطيور الطائرة وفيها في شهر رمضان توفي شكر العلوي الحسيني أمير مكة وله شعر حسن فنه

قوض خيامك عن أرض تضام بها ❁ وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة ❁ فالمندل الرطب في أوطانه حطب

وفيها

الصفار وسواده فخرج من الشذوات فطرح النار في الابل والبغال والخيول وكان في عسكره خمسة آلاف جمل بختي من حمر وغيرها فتفرقت الابل في العسكر وشردت البغال والخيل واضطرب الناس في مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه في عسكره وسواده من ورائهم فكانت الهزيمة على الصفار عما ذكرنا ويقال ان يعقوب ابن الليث قال في سفرته هذه أبياتا وفي مسيره وأنه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالى أضاعتهم الدين واهمالهم أمر صاحب الزنج فقال

خراسان أحويها وأعمال فارس
وما أنا من ملك العراق بآيس
اذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت
ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله عنها ونصرة
وصاحب رايات الهدى غير حارس

(وكانت وفاة الصفار) يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين على ما ذكرنا بجنديسابور (وخلف في بيت ماله) خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف ألف دينار وخلفه أخوه عمرو بن الليث مكانه وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الامم الغابرة

﴿ذكر وفاة السلطان طغرلبك﴾

في هذه السنة سار السلطان من بغداد في ربيع الاول الى بلد الجبل فوصل الى الري واستصحب معه ارسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة لانها شكت اطراح الخليفة لها فاخذها معه فمرض وتوفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريبا وكان عقيما لم يلد ولدا وكان وزيره الكندري على سبعين فرسخا فاتاه الخبر فسار ووصل اليه في يومين وهو بعد لم يدفن فدفنه وجلس له الوزير فخر الدولة بن جهير ببغداد للعزاء حكى عنه الكندري أنه قال رأيت وانا بخراسان في المنام كانني رفعت الى السماء وانا في ضباب لا ابصر معه شيأ غير أني اشم رائحة طيبة واني انادى انك قريب من الباري جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت في نفسي اسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفيني فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب لا يكفيني فقيل لك سبعون سنة فلما مات حسب عميد الملك عمره على التقريب فكان سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا واثني عشر يوما واما الاحوال بالعراق بعد وفاته فانه كتب من ديوان الخلافة الى شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل الى نور الدولة دبيس بن مزيد والى هزارسب والى بني ورام والى بدر بن المهلهل بالاستدعاء الى بغداد وأرسل اشرف الدولة تشريفا وعمل أبو سعد القايني ضامن بغداد سورا على قصر عيسى وجمع الغلات فانحدر ابراهيم بن شرف الدولة الى أوانا وتسلم أصحابه الانبار وانتشرت البادية في البلاد وقطعوا الطرقات وقدم الى بغداد دبيس بن مزيد وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله وقدم أيضا ورام وتوفي ببغداد أبو الفتح ابن ورام مقدم الاكراد الجاوانية فحمل الى جرجرايا وفارق شرف الدولة مسلم بغداد ونهب النواحي فسار نور الدولة والاكراد وبنو خفاجة الى قتاله ثم أرسل اليه من ديوان الخلافة رسول معه خلعة له وكوتب بالرضا عنه وانحدر اليه نور الدولة دبيس فعمل له شرف الدولة سماطا كثيرا وكان في الجماعة الاشرف أبو الحسين بن فخر الملك أبي غالب بن خلف كان قصد شرف الدولة مستنجدا فضاقت من ساعته وحكى عنه بعض من صحبه انه سمعه ذلك اليوم يقول اللهم اقبضني فقد ضجرت من الاضاقة فلما توفي ورفع من السماط خاف شرف الدولة أن يظن من حضر انه تناول طعاما مسموما قصد به غيره فقال يا معشر العرب لا يبرح منكم أحد ونهض وجلس مكان ابن فخر الملك المتوفي وجعل يأكل من الطعام الذي بين يديه فاستحسن الجماعة فعله وعادوا عنه وخلع على دبيس وولده منصور وعاد الى حلته ولما رأى الناس ببغداد انتشار الاعراب في البلاد ونهبها حملوا السلاح لقتالهم وكان ذلك سببا لكثرة العيارين وانتشار المفسدين

﴿ذكر شيء من سيرته﴾

كان عاقلا حليما من اشد الناس احتمالا واكثرهم كتمانا لسره ظفر بملطفات كتبها بعض خواصه الى الملك أبي كاليجار فلم يطلعه على ذلك ولا تغير عليه حتى أظهره بعد مدة طويلة لغيره وحكى عنه اقضى القضاة الماوردي قال لما أرسلني القائم بأمر الله اليه سنة ثلاث وثلاثين كتبت كتابا الى بغداد اذكر فيه سيرته وخراب بلاده واطعن عليه بكل وجه فوقع الكتاب من غلامي فحمل اليه فوقف عليه وكتمه ولم يحدثني فيه بشيء ولا تغير عما كان عليه من اكرامي وكان رحمه الله يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البياض وكان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم وايديهم مطلقة في ذلك نهارا وليلا وكان كريما فمن كرمه ان أخاه ابراهيم ينال أسر من الروم لما غزاهم بعض ملوكهم فبذل في نفسه

في الاعياد او في الايام التي يحتاج فيها الى مباهاة الاعداء والاحتفال لدفع البأس ثلاث الاعمدة واقفا مع [illegible] هذه الاعمدة عمدة للنوائب (وسئل بعض ثقاته) عمن يظهر حاله عن اشغاله في خلواته وعن مجالسته مع أهل بطانته وهل يسير مع أحد أو يجالسه فذكر أنه لا يطلع أحدا على سره ولا يعرف أحدا بتدبيره وعزمه وأكثر نهاره خاليا بنفسه يفكر فيما يريده ويظهر غير ما يضمره ولا يشرك أحدا فيما يريده برأي ولا غيره وأن تفرجه واشتغاله بغلمان صغار يتخذهم ويؤدبهم ويخرجهم ويدعوهم ويدفع لهم ماقد عمله لهم من السيور يتضاربون بها بين يديه ففي هذا أكثر شغله اذا فرغ من تدبيره ولما واقع الصفار الحسن بن زيد الحسيني بطبرستان وذلك في سنة ستين ومائتين وقيل سنة تسع وخمسين ومائتين وانكشف الحسن ابن زيد وأمعن يعقوب في الطلب وكانت معه رسل السلطان قد قصدوه بكتب ورسالة من المعتمد وهم راجعون في طلب الحسن بن زيد قال له بعضهم لما رأى من طاعة رجاله وما كان منهم في تلك الحرب ما رأيت أيها الامير كاليوم قال له الصفار وأعجب منه ما أريك اياه ثم قربوا من الموضع الذي كان فيه عسكر الحسن بن زيد فوجدوا البدر في

تحكموهم وخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا في مثل هذا ولا ساموهم فعله وحمل السلطان أموالا كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولولي العهد وللجهة المطلوبة ولوالدتها وغيرهم وجعل بعقوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التي توفيت للسيدة ابنة الخليفة

﴿ ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير ﴾

في هذه السنة عزل أبو الفتح محمد بن المنصور بن دارست من وزارة الخليفة وسببه انه وصل معه انسان يهودي يقال له ابن علان فضمن أعمال الوكلاء التي لخاص الخليفة بستة آلاف كرغلة ومائة ألف دينار فصح منها الفا كر وثلاثون ألف دينار وانكسر الباقي فظهر عجز ابن دارست ووهنه فعزل وعاد الى الاهواز فتوفي بها سنة سبع وستين وكان فخر الدولة أبو نصر بن جهير وزير نصر الدولة بن مروان قد أرسل يخطب الوزارة وبذل فيها بذولا كثيرة فأجيب اليها وأرسل كامل طراد الزينبي الى ميافارقين كانه رسول فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له فتمم السير معه وخرج ابن مروان في أثره فلم يدركه فلما وصل الى بغداد خرج الناس الى استقباله وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة ولقب فخر الدولة واستقر في الوزارة ومدحه وهناه ابن الفضل وغيره من الشعراء

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة عم الرخص جميع الاصقاع فبيع بالبصرة ألف رطل من التمر بثمانية قراريط وفيها توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي بمصر وفيها سار السلطان طغرلبك الى قلعة الطرم من بلاد الديلم وقرر على مسافر ملكها مائة ألف دينار وألف ثوب وفيها مات أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بحلب وقام أخوه عطية مقامه وتوفي الحسن ابن علي بن محمد أبو محمد الجوهري ومولده سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان من الائمة المكثرين من سماع الحديث وروايته وهو آخر من حدث عن أبي بكر القطيعي والابهري وابن شاذان وغيرهم

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة ﴾

في هذه السنة في المحرم توجه السلطان طغرلبك من ارمينية الى بغداد وأراد الخليفة ان يستقبله فاستعفاه من ذلك وخرج الوزير ابن جهير فاستقبله وكان مع السلطان من الامراء أبو علي بن الملك أبي كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارسب وأبو منصور فرامرز بن كاكويه فنزل عسكره في الجانب الغربي فزادهم أذى ووصل عميد الملك الى الخليفة وطالب بالجهة وبات بالدار فقيل له خطك موجود بالشرط وان المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع وانه ان كانت مشاهدة فتكون في دار الخلافة فقال السلطان نفعل هذا ولكن نفرد له من الدور والمساكن ما يكفيه ومعه خواصه وحجابه ومماليكه فانه لا يمكنه مفارقتهم فحينئذ نقلت الى دار المملكة في منتصف صفر فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان اليها وقبل الارض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت هي له وحمل لها شيأ كثيرا من الجواهر وغيرها وبقي كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على عميد الملك وعمل السماط عدة أيام وخلع على جميع الامراء وظهر عليه سرور عظيم وعقد ضمان بغداد على أبي سعيد القايني بمائة وخمسين ألف دينار فاعاد ما كان أطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس وقبض على الاعرابي سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على أبي جعفر بن صقالب بمائتي ألف دينار

فيقف على جميع ما معه ثم يبعث أناسا قد رتبوا لذلك فيبتاعون جميع ذلك ويحملونه عينا أو ورقا ويدفع اليه ويثبت في الديوان ثم يرجع عليه في اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والجير من اصطبله حتى لا يفقد الرجل جميع ما يحتاج اليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته فان تقدم عليه بعد ذلك مذهبه ولم يرض اختياره سلبه جميع ما أنعم به عليه حتى يخرج من عسكره نحو ما دخل اليه محتملا لما معه من ذلك العين والورق الا أن يكون ذلك الرجل مقتصدا فيصير له فضل من أرزاقه فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله وكان بجميع دوابه ملكا له وان اعلافها من قبله ولها سياسة ووكلاء يقومون بأمرها الا خصوص دوابهم التي تكون عندهم الآن ملكا له واتخذ لنفسه عريشا من خشب يشبه السرير حيثما توجه من مسيره فيكثر الجلوس عليه ويشرف منه على أهل عسكره وعلى قضيم دوابه ويومن الخلل من وكلائه فاذا رأى شيأ يكرهه بادر بتغييره وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل على اختيارهم والغنى الظاهر منهم والنكاية في حروبهم فجعلهم أصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ثم يليهم في اللباس والتقى فوج ثاني أصحاب الاعمدة الفضة فاذا كان

(ذكر

السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وأنفذه الى مرو الروذ وأتى عليه سنة في الاعتقال ثم انفذ اليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقالا له تب مما أنت عليه ففعل ودخل فودع أهله وخرج الى مسجد هنالك فصلى ركعتين وأراد الغلامان خنقه فقال لست بلص وخرق خرقة من طرف كمه وعصب عينيه فضربوه بالسيف وكان قتله في ذي الحجة وافق في قميص دبيقي من ملابس الخليفة وخرقة كانت البردة التي عنده اتخذها لفافها وحملت جثته الى كندر فدفن عند أبيه وكان عمره يوم قتل نيفا وأربعين سنة وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرلبك ان السلطان لما ورد نيسابور طلب رجلا يكتب له ويكون فصيحا بالعربية فدل عليه الموفق والد أبي سهل واعطاه السعادة وكان فصيحا فاضلا وانتشر من شعره ما قاله في غلام تركي صغير السن كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه

أنا مشغول بحبه * وهو مشغول بلعبه لو أراد الله خيرا * وصلاحا لمحبه

نقلت رقة خديه * الى قسوة قلبه صانه الله فما أكثر اعجابي بحبه

ومن شعره

ان كان بالناس ضيق من مناقشتي * فالموت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت المغبون يتبعني * كل لكاس المنايا شارب حاسي

وقال أبو الحسن الباخرزي يخاطب ألب ارسلان عند قتل الكندري

وعمك أدناه وأعلى محله * وبوأه من ملكه كنفا رحبا

قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوله الدنيا وخوله العقبى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرلبك لانه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته وقيل بل اعداؤه أشاعوا عنه انه تزوجها فخصى نفسه ليخلص من سياسة السلطنة فقال فيه علي بن الحسن الباخرزي

قالوا محا السلطان عنه بعزه * سمة الفحول وكان قرما صائلا

قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة * لما اغتدى عن أنثييه عاطلا

فالفحل يأنف ان يسمى بعضه * أنثى لذلك جذه مستأصلا

يعني بالانثى واحدة الانثيين وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي رضي الله تعالى عنه بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان فاذن في ذلك فامر بلعنهم وأضاف اليهم الاشعرية فانف من ذلك أئمة خراسان منهم الامام أبو القاسم القشيري والامام أبو المعالي الجويني وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام امام الحرمين بمكة أربع سنين الى ان انقضت دولته يدرس ويفتي فلهذا لقب امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقيل انه تاب من الوقيعة في الشافعي فان صح فقد أفلح والا فعلى نفسها براقش تجني ومن العجب ان ذكره دفن بخوارزم لما خصي ودمه مسفوح بمرو وجسده مدفون بكندر ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور ونقل قحفه الى كرمان لان نظام الملك كان هنالك فاعتبروا يا أولي الابصار ولما قرب للقتل قال للقاصد اليه قل لنظام الملك بئسما عودت الاتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قليبا وقع فيه ولم يخلف عميد الملك غير بنت

(ذكر ملك ألب ارسلان ختلان وهراة وصغانيان)

لما توفي طغرلبك وملك ألب أرسلان عصى عليه أمير ختلان بقلعته ومنع الخراج فقصده

يأمر به صاحبهم فيخرجوا اليه والا فوقف أكثر نهاره وليله في ذلك الموضع لا يقومون على رأسه وخيمته من داخل أخبية مطنبة كلها يدور فيها ألفا غلام يبيتون من داخل مضربه على كل نفس منهم ثقة قد وكل بتفقد أحواله لئلا يكون منهم عبث أو فساد فهو المأخوذ به ويذبح له في كل يوم عشرون شاة فتطبخ في خمس قدور من الصفر الكبار وله قدور حجارة يتخذ له فيها بعض ما يشتهيه وله اوزة في كل يوم وخبيصة وفالوذج مع القدور الخمس وهي ألوان غليظة فيأكل منها ويفرق الباقي في الغلمان الذين في داخل مضربه ثم أهل عسكره حول مضربه وقربهم منه على حسب مراتبهم عنده (وقال بعض من ورد اليه) برسالة السلطان أيها الامير أنت في رياستك ومجالسك ليس في خيمتك الا سلاحك ومع أنت عليه قال ان رئيس القوم يأتم به أصحابه في أفعاله وسيرته فلو استعملت ما ذكرت من الآلات لا ثقلنا البهائم ولائتم بي في فعلي من في عسكري ونحن نقطع في كل يوم المهامه والمفاوز والاودية والقيعان ولا يصلح لنا الا التخفيف وكان قليل الاستعمال للبغال في عسكره وكان في عسكره خمسة آلاف جمل بخت وأضعاف عددها حمير شهب كالبغال وهي الحمير المعروفة بالصغارية تحمل الاثقال عوضا من البغال

أربعمائة ألف دينار فلم يقبل ابراهيم منه وحمله الى طغرلبك فارسل ملك الروم الى نصر الدولة ابن مروان حتى خاطب طغرلبك فى فكاكه فلما سمع طغرلبك رسالته أرسل الرومى الى ابن مروان بغير فداء وسير معه رجلا علويا فانفذ ملك الروم الى طغرلبك مالم يحمل فى الزمان المتقدم وهو ألف ثوب ديباج وخمسمائة ثوب أصناف وخمسمائة رأس من الكراع الى غير ذلك وانفذ مائتى ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلثمائة شهرى وثلثمائة حماره مصرية وألف عنز بيض الشعور سود العيون والقرون وانفذ الى ابن مروان عشرة أمناء مسكا وعمر ملك الروم الجامع الذى بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمر منارته وعلق فيه القناديل وجعل فى محرابه قوسا ونشابة وأشاع المهادنة

﴿ذكر ملك السلطان ألب ارسلان﴾

لما مات السلطان طغرلبك اجلس عميد الملك الكندرى فى السلطنة سليمان بن داود جغرى بك أخى السلطان طغرلبك وكان طغرلبك قد عهد اليه بالملك وكانت والدة سليمان عند طغرلبك فلما خطب له بالسلطنة اختلف الامراء فمضى باغى سيان وأردم الى قزوين وخطبا لعضد الدولة ألب ارسلان محمد بن داود جغرى بك وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فلما رأى عميد الملك الكندرى انعكاس الحال عليه أمر بالخطبة بالرى للسلطان ألب ارسلان وبعده لاخيه سليمان

﴿ذكر خروج حمو عن طاعة تميم بن المعز بافريقية﴾

فى هذه السنة خالف حمو بن مليك صاحب مدينة سفاقس بافريقية على الامير تميم بن المعز بن باديس فجمع أصحابه واستعان بالعرب وسار الى المهدية فسمع تميم الخبر فسار اليه بعساكره ومعه أيضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل حمو الى سلقطة والتقى الفريقان بها وكان بينهما حرب شديدة فانهزم حمو ومن معه وأخذتهم السيوف فقتل أكثر حماته وأصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله وعاد تميم مظفرا منصورا ثم قصد بعد هذه الحادثة مدينة سوسة وكان أهلها قد خالفوا عليه فملكها وعفا عنهم وحقن دماءهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى المحرم قبض بمصر على الوزير أبى الفرج بن المغربى وفيها دخل الصليحى صاحب اليمن الى مكة مالكا لها فاحسن السيرة فيها وجلب اليها الاقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه افعال جميلة وفيها فى ربيع الآخر انقض كوكب عظيم وكان له ضوء كثير وفيها فى شعبان كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل اليها فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر وأقام بها واختلف هو والجند فثاروا به ووافقهم العامة فضعف عنهم ففارقها فى رجب سنة ست وخمسين وفيها توفى سعيد بن نصر الدولة بن مروان صاحب آمد من ديار بكر وزهير بن الحسين بن على أبو نصر الجذامى الفقيه الشافعى تفقه على أبى حامد الاسفراينى وسمع الحديث الكثير ورواه وكان موته بسرخس

﴿ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر القبض على عميد الملك وقتله﴾

فى هذه السنة قبض السلطان ألب ارسلان على الوزير عميد الملك أبى نصر منصور بن محمد الكندرى وزير طغرلبك وسبب ذلك ان عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير ألب ارسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده فسار أكثر الناس معه فخوف

والكراع والسلاح والعدد وجميع ما خلف فى العسكر حين الهزيمة على حاله لم يلتمس أحد من أصحابه منه شيء ولا دنوا اليه معسكرين بالقرب منه من حيث يرونه بالموضع الذى خلفهم فيه الصغار فقال له الرسول هذه سياسة ورياضة راضهم الامير بها الى أن تأتى له منهم ما أراده وكان لا يجلس الا على قطعة مسح يشبه أن يكون طوله سبعة أشبار فى عرض ذراعين أو أربع والى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه وليس فى مضربه شيء غيره فاذا أراد أن ينام من ليله أو نهاره اضطجع على ترسه ونزع راية فجعلها مخدته وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختى (وكان من سنته) للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول بباب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم فيبرزون مع أطناب الشقاق الى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو موضعها لكنه يرى مداخلهم اليها ومخرجهم منها فمن احتاج اليه منهم واحتاج الى كلامه أو أمره أونهيه دعاه فأمره وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضا من السلام عليه ولم يكن لاحد أن يتقدم الى باب مجلسه الا رجل من خواصه يعرف بالعزيز واندوته وله من وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه فيها غلمان من خواصه فاذا احتاج الى أمر

السلطان

الحاجزة وجعل السبخة بينه وبين ألب أرسلان ليمتنع من اللقاء فسلك ألب أرسلان طريقا في الماء وخاض غمرته وتبعه العسكر فطلع بسالماهو وعسكره فصار واقع قتلمش واقتتلوا فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان وانهزموا لساعتهم ومضى منهزما الى قلعة كردكوه وهي من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والاسر على عسكره فاراد السلطان قتل الاسرى فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم وأطلقهم ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلمش ميتا ملقى على الارض لا يدرى كيف كان موته قيل انه مات من الخوف والله أعلم فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ودخل ألب أرسلان الى مدينة الري آخر المحرم من السنة ومن العجب ان هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم قد أتقنه مع انه تركي ويعلم غيره من علوم القوم ثم ان أولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الاولية ويقربون أهلها فنالهم بهذا غضاضة في دينهم وسيرد من أخبارهم ما يعلم منه ذلك وغيره من أحوالهم

﴿ذكر فتح ألب أرسلان مدينة آني وغيرها من بلاد النصرانية﴾

ثم سار السلطان من الري أول ربيع الاول وسار الى اذربيجان فوصل الى مرند عازما على قتال الروم وغزوهم فلما كان عرند أتاه أمير من أمراء التركمان كان يكثر غزو الروم اسمه طغدكين ومعه من عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد وعرفوا تلك البلاد وحثه على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم اليها فسار معه فسلك بالعساكر في مضايق تلك الارض ومخارمها فوصل الى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له ان سكان خوي وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فأطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هنالك من الملوك والعساكر ما لا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل مكانه في عسكره ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل أهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل أمير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرماري وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها وملكوها وأنزلوا منها أهلها وكان بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها ملكشاه وأراد تخريبها فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هي ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والذخائر والاموال والسلاح وسلم هذه القلاع الى أمير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى أهل هذه البلدة وهي مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد وعندها نهر كبير فاعد نظام الملك لقتالها ما يحتاج اليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار وأخذهم الاعياء والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا الى أعلاه لان المعاول كانت عن نقبه لقوة حجره فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت ذلك في أعضادهم وسقط في أيديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك وأحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها وأسلم كثير فنجوا من القتل واستدعى ألب أرسلان اليه ابنه ونظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه في طريقه عدة من القلاع والحصون وأسر من النصارى ما لا يحصون كثرة وساروا الى سبيذشهر فجرى

وقدم الموفق ابنه أبا العباس في ربيع الآخر الى سوق الخميس وقد كان الشعراني صاحب العلوي قد تحصن بها في جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه وفتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فأصلح ما أفسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى بالبصرة في وقعة واحدة على قتل ثلثمائة ألف من الناس (وقد كان المهلبي) من علية أصحاب علي بن محمد بعد هذه الوقعة بالبصرة فنصب منبرا بالموضع المعروف بمقبرة بني يشكر وكان يصلي يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر لعلي بن محمد ويترحم بعد ذلك على أبي بكر وعمر ولا يذكر عثمان ولا عليا في خطبته ويلعن جبابرة بني العباس وأبا موسى الاشعري وعمرو ابن العاص ومعاوية بن أبي سفيان على ما قدمنا من قوله في هذا الكتاب وأنه كان يذهب الى رأي الازارقة من الخوارج ولما كان من زنج بالبصرة الى هذا الفعل من المهلبي فاجتمعوا في بعض الجج

السلطان فرأى الحصن منيعا على شاهق فأقام عليه وقاتله فلم يصل منه الى مراده ففي بعض الايام باشر ألب أرسلان القتال بنفسه وترجل وصعد في الجبل فتبعه الخلق وتقدموا عليه في الموقف وألحوا في الزحف والقتال وكان صاحب القلعة على شرافة من سورها يحرض الناس على القتال فاتته نشابة من العسكر فقتلته وتسلم ألب أرسلان القلعة وصارت في جملة ممالكه وكان عمه فخر الملك بيغو بن ميكائيل في هراة فعصى أيضا عليه وطمع في الملك لنفسه فسار اليه ألب أرسلان في العساكر العظيمة فحصره وضيق عليه وأدام القتال ليلا ونهارا فتسلم المدينة وخرج عمه اليه فأبقى عليه وأكرمه وأحسن صحبته وسار من هناك الى صغانيان وأميرها اسمه موسى وكان قد عصى عليه فلما قاربه ألب أرسلان صعد موسى الى قلعة على رأس جبل شاهق ومعه من الرجال الكماة جماعة كثيرة فوصل السلطان اليه وباشر الحرب لوقته فلم ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة قهرا وأخذ موسى أسيرا فأمر بقتله فبذل في نفسه أموالا كثيرة فقال السلطان ليس هذا أوان تجارة واستولى على تلك الولاية بأسرها وعاد الى مرو ثم منها الى نيسابور

﴿ذكر عود ابنة الخليفة الى بغداد والخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداد﴾

في هذه السنة أمر السلطان ألب أرسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود الى بغداد وأعلمها أنه لم يقبض على عميد الملك الا لما اعتمده من نقلها من بغداد الى الري بغير رضا الخليفة وأمر الامير أيتكين السليماني بالمسير في خدمتها الى بغداد والمقام بها شحنة وأنفذ أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للسير في الصحبة وأمر بالمخاطبة في اقامة الخطبة له فمات في الطريق مجدرا وهذا أبو سهل من رؤساء أصحاب الشافعي بنيسابور وكان يحضر طعامه في رمضان كل ليلة أربعمائة متفقه ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تعمهم فلما سمع بموته أرسل العميد أبا الفتح المظفر بن الحسين فمات أيضا في الطريق فألزم السلطان رئيس العراقين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة بن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم واقترح السلطان أن يخاطب بالولد المؤيد فأجيب الى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الاولى وشافه الرسل بتقليد ألب أرسلان السلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وأرسل اليه من الديوان لأخذ البيعة النقيب طراد الزينبي فوصلوا اليه وهو بنقجوان من أذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة

﴿ذكر الحرب بين ألب أرسلان وقتلمش﴾

سمع ألب أرسلان ان شهاب الدولة قتلمش وهو من السلجوقية أيضا وهو جد الملوك أصحاب قونية وقيصرية وأقصرا وملطية يومنا هذا قد عصى عليه وجمع جموعا كثيرة وقصد الري ليستولي عليها فجهز ألب أرسلان جيشا عظيما وسيرهم على المفازة الى الري فسبقوا قتلمش اليها وسار ألب أرسلان من نيسابور أول المحرم من هذه السنة فلما وصل الى دامغان أرسل الى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن ارتكاب هذه الحال ويأمره بتركها فانه يرعى له القرابة والرحم فأجاب قتلمش جواب مغتر بمن معه من الجموع ونهب قرى الري وأجرى الماء على وادي الملح وهي سبخة فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون دونك بسهام لا تخطي وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من أعظم أعوانك وقرب السلطان من قتلمش فلبس نظام الملك السلاح وعبأ الكتائب واصطف العسكران وكان قتلمش يعلم علم النجوم فوقف ونظر فرأى أن طالعه في ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفرا فقصد

وكان السبب في ذلك أنه اذا نزل خليت الجمال والحمير للرعي وليس في وسع الجمال ذلك (قال المسعودي) وليعقوب بن الليث الصفار وعمرو بن الليث أخيه سير وسياسات عجيبة وحيل ومكايد في الحروب قد أتينا على ذكرها وما انتظم لنا في وصفها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب منها لمعا لم نعرض لذكرها فيما سلف من كتبنا (وفي سنة أربع وستين ومائتين) وذلك في خلافة المعتمد كانت وفاة موسى بن بغا وفيه يقول بعض الشعراء وكان قد امتدحه فلم يصله بشيء

مات موسى فهان ذلك علينا
لم يضرني اذ قيل قد مات شيئا
وكذا لا يضرني من من لم
يسد خيرا الي اذ كان حيا

(وفي هذه السنة) وهي سنة أربع وستين ومائتين مات أبو ابراهيم اسمعيل ابن يحيى المزني صاحب المختصر من علم محمد بن ادريس الشافعي يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الاول من هذه السنة بمصر (وفيها) مات أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وهو صاحب مالك ابن أنس وقد روى عن عمه عبد الله بن وهب عن مالك (وفيها) مات يونس ابن عبد الاعلى الصدفي بمصر وهو ابن اثنتين وتسعين سنة (وفيها) مات أبو خالد يزيد بن سنان بمصر وصلى

قدمات سيد ولد ملك الجن وأى بلد لم يلطم أهله عليه ويعملون له العزاء قلع أصله وأهلك أهله فخرج كثير من النساء فى البلاد الى المقابر يلطمن ويبكين وينشرن شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ولقد جرى فى أيامنا نحن فى الموصل وما والاها من البلاد الى العراق وغيرها نحو هذا وذلك ان الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير فى حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر ان امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود وكل من لا يعمل له مأتما أصابه هذا المرض فكثر فعل ذلك وكانوا يقولون يا أم عنقود اعذرينا قد مات عنقود ما درينا وكان النساء يلطمن وكذلك الاوباش وفيها ولى أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوى نقابة العلويين ببغداد وامارة الموسم ولقب بالطاهر ذى المناقب وكان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بنى خفاجة وانتقل معهم الى البرية وتوفى أسامة بمشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فى رجب سنة اثنتين وسبعين وفيها فى جمادى الآخرة توفى أبو القاسم عبد الواحد بن على بن برهان الاسدى النحوى المتكلم كان له اختيار فى الفقه وكان عالما بالنسب ويمشى فى الاسواق مكشوف الرأس ولم يقبل من أحد شيأ وكان موته فى جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل الى مذهب مرجئة المعتزلة ويعتقد أن الكفار لا يخلدون فى النار وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوى عظيم ثم غاب

﴿ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين بنى حماد والعرب﴾

فى هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب عدى والاثبج وبين رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيرى الزناتى على مدينة سبتة وكان سببها ان حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلاف وموت باديس محاصرا قلعة حماد ما هو مذكور ولولا تلك القلعة لاخذ سريعا وانما امتنع هو وأولاده بعده بها وهى من أمنع الحصون وكذلك ما استمر بين حماد والمعز ابن باديس ودخول حماد فى طاعته ما تقدم ذكره وكذلك أيضا ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصبرة الى المهدية تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها الى بلاد بنى حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفى نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من أولادهم يرثه صغير عن كبير وولى تميم بن المعز بعد أبيه فاستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه وتميم صابر يدارى ويتجلد واتصل بتميم ان الناصر بن علناس يقع فيه فى مجالسه ويذمه وانه عزم على المسير اليه ليحاصره بالمهدية وانه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبنى هلال ليعينوه على حصار المهدية فلما صح ذلك عنده أرسل الى امراء بنى رياح فاحضرهم اليه وقال أنتم تعلمون ان المهدية حصن منيع أكثره فى البحر لا يقاتل منه فى البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا وانما جمع الناصر هذه العساكر اليكم فقالوا له الذى تقوله حق ونحب منك المعونة فاعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق فجمعوا قومهم

الوصائف ولقد استمالت الى على بن محمد امرأة من ولد الحسن بن على بن أبى طالب كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه الى غيره من الزنج أو ينقلها مما هى فيه فقال هو مولاك وأولى بك من غيره (وقد تكلم الناس فى مقدار ما قتل فى هذه السنين من الناس فكثر ومقل فأما المكثر فانه يقول أفنى من الناس ما لا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا عالم الغيب فيما فتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد أهلها والمقلل يقول أفنى من الناس خمسمائة ألف ألف وكلا الفريقين يقول فى ذلك ظنا وحدسا اذ كان شيأ لا يدرك ولا يضبط (وكان مقتله) ما بينا آنفا سنة سبعين ومائتين وذلك فى خلافة المعتمد (وقد كان الموفق) بعد ذلك وجه بصاعد بن مخلد فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين الى حرب الصفار فأمره على من معه من الجيوش وشيعه الموفق فلما صار الى بلاد فارس تجبر واشتد سلطانه وانصرف من المدائن فى بعض الايام فاحتجب فى حفة وأذنة عليه ونمى ذلك الى الموفق وما هو عليه من التجبر فقال فى ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن بن سعيد القطربلى الكاتب قصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما نذكره وهو يكتم لساطعين * ودان بدين الجهم وأصبح فى حفة * وفى اذنه محتجم

بين أهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ثم ان الله تعالى يسر فتحها فملكها ألب ارسلان وسار منها الى مدينة أعال لال وهي حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهي من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التي ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جماعة فلما جاوزوا الفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة وقاتلوهم فأكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلي فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار فقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من أهلها في برج من أبراج المدينة فقاتلهم المسلمون فأمر السلطان بالقاء الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك وأحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقي من تلك النار التي أحرق بها البرج بقية كثيرة فأطارتها الريح فاحترقت المدينة بأسرها وذلك في رجب سنة ست وخمسين وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى جانب تلك المدينة وأخذها وسار منها الى ناحية قرس ومدينة آني وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما سيل ورده ونورة فخرج أهلها مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منها الى مدينة آني فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لا ترام ثلاثة ارباعها على نهر ارس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهي بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الروم عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فأتاهم من لطف الله ما لم يكن في حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يحصى بحيث ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى وأسروا نحوا مما قتلوا وسارت البشرى بهذه الفتوح في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على ألب ارسلان والدعاء له ورتب فيها أميرا في عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك ولما رحل السلطان عائدا قصد أصبهان ثم سار منها الى كرمان فاستقبله أخوه قاورت بك بن جغري بك داود ثم سار منها الى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ما وراء النهر وزفت اليه في هذا الوقت وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقي والبيت المحمودي واتفقت الكلمة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الاكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خيما سودا وسمعوا منها لطما شديدا وعويلا كثيرا وقائلا يقول

فوضع فيهم السيف فمن ناج سالم ومن مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس في الدور والآبار فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفيران والسنانير فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شيء فكانوا اذا مات منهم الواحد أكلوه عدموا مع ذلك الماء العذب (وذكر) عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تنازع ومعها أختها وقد احتوشوها ينظرون أن تموت فيأكلون لحمها قالت المرأة فما ماتت حتى ابتدرنا فقطعناها وأكلناها ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر وهي تبكي ومعها رأس أختها فقيل لها ويحك ما لك تبكين قالت اجتمعوا على أختي فما تركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئا الا رأسها هذا وهي تشتكي ظلمهم لها في أختها ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا (وبلغ) من أمر عسكره أنه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان الفلاني لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم

بعض ثقاته ليشاهد الاخبار ويعودبها فارسل معه رسولا يثق به فكتب معه انني لما اجتمعت بتميم لم يسألني عن شئ قبل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم أمرها عليه واتهمني فانظر الى من تثق به من العرب ترسلهم الى موضع كذا فانى سائرا اليهم مسرعا وقد اخذت عهود زويلة وغيرها على طاعتك وسير الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره واثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ في الخدمة فلا تؤخر عنه انفاذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وأرسل الكتاب الذي بخط الرسول الى تميم وكتابا منه يذكر له الحال من أوله الى آخره فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقي يتوقع له سببا يأخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه في الليل والنهار من حيث لا يشعر فاتى بعض أولئك الحرس الى تميم واخبره ان الرسول صنع طعاما واحضر عنده الشريف الفهري وكان هذا الشريف ممن وحال تميم وخواصه فاحضره تميم فقال كنت واصلا اليك وحدثه ان ابن البعبع الرسول دعاني فلما حضرت عنده قال انا في ذمامك أحب أن تمرقني مع من اخرج من المهدية فمنعته من ذلك وهو خائف فاوقفه تميم على الكتاب الذي بخطه وأمره باحضاره فاحضره الشريف فلما وصل الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر اليه يأمره بالحضور عنده فاخذ الكتاب وخرج الامير تميم فلما رآه ابن البعبع سقطت الكتب منه فاذا عنوان أحدها من الناصر بن علناس الى فلان فقال له تميم من أين هذه الكتب فسكت فاخذها وقرأها فقال الرسول ابن البعبع العفو يا مولانا فقال لا عفا الله عنك وأمر به فقتل وغرقت جثته

﴿ذكر ملك ألب ارسلان جند وصيران﴾

في هذه السنة عبر ألب ارسلان جيحون وصار الى جند وصيران وهما عند بخارا وقبر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند وأطاعه واهدى له هدايا جليلة فلم يغير ألب ارسلان عليه شيئا وأقره على ما بيده وعاد عنه بعد ان أحسن اليه وأكرمه ووصل الى كركانج خوارزم وسار منها الى مرو

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد وفيها انقض كوكب عظيم وصار له شعاع كثيرا أكثر من شعاع القمر وسمع له صوت مفزع وفيها توفي محمد بن أحمد أبو الحسين بن الابنوسي روى عن الدارقطني وغيره

﴿ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عهد ألب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه﴾

في هذه السنة سار ألب ارسلان من مرو الى رايكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة امراء دولته فاخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بانه السلطان بعده واركبه ومشى بين يديه يحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الامراء وأمرهم بالخطبة له في جميع البلاد التي يحكم عليها ففعل ذلك واقطع البلاد فاقطع مازندران للامير اينانج بيغو وبلخ لاخيه سليمان بن داود جغري بك وخوارزم لاخيه ارسلان ارغو ومرو لابنه الآخر ارسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن ارتاش وهو من أقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن ارتاش

﴿ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس﴾

في هذه السنة سير تميم صاحب افريقية عسكرا كثيفا الى مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان قد أظهر عليه الخلاف وسبب ذلك ان المعز بن باديس أبا تميم لما فارق القيروان والمنصورية ورحل

ابن أحمد بن طولون العهد لنفسه (ووجه الموفق) ابنه أبا العباس لمحاربة أبي الجيش خمارويه في سنة احدى وسبعين ومائتين فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال من هذه السنة فكانت الهزيمة على أبي الجيش واحتوى أبو العباس على جميع عسكره وأفلت أبو الجيش في جماعة من قواده حتى أتى الفسطاط وتخلف غلامه سعيد الاعسر فواقع أبا العباس فهزمه واستباح عسكره وقتل رؤساء قواده وجلة أصحابه ومضى أبو العباس لا يلوي على شئ حتى أتى العراق وقلد أبو الجيش أمر وزارته علي بن أحمد المادرائي وأبو بكر محمد بن علي بن أحمد المادرائي هو المتقلد في يد الاخشيد أحمد بن طغج في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان علي وزارته بمصر هو وولده الحسن بن محمد فلما استوزر الاخشيد أبا الحسن علي بن خلف بن طناب وانفصل من دمشق الى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن خلف واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب (وفي سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان المرادي المؤذن صاحب محمد بن ادريس الشافعي والراوي لاكثر كتبه عنه بمصر وأخبرنا أبو عبد الله

وقد اتفقوا واتفقوا على لقاء الناصر وأرسل الى من مع الناصر من بنى هلال يقولون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه ان قوى وانه يملكهم عن معه من زناتة وصنهاجة وانهم اغا يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد اذا تم الخلف وضعف السلطان فاجابهم بنو هلال الى الموافقة وقالوا احملوا أول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس ونعود عليهم ويكون الثلث الغنيمة فاجابهم الى ذلك واستقر الامر وأرسل المعز بن زيرى الزناتى الى من مع الناصر من زناتة نحو ذلك فوعدوه أيضا ان ينهزموا فحينئذ رحلت رياح وزناتة جميعها وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبنى هلال فالتقت العساكر بمدينة سبتة فحملت رياح على بنى هلال وحمل المعز على زناتة فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس أخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة أربعا وعشرين ألفا وسلم الناصر في نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك فاقتسموها على ما استقر بينهم وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم قدموها في ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل الحامى عن البلاد وارسلوا الالوية والطبول وخيم الناصر بدوابها الى تميم فردها وقال يقبح بى ان آخذ سلب ابن عمى فارضى العرب بذلك

(ذكر بناء مدينة بجاية)

لما كانت هذه الوقعة بين بنى حماد والعرب وقويت العرب فاهتم تميم بن المعز لذلك وأصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه أبو بكر بن أبى الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر الم أشر عليك ان لا تقصد ابن عمك وان تتفقوا على العرب فانكما لو اتفقتما لاخرجتما العرب فقال الناصر لقد صدقت ولكن لا مرد لما قدر فاصلح ذات بيننا فارسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب فى الاصلاح فقبل تميم قوله وأراد ان يرسل رسولا الى الناصر فاستشار أصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعبع وقالوا له هذا رجل غريب وقد أحسنت اليه وحصل له منك الاموال والاملاك فأحضره واعطاه مالا ودواب وعبيدا وارسله فسار مع الرسول حتى وصل الى بجاية وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر فنظر اليها محمد بن البعبع وقال فى نفسه ان هذا المكان يصلح ان يكون به مرسى ومدينة وسار حتى وصل الى الناصر فلما أوصل الكتاب وادى الرسالة قال للناصر معى وصية اليك واحب ان تخلى المجلس فقال الناصر انا لا اخفى عن وزيرى شيأ فقال بهذا أمرنى الامير تميم فقام الوزير أبو بكر وانصرف فلما خرج قال الرسول يا مولاى ان الوزير مخامر عليك هواه مع الامير تميم لا يخفى عنه من أمورك شيأ وتميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهاجة وغيرهم ولولا ذلك ولو وصلت بعسكرك ما بت الا فيها لبغض الجند والرعية لتميم وانا أشير عليك بما ملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه ان يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية وقال له انا أنتقل اليك باهلى واد بر دولتك فاجابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية أراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فامر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكره وعاهده على وزارته اذا عاد اليه ورجعا الى القلعة فقال الناصر لوزيره ان هذا الرسول محب لنا وقد أشار ببناء بجاية ويريد الانتقال الينا فاكتب له جواب كتبه ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره اليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب من الناصر ان يرسل معه

فكان مدة مقامه فى الوزارة سبع سنين الى أن قبض عليه وعلى

فاستخلفه الموفق الى واسط أخيه عبدون النصرانى وماتت جارية لصاعد بعد حبسه وكانت الغالبة على أمره وكان يقال لها جعفر وماتت بعدها بأيام أم الموفق فى ذلك يقول عبد الله بن الحسين بن سعد من أبيات له
أخذت جعفر برأس القطار ثم قالت آذنتكم بالبوار
فأجابت أم الامير وقالت قد أتيناك أول الزوار
وسيأتيك صاعد عن قريب كتبه للتلاف والاشكدار
وأحصى ما وجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات فى خاصة نفسه دون ما وجد لاخيه عبدون فكان مبلغه ثلثمائة ألف دينار وكان مبلغ غلته فى سائر ضياعه ألف ألف وثلثمائة ألف (ومات صاعد) فى الحبس وذلك فى سنة ست وسبعين ومائتين (وفى سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة أبى سليمان بن وهب الكاتب وأحمد بن طولون وذلك بمصر يوم السبت لعشر خلون من ذى القعدة من سنة سبعين ومائتين وله خمس وستون سنة (وكانت) ولاية أحمد ابن طولون سبع عشرة سنة وكان ابن الموفق بصاحب الزنج ومرض أحمد بن طولون عشرة أشهر ولما يئس أحمد بن طولون من نفسه بايع لابنه أبى الجيش بالامر من بعده فلما توفى جدد أبو الجيش خمارويه بعض

ارسلان يظهر الطاعة ويسأل العفو عن زلته فشفع فيه نظام الملك فعفا عنه وحضر عند السلطان فأكرمه وبكى وأبكى من عنده فأعاده الى مملكته ولم يغير عليه شيأ من حاله فقال للسلطان ان لى بنات تجهيزهن اليك وامورهن اليك فأجابه الى ذلك وأعطى كل واحدة منهن مائة الف دينار سوى الثياب والاقطاعات ثم سار منها الى فارس فوصل الى اصطخر وفتح قلعتها واستنزل واليها فحمل اليه الوالى هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح فيروزج فيه منون من المسك مكتوب عليه اسم جمشيد الملك واطاعه جميع حصون فارس وبقى قلعة يقال لها بهزاد فسار نظام الملك اليها وحصرها تحت جبالها واعطى كل من رمى بسهم واصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجرا ثوبا نفيسا ففتح القلعة فى اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان اليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده فأعلى منزلته وزاد فى تحكيمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى المحرم منها توفى الاغر أبو سعد ضامن البصرة على باب السلطان بالرى وعقدت البصرة وواسط على هزارسب بثلاثمائة الف دينار وفى صفر منها وصل الى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفى وبنى على مشهد أبى حنيفة رضى الله عنه مدرسة لاصحابه وكتب الشريف أبو جعفر بن البياضى على القبة التى احدثها

ألم تر أن العلم كان مشتتا * فجمعه هذا المغيب فى اللحد

كذلك كانت هذه الارض ميتة * فانشرها فضل العميد أبى سعد

وفيها فى جمادى الاولى وصلت ارسلان خاتون اخت السلطان الب ارسلان وهى زوجة الخليفة الى بغداد واستقبلها فخر الدولة بن جهير الوزير على فراسخ وفيها فى ذى القعدة احترقت تربة معروف الكرخى رحمة الله عليه وسبب حريقها ان قيمها كان مريضا فطبخ لنفسه ماء الشعير فاتصلت النار بخشب وبورى كانت هنالك فاحرقته واتصل الحريق فأمر الخليفة ابا سعد الصوفى شيخ الشيوخ بعمارتها وفيها فى ذى القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ أبى اسحق الشيرازى فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظر واجيئه تأخر فطلب فلم يوجد وكان سبب تأخره انه لقيه صبى فقال له كيف تدرس فى مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار وأيس الناس من حضوره اشار الشيخ أبو منصور ابن يوسف بأبى نصر ابن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لا يجوز ان ينفصل هذا الجمع الا عن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس أبو نصر للدرس وظهر الشيخ أبو اسحق بعد ذلك ولما بلغ نظام الملك الخبر أقام القيامة على العميد أبى سعد ولم يزل يرفق بالشيخ أبى اسحق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما وفيها فى ذى القعدة قتل الصليحى أمير اليمن بمدينة المهجم قتله أحد امرائها واقيمت الدعوة العباسية هنالك وكان قد ملك مكة على ما ذكرناه سنة خمس وخمسين وامن الحاج فى أيامه فاثنوا عليه خيرا وكسا البيت بالحرير الابيض الصينى ورد حلى البيت اليه وكان بنو حسن قد أخذوه وحملوه الى اليمن فابتاعه الصليحى منهم وفيها توفى عمر بن اسمعيل بن محمد أبو على الطوسى قاضيها وكان يلقب العراقى لطول مقامه ببغداد وتفقه على أبى طاهر الاسفرايني الشافعى وأبى محمد الشاشى وغيرهما

﴿ثم دخلت سنة ستين واربعمائة﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بنى كلاب بالرحبة وهم فى طاعة

على جميع تركته من الخزائن وغيرها وسار منها الى حمص وسار منها الى بلاد انطاكية ووصلت مقدمته الى الاسكندرية من شاطئ بحر الروم ووصل هو الى الموضع المعروف بقواس من جبل الاكام وقد تقدمته المطوعة والغزاة الى الثغر الشامى ثم عطف هو راجعا من غير أن يكون تقدم الى الناس معرفة ذلك منه حتى نزل مدينة انطاكية وفيها يومئذ سيما الطويل فى عدة منيعة من الاتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء انطاكية وقصة سورها والملك البانى لها وصفة سورها فى السهل والجبل وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على انطاكية وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشام وكان سيما الطويل قد عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب البحر وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر الى السلطان مستأمنا فأتى الموفق وهو منازل لصاحب الزنج فكان من أمره وقتل صاحب الزنج ما قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كل ادعى أنه القاتل لصاحب الزنج وكادت الحال أن تنفرج بينهم فى ذلك اليوم حتى قيل فى عسكر الموفق كيفما شئتم فقولوا * انما الفتح للؤلؤ فكان ابن طولون على

الى المهدية على ماذكرناه استخلف على القيروان وعلى قابس قائد بن ميمون الصنهاجي وأقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فسلمها اليهم وخرج الى المهدية فلما ولى الملك تميم بن المعز بعد أبيه ردّه اليها وأقام عليها الى الآن ثم أظهر الخلاف على تميم والتجأ الى طاعة الناصر بن علناس بن حماد فسير اليه تميم الآن عسكرا كثيرا فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم انه لا طاقة له بهم فترك القيروان وسار الى الناصر فدخل عسكر تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكر الى قابس وبها ابن خراسان فحصروه بها سنة وشهرين ثم أطاع ابن خراسان تميما وصالحه واما قائد فانه أقام عند الناصر ثم أرسل الى امراء العرب فاشترى منهم امارة القيروان فاجابوه الى ذلك فعاد اليها فبنى سورها وحصنها

(ذكر ملك شرف الدولة الانبار وهيت وغيرهما)

في هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل الى السلطان ألب ارسلان فاقطعه الانبار وهيت وحربى والسن والبوازيج ووصل الى بغداذ فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير في الموكب فلقيه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهري وخلع عليه الخليفة

(ذكر عدة حوادث)

في العشر الاول من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهي ممتدة الى وسط السماء وبقي الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر أيضا آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقي عشرة أيام ثم اضمحل وفيها في جمادى الآخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تتردد أياما تصدعت منها الجبال وأهلكت خلقا كثيرا وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس الى الصحراء فاقاموا هنالك وفيها في جمادى الاولى وقع حريق بنهر معلى فاحترق من باب الجريد الى آخر السوق الجديد من الجانبين وفيها ولدت صبية بباب الازج ولدا برأسين ورقبتين ووجهين وأربع أيد على بدن واحد وفي جمادى الآخرة توفي الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ومولده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وكان اماما في الحديث والفقه على مذهب الشافعي وله فيه مصنفات أحدها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة كان عفيفا زاهدا ومات بنيسابور وفي شهر رمضان منها توفي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة وعنه انتشر مذهب أحمد رضي الله عنه وكان اليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تميمي الحنبلي يقول لقد خرى أبو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة)

(ذكر عصيان ملك كرمان على ألب ارسلان وعوده الى طاعته)

في هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قرا ارسلان على السلطان ألب ارسلان وسبب ذلك انه كان له وزير جاهل سوّلت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه اذا عصى احتاج الى التمسك به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فاجاب الى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فسمع ألب ارسلان فسار الى كرمان فلما قاربها وقعت طليعته على طليعة قرا ارسلان فانهزمت طليعة قرا ارسلان بعد قتال فلما سمع قرا ارسلان وعسكره بانهزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهزموا لا يلوي احد على آخر فدخل قرا ارسلان الى جيرفت وامتنع بها وارسل الى السلطان ألب

الحسن بن مروان المصري وغيره عن الربيع بن سليمان قال استعار الشافعي من محمد بن الحسن الكوفي
شيأ من كتبه فلم يبعث بها
اليه فكتب اليه الشافعي
ياقل لمن لم ترعين
من من رآه مثله
من كان من قد رآه
ما قد رأى من قبله
ومن كان مثاله
حيث علمنا فضله
لان مايجنسه
فاق الكمال كله
العلم ينهى أهله
أن يمنعوه أهله
لعله يبذله
لاهله لعله
فبعث اليه محمد بن الحسن
باكثر كتبه التي سأل عنها
(وبايع المعتمد) لابنه
جعفر وسماه المفوض
الى الله وقد كان المعتمد
آثر اللذة وغلب الملاهي
وغلب أخوه أبو أحمد
الموفق على الامور يدبرها
ثم حصر على المعتمد وحبسه
فكان أول خليفة قهر
وحجر عليه ووكل به فيم
الصلح وقد كان قبل ذلك
هرب وصار الى حديثة
الموصل فبعث الموفق
بصاعد الى سامرا وكتب
الى اسحق بن كنداج فرده
من الموصل (وفي سنة)
أربع وستين ومائتين كان
خروج أحمد بن طولون
من مصر مظهرا للغزو
في عساكر كثيرة وخلق
من المطوعة قد انجذبوا
معه من مصر وفلسطين فقبل وصوله الى دمشق مات ماجور التركي وقد كان عليها فدخلها أحمد واحتوى

بدر وفر حسل حينئذ بدر فعاد الاثير اليها وبدر محصر صور براً وبحراً سنة وضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكيل الخليفة وسبب ذلك ان البهرج كثر في أيدي الناس على السكك السلطانية وضرب اسم والى العهد على الدينار وسمى الاميرى ومنع من التعامل بسواه وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم ومعه ولده الى السلطان ألب ارسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بامر الله وللسلطان بمكة واسقاط خطبة العلوي صاحب مصر وترك الاذان بحي على خير العمل فاعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة واجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال اذا فعل أمير المدينة معنا كذلك اعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك بالري وعاد الى بغداد وفيها في شهر رمضان توفي تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض باصبهان وهو عائد من عند السلطان الى خوزستان وكان قد علا أمره وتزوج باخت السلطان وبغى على نور الدولة دبيس بن مزيد وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده فلما مات سار دبيس الى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فالتقيهما وتزوج شرف الدولة باخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب وعادا الى بلادهما من همذان وفيها كان بمصر غلاء شديد ومجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضا وفارقوا الديار المصرية فورد بغداد منهم خلق كثير هربا من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلات نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة احدى وثمانين وثلثمائة ومما نهب أيضا في فتنة البساسيري وخرج من خزائنهم ثمانون ألف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم واحد عشر ألف كزاغند وعشرون ألف سيف محلى وقال ابن الفضل يمدح القائم بامر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها

قد علم المصرى ان جنوده * سنو يوسف منها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه * وأوجس منه خيفة أي ايجاس

في أبيات وفيها توفي أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الواسطي كان أديبا شاعرا حسن القول في قوله

واحسرتي من قولها * خان عهودي ولها
وحق من صيرني * وقفا عليها ولها
ما خطرت بخاطري * الا كستني ولها

وتوفي محمد بن أحمد أبو غالب بن بشران الواسطي الاديب وانتهت الرحلة اليه في الادب وله شعر فمنه في الزهد

يا شائد القصور كهلا * أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر * الا انبرى لهم الشتات
وانما العيش مثل ظل * منتقل ماله ثبات

وفيها توفي القاضي أبو الحسين محمد بن ابراهيم بن حزم قاضي دمشق وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي العجائز الخطيب بدمشق

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب﴾

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لامير المؤمنين القائم بامر الله وللسلطان

العباس برقة من بلاد المغرب خوفا من أبيه وقد حمل معه ما أمكنه حمله من الخزائن والأموال والعدد وقد أتينا على ما جرى بين أحمد بن طولون وولده العباس من المراسلات في كتابنا أخبار الزمان وكانت وفاة مازيار الخادم في أرض النصرانية غازيا في جيش الاسلام تحت الحصن المعروف بكوكب وكان مولى للفتح بن خاقان فحمل الى طرسوس فدفن بباب الجهاد وذلك النصف من رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان معه في تلك الغزاة من أمراء السلطان المعروف بالعجيفي وابن أبي عيسى وكان على امرة طرسوس وكان مازيار في نهاية البلاغة في الجهاد في البر والبحر وكان معه رجال من البحريين لم ير مثلهم ولا أشد منهم وكان له في العدو نكاية عظيمة وكان العدو يهابه وتفزع منه النصرانية في حصونها ولم ير في الثغور الشامية والجزرية بعد عمرو بن عبيد الله الاقطع صاحب ملطية وعلي بن يحيى الارمني صاحب الثغور الشامية أشد أقداما على الروم من مازيار الخادم (وكانت) وفاة عمرو بن عبيد الله الاقطع وعلي بن يحيى الارمني في سنة واحدة استشهدا جميعا وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين من خلافة المستعين بالله وقد كان عمرو بن عبيد الله غازيا في تلك السنة في الملطيين فالتقى ملك الروم في خمسين ألفا فصبر الفريقان

العلوى المصرى فكسرهم شرف الدولة وأخذ اسلابهم وأرسل أعلاما كانت معهم عليها سمات المصرى الى بغداد وكسرت وطيف بها فى البلد وأرسلت الخلع الى شرف الدولة وفيها فى جمادى الاولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء من رؤس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة وانشقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت باذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس الى أرضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فاهلك منهم خلقا كثيرا وفيها فى رجب ورد أبو العباس الخوافى بغداد عميدا من جهة السلطان وفيها عزل فخر الدولة بن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد الى نور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وأرسل الخليفة الى أبى يعلى والد الوزير أبى شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب بن بنكير فسار فادركه أجله فى الطريق فمات ثم شفع نور الدولة فى فخر الدولة بن جهير فأعيد الى الوزارة سنة احدى وستين فى صفر وفيها كان بمصر غلاء شديد وانقضى سنة احدى وستين وأربعمائة وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الاربس بافريقية ففتحها وأمن أهلها وفيها فى المحرم توفى الشيخ أبو منصور بن عبد الملك بن يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء وعم مصابه المسلمين وكان من أعيان الزمان فمن أفعاله أنه تسلم المارستان العضدى وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجد فى عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيبا وثلاثة من الخزان الى غير ذلك واشترى له الاملاك النفيسة بعد أن كان ليس به طبيب ولا دواء وكان كثير المعروف والصلات والخير ولم يكن يلقب فى زمانه أحد بالشيخ الاجل سواه وفى المحرم أيضا توفى أبو جعفر الطوسى فقيه الامامية بمشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

﴿ثم دخلت سنة احدى وستين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

فى هذه السنة فى صفر أعيد فخر الدولة بن جهير الى وزارة الخليفة على ما ذكرناه فلما عاد مدحه ابن الفضل فقال

قد رجع الحق الى نصابه * وأنت من كل الورى أولى به

ما كنت الا السيف سلته يد * ثم أعادته الى قرابه

وهى طويلة وفى شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احتراقه انه وقع بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت بالجامع وكانت العامة تعين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا باطفاء النار من الجامع فعظم الخطب واشتد الامر وأتى الحريق على الجامع فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

فى هذه السنة أقبل ملك الروم من القسطنطينية فى عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل أهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبنى كلاب وابن حسان الطائى ومن معهما من جموع العرب ثم ان ملك الروم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع وفيها سار أمير الجيوش بدر من مصر فى عساكر كثيرة الى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضى عين الدولة بن أبى عقيل فلما حصره أرسل القاضى الى الامير قرلو مقدم الاتراك المقيمين بالشام يستنجده فسار فى اثنى عشر ألف فارس فحصر مدينة صيدا وهى لامير الجيوش

انطاكية فى آخر سنة أربع وستين ومائتين وكان افتتاحه اياها فى سنة خمس وستين ومائتين بالحيلة من داخلها من بعض أهلها بالليل وقد أخذوا بجراسهم سورها فصعد بعضهم مما يلى الجبل وباب فارس فأتى ابن طولون وقد يئس من فتحها لمنعها وحصانة سورها فوعدوه فتحها فضم اليه عدة من رجاله فتسلقوا من حيث نزلوا واستعدهم فى عسكره وأخذ أهبته وسيما فى داره فانفرج عمود الصبح الا والطولونية قد كبروا على سورها ونزلوا منحدرين اليها وارتفع الصوت وكثر الضجيج وركب سيما فيمن يسرع معه من خواصه فأرسلت عليه امرأة من أعالى سطح حجرا فأتت عليه وأخذ بعض من عرفه رأسه فأتى به ابن طولون وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه الحسين بن عبد الرحمن القاضى المعروف بابن الصابونى الانطاكى الحنفى فعاث أصحاب ابن طولون ساعة بانطاكية وشمل الناس أذاهم ثم رفع ذلك لساعتين من النهار وارتحل ابن طولون يؤم الثغر الشامى فأتى المصيصة وأذنة وامتنع منه أهل طرسوس وفيها ما زنار الخادم فلم يكن له فى فتحها حيلة فرجع عنها وقد أراد الغزو على ما قيل والله أعلم لامر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه وفزع أن يحال بينه وبين مصر فحث فى السير ودخل الفسطاط ولحق

بدر

تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كان تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من أراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهى والقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفني وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى وأكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض بجثث القتلى وأسر ملك الروم أسره بعض غلمان كوهرائين فاراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فرده استحقارا له فاثنى عليه كوهرائين فقال نظام الملك عسى ان يأتينا بملك الروم أسيرا فكان كذلك فلما أسر الغلام الملك احضره عند كوهرائين فقصد السلطان واخبره باسر الملك فامر باحضاره فلما أحضر ضربه السلطان ألب ارسلان ثلاث مقارع بيده وقال له ألم أرسل اليك في الهدنة فابيت فقال دعني من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمت ان تفعل بي ان أسرتني فقال أفعل القبيح قال له فما تظن انني افعل بك قال اما ان تقتلني واما ان تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائبا عنك قال ما عزمت على غير هذا ففداه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم أي وقت طلبها وان يطلق كل أسير في بلاد الروم واستقر الامر على ذلك وانزله في خيمة وأرسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها فاطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم أين جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه وأومأ الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخا واما الروم فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد فلما وصل ارمانوس الملك الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فاجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال السلطان في ذلك وجمع ارمانوس ما عنده من المال فكان مائتي ألف دينار فارسله الى السلطان وطبقا ذهبا عليه جواهر بتسعين ألف دينار وحلف له انه لا يقدر على غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى على أعمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان وذكروا هذا الفتح فاكثروا

(ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس)

في هذه السنة قصد اتسز بن أوق الخوارزمي وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلاد الشام فجمع الاتراك وسار الى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها الى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاوره من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لاعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الامر بالناس فصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد فعاد عنه وادام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الاقوات عندهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني الفقيه الشافعي مصنف كتاب الابانة وغيرها وفي هذه السنة في ذي الحجة توفي الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن

وهو سنة اثنتين والاثنين وثلثمائة في جملة الروم وقد قدمنا خبرهم في كتابنا أخبار الزمان ٢٣ (فأتاه خبره معاوية) وما ذكرناه من خبر الرجل الذي أسر البطريق من مدينة القسطنطينية فهو أن المسلمين غزوا في أيام معاوية فأسر جماعة منهم فأوقفوا بين يدي الملك فتكلم بعض أسارى المسلمين فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفا بين يدي الملك فلطم حر وجهه فآلمه وكان رجلا من قريش فصاح واسلاماه اين أنت عنا يا معاوية اذ اهملتنا وضيعت ثغورنا وحكمت العدو في ديارنا ودمائنا وأعراضنا فنمى الخبر الى معاوية فآلمه وامتنع من لذيذ الطعام والشراب فخلا بنفسه وامتنع من الناس ولم يظهر ذلك لاحد من المخلوقين ثم أجمل الامر في أعمال الحيلة باقامة الفداء للمسلمين فلما صار الرجل الى دار الاسلام دعاه معاوية فبره وأحسن اليه ثم قال له لم نهملك ولم نضيعك ولا أبحنا دمك وعرضك ومعاوية مع ذلك يجيل الرأي ويعمل الحيلة ثم بعث الى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور وكان به عارفا كثير الغزوات في البحر بطل من الرجال مرطان بالرومية فأحضره وخلا به وأخبره ما قد عزم عليه وسأله أعمال الحيلة فيه والتأني له فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من الطرف والملح

ألب أرسلان وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لاجل مذاهبكم والرأي ان نقيم الخطبة قبل ان يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فاجاب المشايخ ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر علي بن أبي طالب فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها بالناس وأرسل الخليفة الى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان بن حيوس وقال أبو عبد الله بن عطية يمدح القائم بأمر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم * تعرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير باذعان الحجاز وذا * داعي دمشق وذا المبعوث من حلبا

(ذكر استيلاء السلطان ألب ارسلان على حلب)

في هذه السنة سار السلطان ألب ارسلان الى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل اليه اقامة عرف السلطان انه قسطها على البلاد فامر بردها ووصل الى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار الى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار الى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة القائمية والخلع فقال له محمود صاحب حلب اسألك الخروج الى السلطان واستعفاءه لي من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بانه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال أي شئ تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حي على خير العمل ولا بد من الحضور ودوس بساطي فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الاسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوما وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق في فرسه فلما عظم الامر على محمود خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري فدخلا على السلطان وقالت له هذا ولدي فافعل به ما تحب فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود واعاده الى بلده فانفذ الى السلطان مالا جزيلا

(ذكر خروج ملك الروم الى خلاط وأسره)

في هذه السنة خرج ارمانوس ملك الروم في مائتي ألف من الروم والفرنج والعرب والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا في تجمل كثير وزي عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من أعمال خلاط فبلغ السلطان ألب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوي من اذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همذان وسار هو فيمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر ألف فارس وجد في السير وقال لهم انني أقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابني ملكشاه ولي عهدي وساروا فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية في نحو عشرة آلاف من الروم فاقتتلوا فانهزمت الروسية وأسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه وانفذ بالسلب الى نظام الملك وأمره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال لا هدنة الا بالري فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وأرجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي

جميعا فاستشهد عمرو بن عبيد الله ومن كان معه من المسلمين الا اليسير وذلك يوم الجمعة للنصف من رجب من هذه السنة وقد كان علي بن يحيى الارمني انصرف من الثغر الشامي وولي أرمينية ثم صرف عنها فلما صار الى بلاد ميافارقين من ديار بكر عدل الى ضياع له هنالك ووقع النفير فخرج مسرعا وقد أغارت جيوش الروم فقتل علي ابن يحيى مقدار اربعمائة نفس والروم لا تعلم أنه علي ابن يحيى الارمني (وأخبرني) بعض الروم ممن كان قد أسلم وحسن اسلامه أن الروم صورت عشرة أنفس في بعض كنائسها من أهل البأس والنجدة والمكايد في النصرانية والحيلة من المسلمين منهم الرجل الذي بعث به معاوية حين احتال على البطريق فأسره من القسطنطينية فأقاد منه بالضرب ورده الى القسطنطينية وعبد الله البطال وعمرو بن عبيد الله وعلي بن يحيى الارمني والعربل بن بكار وأحمد بن أبي قطيفة وقرماس السلقاني صاحب مدينة ابريق وهي اليوم للروم وكان بطريق البيالقة وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين ومائتين وحرس حارس أخت قرماس ومازيار الخادم في موكبه والرجال حوله وأبو القاسم ابن عبد الباقي وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقاداتهم وهو مذهب بين النصرانية والمجوسية وقد دخلوا في هذا الوقت

مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الامان ليسلموا الحصن اليه فعجب الناس من ذلك وكان السبب فيه ان جميع الآبار التي بالقلعة غارت مياهها في ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش الى التسليم فلما طلبوا الامان أمنهم نظام الملك وتسلم الحصن والتجأ فضلون الى قلة القلعة وهي أعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتمى فيها فسير نظام الملك طائفة من العسكر الى الموضع الذي فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم اليه ونهبوا مالهم فسمع فضلون الخبر ففارق موضعه مستخفيا في عدة من الجند وسار ليمنع عن أهله فاستقبله طلائع نظام الملك فقاتلهم فتفرق من معه واختفى في نبات الارض فوقع فيه بعض العسكر فاخذه أسيرا وحمله الى نظام الملك فاخذه وسار به الى السلطان فأمنه وأطلقه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة توفي القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الصمد بن المهتدي بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد أضر ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكان اليه قضاء واسط وخليفته عليها أبو محمد بن السمال

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل السلطان ألب أرسلان﴾

في أول هذه السنة قصد السلطان ألب أرسلان واسمه محمد وانما غلب عليه ألب أرسلان ما وراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه في نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتي ألف فارس فاتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي في سادس شهر ربيع الاول وحمل الى قرب سريره مع غلامين فتقدم ان تضرب له أربعة أوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان ألب أرسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فاخطأه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته وكان سعد الدولة واقفا فجرحه يوسف أيضا جراحات ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الاتراك وكان أهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما فعل عسكره بتلك البلاد لا سيما بخارا اجتمعوا وختموا ختمات وسألوا الله ان يكفيهم أمره فاستجاب لهم ولما جرح السلطان قال ما من وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد علي فعجزني الله تعالى باضعف خلقه وأنا أستغفر الله تعالى واستقيله من ذلك الخاطر فتوفي عاشر ربيع الاول من السنة فحمل الى مرو ودفن عند أبيه ومولده سنة أربع وعشرين وأربعمائة وبلغ من العمر أربعين سنة وشهورا وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى ان قتل تسع سنين وستة أشهر وأياما ولما وصل خبر موته الى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به في صحن السلام

﴿ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته﴾

هو ألب أرسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا ودان له العالم وبحق قيل له سلطان العالم وكان رحيم القلب رفيقا

اليه ولا طمعه بالقصد والهدايا واجعله القيم بأمرك والمتفقد لاحوالك وانظر ماذا يطلب منك من أمور الملك الشام فان منزلتك تستعلو وأحوالك تزداد عندهم فاذا أنفقت بجميع ما أمرتك به وعلمت غرض البطريق منك وأي شئ يأمرك بابتياعه لتكون الحيلة بحسب ذلك فلما رجع الصوري الى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على ما لم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية فلما كان في بعض الايام وهو يريد الدخول الى الملك قبض عليه ذلك البطريق في دار الملك وقال له ما ذنبي اليك وبماذا استحق غيري أن تقصده وتقضي حوائجه وتعرض عني فقال له الصوري أكثر من ذكرت ابتدائي وأنا غريب أدخل الى هذا الملك والبلد كالمتنكر من أسارى المسلمين وجواسيسهم لئلا يعلموا بخبري ويعدوا بأمري الى المسلمين فيكون في ذلك فقدي واذ قد علمت ميلك الي فلست أحب أن يعتني بأمري سواك ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك فأمرني بجميع حوائجك وجميع ما يعرض من أمورك بارض الاسلام وأهدى الى البطريق هدية حسنة من الزجاج المخروط والطيب

ثابت البغدادي صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان امام الدنيا في زمانه وممن حمل جنازته الشيخ أبو اسحق الشيرازي وتوفي أيضا فيها في شهر رمضان أبو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفري فقيه الامامية وحسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن عبد الله المنيعي المخزومي من أهل مرو الروذ كان كثير الصدقة والمعروف والعبادة والقنوع بالقليل من القوت والاعراض عن زينة الدنيا بجملتها وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به وأكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت أيضا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية وهي التي تروي صحيح البخاري توفيت بمكة واليها انتهى علو الاسناد للصحيح الى ان جاء أبو الوقت

﴿ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد﴾

في ربيع الاول من هذه السنة ورد ايتكين السليماني شحنة بغداد من عند السلطان الى بغداد فقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه وأقام أياما فلم يجب الى ذلك وكان سبب غضب الخليفة عليه أنه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فانفذ قميصه من الديوان الى السلطان ووقع الخطاب في عزله وكان نظام الملك يعني بالسليماني فاضاف الى اقطاعه تكريت فكوتب والنهامن ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية بغداد سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السليماني عنها اتباعا لما أمر به الخليفة القائم بامر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس له الخليفة

﴿ذكر تزويج ولي العهد بابنة السلطان﴾

في هذه السنة أرسل الامام القائم بأمر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه وكان السلطان قد أرسل يطلب من الخليفة ان يأذن في ان يجعل ولده ملكشاه ولي عهده فاذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وأمر عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان ألب ارسلان من سفري خاتون لولي العهد المقتدي بامر الله فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فاجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل في قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان في العقد وكان النثار جواهر وعاد عميد الدولة من عند السلطان الى ملكشاه وكان ببلاد فارس فلقيه باصبهان فافاض عليه الخلع فلبسها وسار الى والده وعاد عميد الدولة الى بغداد فدخلها في ذي الحجة

﴿ذكر ولاية أبي الحسن بن عمار طرابلس﴾

في هذه السنة في رجب توفي القاضي أبو طالب بن عمار قاضي طرابلس وكان قد استولى عليها واستبد بالامر فيها فلما توفي قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمار فضبط البلد احسن ضبط ولم يظهر لفقد عمه أثر لكفايته

﴿ذكر ملك السلطان ألب ارسلان قلعة فضلون بفارس﴾

في هذه السنة سير السلطان ألب ارسلان وزيره نظام الملك في عسكر الى بلاد فارس وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعاقل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطي الطاعة فنازله وحصره ودعاه الى طاعة السلطان فامتنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضا لعلو الحصن وارتفاعه فلم يطل

والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك وابتنى له مركب لا يلحق في جريه سرعة ولا يدرك في مسيره بنيانا عجيبا فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرس فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك وأنه يريد التجارة الى القسطنطينية قاصدا الى الملك وخواصه بذلك فروسل الملك بذلك واعلم بحال الرجل فأذن له في الدخول فدخل خليج القسطنطينية وسار فيه حتى انتهى الى القسطنطينية وقد أتينا على مقدار مسافة هذا الخليج واتصاله بالبحر الرومي وبحر مانطس عند ذكر البحار فيما سلف من هذا الكتاب فلما وصل الى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته وبابهم وشاراهم ولم يعط للبطريق الذي لطم وجه القرشي شيأ وقصده الى ذلك البطريق الذي لطم الرجل القرشي وتأنى الصوري في الامر على حسب ما رسمه معاوية وأقبل الرجل من القسطنطينية الى الشأم وقد أمره البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها وأنواع من الامتعة وصفوها فلما صار الى الشام سار الى معاوية سرا وذكر له من الامر ما جرى فابتيع له جميع ما طلب منه وما علم أن رغبتهم فيه وتقدم اليه فقال ان ذلك البطريق اذا عدت الى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به فاعتذر

مقامهم

فارس في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فلقيهم عسكر التكين فانهزم اياز فغرق من عسكره في جيحون أكثرهم وقتل كثير منهم ولم ينج الا القليل

﴿ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند﴾

وفي هذه السنة أيضا في جمادى الاولى وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة الى سكلكند وبها عثمان عم السلطان ملكشاه ويلقب بامير الامراء فاخذوه أسيرا وعادوا به الى غزنة مع خزائنه وحشمه فسمع الامير كمشتكين بلكابك وهو من أكابر الامراء فتبع آثارهم وكان معه أنوشتكين جد ملوك خوارزم في زماننا فنهبوا مدينة سكلكند

﴿ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك﴾

لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة أخيه ألب أرسلان سار طالبا للري يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسارا منها اليه فالتقوا بالقرب من همذان في شعبان وكان العسكر يميلون الى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دبيس بن مزيد وهما مع ملكشاه ومن معهما من العرب والاكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها وتمت الهزيمة على أصحاب قاورت بك ومضى المنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه الى حلل شرف الدولة وبهاء الدولة فنهبوها غيظا منهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا أيضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي رسول الخليفة وجاء رجل سوادي الى السلطان ملكشاه فاخبره ان عمه قاورت بك في بعض القرى فارسل من أخذه وأحضره فامر سعد الدولة كوهرائين فخنقه وأقر كرمان بيد أولاده وسير اليهم الخلع وأقطع العرب والاكراد اقطاعات كثيرة لما فعلوه في الوقعة وكان السبب في حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه ان السلطان ألب أرسلان كان ساخطا على شرف الدولة فارسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي الى شرف الدولة بالموصل فاخذه وسار به الى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب فاخذها شرف الدولة ففرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة ألب أرسلان ومسير ابنه ملكشاه فقصدا اليه وأما بهاء الدولة فانه كان قد سار بمال أرسله به أبوه الى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب

﴿ذكر تفويض الامور الى نظام الملك﴾

ثم ان عسكر ملكشاه بسطوا ومدوا أيديهم في أموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان ان يعطينا الاموال الا نظام الملك فنال الرعية أذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له ما في هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل في هذا ما تراه مصلحة فقال له نظام الملك ما يمكنني أن أفعل الا بامرك فقال السلطان قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فانت الوالد وحلف له وأقطعه اقطاعا زائدا على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه ألقابا من جملتها أتابك ومعناه الامير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور فمن ذلك أن امرأة ضعيفة استغاثت اليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فانكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامثال هذه فان الامراء والاعيان لا حاجة بهم اليك ثم صرفه عن حجبته

﴿ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان﴾

وفي العشرة وفي الروم طمع وشره فلما دخل من البحر الى خليج القسطنطينية
وقد طابت له الريح وقد قرب
من ضيعة البطريق أتى
الصوري خبر البطريق
من أصحاب القوارب
والمراكب فأخبر
البطريق في ضيعة
وذلك أن الخليج طوله
من ثلثمائة ميل وخمس
ميلا بين هذين البحر
وهما الرومي وما نطس على
حسب ما قدمنا فيما سلف
هذا الكتاب والضياع
والعمائر على هذا الخليج
من حافتيه والمراكب
تختلف والقوارب بأنواع
المتاع والاقوات الى
القسطنطينية وهذه
المراكب لا تحصى في
هذا الخليج كثرة فلما
الصوري ان البطريق
ضيعته فرش ذلك البساط
ونضد ذلك الصدر والمجلس
بالوسائد والمخاد في صدر
المركب ومجلسه والرجال
تحت المجالس بأيديهم
المجاذف مشكلة قائمة
غير قاذفين بها ولا يعلم
أنهم في بطن المركب
الا من ظهر منهم في المركب
عمله والريح في القلع
والمركب مار في الخليج
كأنه سهم قد خرج من كبد
قوس لا يستطيع القائم
على الشط أن يملأ بصره
منه لسرعة سيره
واستقامته في جريه
فأشرف على قصر البطريق
وهو جالس في مستشرفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعلاه الطرب وذهب به الفرح والسرور فلما رأى البطريق مركبه

بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه اجتاز يوما بعمرو على فقراء الطرائين فبكى وسأل الله تعالى أن يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق في رمضان بخمسة عشر ألف دينار وكان في ديوانه أسماء خلق كثير من الفقراء في جميع ممالكه عليهم الادارات والصلات ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الاصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب اليه بعض السعاة سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ماله في ممالكه من الرسوم والاموال وتركت على مصلاه فأخذها فقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وهذه حالة لا يذكر عن أحد من الملوك أحسن منها وكان كثيرا ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم وأحكام الشريعة ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده اذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من اقاصي ما وراء النهر الى أقصى الشام وكان شديد العناية بكف الجند عن أموال الرعية بلغه ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازارا فأخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب أكثر من هذا القدر منها وخلف ألب أرسلان من الاولاد ملكشاه وهو صار السلطان بعده واياز وتكش وبوري برش وتتش وأرسلان ارغو وسارة وعائشة وبنتا أخرى

﴿ذكر ملك السلطان ملكشاه﴾

لما جرح السلطان ألب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وأمر ان يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولي للامر في ذلك نظام الملك وأرسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها وأوصى ألب أرسلان ابنه ملكشاه أيضا ان يعطي أخاه قاورت بك بن داود اعمال فارس وكرمان وشيأ عينه من المال وان يزوج بزوجته وكان قاورت بك بكرمان وأوصى أن يعطى ابنه اياز بن ألب أرسلان ما كان لابيه داود وهو خمسمائة ألف دينار وقال كل من لم يرض بما أوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فعبر العسكر الذي قطع النهر في نيف وعشرين يوما في ثلاثة أيام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد الاجناد في معايشهم سبعمائة ألف دينار وعادوا الى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الاطراف يدعوهم الى الخطبة له والانقياد اليه وأقام اياز أرسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نيسابور الى الري

﴿ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند مدينة ترمذ وسبب ذلك انه لما بلغه وفاة ألب أرسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع في البلاد المجاورة له فقصد ترمذ أول ربيع الآخر وفتحها ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها الى سمرقند وكان اياز بن ألب أرسلان قد سار عن بلخ الى الجوزجان فخاف أهل بلخ فارسلوا الى التكين يطلبون منه الامان فأمنهم فخطبوا له فيها وورد اليها فنهب عسكره شيأ من أموال الناس وعاد الى ترمذ فثار أوباش بلخ بجماعة من أصحابه فقتلوهم فعاد اليهم وأمر باحراق المدينة فخرج اليه أعيان أهلها وسألوه الصفح واعتذروا فعفا عنهم لكنه أخذ أموال التجار فغنم شيأ عظيما فلما وصل الخبر الى اياز عاد من الجوزجان الى بلخ فوصل غرة جمادى الاولى فأطاعه أهلها وسار عنها الى ترمذ في عشرة آلاف

والجواهر والطرائف والثياب ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم الى معاوية ومن معاوية الى الروم ويسأل الملك والبطريق وغيره الحوائج والحيلة لا تتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنين فلما كان في بعضها قال البطريق للصوري وقد أراد الخروج الى دار الاسلام قد اشتهيت أن تعمرني بقضاء حاجة وتمن بها على أن تبتاع لي بساطا سوسنجرديا بمخاده ووسائده يكون فيه من أنواع الالوان من الحمرة والزرقة وغيرهما ويكون من صفته كذا وكذا ولو بلغ ثمنه كل مبلغ فأنعم له بذلك وكان من شأن الصوري اذا ورد الى القسطنطينية تكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر مشيد ومنتزه حسن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج وكان البطريق أكثر أوقاته في ذلك المنتزه وكانت الضيعة مما يلي فم الخليج مما يلي بحر الروم والقسطنطينية فانصرف الصوري الى معاوية سرا وأخبره بالحال فأحضر معاوية بساطا بوسائد ومخاد ومجالس فانصرف به الصوري مع جميع ما طلب منه من دار الاسلام وقد تقدم اليه معاوية بالحيلة وكيفية ايقاعها وكان الصوري فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كاحدهم في المؤانسة

ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن تبعهم من مصر والقاهرة وحلف الامير ناصر الدولة بن حمدان انه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة أيام ثم ظفر بهم ناصر الدولة وأكثر القتل فيهم ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة وكان بالاسكندرية جماعة كثيرة من العبيد فلما كانت هذه الحادثة طلبوا الامان فامنوا وأخذت منهم الاسكندرية وبقى العبيد الذين بالصعيد فلما خلت الدولة للاتراك طمعوا فى المستنصر وقل ناموسه عندهم وطلبوا الاموال ففنيت الخزائن فلم يبق فيها شئ ألبتة واختل ارتفاع الاعمال وهم يطالبون واعتذر المستنصر بعدم الاموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض فأخرجت اليهم وقومت بأثمن البخس وصرفت الى الجند قيل ان واجب الاتراك كان فى الشهر عشرين ألف دينار فصار الآن فى الشهر أربعمائة ألف دينار واما العبيد بالصعيد فانهم أفسدوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل فسار اليهم ناصر الدولة فى عسكر كثير فمضى العبيد من بين يديه الى الصعيد الاعلى فادركهم فقاتلهم وقاتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد الى الجيزة بمصر واجتمع اليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية العبيد والميل اليهم فجهزوا جيشا وسيروه الى طائفة من العبيد بالصعيد وقاتلوهم فقتل تلك الطائفة من العبيد وهرب الباقون وزالت دولتهم وعظم أمر ناصر الدولة وقويت شوكته وتفرد بالامر دون الاتراك فامتنعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت نياتهم له فشكوا ذلك الى الوزير وقالوا كلما خرج من الخليفة مال أخذ أكثره له ولحاشيته ولا يصل الينا منه الا القليل فقال الوزير انما وصل الى هذا وغيره بكم فلو فارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة واخراجه من مصر فاجتمعوا وشكوا الى المستنصر وسألوه ان يخرج عنهم ناصر الدولة فارسل اليه يأمره بالخروج ويتهدده ان لم يفعل فخرج من القاهرة الى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه وأصحابه فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا الى القائد المعروف بتاج الملوك شادى فقبل رجله وقال اصطنعنى فقال افعل فحالفه على قتل مقدم من الاتراك اسمه الدكز والوزير الخطير وقال ناصر الدولة لشادى تركب فى أصحابك وتسير بين القصرين فاذا أمكنتك الفرصة فيهما فاقتلهما وعاد ناصر الدولة الى موضعه الى الجيزة وفعل شادى ما أمره فركب الدكز الى القصر فرأى شادى فى جمعه فانكره وأسرع فدخل القصر ففاته ثم أقبل الوزير فى موكبه فقتله شادى وأرسل الى ناصر الدولة يأمره بالركوب فركب الى باب القاهرة فقال الدكز للمستنصر ان لم تركب والا هلكت أنت ونحن فركب ولبس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند واصطفوا للقتال فحمل الاتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من أصحابه خلق كثير ومضى منهزما على وجهه لا يلوى على شئ وتبعه فل أصحابه فوصل الى بنى سنبس فأقام عندهم وصاهرهم فقوى بهم وتجهزت العساكر اليه ليبعدوه فساروا حتى قربوا منه وكانوا ثلاث طوائف فأراد أحد المقدمين أن يفوز بالظفر وحده دون أصحابه فعبر فيمن معه الى ناصر الدولة وحمل عليه فقاتله فظفر به ناصر الدولة فاخذه أسيرا وأكثر القتل فى أصحابه وعبر العسكر الثانى ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤس القتلى على الرماح فوقع الرعب فى قلوبهم فانهزموا وقتل أكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر العسكر الثالث فهزمهم وأكثر القتل فيهم وأسر مقدمهم وعظم أمره ونهب الريف فاقطعه وقطع الميرة عن مصر برا وبحرا فغلت الاسعار بها وكثر الموت بالجوع وامتدت أيدى الجند بالقاهرة الى النهب

واقتص منه على حسب ما صنع بك ولا تتعدى وراع ما أوجب الله عليك من المماثلة فاطمه القرشى لطمات وكره فى حلقه ثم انكب القرشى على يد معاوية وأطرافه يقبلها وقال ما أضاعك من سودك ولا خاب فيك أمل من أملك أنت ملك لا تضام تمنع حمالك وتصون رعيتك وأغرق فى دعائه ووصفه وأحسن معاوية الى البطريق وخلع عليه وبره وحمل معه البساط وأضاف الى ذلك أمورا كثيرة وهدايا الى الملك وقال له ارجع الى ملكك وقل له تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ويقتص لرعيته فى دار مملكتك وسلطانك وقال للصورى سر معه حتى تأتى الخليج فتطرحه فيه ومن كان أسر معه ممن بادر فصعد المركب من غلمان البطريق وخاصته فحملوا الى صور مكرمين وحملوا فى المركب فطابت لهم الريح فكانوا فى اليوم الحادى عشر متعلقين ببلاد الروم وقربوا من فم الخليج واذا به قد أحكم بالسلاسل والمنعة من الموكلين به فصاح البطريق ومن معه وانصرف الصورى راجعا وحمل البطريق من ساعته الى الملك ومعه الهدايا والامتعة فتباشرت الروم بقدومه وتلقوه مهنئين له من الاسر فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا فلم يكن يستضام أسير من المسلمين فى أيامه وقال الملك هذا أمكر الملوك

في هذه السنة قتل ناصر الدولة أبو علي الحسن بن حمدان وهو من أولاد ناصر الدولة بن حمدان
بمصر وكان قد تقدم فيها تقدما عظيما ونذكرهنا الاسباب الموجبة لقتله فانها تتبع بعضها بعضا
في حروب وتجارب وكان أول ذلك اختلال أمر الخلافة وفساد أحوال المستنصر بالله العلوي
صاحبها وسببه ان والدته كانت غالبة على أمره وقد اصطنعت أباسعيد ابراهيم التستري اليهودي
وصار وزيرالها فاشارعليها بوزارة أبي نصر الفلاحي فولته الوزارة واتفقاء ثم صار الفلاحي
ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة فخاف الفلاحي أن يفسد أمره مع أم المستنصر فاصطنع
الغلمان الاتراك واستمالهم وزاد في أرزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودي فقتلوه
فعظم الامر على أم المستنصر وأغرت به ولدها فقبض عليه وأرسلت من قتله تلك الليلة وكان
بينهما في القتل تسعة أشهر ووزر بعده أبو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الاتراك
فافسد أحوالهم وشرع يشتري العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعته أم المستنصر ليغري
العبيد المجردين بالاتراك فخاف عاقبة ذلك وعلم أنه يورث شرا وفسادا فلم يفعل فتنكرت له وعزلته
عن الوزارة وولي بعده الوزارة أبو محمد اليازوري من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فامرته
أيضا بذلك فلم يفعل وأصلح الامور الى ان قتل ووزر بعده أبو عبد الله الحسين بن البابلي فامرته بما
أمرت به غيره من الوزراء من اغراء العبيد بالاتراك ففعل فتغيرت نياتهم ثم ان المستنصر ركب
لتشييع الحاج فاجرى بعض الاتراك فرسه فوصل به الى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون
بالمستنصر فضربه أحدهم فجرحه فعظم ذلك على الاتراك ونشبت بينهم الحرب ثم اصطلحوا على
تسليم الجارح اليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذركم فاجتمعوا في محلتهم
وعرف الاتراك ذلك فاجتمعوا الى مقدميهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر
وشكوا اليه واستمالوا المصامدة وكتامة وتعاهدوا وتعاقدوا واقوى الاتراك وضعف العبيد
المحدثون فخرجوا من القاهرة الى الصعيد اجتمعوا هنالك فانضاف اليهم خلق كثير يزيدون
على خمسين الف فارس وراجل فخاف الاتراك وشكوا الى المستنصر فاعاد الجواب انه لا علم له
بما فعل العبيد وانه لا حقيقة له فظنوا قوله حيلة عليهم ثم قوي الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم
فاحتفل الاتراك وكتامة والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش
واقتتلوا فانهزم الاتراك ومن معهم الى القاهرة وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس فلما
انهزم الاتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة وضربت
البوقات فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر وانه قد ركب في باقي العسكر فانهزموا وعاد
عليهم الاتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفا وكان يوما مشهودا
وقويت نفوس الاتراك وعرفوا حسن رأي المستنصر فيهم وتجمعوا وحشدوا واقتضاعفت عدتهم
وزادت واجباتهم للانفاق فيهم فخلت الخزائن واضطربت الامور وتجمع باقي العسكر من الشام
وغيره الى الصعيد فاجتمعوا مع العبيد فصار واخمسة عشر ألف فارس وراجل وساروا الى الجيزة
فخرج عليهم الاتراك ومن معهم واقتتلوا في الماء عدة أيام ثم عبر الاتراك النيل اليهم مع ناصر
الدولة بن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد الى الصعيد وعاد ناصر الدولة والاتراك منصورين ثم ان
العبيد اجتمعوا بالصعيد في خمسة عشر ألف فارس وراجل فقلق الاتراك لذلك فحضر مقدموهم
دار المستنصر لشكوى حالهم فأمرت أم المستنصر من عندها من العبيد بالهجوم على المقدمين
والفتك بهم ففعلوا ذلك وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب الى ظاهر البلد واجتمع الاتراك اليه

ووقعت

الصوري على مايرا وصاح فرحا وسرورا وابتهاجا بقدومه فدنا من أسفل القصر وحط القلع وانصرف
البطريق على المركب
فنظر الى مافيه من حسن
ذلك البساط ونظم ذلك
الفرش كانه رياض زهر فلم
يستطع اللبث في موضعه
حتى نزل قبل أن يخرج
الصوري من مركبه اليه
فطلع المركب فلما استقرت
قدمه في المركب ودنا من
المجلس ضرب الصوري
بقدمه على من تحت البساط
من الوقوف وكانت
علامة بينه وبين الرجال
الذين في بطن المركب فما
استقردقه بقدمه حتى
اختطف المركب بالمجاديف
فاذا هو في وسط البحر
لا يلوي على شئ وارتفع
الصوت ولم يدر ما الخبر
لعاجلة الامر فلم يكن
الا قليل حتى خرج من
الخليج وتوسط البحر وقد
أوثق البطريق كتافا
وطابت له الريح وأسعده
الجد وحملة المجاديف في
ذلك الخليج فتعلق اليوم
السابع بساحل الشام
ورأى البر وحمل الرجل
فكانوا اليوم الثالث
عشر حضورا بين يدي
معاوية بالفرح والسرور
لاتلاحبه بالامر وتمام
الحيلة وأيقن معاوية
بالظفر وعلو الجد فقال علي
بالرجل القرشي فأتي به وقد
حضره خواص الناس
فأخذوا مجالسهم وانفض المجلس بأهله فقال له معاوية انظر لاتتعدى ماجرى عليك منه

ذكرهم ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس وفيها توفى الامير ابيث بن منصور صدقة ابن الحسين بالدامغان والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن على بن محمد بن المأمون ببغداد وكان موته فى شوال ومولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة وكان عالى الاسناد فى الحديث وفيها فى ذى الحجة توفى الشريف أبو الحسين محمد بن على بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله المعروف بابن الغريق وكان يسمى راهب بنى العباس وهو آخر من حدث عن الدارقطنى وابن شاهين وغيرهما وكان موته ببغداد وفيها قتل ناصر الدولة أبو على الحسين بن حمدان بمصر قتله الدكز التركى وقد تقدم شرحه مستوفى وفيها توفى الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى مصنف الرسالة وغيرها وكان اماما فقيها أصوليا مفسرا كاتبا ذا فضائل جمة وكان له فرس قد أهدى اليه فركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيأ فعاش أسبوعا ومات وفيها أيضا توفى على بن الحسن بن على بن الفضل أبو منصور الكاتب المعروف بابن صربعر وكان نظام الملك قال له أنت ابن صردر لا صربعر فبقى ذلك عليه وهو من الشعراء المجيدين وهجاه ابن البياضى فقال

لئن نبز الناس قدما أباك * فسموه من شحه صربعرا
فانك تنثر ما صره * عقوقا له وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضى فانه كان شاعرا محسنا ومن شعر ابن صردر قوله

تراورن عن أذرعات يمينا * نواشز ليس يطقن البرينا
كلفن بنجد كأن الرياض * أخذن لنجد عليها يمينا
وأقسمن يحملن الا نحيلا * اليه ويبلغن الا حزينا
فلما استمعن زفير المشوق * ونوح الحمام تركن الحنينا
اذا جئتما بانة الواديين * فأرخوا النسوع وحلوا الوضينا
فثم علائق من أجلهن * ملاء الدجى والضحى قد طوينا
وقد أنبأتهم مياه الجفون * بأن بقلبك داء دفينا

﴿ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه﴾

فى هذه السنة فى صفر ورد كوهرائين الى بغداد من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بامر الله ووقف على رأسه ولى العهد المقتدى بامر الله وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير أوله وسلم اليه أيضا لواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع يومئذ أحد من الدخول الى دار الخلافة فامتلأ صحن السلام بالعامة حتى كان الانسان تهمه نفسه بتخلص وهنأ الناس بعضهم بعضا بالسلامة

﴿ذكر غرق بغداد﴾

فى هذه السنة غرق الجانب الشرقى وبعض الغربى من بغداد وسببه ان دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء فى الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة وجاء الماء الى المنازل من فوق ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقى وهلك خلق

فنوخ بن فاد بن آدم وذلك أنه كان له ابن يحبه حبا شديدا فمات فعلقه بشجرة فتقطعت أوصاله حتى بقى منه فخذه والساق والقدم والاصابع فأخذ خشبا فرققه وألصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق ورأسه كالقدم والملاوى كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود قال الجدولى

وناطق بلسان لا ضمير له * كانه فخذ نيطت الى قدم
يبدى ضمير سواه فى الحديث كما * يبدى ضمير سواه منطق القدم

واتخذ موسك بن لمك الطبول والدفوف وعملت ضلال بنت لمك المعازف ثم اتخذ قوم الطنابير يستميلون بها الغلمان والاكراد نوعا مما يصفر به فكانت أغنامهم اذا تفرقت صفروا فاجتمعت ثم اتخذ الفرس النأى للعود والثانى للطاسوت والسريانى للطبل والسنج والصنج وكان غناء الفرس بالعيدان والصنوج وهى لهم ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطرق الملوكية وهى سبع طرق فأولها اسكاف وهو أكثرها استعمالا لتفعل الانهار وهو أفصحها مقاطع وأمرسه وهو أجمعها لمحاسن النغم وأكثرها تصعدا وانحدارا ومادارو سنان وهو أنقلها وسابكاد وهو المحبوب للارواح وسسم وهو المجاس المنقل وحوبران

والقتل وعظم الوباء حتى ان أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم في ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى حكي ان امرأة أكلت رغيفا بألف دينار فاستبعد ذلك فقيل انها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلثمائة دينار واشترت بها حنطة وحملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة في الطريق فنهبت هي مع الناس فكان الذي حصل لها مما عجنته رغيفا واحدا وقطع ناصر الدولة الطريق برا وبحرا فهلك العالم ومات أكثر أصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الاتراك من القاهرة ناصر الدولة في الصلح فاصطلحوا على ان يكون تاج الملوك شادي نائبا عن ناصر الدولة بالقاهرة يحمل المال اليه ولا يبقى معه لاحد حكم فلما دخل تاج الملوك الى القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالاموال دون ناصر الدولة ولم يرسل اليه منها شيئا فسار ناصر الدولة الى الجيزة واستدعى اليه شادي وغيره من مقدمي الاتراك فخرجوا اليه الا أقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتي مصر وأحرق كثيرا منها فسير اليه المستنصر عسكرا فكبسوه فانهزم منهم ومضى هاربا فجمع جمعا وعاد اليهم فقاتلهم فهزمهم وقطع خطبة المستنصر بالاسكندرية ودمياط وكانا معه وكذلك جميع الريف وأرسل الى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وأرسل ناصر الدولة اليه أيضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيئا من آثار المملكة فلما أدى الرسالة قال أما يكفي ناصر الدولة ان أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول وعاد الى ناصر الدولة فأخبره الخبر فاجرى له كل يوم مائة دينار وعاد الى القاهرة وحكم فيها وأذل السلطان وأصحابه وكان الذي حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله ويعيب المستنصر وكان المغاربة كذلك فأعانوه على ما أراد وقبض على أم المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله الى الغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعا وانقضت سنة أربع وستين وما قبلها بالفتن وانحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الاسعار وبالغ ناصر الدولة في اهانة المستنصر وفرق عنه عامة أصحابه وكان يقول لاحدهم انني أريد ان أوليك عمل كذا فيسير اليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بأمر الله ولا يمكنه مع وجودهم ففطن لفعله قائد كبير من الاتراك اسمه الدكز وعلم انه متى ما تم ما أراد تمكن منه ومن أصحابه فأطلع على ذلك غيره من قواد الاتراك فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وكان قد أمن لقوته وعدم عدوه فتواعدوا الليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التي تواعدوا فيها على قتله جاؤا الى باب داره وهي التي تعرف بمنازل العز وهي على النيل فدخلوا من غير استئذان الى صحن داره فخرج اليهم ناصر الدولة في رداء لانه كان آمنا منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه وأخذوا رأسه ومضى رجل منهم يعرف بكوكب الدولة الى فخر العرب أخي ناصر الدولة وكان فخر العرب كثير الاحسان اليه فقال للحاجب استأذن لي على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب فاستأذن له فاذن له وقال لعله قد دهمه أمر فلما دخل عليه أسرع نحوه كأنه يريد السلام عليه وضربه بالسيف على كتفه فسقط الى الارض فقطع رأسه وأخذ سيفه وكان ذا قيمة وافرة وأخذ جارية له أردفها خلفه وتوجه الى القاهرة وقتل أخوهما تاج المعالي وانقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية فلما كان سنة ست وستين وأربعمائة ولي الامر بمصر بدر الجمالي أمير الجيوش وقتل الدكز والوزير ابن كدينة وجماعة من المسلحية وتمكن من الدولة الى أن مات وولي بعده ابنه الافضل وسيرد

وأدهى العرب ولهذا قدمته العرب عليها فساس أمرها والله لوهم بأحدى لتمت له الحيلة على (وقد أتينا على خبر معاوية فيما سلف من هذا الكتاب وأتينا على مبسوطه وأخبار الوافدين والوافدات عليه من الامصار فيما سلف من كتبنا وان كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملا ولملوك الروم وبطارقتها عن سلف وخلف الى هذا الوقت أخبارا حسانا مع ملوك بني أمية والخلفاء من بني العباس في المغازي والسرايا وغيرها وكذلك لاهل الثغور الشامية والجزرية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وقدمنا في هذا الكتاب جملا من أخبارهم ومقادير أعمارهم وأيامهم ولمعا من سيرهم وكذلك أخبرنا عن ملوك الامم وسيرهم (قال المسعودي) وكان المعتمد مشغوفا بالطرب والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهي وذكر عبد الله بن خرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم وفي المجلس عدة من ندمائه من ذوي العقول والمعرفة والحجى فقال له أخبرني عن أول من اتخذ العود قال ابن خرداذبه قد قيل في ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة أول من اتخذ اللهو لمك بن متوشلخ بن محويل بن عادين

ذكرهم

عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الامير اسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد وكان سبب موته أنه كان قد أصابه ماشرا فافتصد ونام منفردا فانفجر فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته فايقن بالموت فاحضر ولي العهد ووصاه بوصايا واحضر النقيبين وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير واشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله ولي عهده ولما توفي غسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي وصلى عليه المقتدي بامر الله وكان عمره ستا وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وخلافته أربعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وأياما وقيل كان مولده ثامن عشر ذي الحجة سنة احدى وتسعين وثلاثمائة وعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وأمه أم ولد تسمى قطر الندى أرمنية وقيل رومية ادركت خلافته وقيل اسمها علم وماتت في رجب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وكان القائم جميلا مليح الوجه أبيض مشربا بحمرة حسن الجسم ورعا دينا زاهدا عالما قوي اليقين بالله تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضي أكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه أشياء وكان مؤثرا للعدل والانصاف يريد قضاء حوائج الناس لا يرى المنع من شيء يطلب منه قال محمد بن علي بن عامر الوكيل دخلت يوما الى المخزن فلم يبق أحد الا اعطاني قصة فامتلأت أكمامي منها فقلت في نفسي لو كان الخليفة أخي لاعرض عن هذه كلها فالقيتها في بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت اليه أمر الخدم باخراج الرقاع من البركة فأخرجت ووقف عليها ووقع فيها باغراض أصحابها ثم قال لي يا عامي ما حملك على هذا فقلت خوف الضجر منها فقال لا تعد الى مثلها فانا ما اعطيناهم من أموالنا شيئا انما نحن وكلاء ووزر للقائم أبو طالب محمد بن أيوب وأبو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وأبو نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو عبد الله الدامغاني

❁(ذكر خلافة المقتدي بأمر الله)❁

لما توفي القائم بامر الله بويع المقتدي بامر الله عبد الله بن محمد بن القائم بالخلافة وحضره مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو اسحق وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني وغيرهم من الاعيان والاماثل فبايعوه وقيل كان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي فانه لما فرغ من غسل القائم بايعه وانشده *اذا سيد منا مضى قام سيد* ثم ارتج عليه فقال المقتدي *قؤول بما قال الكرام فعول* فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه فان الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفي أيام أبيه ولم يكن له غيره فايقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادري الى غيره ولم يشكوا في اختلال الاحوال بعد القائم لان من عدا البيت القادري كانوا مخالطين العامة في البلد يجرون مجرى السوقة فلو اضطر الناس الى خلافة أحدهم لم يكن له ذلك القبول ولا تلك الهيبة فقدر الله تعالى ان الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها أرجوان وكان يلم بها فلما توفي ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظامه من انقراض عقبه ذكرت أنها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة أشهر المقتدي فاشتد فرح القائم وعظم سروره وبالغ في الاشفاق عليه والمحبة له فلما كان حادثة البساسيري كان للمقتدي قريب

وجعلوا كلامه أول الحداء فمن قول الحادي ياهاديا ياهاديا * ويابداه يابداه فكان الحداء أول السماع والترجيع في العرب ثم اشتق الغناء من الحداء ونوح نساء العرب على موتاها ولم تكن أمة من الامم بعد فارس والروم أولع بالملاهي والطرب من العرب وكان غناؤهم النصب ثلاثة أجناس الركباني والسناد الثقيل والهزج الخفيف (وكان أول) من غنى من العرب الجرادتان وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العمليقي وكانت العرب تسمي القينة الكرينة والعود المزهر وكان غناء أهل اليمن بالمعازف وايقاعها اجناسا من واحد وغناؤهم جنسان حنفي وحميري والحنفي أحسنهما ولم تكن قريش تعرف من الغناء الا النصب حتى قدم النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي من العراق وافدا على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه فقدم مكة فعلم أهلها فاتخذوا القينات (والغناء) يرق الذهن ويلين العريكة ويبهج النفس ويسرها ويشجع القلب ويسخي البخيل وهو مع النبيذ يتعاونان على الحزن الهادم للبدن ويحدثان له نشاطا ويفرجان الكرب والغناء على الانفراد يفعل ذلك وفضل الغناء على المنطق كفضل المنطق

كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق وقام الخليفة يتضرع ويصلي وعليه البردة وبيده القضيب ورأى أبو بكر بن السلمياني من عكبرا فقال للوزير ان الملاحين يؤذون الناس في المعابر فأحضرهم وتهددهم بالقتل وأمر بأخذ ما جرت به العادة وجمع الناس وأقيمت الخطبة للجمعة في الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربي مقبرة أحمد ومشهد باب التبن وتهدم سوره فأطلق شرف الدولة ألف دينار تصرف في عمارته ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي ومن عجيب ما يحكى في هذا الغرق ان الناس في العام الماضي كانوا قد أنكروا كثرة المغنيات والخمور فقطع بعضهم أوتار عود مغنية كانت عند جندي فثار به الجندي الذي كانت عنده فضربه فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الأئمة منهم أبو اسحق الشيرازي واستغاثوا الى الخليفة وطلبوا اهدم المواخير والحانات وتبطيلها فوعدهم ان يكاتب السلطان في ذلك فسكنوا وتفرقوا ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق أن غرقت بغداد ونال الخليفة والجند من ذلك أمر عظيم وعمت مصيبته كافة الناس فرأى الشريف أبو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكاتب السلطان ونسعى في تفريق الناس ويقول اسكنوا الى ان يرد الجواب فقال له أبو جعفر قد كتبنا وكتبتم فجاء جوابنا قبل جوابكم يعني انهم شكوا ما حل بهم الى الله تعالى وقد أجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان

❁(ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند)❁

قد ذكرنا ان خاقان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان ألب أرسلان فلما استقامت الامور للسلطان ملكشاه سار الى ترمذ وحصرها وطم العسكر خندقها ورماها بالمجانيق فخاف من بها فطلبوا الامان فأمنهم وخرجوا منها وسلموها وكان بها أخ لخاقان التكين فأكرمه السلطان وخلع عليه وأحسن اليه وأطلقه وسلم قلعة ترمذ الى الامير ساوتكين وأمره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وانفذ يطلب المصالحة ويضرع الى نظام الملك في اجابته الى ذلك ويعتذر من تعرضه الى ترمذ فأجيب الى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه الى خراسان ثم منها الى الري وأقطع بلخ وطخارستان لأخيه شهاب الدين تكش

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فيها توفي زعيم الدولة أبو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل فجأة وله سبعون سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية وفيها توفي اياز أخو السلطان ملكشاه وكفي شره كما كفي شر عمه قاورت بك وفيها في ربيع الاول توفي القاضي أبو الحسين بن أبي جعفر السمناني حمو قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني وولي ابنه أبو الحسن ما كان اليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة بسمنان وكان هو وأبوه من الغالين في مذهب الاشعري ولابيه فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف ان يكون حنفي اشعريا وفيها في جمادى الآخرة توفي عبد العزيز أحمد بن محمد بن علي أبو محمد الكتاني الدمشقي الحافظ وكان مكثرا في الحديث ثقة وممن سمع منه الخطيب أبو بكر البغدادي

❁(ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة)❁

❁(ذكر وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته)❁

في هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بأمر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه واسمه

وهو الدرج الموقوف على نغمة وكان غناء أهل خراسان وما والاها بالزنج وعليها سبعة أوتار وايقاعه يشبه ايقاع الصنج وكان غناء أهل الري وطبرستان والديلم بالطنابير وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهي وكان غناء النبط والجرامقة بالعيدان وارات وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير وقال قندروس الرومي جعلت الاوتار أربعة بازاء الطبائع فجعلت الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة السوداء وللروم من الملاهي الارغن وعليه ستة عشر وترا وله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين والسلبان وله أربعة وعشرون وترا وتفسيره الغصون ولهم اللوزا وهي الرباب وهي من خشب ولها خمسة أوتار ولهم القشاوة ولها اثنا عشر وترا ولهم الصليج وهو من جلود العجاجيل وكل هذه معازف مختلفة الصفة ولهم الارغين وهو منافخ من الجلود والحديد وللهند الكنكلة وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج قال وكان الحداء في العرب قبل الغناء وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير في بعض أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يايداه يايداه وكان من أحسن الناس صوتا فأسنق وسقت الابل وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج وأخذها من الروم وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين شحنة الى بغداد من عسكر السلطان ومعه العميد أبو نصر ناظرا في أعمال بغداد وفيها وثب الجند بالبطيحة على أميرها أبي نصر بن الهيثم وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من مملكه والذخائر والأموال التي جمعها في المدة الطويلة ولم يصحبه من ذلك جميعه شئ وصار زائرا على كوهرائين شحنة العراق وفيها انفجر البثوق بالفلوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الاعمال من بلاد دبيس بن مزيد فجلا أهل البلاد ووقع الوباء فيهم ولم يزل كذلك الى أن سده عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين وفي هذه السنة توفي أبو علي الحسن بن القاسم بن محمد المقرى المعروف بغلام الهراس الواسطي بها وكان محدثا علامة في كثير من العلوم وفي شعبان توفي القاضي أبو الحسين محمد بن محمد البيضاوي الفقيه الشافعي وكان يدرس الفقه بدرب السلولي بالكرخ وهو زوج ابنة القاضي أبي الطيب الطبري وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر ابن محمد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداودي راوي صحيح البخاري ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وسمع الحديث وتفقه للشافعي على أبي بكر القفال وأبي حامد الاسفرايني وصحب أبا على الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمي وكان عابدا خيرا قصده نظام الملك فجلس بين يديه فوعظه وكان في قوله ان الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه اذا سألك عنهم فبكى وكان موته ببوشنج وفيها توفي أبو الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن متويه الواحدي المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز في التفسير وهو نيسابوري امام مشهور وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست وزير القائم توفي بالاهواز ومحمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابوري الفقيه الشافعي تفقه على أبي محمد الجويني وسمع من الحاكم أبي عبد الله وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهما وفيها توفي مسعود بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضي الشاعر له شعر مطبوع فمنه قوله

يا من لبست لبعده ثوب الضنا * حتى خفيت به عن العواد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت * أجفان عيني كيف كان رقادي
ان كان يوسف بالجمال مقطع الأ * يدي فانت مفتت الاكباد

﴿ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر حصر اقسيس مصر وعوده عنها﴾

في هذه السنة سار الاقسيس من دمشق الى مصر وحصرها وضيق على أهلها ولم يبق غير ان يملكها فاجتمع أهلها مع ابن الجوهري الواعظ في الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا وافقبل الله دعاءهم فانهزم الاقسيس من غير قتال وعاد على أقبح صورة بغير سبب فوصل الى دمشق وقد تفرق أصحابه فرأى أهلها قد صانوا مخلفيه وأمواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة وأتى البيت المقدس فرأى أهله قد قبحوا على أصحابه ومخلفيه وحصروهم في محراب داود عليه السلام فلما قارب البلد تحصن أهله منه وسبوه فقاتلهم ففتح البلد عنوة ونهبه وقتل من أهله فاكثر حتى قتل من التجأ الى المسجد الاقصى وكف عمن كان عند الصخرة وحدها هكذا يذكر الشاميون هذا الاسم اقسيس والصحيح انه اتسز وهو اسم تركي وقد ذكر بعض مؤرخي الشام ان اتسز لما وصل الى مصر جمع أمير الجيوش بدر الجمالي العساكر واستمد العرب وغيرهم من أهل

وهي طرب محرك مستخف لاريحية ينعش النفس ودواعي الشيم عند السماع وطرب شجن وحزن لاسيما اذا كان الشعر في وصف أيام الشباب والشوق الى الاوطان والمراثي لمن عدم الصبر من الاحباب وطرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس لاسيما عند سماع جودة التأليف واحكام الصنعة اذ كان من لا يعرفه ولا يفهمه لا يسره بل تراه متشاغلا عنه فذلك كالحجر الجلمد والجماد الصلد سواء وجوده وعدمه وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة المتقدمين وكثير من حكماء اليونانيين من عرضت له آفة في حاسة الشم كره رائحة الطيب ومن غلظ حسه كره سماع الغناء وتشاغل عنه وعابه وذمه (قال المعتمد) فما منزلة الايقاع وأنواع الطرق وفنون الغناء قال قد قال في ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم ان منزلة الايقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر وقد أوضحوا الايقاع ورسموه بسمات ولقبوه بألقاب وهو أربعة أجناس ثقيل الاول وخفيفه وثقيل الثاني وخفيفه والرمل الاول وخفيفه والهزج وخفيفه والايقاع هو الوزن ومعنى أوقع وزن ولم يوقع خرج من الوزن والخروج ابطاء عن الوزن أو سرعة فالثقيل الاول نقرة ثلاثة ثلاثة اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة وخفيف

أربع سنين فاخفاه أهله وحمله أبو الغنائم بن المحلبان الى حران كما ذكرنا ولما عاد القائم الى بغداد أعيد المقتدى اليه فلما بلغ الحلم جعله ولى عهد ولما ولى الخلافة أقر فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية من القائم بذلك وسير عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير الى السلطان ملكشاه لاخذ البيعة وكان مسيره فى شهر رمضان وأرسل معه من أنواع الهدايا ما يجل عن الوصف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى شوال وقعت نار ببغداد فى دكان خباز بنهر المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور ثم وقعت نار فى المأمونية ثم فى الظفرية ثم فى درب المطبخ ثم فى دار الخليفة ثم فى حمام السمرقندى ثم فى باب الازج ودرب خراسان ثم فى الجانب الغربى فى نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة واحترق مالا يحصى وفيها أرسل المستنصر بالله العلوى صاحب مصر الى صاحب مكة بن أبى هاشم رسالة وهدية جليلة وطلب منه ان يعيد له الخطبة بمكة حرسها الله تعالى وقال ان أيمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان ألب أرسلان وقد ماتا فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدى وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر ثم أعيدت فى ذى الحجة سنة ثمان وستين وفيها كانت حرب شديدة بين بنى رياح وزغبة ببلاد افريقية فقويت بنو رياح على زغبة فهزموهم وأخرجوهم من البلاد وفيها اجمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامى وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم وخرج عليه من الاموال شئ عظيم وبقى الرصد دائرا الى أن مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائة فبطل بعد موته

﴿ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك الاقسيس دمشق﴾

قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك اقسيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصد أعمالها كل سنة عند ادراك الغلات فيأخذها فيقوى هو وعسكره ويضعف أهل دمشق وجندها فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار الى دمشق فحصرها وأميرها المعلى ابن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها فى شوال فهرب أميرها المعلى فى ذى الحجة وكان سبب هربه أنه أساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه وثاربه العسكر وأعانهم العامة فهرب منهما الى بانياس ثم منها الى صور ثم أخذ الى مصر فحبس بها فمات محبوسا فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودى المعروف برزين الدولة وغلت الاسعار بها حتى أكل الناس بعضهم بعضا ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد وعرف اقسيس ذلك فعاد الى دمشق فنزل عليها فى شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الاقوات فبيعت الغرارة اذا وجدت بأكثر من عشرين دينارا فسلموها اليه بأمان وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها هو وعسكره فى ذى القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذى القعدة للمقتدى بأمر الله الخليفة العباسى وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين وتغلب على أكثر الشام ومنع الاذان بحى على خير العمل ففرح أهلها فرحا عظيما وظلم أهلها وأساء السيرة فيهم

على الخرس والبرء على السقم وقد قال الشاعر
لا تبعثن على هموم اذنبت ٭ غير المدام ونغمة الاوتار

فلله در حكيم استنبطه وفيلسوف استخرجه أى غامض أظهر وأى مكنون كشف وعلى أى فن دل والى أى علم وفضيلة سبق فذلك نسيج وحده وفريد دهره (وقد كانت الملوك) تنام على الغناء ليسرى فى عروقها السرور وكانت ملوك الاعاجم لا تنام الا على غناء مطرب أوسمر لذيذ والعربية لا تنوم ولدها وهو يبكى خوف أن يسرى الهم فى جسده ويدب فى عرقه ولكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله والطفل يرتاح الى الغناء ويستبدل ببكائه ضحكا وقد قال يحيى ابن خالد بن برمك الغناء ما أطربك فأرقصك وأبكاك فأشجاك وما سوى ذلك فبلاء وهم (قال المعتمد) قد قلت فأحسنت ووصفت فأطنبت وأقمت فى هذا اليوم سوق الغناء وعلم أنواع الملاهى وان كان كلامك لمثل الثوب الموشى يجمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر وسائر الالوان فاصفة المغنى الحاذق قال ابن خرداذبه المغنى الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكن من أنفاسه ولطف فى

موسى الهاشمي الحنبلي ورزق الله بن محمد بن أحمد بن علي أبو سعد الانباري الخطيب الفقيه الحنفي سمع الحديث الكثير وكان ثقة حافظا وطاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي المصري توفي في رجب سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر ابن أحمد المعروف بابن هزارمرد الصريفيني راوية أحاديث علي بن الجعد وهو آخر من رواها وكان ثقة صالحا ومن طريقه سمعناها

﴿ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ورد مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من العسكر وفيها اصطلح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مع الناصر بن علناس وهو من بني حماد عم جده وزوّجه تميم ابنته بلارة وسيرها اليه من المهدية في عسكر واصحبها من الحلي والجهاز ما لا يحد وحمل الناصر ثلاثين ألف دينار فاخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقي وفيها استعمل تميم ابنه مقلدا على مدينة طرابلس الغرب وكان ببغداد في هذه السنة فتنة بين أهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد فنهب بعضهم بعضا وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التي عند المدرسة فارسل الى العميد والشحنة فحضرا ومعهم الجند فضربوا الناس فقتل بينهم جماعة وانفصلوا وفي هذه السنة في ربيع الاول توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفقيه الشافعي وكان القاضي أبو الطيب الطبري جده لامه وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور أبو الحسين البزاز في رجب وكان مكثرا من الحديث ثقة في الرواية وأحمد بن عبد الملك بن علي أبو صالح المؤذن النيسابوري كان يعظ ويؤذن وكان كثير الرواية حافظا ومولده سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وعبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده الاصبهاني أبو القاسم بن أبي عبد الله الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ أصبهان وله طائفة ينتمون اليه في الاعتقاد من أهل أصبهان يقال لهم العبدرحمانية وفي شوّال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير نفساء بولد مات من يومه ودفنا بدار الخلافة ولم تجر بذلك عادة لاحد فعل ذلك اكراما لابيها وجلس الوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة زوجها للعزاء في دار بباب العامة ثلاثة أيام

﴿ثم دخلت سنة احدى وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة﴾

في هذه السنة عزل فخر الدولة أبو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدي بامر الله ووزر بعده أبو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب في ذلك ان أبا نصر بن القشيري ورد الى بغداد على ما تقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الاشعرية ونصره وعاب من سواهم وفعلت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه فنسب أصحاب نظام الملك ما جرى الى الوزير فخر الدولة والى الخدم وكتب أبو الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الواسطي الفقيه الشافعي الى نظام الملك

يا نظام الملك قد حل ببغداد النظام * وابنك القاطن فيها مستهان مستضام

وبها أودى له قتلى غلام وغلام * والذي منهم تبقى سالما فيه سهام

يا قوام الدين لم يبق ببغداد مقام * عظم الخطب وللحرب اتصال ودوام

فمتى لم تحسم الداء أياديك الحسام * ويكف القوم في بغداد قتل وانتقام

(فلما كان) في صبيحة تلك الليلة دعا المعتضد من حضر في اليوم الاول فلما أخذوا مراتبهم من المجلس قال لبعض من حضره من ندمائه صف لي الرقص وأنواعه والصفة المحمودة من الرقاص واذكر لي شمائله فقال المسؤول يا أمير المؤمنين أهل الاقاليم والبلدان مختلفون في رقصهم من أهل خراسان وغيرهم فجملة الايقاع في الرقص ثمانية أجناس الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل وثقيل الثاني وخفيفه وخفيف الثقيل الاول وثقيله والرقاص يحتاج الى أشياء في طباعه وأشياء في خلقته وأشياء في عمله فأما ما يحتاج اليه في طباعه فخفة الروح وحسن الطبع على الايقاع وأن يكون طالبه مصرحا الى التدبير في رقصه والتصرف فيه وأما ما يحتاج اليه في خلقته فطول العنق والسوالف وحسن الدل والشمائل والتمايل في الاعطاف ودقة الخصر وحسن أقسام الخلق واقع المناطق واستدارة الثياب من أسافلها ومخارج النفس والاراحة والصبر على طول الغاية واطاقة الاقدام ولين الاصابع وامكان لينها في نقلها وفيما يصرف فيه من أنواع الرقص من الابل ورقص السكر وغيره ولين المفاصل وسرعة الانفتال في الدوران ولين الاعطاف وأما ما يحتاج اليه في عمله فكثرة التصرف في ألوان الرقص واحكام كل جزء من حدوده وحسن الاستدارة وثبات

البلاد فاجتمع معه خلق كثير واقتتلوا فانهزم اتسز وقتل أكثر أصحابه وقتل أخ له وقطعت يد أخ آخر وعاد منهزما الى الشام فى نفر قليل من عسكره فوصل الى الرملة ثم سار منها الى دمشق * وحكى الى من اثق به عن جماعة من فضلاء مصر ان اتسز لما وصل الى مصر ونزل بظاهر القاهرة اساء أصحابه السيرة فى الناس وظلموهم وأخذوا أموالهم وفعلوا الافاعيل القبيحة فارسل رؤساء القرى ومقدموها الى الخليفة المستنصر بالله العلوى يشكون اليه ما نزل بهم فاعاد الجواب بانه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا له نحن نرسل اليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد أمنوا وتفرقوا فى البلاد فنثور بهم فى ليلة واحدة ونقتلهم وتخرج أنت اليه فيمن اجتمع عندك من الرجال فلا يكون له بك قوة فاجابهم الى ذلك وارسلوا اليه الرجال وثاروا كلهم فى ليلة واحدة بمن عندهم فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من كان عنده فى عسكره وخرج اليه العسكر الذى عند المستنصر بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزما وعاد الى الشام وكفى أهل مصر شره وظلمه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ورد بغداد أبو نصر ابن الاستاذ أبى القاسم القشيرى حاجا وجلس فى المدرسة النظامية يعظ الناس وفى رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لانه تكلم على مذهب الاشعرى ونصره وكثر اتباعه والمتعصبون له وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيرى الشيخ أبو اسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الاعيان وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة وفيها تزوج الامير على بن أبى منصور ابن فرامرز بن علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه ارسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ملكشاه التى كانت زوجة القائم بامر الله وفيها كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقى من كثير الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت فى الناس وفيها مات محمود بن مرداس صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدة يقول فيها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ما ذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
وكان لمحمود أبو نصر سجية * وغالب ظنى ان سيخلفها نصر

فقال والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له وأمر له بما كان يعطيه أبوه وهو ألف دينار فى طبق فضة وكان على بابه جماعة من الشعراء فقال بعضهم

على بابك المعمور منا عصابة * مفاليس فانظر فى أمور المفاليس
وقد قنعت منك العصابة كلها * بعشر الذى اعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التقارب كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال لو قال بمثل الذى اعطيته لاعطيتهم ذلك وأمر لهم بمثل نصفه وفيها توفى اسهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمى الشاعر وكان قد لقى ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وتركه وقال فى ذلك

واذا سئلت عن اعتقادى قلت ما * كانت عليه مذاهب الابرار
وأقول خير الناس بعد محمد * صديقه وأنيسه فى الغار

وفيها توفى رئيس العراقين أبو أحمد النهاوندى الذى كان عميد بغداد والشريف أبو جعفر بن أبى

ثقيل الثانى نقره اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة واثنتان مزدوجتان وخفيف الرمل نقره اثنتان اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وقفة والهزج نقره واحدة واحدة متساويتان ممسكة وخفيف الهزج نقره واحدة واحدة متساويتان فى نسق واحد أخف قدرا من الهزج والطرائق ثمان الثقيلان الاول والثانى وخفيفاهما وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخورى وانما سمى بذلك لان ابراهيم بن ميمون الموصلى وكان من أبناء فارس وسكن الموصل كان كثير الغناء فى هذه المواخير بهذه الطريقة والرمل وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مزموم ومطلق وتختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها ألقابا تميزها كالمصور والمخبول والمجنوث والمخدوع والارواح والعود عند أكثر الامم وجل الحكماء يونانى صنعة أصحاب أهل الهندسة على هيئة طبائع الانسان فان اعتدلت أوتاره على الاقدار الشريفة جانس الطبائع فأطرب والطرب رد النفس الى الحال الطبيعية دفعة وكل وتر مثل الذى يليه ومثل ثلثه والرسان الذى يلى الانف موضوع على خط النسج من جملة الوتر فهذه يا أمير المؤمنين جوامع فى صفة الايقاع ومنتهى حدوده ففرح المعتمد فى هذا اليوم وخلع على ابن خرداذبه وعلى من حضره من ندمائه وفضله عليهم وكان يوم لهو وسرور

تحوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ما ملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه في الحادي والعشرين من صفر هذه السنة وكان في نواحي الهند قلعة يقال لها قلعة روبال على رأس جبل شاهق وتحتها غياض اشبة وخلفها البحر وليس عليها قتال الا من مكان ضيق وهو مملوء بالفيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع وألح عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب وملك القلعة واستنزلهم منها وفي موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل أجدادهم فيها أفراسياب التركي من قديم الزمان ولم يتعرض اليهم أحد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام أوّلا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وتفرق من سلم في البلاد وسبي واسترق من النسوان والصبيان مائة ألف وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص وفي بلاد الهند موضع يقال له وره وهو بر بين خليجين فقصده الملك ابراهيم فوصل اليه في جمادى الاولى وفي طريقه عقبات كثيرة وفيها أشجار ملتفة فأقام هنالك ثلاثة أشهر ولقي الناس من الشتاء شدة ولم يفارق الغزوة حتى أنزل الله نصره على أوليائه وذله على أعدائه وعاد الى غزنة سالما مظفرا وهذه الغزوات لم أعرف تاريخها وأما الاولى فكانت هذه السنة فلهذا أوردتها متتابعة في هذه السنة

(ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب)

في هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك ان تاج الدولة تتش بن ألب ارسلان حصرها مرة بعد أخرى فاشتد الحصار بأهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم ان تتش حصرها هذه السنة وأقام عليها أياما ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة وأحرق ربض عزاز وعاد الى دمشق فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلموها اليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحتيتي العباسي فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضيعة له فأسره أحد التركمان وهو صاحب حصن بنواحي حلب وأرسله الى شرف الدولة فقرر معه أن يسلم البلد اليه اذا أطلقه فأجاب الى ذلك فأطلقه فعاد الى حلب واجتمع بأبيه وعرفه ما استقر فأذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابني محمود بن مرداس فلما ملك البلد أرسل ولده وهو ابن عمة السلطان الى السلطان يخبره بملك البلد وأنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمانها وسأل ان يقرر عليه الضمان فأجابه السلطان الى ما طلب وأقطع ابن عمته مدينة بالس

(ذكر مسير ملكشاه الى كرمان)

في أوّل هذه السنة سار السلطان ملكشاه الى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله اليها خرج الى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة وخدمه وبالغ في الخدمة فأقره السلطان على البلاد وأحسن اليه وعاد عنه في المحرم سنة ثلاث وسبعين الى أصبهان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ولد للخليفة المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين ولد سماه موسى وكناه أبا جعفر وزينت بغداد سبعة أيام وفيها وصل السلطان ملكشاه الى خوزستان متصيدا فوصل معه

في المناقل والاطباق فقص نضارة رصفها والابانة عن المراتب في ذلك ووصف جمل لذات الطبخ مما يحتاج التابع الى معرفته والاريب الى فهمه من المتولدات في معرفة الالوان ومقادير التوابل والابزار وأنواع المحادثات وغسل اليدين بحضرة الرئيس والمقام عن مجلسه وادارات الكاسات وما حكي في ذلك عن الاسلاف من ملوك الامم وغيرهم وما قيل في الاكثار والاقلال من الشراب وما ورد في ذلك من الاخبار وطلب الحاجات والاستماحات من أهل الرياسة على المعاقرات وهيئة النديم وما يلزمه لنفسه وما يلزم الرئيس لنديمه والفرق بين التابع والمتبوع والنديم والمنادم وما قال الناس في العلة التي من أجلها سمي النديم نديما وكيفية الادب في لعب الشطرنج والفرق بينها وبين النرد وما ورد في ذلك من الاخبار وانتظمت فيه من الدلائل والآثار وما ورد عن العرب في أسماء الخمر وورود التحريم فيها وتنازع الناس في رد غيرها من أنواع الانبذة عليها قياسا ووصف أنواع آنيتها ومن كان يشربها في الجاهلية ومن حرمها ووصف السكر وما قال الناس في ذلك وكيفية وقوعه أمن الله أم من خلقه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعاني وانما ذكر هذه اللمع منبهين بها على ما قدمنا فيما سلف من كتبنا (وكان أبو العباس) المعتضد محبوسا فلما خرج أبوه الموفق خلفه ببدار

القدمين على مدارهما واستوائهما تعمل ٣٨ يعني الرجل ويسراهما حتى يكون في ذلك واحدا ولوضع القدم ورفعها

فلي مدرسة فيه * ها ومن فيها السلام واعتصام بحريم * لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ما جرى من الفتن وقصد مدرسته والقتل بجوارها مع ان ابنه مؤيد الملك فيها عظم عليه فاعاد كوهرائين الى شحنكية العراق وحمله رسالة الى الخليفة المقتدي بامر الله يتضمن الشكوى من بني جهير وسأل عزل فخر الدولة من الوزارة وامر كوهرائين باخذ أصحاب بني جهير وايصال المكروه اليهم والى حواشيهم فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة الى العسكر يريد نظام الملك ليستعطفه وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفا ان يلقاه كوهرائين وينأله فيها اذى فلما وصل كوهرائين الى بغداد اجتمع بالخليفة وابلغه رسالة نظام الملك فامر فخر الدولة بلزوم منزله ووصل عميد الدولة الى المعسكر السلطاني ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد الى ما الفه منه وزوجه بابنة له وعاد الى بغداد في العشرين من جمادى الاولى فلم يرد الخليفة اباه الى وزارته وامرهما بملازمة منازلهما واستوزر اباشجاع محمد بن الحسين ثم ان نظام الملك راسل الخليفة في اعادة بني جهير الى الوزارة وشفع في ذلك فاعيد عميد الدولة الى الوزارة واذن لابيه فخر الدولة في فتح بابه وكان ذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين

(ذكر استيلاء تتش على دمشق)

في هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن ألب ارسلان دمشق وسبب ذلك ان اخاه السلطان ملكشاه اقطعه الشام وما يفتحه في تلك النواحي سنة سبعين واربعمائة فاتى حلب وحصرها ولحق أهلها مجاعة شديدة وكان معه جمع كثير من التركمان فانفذ اليه الاقسيس صاحب دمشق يستنجده ويعرفه ان عساكر مصر قد حصرته بدمشق وكان أمير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فارسل اقسيس الى تاج الدولة تتش يستنصره فسار الى نصرة الاقسيس فلما سمع المصريون بقربه اجفلوا من بين يديه شبه المنهزمين وخرج الاقسيس اليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد في تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بأمور لم يقبلها تتش فقبض عليه في الحال وقتله من ساعته وملك البلد واحسن السيرة في أهله وعدل فيهم وقد ذكر ابن الهمذاني وغيره من العراقيين ان ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي في كتاب تاريخ دمشق ان ملكه اياها كان سنة اثنتين وسبعين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ولد الملك بركيارق بن السلطان ملكشاه وفيها في المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد وضرب الطبل على باب داره أوقات الصلاة وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب اليه لانه لم تجر به عادة وفيها توفي سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورام الكردي الجاواني في شهر ربيع الاول ودفن بطسفونج وفي رجب توفي أبو علي بن البناء المقرى الحنبلي وله مصنفات كثيرة وسليم الجوري بناحية جور من دجيل وكان زاهدا يعمل ويأكل من كسبه ولم يكلف أحدا حاجة وأقام بطنزة من ديار بكر وهي كثيرة الفواكه فلم يأكل بها فاكهة البتة

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين واربعمائة)

(ذكر فتوح ابراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند)

في هذه السنة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند فحصر قلعة اجود وهي على مائة وعشرين فرسخا من لهاوور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة

وجهان أحدهما أن يوافق بذلك الإيقاع والآخر أن يتثبط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الإيقاع فهو من الطيب والحسن سواء وأما ما يتثبط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الإيقاع مترافعا وما يتثبط به متسافلا (قال المسعودي) وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دونت في أنواع من الادب منها مدح النديم وصفاته وعفافه وأمن عيبه والتداعي في المنادمات والمراسلات في ذلك وعدد أنواع الشرب في الكثرة وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه وأصول الغناء ومباديه في العرب وغيرها من الامم وأخبار الاعلام من مشهوري المغنين المتقدمين والمحدثين وهيئة المجالس ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم وتعبية مجالس الندماء والتحيات كما قال العطوي في ذلك

يحيى التحية أصحاب التحيات
القائلين اذا لم تسقهم هات
أما الغداة فسكرى في نعيمهم
وبالعشي فصرعى غير أموات
وبين ذلك قصف لا يعادله
قصف الخليفة في لهو ولذات

وقد أتينا على وصف جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان مما لم يتقدم له ذكر كصنوف الشراب والاستعمال لانواع النقل اذا وضع ذلك

وغيرها وكانت وفاته بفارس ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو القاسم التفكرى الزنجانى ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وسمع من أبي نعيم الحافظ وغيره وتفقه على أبي اسحق الشيرازى وادرك أبا الطيب الطبرى وكان من العلماء العاملين المشتغلين بالعبادة

﴿ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه﴾

فى هذه السنة أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جهير الى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة الى السلطان الى أصبهان يخطب ابنته فامر نظام الملك أن يمضى معه الى خاتون زوجة السلطان فى المعنى فمضيا اليها فخاطباها فقالت ان ملك غزنة وملوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فعرفتها ارسلان خاتون التى كانت زوجة القائم بامر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه المال فاجابت الى ذلك وشرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وانه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فاجيبت الى ذلك فاعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد

﴿ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وامارة ولده منصور﴾

فى هذه السنة فى شوال توفى نور الدولة أبو الاغر دبيس بن على بن مزيد الاسدى بمطيراباذ وكان عمره ثمانين سنة وامارته سبعا وخمسين سنة ومازال ممدحا فى كل زمان مذكورا بالتفضل والاحسان ورثاه الشعراء فاكثروا وولى بعده ما كان اليه ابنه أبو كامل منصور ولقبه بهاء الدولة فاحسن السيرة واعتمد الجميل وسار الى السلطان ملكشاه فى ذى القعدة واستقر له الامر وعاد فى صفر سنة خمس وسبعين وخلع الخليفة أيضا عليه

﴿ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس﴾

فى هذه السنة حصر الامير تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينة قابس حصارا شديدا وضيق على أهلها وعاث عساكره فى بساتينها المعروفة بالغابة فافسدوها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سار تتش بعد عود شرف الدولة عن دمشق وقصد الساحل الشامى فافتتح انطرطوس وبعضا من الحصون وعاد الى دمشق وفيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران وأخذها من بنى وثاب النميريين وصالحه صاحب الرهاء ونقش السكة باسمه وفيها اسد ظفر القائمى بشق نهر عيسى وكان خرابا منذ ثلاث وعشرين سنة وسد مرارا وتخرب الى أن سده ظفر وفيها أرسل السلطان الى بغداد ليخرج الوزير أبو شجاع الذى وزر للخليفة بعد بنى جهير فارسله الخليفة الى نظام الملك وسير معه رسولا وكتب معه الى نظام الملك كتابا بخطه يامره بالرضا عن أبى شجاع فرضى عنه واعاده الى بغداد وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعا شديدا وحزن حزنا عظيما ومنع من أخذه وغسله حتى تغيرت رائحته وأراد قتل نفسه مرات فنعه خواصه ولما دفن لم يطق المقام فخرج يتصيد وأمر بالنياحة عليه فى البلد ففعل ذلك عدة أيام وجلس له وزير الخليفة فى العزاء ببغداد وفيها توفى عبد الله بن أحمد بن رضوان أبو القاسم وهو من أعيان أهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقى ثلاث سنين فى بيت مظلم لا يقدر يسمع صوتا ولا

على أبي العباس وعلى اسمعيل بن بابل وانصرف كل واحد منهما الى منزله فلم يعد اسمعيل فى داره ما يقعد عليه حتى وجه اليه ابن ميكال ما قعد عليه وقام بأمر طعامه وشرابه وقد كان اسمعيل أسرع فى بيوت الاموال وأسرف فى النفقات والجوائز والخلع وأجلب العرب وأجزل لهم الانزال والارزاق واصطنع بنى شيبان من العرب وغيرهم من ربيعة وكان يزعم أنه رجل من بنى شيبان وطالب بخراج سنة مبهمة فثقل على الرعية وكثر الداعى عليه ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة أيام ثم توفى يوم الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ومات وله تسع وأربعون سنة وأمه أم ولد رومية يقال لها اسحق وكان اسم الموفق طلحة وفيه يقول الشاعر

لما استظل بظل الملك واجتمعت ... له الامور فقاد ومتسور

حطت عليه اقدار منيته ... كذاك تصنع بالناس المقادير

فلما مات الموفق قام المعتضد بأمور الناس فى التدبير مكان أبيه الناصر وهو الموفق وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد وقام اسمعيل بن بابل فى الوزارة بعد شغب كثير كان فى مدينة السلام وكان لابى عبد الله بن أبى الساج

ونظمادمه وصيف خطاب بجابل وقيد اسمعيل بن بابل ووجه أبو العباس الى أبى عبد الله بن سليمان بن

خمارتكين وكوهرائين في قتل ابن علان اليهودي ضامن البصرة وكان ملتجئا الى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشرابي وكوهرائين عداوة فسعيا باليهودي لذلك فأمر السلطان بتغريقه فغرق وانقطع نظام الملك من الركوب ثلاثة أيام وأغلق بابه ثم أشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة تقدم له فيها أشياء كثيرة وعاتبه على فعله فاعتذر اليه وكان أمر اليهودي قد عظم الى حد أن زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من في البصرة الا القاضي وكان له نعمة عظيمة وأموال كثيرة فأخذ السلطان منه مائة ألف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة ألف دينار ومائة فرس وفيها زاد الفرات تسعة أذرع فخربت بعض دواليب هيت وخرب فوهة نهر عيسى وزاد تامرا ثنيما والاثنين ذراعا وعلا على قنطرتي طراستان وخانقين الكسرويتين فقطعهما وفيها في ذي الحجة توفي نصر بن مروان صاحب ديار بكر وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الانباري وفيها توفي أبو منصور محمد بن عبد العزيز العكبري ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وهو من المحدثين المعروفين وكان صدوقا ومحمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور أبو بكر بن أبي القاسم الطبري اللالكائي وولد سنة تسع وأربعمائة وحدث عن هلال الحفار وغيره وتوفي في جمادى الاولى وفيها توفي أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور وحدث عن جده لامه القاضي أبي نصر محمد بن هرون بن الجندي

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه﴾

في هذه السنة في شعبان سار السلطان ملكشاه الى الري وعرض العسكر فأسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم فمضوا الى أخيه تكش وهو ببوشنج فقوي بهم وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو والشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا في ملك خراسان وقيل بان نظام الملك قال للسلطان لما أمر باسقاطهم ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية فاذا أسقطوا لا نأمن ان يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن أيدينا اضعاف مالهم من الجاري الى أن نظفر بهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى أخيه وأظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا الى خراسان فوصل الى نيسابور قبل ان يستولي تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فحصره بها وكان تكش قد أسر جماعة من أصحاب السلطان فأطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش الى أخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة تسلم مؤيد الملك ابن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط وفيها توفي أبو علي ابن شبل الشاعر المشهور ومن شعره في الزهد

أهم بترك الذنب ثم يردني * طموح شباب بالغرام موكل
فمن لي اذا أخرت ذا اليوم توبة * بان المنايا الى الشيب تعجل
أأعجز ضعفا عن أداء حق خالق * وأحمل وزرا فوق ما يتحمل

وفيها أيضا توفي العميد أبو منصور بالبصرة وفيها توفي عبد السلام بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو الفتح الصوفي من أهل فارس سافر الكثير وسمع الحديث بالعراق والشام ومصر وأصبهان وغيرها

الوزير اسمعيل بن بلبل وكان مضيقا عليه الى أن وافى الموفق من أذربيجان عليلا مدنفا محمولا في بيت من الخيش قد اتخذله مبطنا بالخز والحرير وفي أسفله حاق قد جعل فيه الدهن فتحمله الرجال على أكتافها نوائب وكان وصوله الى بغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين فأقام بمدينة السلام أياما فاشتدت علته وأرجفت بموته وانصرف اسمعيل بن بلبل وقد يئس منه فوجه اسمعيل ابن بلبل الى كنغمون وقيل الى بكمسن وكان موكلا بالمعتضد بالمدائن على أقل من يوم من مدينة السلام ان ينصرف بالمعتضد والمفوض الى الله الى بغداد فدخل المعتضد الباقي يومه واتصل باسمعيل صلاح الموفق فانحدر ومعه المعتضد والمفوض في طيارة الى ولده وقد كان يانس الخادم ومؤنس الخادم وصاف الحرمين وغيرهم من خدم الموفق وغلمانه أخرجوا أبا العباس من الموضع الذي كان فيه محبوسا وساروا به الى الموفق ولما أحضر اسمعيل ابن بلبل الموفق والمعتضد معه وكثر اضطراب القواد والموالي وأسرعت العامة وسائر الخدم في النهب فانتهبوا دار اسمعيل بن بلبل ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل الا نهبوها وفتحت الجسور وأبواب السجون ولم يبق أحد في المطبق ولا في الحديد الا أخرج وكان أمرا فظيعا غليظا وخلع

الى مدينة من بلاد العجم خرج أهلها اليه بنسائهم وأولادهم يمسحون ركابه ويأخذون تراب نعلته للبركة وكان في صحبته جماعة من أعيان بغداد منهم الامام أبو بكر الشاشي وغيره ولما وصل الى ساوة خرج جميع أهلها وسأله فقهاؤها كل منهم أن يدخل بيته فلم يفعل ولقيه أصحاب الصناعات ومعهم ما ينثرونه على محفته فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا وكذلك أصحاب الفاكهة والحلواء وغيرهم وخرج اليه الاساكفة وقد عملوا مداسات لطافا تصلح لارجل الاطفال ونثروها فكانت تسقط على رؤس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لاصحابه بعد رجوعه ويقول ما كان حظكم من ذلك النثار فقال له بعضهم ما كان حظ سيدنا منه فقال أما أنا فغطيت بالمحفة وهو يضحك فاكرمه السلطان ونظام الملك وجرى بينه وبين امام الحرمين أبي المعالي الجويني مناظرة بحضرة نظام الملك وأجيب الى جميع ما التمسه ولما عاد أهين العميد وكسر عما كان يعتمده ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة ولما وصل الشيخ الى بسطام خرج اليه السهلكي شيخ الصوفية بها وهو شيخ كبير فلما سمع الشيخ أبو اسحق بوصوله خرج اليه ماشيا فلما رآه السهلكي ألقى نفسه من دابة كان عليها وقبل يد الشيخ أبي اسحق فقبل أبو اسحق رجله وأقعده موضعه وجلس أبو اسحق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيرا وأعطاه شيأ من حنطة ذكر أنها من عهد أبي يزيد البسطامي ففرح به أبو اسحق

﴿ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها﴾

في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم انطاكية وما جاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فخافه فجمع أيضا العرب من عقيل والاكراد وغيرهم فاجتمع معه كثير فراسل الخليفة بمصر يطلب منه ارسال نجدة اليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار اليها فلما سمع تتش الخبر عاد الى دمشق فوصلها أول المحرم سنة ست وسبعين ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة وقاتله أهلها وفي بعض الايام خرج اليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة صادقة فانكشفوا وتضعضعوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة وأشرف على الاسر وتراجع اليه أصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى أيضا أن مصر لم يصل اليه منها عسكر وأتاه عن بلاده الخبر أن أهل حران عصوا عليه فرحل عن دمشق الى بلاده وأظهر أنه يريد البلاد بفلسطين فرحل أولا الى مرج الصفر فارتاع أهل دمشق وتتش واضطربوا ثم انه رحل من مرج الصفر مشرقا في البرية وجد في مسيره فهلك من المواشي الكثير مع عسكره ومن الدواب شئ كثير وانقطع خلق كثير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من أصبهان فخرج عميد الدولة بن جهير الى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول أوقات الصلوات الثلاث فأعطى مالا جليلا حتى قطعه وأرسل الطبول الى تكريت وفيها توفي أبو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن اسحق بن منده الاصبهاني في جمادى الآخرة باصبهان وكان حافظا فاضلا والامير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا مصنف كتاب الاكمال ومولده سنة عشرين وأربعمائة وكان فاضلا حافظا قتله مماليكه الاتراك بكرمان وأخذوا ماله

﴿ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة﴾

اسمعيل بن حماد القاضي الى المعتضد وعليه السواد فسلم عليه بالخلافة وكان أول من سلم عليه وحضر الشهود منهم أبو عوف والحسين بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتضد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول هل ترون به من بأس أو أثر مات حتف أنفه وقتله مداومته لشرب البنج فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر فغسل وكفن وحمل في تابوت قد اعتقله الى سامرا فدفن بها (وذكروا) والله أعلم أن سبب وفاته أنه سقي نوعا من السم في شرابهم الذي كانوا يشربونه وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت وربما وجدوه في سنبل الطيب وهو ألوان ثلاثة وفيه خواص عجيبة (وللمعتضد) أخبار حسان وما كان في أيامه من الكوائن والحوادث مما كان من حروب الصفار وما كان بديار بكر من بلاء وأسر وغيرهما من أحمد بن عيسى ابن الشيخ وما كان باليمن قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والغرر منه وما حدث في كل سنة من أيامه من الحوادث في كتابنا أخبار الزمان والاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب

﴿ذكر خلافة المعتضد بالله﴾

وبويع أبو العباس احمد بن طلحة المعتضد بالله في اليوم الذي مات فيه المعتمد على الله عمه وهو يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت

بمصر صدوقا وفيها في ذي الحجة توفي أبو محمد بن أبي عثمان المحدث وكان صالحا يقرئ القرآن بمسجده بنهر القلائين وتوفي على بن أحمد بن على أبو القاسم البسري البندار ومولده سنة ست وثمانين وثلثمائة سمع المخلص وغيره وكان ثقة صالحا وفيها توفي أبو اسحق ابراهيم بن عقيل بن حبش القرشي النحوي

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك﴾

في هذه السنة في رجب توفي جمال الملك منصور بن نظام الملك وورد الخبر بوفاته الى بغداد في شعبان فجلس أخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك عميد الملك معزيين وأرسل الخليفة اليه في اليوم الثالث فأقامه من العزاء وكان سبب موته ان مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجعفرك يحاكي نظام الملك ويذكره في خلواته مع السلطان فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ فأعمل المسافر من وقته يطوي المراحل الى والده والسلطان وهما بأصبهان فاستقبله أخواه فخر الملك ومؤيد الملك فأغلظ لهما القول في اغضائهما على ما بلغه عن جعفرك فلما وصل الى حضرة السلطان رأى جعفرك يساره فانتهره وقال مثلك يقف هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان في هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على جعفرك وأمر باخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ثم سار مع السلطان وأبيه الى خراسان وأقاموا بنيسابور مدة ثم أرادوا العود الى أصبهان وتقدمهم نظام الملك فأحضر السلطان عميد خراسان وقال له ايما أحب لك رأسك أم رأس جمال الملك فقال بل رأسي فقال لئن لم تعمل في قتله لاقتلنك فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرا الاولى ان تحفظوا نعمتكم ومناصبكم وتدبروا في قتل جمال الملك فان السلطان يريد أن يأخذه ويقتله ولان تقتلوه أنتم سرا أصلح لكم من أن يقتله السلطان ظاهرا فظن الخادم ان ذلك صحيح فجعل له سما في كوز فقاع فطلب جمال الملك فقاعا فأعطاه الخادم ذلك الكوز فشرب به فمات فلما علم السلطان بموته سار مجدا حتى لحق نظام الملك فأعلمه بموت ابنه وعزاه وقال انا ابنك وأنت أولى من صبر واحتسب

﴿ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة﴾

ورد الى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان أشعري المذهب وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال اليه وسيره الى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ثم انه قصد يوما دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني بنهر القلائين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لابي يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكري من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر أبي الحسن الاشعري

﴿ذكر مسير الشيخ أبي اسحق الى السلطان في رسالة﴾

في هذه السنة في ذي الحجة أوصل الخليفة المقتدي بامر الله الشيخ أبا اسحق الشيرازي الى حضرته وحمله رسالة الى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح ابن أبي الليث عميد العراق وأمره ان ينهي ما يجري على البلاد من النظار فسار فكان كلما وصل

وهب فأحضره وخلع عليه وردّ اليه أمر كتابته وذلك في يوم الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ولم يزل اسمعيل بن بلبل يعذب بأنواع العذاب وجعل في عنقه غلا فيه رمانة حديد والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا وألبس جبة صوف وقد صبرت في ودك الاكارع وعلق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات في جمادي الاولى سنة ثمان وسبعين ومائتين ودفن بغله وقيوده وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التي كانت في خزانته فضربت وفرقت في الجند (قال المسعودي) وقد كان المعتمد قعد للغداء واصطبح يوم الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فلما كان عند العصر قدّم الطعام فقال يا موشكيره للموكل به ما فعلت الرؤس بأرقابها وقد كان قدم من الليل أن يقدّم له رأسا جدابين وقد فصل فيهما أرقابهما فقدمتا وكان معه على المائدة رجل من ندمائه يعرف بقف القسم ورجل آخر يعرف بخاف المضحك فأوّل من ضرب بيده الى الرؤس القسم فانتزع أذن واحدهما وأما المضحك فانه يقتلع اللهازم والاعين فأكلوا أكل المعتمد وأتموا يومهم فأما القسم صاحب اللقمة الاولى فانه تمرى في الليل وأما المضحك فانه مات قبل الصباح وأما المعتمد فأصبح ميتا قد لحق بالقوم ودخل

تميم بن المعز قياما تاما ورحلوا عنها ولم يظفروا منها بشئ فسار مالك منها الى القيروان فحصرها وملكها فجرد اليه تميم العساكر العظيمة فحصروه بها فلما رأى مالك انه لا طاقة له بهم خرج عنها وتركها فاستولى عليها عسكر تميم وعادت الى ملكه كما كانت

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ الكر الحنطة الجيدة ببغداد عشرة دنانير وفيها في جمادى الآخرة توفي الشيخ أبو اسحق الشيرازي وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأكثر الشعراء مراثيه فمنهم أبو الحسن الخباز والبندنيجي وغيرهما وكان رحمة الله عليه واحد عصره علما وزهدا وعبادة وسخاء وصلى عليه في جامع القصر وجلس أصحابه للعزاء في المدرسة النظامية ثلاثة أيام ولم يتخلف أحد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب في التدريس أبا سعد عبد الرحمن بن المأمون المتولي فلما بلغ ذلك نظام الملك أنكره وقال كان يجب ان تغلق المدرسة بعد الشيخ أبي اسحق سنة وصلى عليه بباب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلى عليه الخليفة المقتدي بأمر الله وتقدم في الصلاة عليه أبو الفتح بن رئيس الرؤساء وهو ينوب في الوزارة ثم صلى عليه بجامع القصر ودفن بباب أبرز

❁(ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة)❁

❁(ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة)❁

قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة بن جهير في العساكر السلطانية الى ديار بكر فلما كانت هذه السنة سير السلطان اليه أيضا جيشا فيهم الامير أرتق بن أكسب وأمرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى الى شرف الدولة وسأله نصرته على ان يسلم اليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى ان صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا الى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال الى الصلح وقال لا أوثر ان يحصل بالعرب بلاء على يدي فعرف التركمان ما عزم عليه فركبوا ليلا وأتوا الى العرب وأحاطوا بهم في ربيع الاول والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة ولا أرتق وغنم التركمان حلل العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتى وصل الى فصيل آمد وحصر فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة انه محصور خاف على نفسه فراسل الامير أرتق وبذل له مالا وسأله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطرق والحصار فلما سمع ارتق ما بذل له شرف الدولة أذن له في الخروج فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الاول وقصد الرقة وأرسل الى ارتق بما كان وعده به وسار ابن جهير الى ميافارقين ومعه من الامراء الامير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه وعادوا الى العراق وسار فخر الدولة الى خلاط ولما استولى العسكر السلطاني على حلل العرب وغنموا أموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الاموال وافتك اسرى بني عقيل ونساءهم وأولادهم وجهزهم جميعهم وردهم الى بلادهم ففعل أمرا عظيما وأسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء في ذلك فأكثروا فمنهم محمد بن محمد بن خليفة السنبسي يذكر ذلك في قصيدة

كما أحرزت شكر بني عقيل * بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طرا * بشهب في حوافلها ازورار

ومن كان يأنس به في خلواته انه أمر أن تقص حشمه ومن كان يجري عليه من الارزاق من كل رغيف أوقية وأن يقتدا بأمر جرو لاك الوصائف عددا من الرغفان فيها ثلاث وأربع كذا وأكثر من ذلك قال ابن حمدون فتعجبت من ذلك في أول أمره ثم تبينت القصة فاذا أنه يتوفر من ذلك في كل شهر مال عظيم وتقدم الى خزانه أن يختار له من الثياب التسترية والدبيقية أحسنها النقطية والنفيسة (وكان) مع ذلك قليل الرحمة كثير الاقدام سفاكا للدماء شديد الرغبة في أن يمثل بمن يقتله (وكان) اذا غضب على القائد النبيل والذي يختصه من غلمانه أمر أن تحفر له حفيرة ثم يدلى على رأسه فيها ويطرح التراب عليه ونصفه الاسفل ظاهر على التراب ويداس التراب فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (وذكر) من عذابه أنه كان يأخذ الرجل فيكتف ويقيد فيؤخذ القطن فيحشى في أذنه وخيشومه وفمه وتوضع المنافخ في دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه ثم يسد الدبر بشيء من القطن ثم يفصد وقد صار كالجمل العظيم من العرقين اللذين فوق الحاجبين فتخرج النفس من ذلك الموضع وربما كان يقتل الرجل في أعلى القصر يجرد امو ثقبا ويرمى بالنشاب حتى يموت (واتخذ) المطامير وجعل فيها صنوف العذاب وجعل عليها الطريقي المتولي لعذاب

﴿ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة الى ديار بكر﴾

فى هذه السنة فى صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ووصل يوم عزل رسول من السلطان ونظام الملك الى الخليفة يطلبان أن يرسل اليهما بنى جهير فاذن لهما فى ذلك وساروا بجميع أهلهم ونسائهم الى السلطان فصادفوا منه ومن نظام الملك الاكرام والاحترام وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوسات وسير معه العساكر وأمره أن يقصدها ويأخذها من بنى مروان وأن يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة فسار اليها وفارق بنو جهير بغداد ورتب فى الديوان أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان قبل ذلك على أبنية الدار وغيرها

﴿ذكر عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها﴾

فى هذه السنة عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش وأطاعوا قاضيهم ابن حلبة وأرادوا هم وابن عطير النميرى تسليم البلد الى جبق أمير التركمان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها فبلغه الخبر فعاد الى حران وصالح ابن ملاعب صاحب حمص وأعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير الى حران فحصرها ورماها بالمنجنيق فخرب من سورها بدنة وفتح البلد فى جمادى الاولى وأخذ القاضى ومعه ابنين له فصلبهم على السور

﴿ذكر وزارة أبى شجاع محمد بن الحسين للخليفة﴾

فى هذه السنة عزل الخليفة أبا الفتح بن رئيس الرؤساء من النيابة فى الديوان واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه خلع الوزارة فى شعبان ولقبه ظهير الدين ومدحه الشعراء فأكثروا فممن مدحه وهنأه أبو المظفر محمد بن العباس الابيوردى بالقصيدة المشهورة التى أولها

هالنها مقل الظباء العين * فشكت بسر فؤادى المكنون

ومنها

فانهل اسراب الدموع كأنها * منح يتابعها ظهير الدين

﴿ذكر قتل أبى المحاسن بن أبى الرضا﴾

فى هذه السنة فى شوال قتل سيد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبى الرضا وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قربا عظيما وكان أبوه يكتب بالطغراء فقال أبو المحاسن للسلطان سلم الى نظام الملك وأصحابه وأنا أسلم اليك منهم ألف ألف دينار فانهم يأكلون الاموال ويقتطعون الاعمال وعظم عنده ذخائرهم فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما وأقام عليه مماليكه وهم ألوف من الاتراك وأقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم فلما حضر السلطان قال له انى قد خدمتك وخدمت أباك وجدك ولى حق خدمة وقد بلغك أخذى لعشر أموالك وصدق هذا أنا آخذه وأصرفه الى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك وأصرفه أيضا الى الصدقات والصلات والوقوف التى أعظم ذكرها وشكرها وأجرها لك وأموالى وجميع ما أملكه بين يديك وأنا أقنع بمرقعة وزاوية فأمر السلطان بالقبض على أبى المحاسن وأن تسمل عيناه وأنفذه الى قلعة ساوة وسمع أبوه كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتى ألف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك

﴿ذكر استيلاء مالك بن علوى على القيروان وأخذها منه﴾

فى هذه السنة جمع مالك بن علوى الصخرى العرب فأكثر وسار الى المهدية فحصرها فقام الامير

من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وأمه أم ولد رومية يقال لها ضرار وكانت وفاته يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة وقيل انه ولى الخلافة وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثمانين على ما ذكرنا وله أربعون سنة وأشهر على تباين أصحاب التواريخ فى كتبهم وما أرخوه فى أيامهم والله الموفق

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

ولما أفضت الخلافة الى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت البلدان وارتفعت الحروب ورخصت الاسعار وهدأ الهرج وسالمه كل مخالف وان كان مظفرا قد دانت له الامور وانفتح له الشرق والغرب وأديل له فى أكثر المخالفين عليه والمنابذين له وظفر بهرون الشارى وكان صاحب المملكة والقيم بأمر الخلافة بدر مولاه واليه جميع المعارف فى جميع الآفاق واليه أجل الجيوش وسائر القواد وخلف المعتضد فى بيوت الاموال تسعة آلاف ألف دينار ومن الورق أربعون ألف ألف درهم والدواب والبغال والحمير والجمال اثنى عشر ألف رأس وكان مع ذلك شحيحا بخيلا ينظر فيما لا ينظر فيه العوام (وحكى عبد الله بن حمدون) وكان نديمه وخاصته

تمم

السلطان قصد تكين واحتذره وكان قد حلف له بالايمان انه لا يؤذيه ولا يناله منه مكروه فأفتاه بعض من حضر بان يجعل الامر الى ولده أحمد ففعل ذلك فامر أحمد بكحله فكحل وحبس

﴿ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية﴾

في هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية واقصرا وأعمالها من بلاد الروم الى الشام فملك مدينة انطاكية من أرض الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وسبب ملك سليمان المدينة ان صاحبها الفردوس الرومي كان قد سار عنها الى بلاد الروم ورتب بها شحنة وكان الفردوس مسيأ الى أهلها والى جنده أيضا حتى انه حبس ابنه فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد الى سليمان بن قتلمش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر في ثلاثمائة فارس وكثير من الرجالة وخرج منه وسار في جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل اليها للوعد فنصب السلاليم باتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة وأخذ البلد في شعبان فقاتله أهل البلد فهزمهم مرة بعد أخرى وقتل كثيرا من أهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان وأخذ من الاموال ما يجاوز الاحصاء وأحسن الى الرعية وعدل فيهم وأمرهم بعمارة ما خرب ومنع أصحابه من النزول في دورهم ومخالطتهم ولما ملك سليمان انطاكية أرسل الى السلطان ملكشاه يبشره بذلك وينسب هذا الفتح اليه لانه من أهله وممن يتولى طاعته فاظهر ملكشاه البشارة به وهنأه الناس فممن قال فيه الابيوردي من قصيدة مطلعها

لمعت كناصية الحصان الاشقر * نار بمعتلج الكثيب الاعفر
وفتحت انطاكية الروم التي * نشزت معاقلها على الاسكندر
وطئت مناكبها جيادك فانثنت * تلقي اجنتها بنات الاصفر

وهي طويلة

﴿ذكر قتل شرف الدولة وملك اخيه ابراهيم﴾

قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلمش مدينة انطاكية فلما ملكها أرسل اليه شرف الدولة مسلم ابن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال ويخوفه معصية السلطان فاجابه أما طاعة السلطان فهي شعاري ودثاري والخطبة له والسكة في بلادي وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد وأعمال الكفار وأما المال الذي كان يحمله صاحب انطاكية قبلي فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه وأصحابه وانا بحمد الله مؤمن ولا أحمل شيأ فنهب شرف الدولة بلد انطاكية ونهب سليمان أيضا بلد حلب فلقيه أهل السواد يشكون اليه نهب عسكره فقال انا كنت أشد كراهية لما يجري ولكن صاحبكم أحوجني الى ما فعلت ولم تجر عادتي بنهب مال مسلم ولا أخذ ما حرمته الشريعة وأمر أصحابه باعادة ما أخذوه منهم فاعاده ثم ان شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان وكان من معه جبق أمير التركمان في أصحابه وسار الى انطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار اليه فالتقيا في الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين واربعمائة في طرف من أعمال انطاكية واقتتلوا فمال تركمان جبق الى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزما فقتل بعد ان صبر وقتل بين يديه أربعمائة غلام من أحداث حلب وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا لتتبع الحادثة بعضها بعضا وكان أحول وكان قد ملك من السندية التي على نهر عيسى الى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان في يده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب

فانقطع ابن الجصاص بعضهم وأعلم قطر الندى بنت خمارويه أن ما أخذه وديعة لها عنده الى وقت حاجتها اليه فماتت والجوهر عنده فكان ذلك سبب غناه واتساع حاله وقد كان لابن الجصاص غنى بعد ذلك في أيام المقتدر وما كان من القبض عليه وما أخذ منه من الاموال بهذا السبب وغيره وحمل المعتضد صداق قطر الندى وهو بمدينة بلد الى أبي الجيش وكان الصداق ألف ألف درهم وغير ذلك من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق وكان مما خص به أبا الجيش في نفسه وحباه به بدرة من الجوهر الثمين فيها در وياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج واكليل وقيل قلنسوة وكردف وكان وصولهم الى مصر في رجب سنة ثمانين ومائتين واتحدر المعتضد من مدينة بلد والموصل بعد ان حمل ما وصفنا الى مدينة السلام في الماء (وحدث أبو سعيد) أحمد بن الحسين ابن سنقذ قال دخلت يوما على الحسين بن الجصاص واذا بين يديه سفط خيار مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبح فرأيت شيأ حسنا ووقع في نفسي ان عددها يجاوز العشرين فقلت له جعلني الله فداك كم عدد كل سبحة فقال لي مائة حبة وزن كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد ولا تنقص قد عدلت كل سبحة وزن صاحبتها واذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقبان كما يوزن الحطب فلما خرجت من عنده تلقاني

فساجنبوا ولكن فاض بحر * عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا * وقد بن الرزية والدمار
منحت مالهم وفككت عنهم * وفي أثناء جمالهم انتشار
ولولا أنت لم ينعش منهم * أسير حين أعلقه الاسار

في أبيات كثيرة وذكر أيضا البندنيجي أبياتا أحسن ولولا خوف التطويل لذكرت أبياته

﴿ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل﴾

لما بلغ السلطان ان شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك في أسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره في جيش كثيف الى الموصل وكاتب أمراء التركمان بطاعته وسير معه من الامراء اقسنقر قسيم الدولة جد ملوكنا أصحاب الموصل وهو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الامير أرتق قد قصد السلطان فعاد صحبته عميد الدولة من الطريق فسار عميد الدولة حتى وصل الى الموصل فأرسل الى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه اليه وسار السلطان بنفسه وعساكره الى بلاد شرف الدولة ليملكها فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخراسان على ما نذكره ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر فأرسل مؤيد الملك بن نظام الملك الى شرف الدولة وهو مقابل الرحبة فأعطاه العهود والمواثيق وأحضره عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت أمواله قد ذهبت فاقترض ما خدم به وحمل للسلطان خيلا رائعة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور الذي نجا عليه من المعركة ومن آمد أيضا وكان سابقا لا يجارى فأمر السلطان بان يسابق به الخيل فجاء سابقا فقام السلطان قائما لما تداخله من العجب وأرسل الخليفة النقيب طراد الزينبي في لقي شرف الدولة فلقيه بالموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد الى خراسان لحرب أخيه

﴿ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه﴾

قد تقدم ذكره وذكر مصالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط فحسنوا له مفارقة طاعة أخيه فأجابهم وسار معهم فملك مرو الروز وغيرها الى قلعة تقارب سرخس وهي لمسعود ابن الامير باخز وقد حصنها جهده فحصروه بها ولم يبق غير أخذها منه فاتفق أبو الفتوح الطوسي صاحب نظام الملك وهو بنيسابور وعميد خراسان وهو أبو علي على أن يكتب أبو الفتوح ملطفا الى مسعود بن باخز وكان خط أبي الفتوح أشبه شيء بخط نظام الملك يقول فيه كتبت هذه الرقعة من الري يوم كذا ونحن سائرون من الغد نحوك فاحفظ القلعة ونحن نكبس العدو في ليلة كذا واستدعيا فيجا يثقون به وأعطياه دنانير صالحة وقالا اسر نحو مسعود فاذا وصلت الى المكان الفلاني فأقم به ونم وأخف هذا الملطف في بعض حيطانه فستأخذك طلائع تكش فلا تعترف لهم حتى يضربوك فاذا فعلوا ذلك وبالغوا فأخرجه لهم وقل انك فارقت السلطان بالري ولك منا الحباء والكرامة ففعل ذلك وجرى الامر على ما وصفا وأحضر بين يدي تكش وضرب وعرض على القتل فأظهر الملطف وسلمه اليهم وأخبرهم انه فارق السلطان ونظام الملك بالري في العساكر وهو سائر فلما وقفوا على الملطف وسمعوا كلام الرجل ساروا من وقتهم وتركوا خيامهم ودوابهم والقدور على النار فلم يصبروا على ما فيها وعادوا الى قلعة وبخ وكان هذا من الفرج العجيب فنزل مسعود وأخذ ما في المعسكر وورد السلطان الى خراسان بعد ثلاثة أشهر ولولا هذا الفعل لنهب تكش الى باب الري ولما وصل

الناس ولم يكن له رغبة الا في النساء والبناء فانه أنفق على قصره المعروف بالثريا أربعمائة ألف دينار وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ (وأقر عبيد الله) بن سليمان على وزارته فلما مات استوزر القاسم ابن عبيد الله (وقد كان المعتضد) في هذه السنة وهي سنة تسع وسبعين ومائتين ركب يوم الفطر وهو يوم الاثنين الى مصلى اتخذه بالقرب من داره وكبر في الركعة الاولى ست تكبيرات وفي الآخرة تكبيرة واحدة ثم صعد المنبر فحصر ولم تسمع له خطبة (وفي ذلك) يقول بعض الشعراء

حصر الامام ولم يبين خطبة
للناس في حل ولا احرام
ماذاك الا من حياء لم يكن
ما كان من عي ولا افحام

(وفي هذه السنة) قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا من مصر لخمارويه ابن أحمد ومعه هدايا كثيرة وأموال جليلة فوصل الى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ثم سعى في تزويج ابنة خمارويه من علي المكتفي فقال المعتضد انما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد في تشريفه أنا أتزوجها فتزوجها وتولى ابن الجصاص أمرها وحمل جهازها فيقال انه حمل معها جوهرا لم يجتمع مثله عند خليفة قط

ليجمع آلات الحصار ورحل المعتمد الى اشبيلية

﴿ذكر استيلاء ابن جهير على آمد﴾

في المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد وسبب ذلك ان فخر الدولة بن جهير كان قد أنفذ اليها ولده زعيم الرؤساء أبا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم السالار وأرادوا قلع كرومها وبساتينها ولم يطمع مع ذلك في فتحها لحصانتها فعم أهلها الجوع وتعذرت الاقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار غير مكترثين به فاتفق ان بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا أسلحتهم مكانها فصعد الى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بأبي الحسن فلبس السلاح ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فأتاهم وملك البلد واتفق أهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بني مروان من الجور والحكم وكان أكثرهم نصارى فانتقموا منهم

﴿ذكر ملكه ايضا ميافارقين﴾

وفي هذه السنة أيضا في سادس جمادى الآخرة ملك فخر الدولة ميافارقين وكان مقيما على حصارها فوصل اليه سعد الدولة كوهرائين في عسكره نجدة له فجد في القتال فسقط من سورها قطعة فلما رأى أهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلموا البلد الى فخر الدولة وأخذ جميع ما استولى عليه من أموال بني مروان وأنفذه الى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فانحدر هو وكوهرائين الى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها الى اصبهان فوصلها في شوال وأوصل ما معه الى السلطان

﴿ذكر ملك جزيرة ابن عمر﴾

في هذه السنة ارسل فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر وهي لبني مروان أيضا فحصروها فثار أهل بيت من أهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من أعيان أهلها وقصدوا بابا للبلد صغيرا يقال له باب البوبية لا يسلكه الا الرجالة لانه يصعد اليه من ظاهر البلد بدرج فكسروه وأدخلوا العسكر فملكه وانقرضت دولة بني مروان فسبحان من لا يزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان الى يومنا هذا كلما جاء الى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق منهم من له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيأ وانما تلك الحركة يؤرخون الى الآن

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في ربيع الاول وصل أمير الجيوش في عساكر مصر الى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشئ فرحل عنها عائدا الى مصر وفيها كانت الفتنة بين أهل الكرخ وسائر المحال من بغداد وأحرقوا من نهر الدجاج درب الآجر وما قاربه وأرسل الوزير أبو شجاع جماعة من الجند ونهاهم عن سفك الدماء تحرجا من الاثم فلم يمكنهم تلافي الخطب فعظم وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بارجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير وفيها في ربيع الاول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء وكثر الرعد والبرق وسقط على الارض رمل أحمر وتراب كثير وكانت النيران تضطرم في أطراف السماء وكان أكثرها بالعراق وبلاد الموصل فالقت النخيل والاشجار وسقط معها صواعق في كثير من البلاد حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك نصف الليل وفيها في ربيع الآخر توفي امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ومولده

وما كانوا عليه من البذل والافضال قد أكثرت من ذكرهم ووصفك اياهم وانما هذا من أصناف الوراقين وتأليف المحسنين فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود فامسك عنه الوزير وتعجب الناس من اقدامه عليه (واستأذن) يوما على الوزير صاعد بن مخلد فقال له الحاجب الوزير مشغول فانتظر فلما أبطأ أذنه قال للحاجب ما صنع الوزير قال يصلي قال صدقت لكل جديد لذة يعيره بأنه حديث عهد بالاسلام (وقد كان أبو العيناء) دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري وذلك في سنة ست وأربعين ومائتين فقال له كيف قولك في دارنا هذه فقال ان الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك فاستحسن ذلك ثم قال له كيف شربك النبيذ فقال أعجز عن قليله وأفتضح من كثيره فقال له دع هذا عنك ونادمنا فقال أنا امرؤ محجوب والمحجوب تختطف اشارته ويجوز قصده وينظر منه الى مالا ينظر اليه وكل من في مجلسك يخدمك وأنا أحب أن أخدمك وأخرى لست آمن أن تنظر الي بعين راض وقلبك غضبان أو بقلب غضبان وعينك راضية ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فأختار العافية على التعرض للبلاء واحتفظ فقال بلغنا عنك بذاء فقال يا أمير المؤمنين قد مدح الله تعالى وذم فقال

وما كان لابيه وجده قرواش وكان عادلا حسن السيرة والامن في بلاده عام والرخص شامل وكانت رسوم بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيأ وكان له في كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى أحد على أحد ولما قتل قصد بنو عقيل أخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوس فاخرجوه وملكوه أمرهم وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرة بحيث انه لم يمكنه المشي والحركة لما أخرج ولما قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلمش الى حلب لحصرها فنزل في ربيع الاول سنة ثمان وسبعين فاقام عليها الى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر انقض كوكب من المشرق الى المغرب كان حجمه كالقمر وضوؤه كضوئه وسار مدى بعيدا على مهل وتؤدة في نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه في الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجار من أرض الجزيرة مقاريب الموصل ينهما وما نعند نزول السلطان بها وسماه أحمد وانما قيل له سنجر باسم المدينة التي ولد فيها وأمه أم ولد وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد ابن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي صاحب الشامل والكامل وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف بعد أن أضر عدة سنين وكان مولده سنة أربعمائة والقاضي أبو عبد الله الحسين بن علي البغدادي المعروف بابن البقال وهو من شيوخ أصحاب الشافعي وكان اليه القضاء بباب الازج وحج لما انقطع الحج على سبيل التجريد واسمعيل بن مسعدة بن اسمعيل بن أحمد بن ابراهيم أبو القاسم الاسماعيلي الجرجاني ومولده سنة أربع وأربعمائة وكان اماما فقيها شافعيا محدثا أديبا وداره مجمع العلماء

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة)

(ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة)

في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الاندلس وأخذوها من المسلمين وهي من أكبر البلاد وأحصنها وسبب ذلك ان الاذفونش ملك الفرنج بالاندلس كان قد قوي شأنه وعظم ملكه وكثرت عساكره مذ تفرقت بلاد الاندلس وصار كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فحينئذ طمع الفرنج فيهم وأخذوا كثيرا من ثغورهم وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذي النون وعرف من أين تؤتى البلد وكيف الطريق الى ملكه فلما كان الآن جمع الاذفونش عساكره وسار الى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين وأخذها من القادر فازداد قوة الى قوته وكان المعتمد على الله أبو عبد الله محمد بن عباد اعظم ملوك الاندلس من المسلمين وكان يملك أكثر البلاد مثل قرطبة واشبيلية وكان يؤدي الى الاذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فأرسل اليه يتهدده ويتوعده انه يسير الى مدينة قرطبة ويتملكها الا ان يسلم اليه جميع الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير كانوا خمسمائة فارس فانزله محمد بن عباد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر كل من عنده منهم رجل ان يقتله واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش فاخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد الى طليطلة

أبو العيناء فقال لي يا أبا سعيد على أي حال ركبت هذا الرجل فوصفت له ما رأيت فقال رافعا رأسه الى السماء اللهم انك لم تساو بيني وبينه في العمى ثم اندفع يبكي فقلت يا أبا عبد الله ما شأنك فقال لا تنكر ما رأيت مني لو رأيت ما رأيت لسعفت ثم قال الحمد لله على هذه الحالة وقال يا أبا سعيد ما حمدت الله تعالى على العمى الا في هذا فقلت ان محمد سال ابن العاص بأي شيء ختم هذه السبح فقال بياقوتة حمراء امل فيها أكثر مما تحتها (وكانت وفاة أبي العيناء) سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة في جمادى الآخرة وكان يكنى بأبي عبد الله وكان قد انحدر من مدينة السلام الى البصرة في زورق فيه ثمانون نفسا في هذه السنة فغرق الزورق ولم يتخلص مما كان فيه الا أبو العيناء وكان ضرير اتعلق بطلال الزورق فأخرج حيا وتلف كل من كان معه فبعد أن سلم ودخل البصرة مات (وكان) لابي العيناء من اللسان وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن عليه أحد من نظرائه وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبي العيناء وغيره وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (وحضر) مجلس بعض الوزراء فتعارضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير لابي العيناء وقد كان أمعن في وصفهم

بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فاقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوما فاتاه الخبر بوصول مقدمة أخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها

﴿ ذكر ملك السلطان حلب وغيرها ﴾

كان ابن الحتيتي قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم اليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار اليه من اصبهان في جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الامير برسق و بوزان وغيرهما من الامراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها في رجب وسار منها فلما وصل الى حران سلمها اليه ابن الشاطر فاقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة وسار الى الرها وهي بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار الى قلعة جعبر فحصرها يوما وليلة وملكها وقتل من بها من بني قشير وأخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى وولدين له وكانت الاذية بهم عظيمة يقطعون الطريق ويلجؤن اليها ثم عبر الفرات الى مدينة حلب فملك في طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الامير أرتق فاشار بكبس عسكر السلطان وقال انهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه أخي الذي أنا مستظل بظله فانه يعود بالوهن علي أولا وسار الى دمشق ولما وصل السلطان الى حلب تسلم المدينة وسلم اليه سالم بن مالك القلعة على ان يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولا فامر السلطان ان يرمى اليه رشقا واحدا بالسهام فرمي الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها وسلم السلطان اليه قلعة جعبر فبقيت بيده وبيد أولاده الى ان أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأرسل اليه الامير نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر فدخل في طاعته وسلم اليه لاذقية وكفرطاب وفامية فاجابه الى المسالمة وترك قصده وأقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلمها الى قسيم الدولة اقسنقر فعمرها وأحسن السيرة فيها واما ابن الحتيتي فانه كان واثقا باحسان السلطان ونظام الملك اليه فانه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد طلب أهله ان يعفيهم من ابن الحتيتي فاجابهم الى ذلك واستصحبه معه وأرسله الى ديار بكر فافتقر وتوفي بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية قتله الفرنج لما ملكوها

﴿ ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة ﴾

في هذه السنة في ربيع الاول توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ على علي بن برهان فبرع بذكائه في الذي استفاده منه وله شعر حسن فمنه

فان أنا لم أحمل عظيما ولم أقد * لهاما ولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجاني وأمنع حوزه * غداة أنادى للفخار وأنتمي

وله في صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه

فان كان أودى خدننا ونديمنا * أبو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن أنثى لا محالة ميت * وفي كل حي للمنون نصيب
ولو رد حزن أو بكاء لهالك * بكيناه ما هبت صبا وجنوب

ولما توفي أرسل الخليفة الى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف

على عجل وقد جعل على مقدارها تجره الجارات فصير بذلك أجمع الى دار المقصد ثم رد هذا التمثال الى مجلس الشرطة في الجانب الشرقي فنصب للناس ثلاثة أيام ثم رد الى دار المقصد وذلك يوم الخميس لاربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة فسمت العامة هذا التمثال شغلا لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر اليه مدة هذه الايام وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلي بلاد بسط ومصر وبلاد الدوار وهي ثغور في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مما يليها من الاكابر والامم المختلفة حضر وبدو في المضر بلاد كابل و بلاد ملتان وهي بلاد متصلة ببلاد زابلستان والرخج وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الامم الماضية والملوك الغابرة أن زابلستان تعرف ببلاد فيروز بن كبك ملك زابلستان (وقد كان) عيسى ابن علي بن ماهان دخل في طلب الخوارج في أيام الرشيد الى السند وجبالها والقندهار والرخج وزابلستان يقتل ويفتح فتوحا لم يتقدم مثلها في تلك الديار (ففي ذلك يقول) الاعمى الشاعر المعروف بابن القداف القمي

كاد عيسى يكون ذا القرنين * بلغ المغربين والمشرقين لم يدع كابلا ولا زابلستا * نفسا حولها الى الرخجين وقد قدمنا فيما

سنة سبع عشرة وأربعمائة وهو الامام المشهور في الفقه والاصولين وغيرهما من العلوم وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وغيره وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد أبو علي المتكلم كان أحد رؤساء المعتزلة وأئمتهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج منه من عامة بغداد وأخذ الكلام عن أبي الحسين البصري وعبد الجبار الهمذاني القاضي ومن جملة تلاميذه ابن برهان وهو أكبر منه وفي هذه السنة توفي القاضي أبو الحسن هبة الله بن محمد ابن السيبي قاضي الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان يذاكر الامام المقتدي بأمر الله وولي ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدي قاضي القضاة ابن الدامغاني وفيها في جمادي الاولى توفي أبو العز بن صدقة وزير شرف الدولة ببغداد وكان قد قبض عليه شرف الدولة وسجنه بالرحبة فهرب منها الى بغداد فمات بعد وصوله الى مأمنه باربعة أشهر وكان كريما متواضعا لم تغيره الولاية عن اخوانه وفيها في رجب توفي قاضي القضاة أبو عبد الله بن الدامغاني ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة وأربعمائة وكان قد صحب القاضي أبا العلاء بن صاعد وحضر ببغداد مجالس أبي الحسين القدوري وولي قضاء القضاة بعده القاضي أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامي وهو من أكبر أصحاب القاضي أبي الطيب الطبري وفيها توفي عبد الرحمن بن مأمون بن علي أبو سعد المتولي مدرس النظامية وهو من أصحاب القاضي حسين المروزي وتمم كتاب الابانة

﴿ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل سليمان بن قتلمش﴾

لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه أرسل الى ابن الحتيتي العباسي مقدم أهل حلب يطلب منه تسليمها اليه فانفذ اليه واستمهله الى ان يكاتب السلطان ملكشاه وأرسل ابن الحتيتي الى تتش صاحب دمشق يعده ان يسلم اليه حلب فسار تتش طالبا لحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجدا فوصل الى تتش وقت السحر على غير تعبية فلم يعلم به حتى قرب منه فعبى أصحابه وكان الامير أرتق بن أكسب مع تتش وكان منصورا لم يشهد حربا الا وكان الظفر له وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد واطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف ان ينهي ابن جهير ذلك الى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فاقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فابلى فيها بلاء حسنا وحرض العرب على القتال فانهزم أصحاب سليمان وثبت هو في القلب فلما رأى انهزام عساكره أخرج سكينا معه فقتل نفسه وقيل بل قتل في المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش في السنة الماضية في صفر قد أنفذ جثة شرف الدولة الى حلب على بغل ملفوفة في ازار وطلب من أهلها ان يسلموها اليه وفي هذه السنة في صفر أرسل تتش جثة سليمان في ازار ليسلموها اليه فاجابه ابن الحتيتي انه يكاتب السلطان ومهما أمره فعل فحصر تتش البلد وأقام عليه وضيق على أهله وكان ابن الحتيتي قد سلم كل برج من ابراجها الى رجل من أعيان البلد ليحفظه وسلم برجا فيها الى انسان يعرف بابن الرعوي ثم ان ابن الحتيتي أوحشه بكلام أغلظ له فيه وكان هذا الرجل شديد القوة ورأى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك الى ان أرسل الى تتش يستدعيه وواعده ليلة يرفع الرجال الى السور في الحبال فأتى تتش للميعاد الذي ذكره فاصعد الرجال في الحبال والسلاليم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتي بالامير ارتق فشفع فيه واما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن

ثم العبد له أواب وقال جل ذكره ٥ همار مشاء بنميم الآية فان لم يكن البذاء بمنزلة المقرب المدع البني والذمي فلا طير في ذلك قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم أك صادقا ولم أشتم النكس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

قال من اين أنت قال من البصرة قال ما تقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم وكان وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان واقفا على رأسه قال ما تقول في عبيد الله بن يحيى بن خاقان قال نعم العبد منقسم بين طاعة الله تعالى وخدمتك ودخل ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد فقال له ما تقول في ميمون قال يد تسرق واست تضرط وهو بمنزلة يهودي قد سرق نصف خزينة له اقدام ومعه احجام احسانه تكليف واساءته طبيعة فأضحك ذلك منه ووصله وصرفه (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو ابن الليث الصفار مائة دابة من مهاري خراسان وحمارات كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم وكان معها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان من فضة مرصعان بالجوهر الاحمر والابيض وبين يدي هذا المثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها الحلي والجوهر وكان هذا التمثال

بدران

بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فاقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوما فاتاه الخبر بوصول مقدمة اخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها

(ذكر ملك السلطان حلب وغيرها)

كان ابن الحتيتي قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم اليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار اليه من اصبهان في جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الامير برسق وبوزان وغيرهما من الامراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها في رجب وسار منها فلما وصل الى حران سلمها اليه ابن الشاطر فاقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة وسار الى الرها وهي بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار الى قلعة جعبر فحصرها يوما وليلة وملكها وقتل من بها من بني قشير وأخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى وولدين له وكانت الاذية بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجؤن الى ها عبر الفرات الى مدينة حلب فملك في طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الامير أرتق فاشار بكبس عسكر السلطان وقال انهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه أخي الذي أنا مستظل بظله فانه يعود بالوهن على أولا وسار الى دمشق ولما وصل السلطان الى حلب تسلم المدينة وسلم اليه سالم بن مالك القلعة على ان يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولا فامر السلطان ان يرمى اليه رشقا واحدا بالسهام فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها وسلم السلطان اليه قلعة جعبر فبقيت بيده وبيد أولاده الى ان أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأرسل اليه الامير نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر فدخل في طاعته وسلم اليه لاذقية وكفرطاب وفامية فاجابه الى المسالمة وترك قصده وأقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلمها الى قسيم الدولة اقسنقر فعمرها وأحسن السيرة فيها واما ابن الحتيتي فانه كان واثقا باحسان السلطان ونظام الملك اليه فانه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد طلب أهله ان يعفيهم من ابن الحتيتي فاجابهم الى ذلك واستصحبه معه وأرسله الى ديار بكر فافتقر وتوفي بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية قتله الفرنج لما ملكوها

(ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة)

في هذه السنة في ربيع الاول توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ على علي بن برهان فبرع به كانه في الذي استفاده منه وله شعر حسن فمنه

فان أنا لم أحمل عظيما ولم أقد * لهاما ولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجاني وأمنع حوزه * غداة أنادي للفخار وأنتمي

وله في صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه

فان كان أودى خدننا ونديمنا * أبو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن انثى لا محالة ميت * وفي كل حي للمنون نصيب
ولو رد حزن أو بكاء لهالك * بكيناه ما هبت صبا وجنوب

ولما توفي أرسل الخليفة الى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف

على فيل وقد حمل على مقدارها نحو ه الجارات فصير بذلك أجمع الى دار المشيد ثم رد هذا التمثال الى مجلس الشرطة في الجانب الشرقي ونصب للناس ثلاثة أيام ثم رد الى دار المقتصد وذلك يوم الخميس لاربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة فسمت العامة هذا التمثال شغلا لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر اليه عدة هذه الايام وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلي بلاد بسط ومعبر وبلاد الداور وهي ثغور في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مما يليها من الاكابر والامم المختلفة حضر وبدو فمن الحضر بلاد كابل وبلاد ماحان وهي بلاد متصلة ببلاد زابلستان والرخج وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الامم الماضية والملوك الغابرة أن زابلستان تعرف ببلاد فيروز بن كبك ملك زابلستان (وقد كان) عيسى ابن علي بن ماهان دخل في طلب الخوارج في أيام الرشيد الى السند وجبالها والقندهار والرخج وزابلستان يقتل ويفتح فتوحا لم يتقدم مثلها في تلك الديار (ففي ذلك يقول) الاعمى الشاعر المعروف بابن القداقي القمي

كاد عيسى يكون ذا القرنين * بلغ المغربين والمشرقين لم يدع كابلا ولا زابلستا * ن فما حولها الى الرخجين وقد قدمنا فيما

سنة سبع عشرة وأربعمائة وهو الامام المشهور في الفقه والاصولين وغيرهما من العلوم وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وغيره وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد أبو علي المتكلم كان أحد رؤساء المعتزلة وأئمتهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج منه من عامة بغداد وأخذ الكلام عن أبي الحسين البصري وعبد الجبار الهمذاني القاضي ومن جملة تلاميذه ابن برهان وهو أكبر منه وفي هذه السنة توفي القاضي أبو الحسن هبة الله بن محمد ابن السبتي قاضي الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان يذاكر الامام المقتدي بامر الله وولي ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدي قاضي القضاة ابن الدامغاني وفيها في جمادى الاولى توفي أبو العز بن صدقة وزير شرف الدولة ببغداد وكان قد قبض عليه شرف الدولة وحبسه بالرحبة فهرب منها الى بغداد فمات بعد وصوله الى مأمنه باربعة أشهر وكان كريما متواضعا لم تغيره الولاية عن اخوانه وفيها في رجب توفي قاضي القضاة أبو عبد الله بن الدامغاني ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة وأربعمائة وكان قد صحب القاضي أبا العلاء بن صاعد وحضر ببغداد مجالس أبي الحسين القدوري وولي قضاء القضاة بعده القاضي أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامي وهو من أكبر أصحاب القاضي أبي الطيب الطبري وفيها توفي عبد الرحمن بن مأمون بن علي أبو سعد المتولي مدرس النظامية وهو من أصحاب القاضي حسين المروزي وتمم كتاب الابانة

﴿ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل سليمان بن قتلمش﴾

لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه أرسل الى ابن الحتيتي العباسي مقدم أهل حلب يطلب منه تسليمها اليه فانفذ اليه واستمهله الى ان يكاتب السلطان ملكشاه وأرسل ابن الحتيتي الى تتش صاحب دمشق يعده ان يسلم اليه حلب فسار تتش طالبا لحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجدا فوصل الى تتش وقت السحر على غير تعبية فلم يعلم به حتى قرب منه فعبى أصحابه وكان الامير أرتق بن أكسب مع تتش وكان منصورا لم يشهد حربا الا وكان الظفر له وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد واطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف ان ينهي ابن جهير ذلك الى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فاقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فابلى فيها بلاء حسنا وحرض العرب على القتال فانهزم أصحاب سليمان وثبت هو في القلب فلما رأى انهزام عساكره أخرج سكينا معه فقتل نفسه وقيل بل قتل في المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش في السنة الماضية في صفر قد أنفذ جثة شرف الدولة الى حلب على بغل ملفوفة في ازار وطلب من أهلها ان يسلموها اليه وفي هذه السنة في صفر أرسل تتش جثة سليمان في ازار ليسلموها اليه فاجابه ابن الحتيتي انه يكاتب السلطان ومهما أمره فعل فحصر تتش البلد وأقام عليه وضيق على أهله وكان ابن الحتيتي قد سلم كل برج من ابراجها الى رجل من أعيان البلد ليحفظه وسلم برجا فيها الى انسان يعرف بابن الرعوي ثم ان ابن الحتيتي أوحشه بكلام أغلظ له فيه وكان هذا الرجل شديد القوة ورأى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك الى ان أرسل الى تتش يستدعيه وواعده ليلة يرفع الرجال الى السور في الحبال فأتى تتش للميعاد الذي ذكره فاصعد الرجال في الحبال والسلالم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتي بالامير ارتق فشفع فيه واما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن

ثم العبد أواب وقال جل ذكره هماز مشاء بنميم الآية فان لم يكن الذا بمنزلة العقرب يلدغ النبي والذمي فلا ضير في ذلك قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم ألف صادقا
ولم أشتم النكس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه
وشق لي الله المسامع والفما

قال من أين أنت قال من البصرة قال ما تقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم وكان وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان واقفا على رأسه قال ما تقول في عبيد الله بن يحيى بن خاقان قال نعم العبد منقسم بين طاعة الله تعالى وخدمتك ودخل ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد فقال له ما تقول في ميمون قال يد تسرق واست تضرط وهو بمنزلة يهودي قد سرق نصف جزيته له اقدام ومعه احجام احسانه تكليف واساءته طبيعة فأضحك ذلك منه ووصله وصرفه (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو ابن الليث الصفار مائة دابة من مهاري خراسان وحمارات كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم وكان معها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان من فضة مرصعان بالجوهر الاحمر والابيض وبين يدي هذا المثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها الحلي والجوهر وكان هذا التمثال

ألفا فتيقنوا الغلب وأرسل الاذفونش الى المعتمد في ميقات القتال وقصده المكر فقال غدا الجمعة وبعده الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا وركب ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون فاشرفوا على الهزيمة وكان المعتمد قد أرسل الى أمير المسلمين يعلمه بمجيء الفرنج للحرب فقال احملوني الى خيام الفرنج فساروا اليها فبيناهم في القتال وصل أمير المسلمين الى خيام الفرنج فنهبها وقتل من فيها فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا وأخذهم السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم واقيهم أمير المسلمين من بين يديهم ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم أحد ونجا الاذفونش في نفر يسير وجعل المسلمون من رؤس القتلى كوما كثيرا فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها وكانت الوقعة يوم الجمعة في العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واصاب المعتمد جراحات في وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته ولم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع أمير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعبر الى سبتة وسار الى مراكش فاقام بها الى العام المقبل وعاد الى الاندلس وحضر معه المعتمد بن عباد في عسكره وعبد الله بن بلكين الصنهاجي صاحب غرناطة في عسكره وساروا حتى نزلوا على ليط وهو حصن منيع بيد الفرنج فحصروه حصرا شديدا فلم يقدروا على فتحه فرحلوا عنه بعد مدة ولم يخرج اليهم أحد من الفرنج لما أصابهم في العام الماضي فعاد ابن عباد الى اشبيلية وعاد أمير المسلمين على غرناطة وهي طريقه ومعه عبد الله بن بلكين فغدر به أمير المسلمين وأخذ غرناطة منه وأخرجه منها فرأى في قصوره من الاموال والذخائر مالم يحوه ملك قبله بالاندلس ومن جملة ما وجده سبحة فيها أربعمائة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار ومن الجواهر ماله قيمة جليلة الى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها وأخذ معه عبد الله واخاه تميما ابني بلكين الى مراكش فكانت غرناطة أول ما ملكه من بلاد الاندلس وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة الى الاندلس وعود من عاد منهم الى المعز بافريقية وكان آخر من بقي منهم بالاندلس هذا عبد الله وأخذت مدينته ورحل الى العدوة ولما رجع أمير المسلمين الى مراكش اطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدي وقال له علماء الاندلس انه ليست طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد فارسل الى الخليفة المقتدي بأمر الله ببغداد فاتاه الخلع والاعلام والتقليد ولقب بامير المسلمين وناصر الدين

❁(ذكر دخول السلطان الى بغداد)❁

في هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد في ذي الحجة بعد ان فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة وهي أول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة ومن الغد أرسل نظام الملك الى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال ابن زكرويه الواسطي يمدح نظام الملك بقصيدة منها

زرت المشاهد زورة مشهودة * ارضت مضاجع من بها مدفون
فكانك الغيث استهل بتربها * وكأنما ابك روضة ومعين

لعامر ودثر الظاهر واختلفت العوا وخسفت الجوزاء والتحت علينا المصائب واعتورتنا المحن وقام كل رجل منا في طلبه واصطلت الضبائع واستحقت الضلاع فانظر الينا بعين الامام تستقم لك الايام وتنقاد لك الانام والافصح البصريون لا تدفع عن فضيلة ولا تنافس عن جليلة وسجع في كلامه وأغرق في خطابه فقال له الوزير أحسبك مؤدبا أيها الشيخ فقال له أيها الوزير المؤدبون أجلسوك هذا المجلس قال له الوزير كم في خمس من الابل قال له أبو خليفة للخبير سألت في خمس من الابل شاة وفي العشر شاتان ثم مضى في وصف فرائض الابل واصنافها يجب فيها ذاكر اللتنازع في موضعه منها ثم شرع في البقر والغنم بلسان فصيح وخطاب حسن في ايجاز من خطاب وبيان من الوصف فبعث المعتضد وقد أعجبه ما سمع وأكثر لذلك من الضحك بخادم الى الوزير فقال له اكتب لهم بما يريدون وأجبهم الى ما سألوه ولا تصرفهم الاشاكرين فهذا شيطان تقذف به البصرة ومثله فليقذف على الملوك (وكان) أبو خليفة لا يتكلف الاعراب بل قد صار له كالطبع لدوام استعماله اياه من عنفوان حداثته وكان ذا محل من الاسناد (وله أخبار) ونوادر حسان قد دونت (منها) أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان معمروفا من عمله وأبو خليفة

الدولة الى السلطان ملكشاه فخلع عليه وولاه ما كان لابيه وأكثر الشعراء مراثي نظام الدولة

﴿ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج﴾

قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة وما فعله المعتمد بن عباد برسول الاذفونش ملك الفرنج وعود المعتمد الى اشبيلية فلما عاد اليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى القاضي عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد ان كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله قال نخاف اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركون الفرنج ويبدؤن بكم والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا قالوا له فكاتب أمير المسلمين وارغب اليه ليعبر الينا ويرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت رسولي اليه في ذلك فامتنع وانما أراد ان يبرئ نفسه من تهمة فألح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فابلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان أمير المسلمين بمدينة سبتة ففي الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش في طلب من بقي من عساكره فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين كتابا كتبه له بعض أدباء المسلمين يغلظ له القول ويصف ما عنده من القوة والعدد والعدد وبالغ الكاتب في الكتاب فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة ان يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب فاجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل أحضر كتاب الاذفونش واكتب في ظهره الذي يكون ستراه فلما عاد الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا فرأى في منامه كأنه راكب فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها فاحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة وقوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ويقتضي هلاك هذا الجيش الذي تجمعه فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فاعجبته فأحضر ذلك المعبر وقال له بهذا الجيش ألقى اله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث وفيه واعجاب المرء بنفسه وسار أمير المسلمين والمعتمد بن عباد حتى أتوا أرضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس وأتى الاذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل لامير المسلمين ان ابن عباد غير ناصح ولا يبذل نفسه دونك فارسل اليه أمير المسلمين يأمره ان يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه في لحف جبل والمعتمد في سفح جبل يتراءون وينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذي يراه وكان الفرنج في خمسين

ذوي العناية والتنقير ومن أكثر في الارض المسير احصن منها ولا أمنع ولا أعلى في الجو ولا أكثر عجائب منها وذكرنا عجائب تلك الديار الى بلاد الطبسين وبلاد خراسان واضافها سجستان وعجائب المشرقين والمغربين من عامر وغامر وما في العامر من الامم المختلفة الخلق والخلق (وقد كان) أهل البصرة وردوا على المعتضد في مراكب بحرية بيض مشحمة بالشحم والنورة على ما في بحرهم ووفد فيها خلق من خطبائهم ومتكلميهم وأهل الرياسة والشرف والعلم منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي وكان مولى آل جمح من قريش وكان ولي القضاء بعد ذلك يشكون الى المعتضد ما نزل بهم من محن الزمان وجدب لحقهم وجور من العمال اعتورهم وألحوا بالصياح والضجيج في مراكبهم في دجلة فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب وأمر الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث يسمع المعتضد خطابهم فيقضون لهم عما يشكونه من حكم الدواوين ثم أذن للبصريين فدخلوا وأبو خليفة في أولهم عليهم الطيالسة الزرق والاقناع

على رؤسهم ذوو عوارض جميلة وهيئة حسنة فاستحسن المعتضد ما رأى منهم وكان المبتدئ منهم بالنطق أبو خليفة فقال عمي آلفا

لحاشى النحوى المقرى وفى ربيع الآخر توفى شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفى النيسابورى وهو الذى تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبنى وقوفه وهو رباط شيخ الشيوخ الآن وبنى وقوف المدرسة النظامية وكان عالى الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ اليه وجدد تربة معروف الكرخى بعد ان احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال نحمد الله الذى أخرج رأس أبى سعد من مرقعة ولو أخرجه من قباء لهلكنا وفيها توفى أبو على محمد بن أحمد الشيرى البصرى وكان خيرا حافظا للقرآن ذا مال كثير وهو آخر من روى سنن أبى داود السجستانى عن أبى عمر الهاشمى وفيها توفى الشريف أبو نصر الزينبى العباسى نقيب الهاشميين وهو محدث مشهور عالى الاسناد

﴿ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة﴾

فى المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه الى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى وكان أكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكى واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين يدى البغال ثلاث وثلاثون فرسا من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر أهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيدا ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق فى الحريم دكان الا وقد اشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن فى نقل الوديعة الى داره فاجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فن دونه من أعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتجملها وبين أيديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شئ وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله حكى ان فيه أربعين ألف منا من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر وأرسل الخلع الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ولد للسلطان ابن من تركان خاتون وسماه محمودا وهو الذى خطب له بالمملكة بعد وفيها سلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة الى مملوكه اقسنقر فوليها وأظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج دادة السلطان ملكشاه وهى التى تحضنه وتربيه وماتت بحلب سنة أربع وثمانين وفيها استبق ساعيان أحدهما للسلطان فضلى والآخر للامير قماج مرعوشى فسبق ساعى السلطان وقد تقدم ذكر الفضلى والمرعوشى أيام معز الدولة بن بويه وفيها جعل السلطان ولى عهده ولده أبا شجاع أحمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين وأرسل

وخلعة مجلان فى وقياواقى قياين وكان بالقرب منهم جماعة من الاكراد فلما عرفوا ذلك استعظموه وقالوا انا زنادقة أنتم تفسرون القرآن بحرف الدجاج وعدوا عليهم فصفعوهم فما تخلص أبو خليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم الا بعد كد طويل (وقد أتينا) على نوادر أبى خليفة وأخباره ومخاطبته لمعاتبه حين ألقته وما تكلم به حين دخول اللص الى داره وغير ذلك فى كتابنا الاوسط (وكانت) وفاة أبى خليفة بالبصرة فى سنة خمس وثلثمائة (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين فى ربيع الاول نزل المعتضد على آمد وذلك بعد وفاة أحمد ابن عيسى ابن الشيخ عبد الرزاق وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق فبث جيوشه حولها وحاصرها فحدث علقمة بن عبد الرزاق قال حدثنا واصلة بن عيسى ابن عبد الملك عن شعلة بن شهاب اليشكرى قال وجه بى المعتضد الى محمد بن أحمد ابن عيسى ابن الشيخ لآخذ الحجة عليه فلما سرت اليه واتصل الخبر بأم الشريف أرسلت الى فقالت يا شهاب كيف خلفت أمير المؤمنين قال فقلت خلفته والله ملكا جزلا وحكما عدلا آمرا بالمعروف فعالا للخير متعززا على أهل الباطل متذللا للحق لا تأخذه فى الله لومة لائم قال فقالت لى هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه وكيف

فارت قد احلت بالثواب واعجبت * والك الاله على العجاج ضمين

وهى مشهورة وطلب نظام الملك الى دار الخلافة ليلا فمضى فى الزبزب وعاد من ليلته ومضى السلطان ونظام الملك الى الصيد فى البرية فزار المشهدين مشهد أمير المؤمنين على ومشهد الحسين عليه السلام ودخل السلطان البرفاصطاد شيأ كثيرا من الغزلان وغيرها وأمر ببناء منارة القرون بالسبيعي وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم أميرا أميرا الى الخليفة وكلما قدم أميرا يقول هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا الى ان أتى على آخر الامراء وفوض الخليفة الى السلطان أمر البلاد والعباد وأمره بالعدل فيهم وطلب السلطان ان يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسأل ان يقبل خاتمه فاعطاه اياه فقبله ووضعه على عينه وأمره الخليفة بالعود فعاد وخلع الخليفة أيضا على نظام الملك ودخل نظام الملك الى المدرسة النظامية وجلس فى خزانة الكتب وطالع فيها كتبا وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث وأملى جزأ آخر وأقام السلطان ببغداد الى صفر سنة ثمانين وسار منها الى اصبهان

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة فى المحرم جرى بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضى أبو الحسن ابن القاضى أبى الحسين بن الغريق الهاشمى الخطيب أصابه سهم فمات منه ولما قتل تولى ابنه الشريف أبو تمام ما كان اليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستانى ببغداد فسار بخيله ورجله الى القنطرة العتيقة وأعان أهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية فى شوّال منها فاعان الحجاج على أهل الكرخ فانهزموا وبلغ الناس الى درب اللؤلؤ وكاد أهل الكرخ يهلكون فخرج أبو الحسن بن رغوث العلوى الى مقدم الاحداث من السنة فسأله العفو فعاد عنهم ورد الناس وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء المطر يومين ببغداد وفيها فى ربيع الاوّل أرسل العميد كمال الملك الى الانبار فتسلمها من بنى عقيل وخرجت من أيديهم وفيها فى ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر واذن فيها وفيها فى جمادى الاولى ورد الشريف أبو القاسم على بن أبى يعلى الحسنى الدبوسى الى بغداد فى تجمل عظيم لم ير مثله لفقيه ورتب مدرسا بالنظامية بعد أبى سعد المتولى وفيها أمر السلطان ان يزاد فى اقطاع وكلاء الخليفة نهر بزرى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها اقطع السلطان ملكشاه محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة واعمالها وحران وسروج والرقة والخابور وزوّجه باخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ماعدا حران فان محمد بن الشاطر امتنع من تسليمها فلما وصل السلطان الى الشام نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان الى محمد وفيها وقع ببغداد صاعقتان فكسرت احداهما السطوانتين واحرقت قطنا فى صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم الى الصحراء فلما سكنت عادوا وفيها عزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر وسلمها السلطان الى العميد أبى على البلخى وجعله عاملا عليها وفيها اسقط اسم الخليفة المصرى من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدى بامر الله وفيها اسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق وفيها حصر تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينتى قابس وسفاقس فى وقت واحد وفرق عليهما العساكر وفيها فى ربيع الاوّل توفى أبو الحسن بن فضال

مصر وفاءن قضائه فبعث العامل الى أبى حليفة ان مرمان النحوى صاحب ابى العباس المبرد قد زارنى فى هذا اليوم الى بعض الانهار والبساتين فأتوه متنكرين مع من حضرنا من أصحابنا وسألوه الحضور معهم فجلسوا فى سمارية متفكهين قد غيروا ظواهرهم حتى أتوا نهرا من أنهار البصرة وقدم اليهم ما جاؤا معهم من الطعام وكان أيام البوادى وهى الايام التى يجنى فيها التمر والرطب فيكبسونه فى القواصر تمرا وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يعمل فى التمر من الاكرة وهم الزراع وغيرهم فلما أكلوا قال بعضهم لابى خليفة غير ممكن له خوفا أن يعرفه من حضر ممن ذكرنا من الاكرة والعمال فى النخل أخبرنى أطال الله بقاءك عن قول الله عز وجل قوا أنفسكم وأهليكم نارا هذه الواو ما موقعها من الاعراب قال أبو خليفة موقعها رفع وقوله قوا هو أمر للجماعة من الرجال قال له كيف تقول للواحد من الرجال وللاثنين قال يقال للواحد من الرجال ق وللاثنين قيا وللجماعة قوا قال كيف تقول للواحدة من النساء وللاثنتين منهن وللجماعة منهن قال أبو خليفة يقال للواحدة قى وللاثنتين قيا وللجماعة قين قال فاسألك أن تجيل بالعجلة كيف يقال للواحد من الرجال والاثنين والجماعة والواحدة من النساء والاثنتين منهن والجماعة منهن قال المحاشى

فأخرجوا عن آخرهم في ساعة واحدة على أقبح صورة وقت العشاء الآخرة

(ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها)

في هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من افريقية وهي بقرب المهدية وسبب ذلك ان الامير تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم في البحر فخربها وشتت أهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على انشاء الشواني لغزو المهدية ودخل معهم البيسانيون والجنويون وهما من الفرنج فاقاموا يعمرون الاسطول أربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة في أربعمائة قطعة فكتب أهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة فاراد تميم ان يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الاسطول الذي له ليمنعهم من النزول فنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر فجاءت الروم وارسوا وطلعوا الى البر ونهبوا وخربوا وأحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ما حووه من السبي وكان تميم يبذل المال الكثير في الغرض الحقير فكيف في الغرض الكبير حكي عنه انه بذل للعرب لما استولوا على حصن له يسمى قناطة ليس بالعظيم اثني عشر ألف دينار حتى هدمه فقيل له هذا سرف في المال فقال هو شرف في الحال

(ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور)

في هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولي بعده ابنه المنصور فاقتفى آثار أبيه في الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلهم بالتعزية بابيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشين وتميم بن المعز وغيرهما

(ذكر وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود)

في هذه السنة توفي الملك المؤيد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا كريما مجاهدا وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل الينا وكان عاقلا ذا رأى متين فمن آرائه ان السلطان ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي جمع عساكره وسار يريد غزنة ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتابا الى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ويعتذر لهم عما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ووعدهم الاحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب أن يتعرض لملكشاه في الصيد ففعل ذلك فأخذ وأحضر عند السلطان فسأله عن حاله فانكره فأمر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تحيل من امرائه وعاد ولم يقل لاحد من امرائه في هذا الامر شيأ خوفا ان يستوحشوا منه وكان يكتب بخطه كل سنة مصحفا ويبعثه مع الصدقات الى مكة وكان يقول لو كنت موضع أبي مسعود بعد وفاة جدي محمود لما انفصمت عرى مملكتنا ولكني الآن عاجز عن أن أسترد ما أخذوه واستولى عليه ملوك قد اتسعت ممالكهم وعظمت عساكرهم ولما توفي ملك بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدين وكان قد زوجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك في هذا الاملاك والزفاف مائة ألف دينار

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزير الخليفة واستناب ابنه ربيب الدولة أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجاج من الخفارة وفيها

الدول ولا يعقوها من يسأس الملك ارجع الى صاحبك فرجعت الى أمير المؤمنين وأخبرته الخبر من صعه وصدقه فقال ويحك ثبت أم الشريف قال فاطمه بنته فلما عرض عليه أعجبه شعرها وعلوها ثم قال والله اني لارجو أن أشفعها في كثير من القوم فلما كان في فتح آمد ما كان ونزل محمد بن أحمد على الامان لما عظم القتال وجهه الى أمير المؤمنين فقال يا شملة بن شهاب هل عندكم علم من أم الشريف قال قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال امض مع هذا الخادم فانك تجدها في جملة نسائها قال فمضيت فلما بصرت بي أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول

ريب الزمان وصرفه
وعتوه كشف القناعا
وأذل بعد العز منا
الصعب والبطل الشجاعا
ولقد نعمت فما أطعـ
ـت وكم حرصت بان أطاعا
فأبى بنا المقدور الا
أن نقسم أو نباعا
ياليت شعري هل نرى
يوما لفرقتنا اجتماعا

قال ثم بكت وضربت بيدها على الاخرى ثم قالت لي يا شهاب كأني والله كنت أرى ما أرى فانا لله وانا اليه راجعون قال فقلت لها ان أمير المؤمنين قد وجهني اليك وما ذاك الا لحسن رأي منه فيك قالت فهل لك أن توصل اليه كتابي هذا بما فيه قلت نعم فكتبت اليه بهذه الابيات

قل للخليفة والامام المرتضى * رأس الخلائق من قريش الابطح

الى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد بذلك فخطب له في شعبان ونثر الذهب على الخطباء وفيها في شعبان انحدر سعد الدولة كوهرائين الى واسط لمحاربة مهذب الدولة ابن ابى الخير صاحب البطائح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن وفيها في ذى القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرا وكناه أبا الفضل وزين البلد لاجل ذلك وفيها استولى العميد كمال الملك أبو الفتح الدهستانى عميد العراق على مدينة هيت أخذها صلحا ومضى اليها وعاد عنها في ذى القعدة وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرها من المحال فقتل فيها كثير من الناس وفيها كسفت الشمس كسوفا كليا وفيها توفى الامير أبو منصور رقتلغ أمير الحاج وحج أميرا اثنتى عشرة سنة وكانت له في العرب عدة وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم ألف رجل وولى امارة الحاج نجم الدولة خمارتكين وفيها في جمادى الاولى توفى اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساوى سمع الحديث الكثير من أبى سعيد الصيرفى وغيره وروى عنه الناس وكان ثقة وطاهر بن الحسين أبو الوفا البندنيجى الهمذانى كان شاعرا أديبا وكان يمدح لا لعرض الدنيا ومدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما تزيد على أربعين بيتا احداهما ليس فيها نقطة والاخرى بجميع حروفها منقوطة وفيها توفيت فاطمة بنت على المؤدب المعروفة ببنت الاقرع الكاتبة كانت من أحسن الناس خطا على طريقة ابن البواب وسمعت الحديث وأسمعته وفيها في ذى القعدة توفى غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابى صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان له معروف وصدقة

﴿ثم دخلت سنة احدى وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الفتنة ببغداد﴾

في هذه السنة في صفر شرع أهل باب البصرة في بناء القنطرة الجديدة ونقلوا الآجر في اطباق الذهب والفضة وبين أيديهم الدبادب واجتمع اليهم أهل المحال وكثر عندهم أهل باب الازج في خلق لا يحصى واتفق ان كوهرائين سار في سميرية وأصحابه يسيرون على شاطئ دجلة بسيره فوقف أهل باب الازج على امرأة كانت تسقى الناس من مزملة لها على دجلة فحملوا عليها على عادة لهم وجعلوا يكسرون الجرار ويقولون الماء للسبيل فلما رأت سعد الدولة كوهرائين استغاثت به فامر بابعادهم عنها فضربهم الاتراك بالمقارع فسل العامة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو أخص أصحابه فسقط عن الفرس فحمل كوهرائين الحنق على أن خرج من السميرية اليهم راجلا فحمل أحدهم عليه فطعنه باسفل رمحه فألقاه في الماء والطين فحمل أصحابه على العامة فقاتلوهم وحرصوا على الظفر بالذى طعنه فلم يصلوا اليه وأخذ ثمانية نفر فقتل أحدهم وقطع اعصاب ثلاثة نفر وأرسل قباءه الى الديوان وفيه أثر الطعنة والطين يستنفر على اهل باب الازج ثم ان أهل الكرخ عقدوا لانفسهم طاقا آخر على باب طاق الحرانى وفعلوا كفعل أهل باب البصرة

﴿ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر أمر الخليفة باخراج الاتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخليفة وسبب ذلك أن تركيا منهم اشترى من طواف فاكهة فتماكس فشتم الطواف التركى فاخذ التركى صنجة من الميزان وضرب بها رأس الطواف فشجه فاجتمعت العامة وكاد يكون بينهم وبين الاتراك شر واستغاثوا وشنعوا فامر الخليفة باخراج الاتراك

لا يكون ذلك كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده وخليفته المؤتمن على عباده أعز به دينه وأحيا به سنته وثبت به

ثم بعثته ثم قالت لى وكيف رأيت صاحبنا تعنى ابن أخيها محمد بن أحمد قال فقلت رأيت غلاما حدثا معجبا قد استحوذ عليه السفهاء فاستبد بآرائهم وأنصت لاقوالهم فهم يزخرفون له الكلام ويوردونه الندم فقالت لى فهل لك أن ترجع اليه بكتاب فاعلنا أن نحل ما عقده السفهاء قال قلت أجل فكتبت اليه كتابا لطيفا حسنا أجزلت فيه الموعظة وأخلصت فيه النصيحة وكتبت في آخره هذه الابيات

اقبل نصيحة أم قلبها وجع
عليك خوفا واشفاقا وقل سددا
واستعمل الفكر في قولى فانك ان
فكرت ألفيت في قولى لك الرشدا
ولا تثق برجال في قلوبهم
ضغائن تبعث الشنآن والحسدا
مثل النعاج خمول في بيوتهم
حتى اذا امنوا ألفيتهم أسدا
وداو ذلك والادواء ممكنة
واذ طبيبك قد ألقى اليك يدا
واعط الخليفة ما يرضيه منك ولا
تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا
واردد أبا شكر ردا يكون له
ردا من السوء لا تشمت به أحدا

قال فأخذت الكتاب وسرت به الى محمد بن أحمد فلما نظر فيه رمى به الى ثم قال يا أبا شكر ما آراء النساء تساس فاخرجوا

الطاقات فدقدموها الى أهل البلد بعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالاقامات وفرق أحمد خان صاحب سمرقند ابراج السور على الامراء ومن يثق اليه من أهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيار الى رجل علوى كان مختصا به فنصح فى القتال فاتفق ان ولدا لهذا العلوى أخذ أسيرا ببخارا فهدد الاب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الامر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثلم بالمنجنيقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان الى السور هرب أحمد خان واختفى فى بيوت بعض العامة فغمز عليه وأخذ وحمل الى السلطان وفى رقبته حبل فاكرمه السلطان وأطلقه وأرسله الى أصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الامير العميد أبا طاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا الى كاشغر فبلغ الى يوز كند وهو بلد يجرى على بابه نهر وأرسل منها رسلا الى ملك كاشغر يأمره باقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وعظمه وتابع الانعام عليه وأعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان فلما أبعد عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع العميد أبى طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى الى خوارزم

﴿ ذكر عصيان سمرقند ﴾

كان مقدم العسكر المعروف بالجكلية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر ومملكته تعرف بآب بناشى وبيده قلعتها واستحضره فحضر عنده بسمرقند واتفقا ثم ان يعقوب علم ان أمره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان أساء اليهم حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم وأخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الاخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد الى سمرقند

﴿ ذكر فتح سمرقند الفتح الثانى ﴾

لما اتصلت الاخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجكلية عاد الى سمرقند فلما وصل الى بخارا هرب يعقوب المستولى على سمرقند ومضى الى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره الى السلطان مستأمنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان الى سمرقند ملكها ورتب بها الامير ابر وسار فى أثر يعقوب حتى نزل بيوز كند وأرسل العساكر الى سائر الاكناف فى طلبه وأرسل السلطان الى ملك كاشغر وهو أخو يعقوب ليجد فى أمره ويرسله اليه فاتفق ان عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه الى ان هرب على فرسه ودخل الى أخيه بكاشغر مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فارسل الى ملك كاشغر يتوعده ان لم يرسله اليه ان يقصد بلاده ويصيرها والعدو فخاف ان يمنع السلطان وأنف ان يسلم أخاه بعد ان استجار به وان كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة فى الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار فاداه اجتهاده الى ان قبض على أخيه يعقوب وأظهر انه كان فى طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من أصحابه وكلهم يعقوب وأرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وأمر ولده انه اذا وصل الى قلعة بقرب السلطان ان يسمل يعقوب ويتركه فان رضى السلطان بذلك والا سلمه اليه فلما وصلوا الى القلعة عزم ابن ملك كاشغر ان يسمل عمه وينفذ فيه ما أمره به أبوه فتقدم فكتفه وألقاه على الارض ففعلوا به ذلك فبينما هم على تلك الحال وقد أحموا الميل ليسملوه اذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم أرادوا بعد ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم

اذ كرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب وأقر عليه جماعة من المستأمنة ٩٩ من عسكر العلوى وأصيبت له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبى طالب وكانوا قد عزموا على ان يظهروا ببغداد فى يوم سموه ويقتلوا المعتضد فادخلوا الى المعتضد فأبى من كان مع محمد بن الحسن أن يقروا وقالوا أما الرجل الطالبى فانا لا نعرفه وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره وهذا كان الواسطة بيننا وبينه يعنون محمد بن الحسن فأمر بهم فقتلوا واستبقى شميلة طمعا فى أن يدله على الطالبى وخلى عبيد الله بن المهتدى لعلمه ببراءته ثم أراد المعتضد بالله محمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدله على الطالبى الذى أخذ له العهد على الرجال فأبى وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل وكان فى مخاطبته للمعتضد أن قال لو شويتنى على النار ما زدتك على ما سمعت منى ولم أقر على من دعوت الناس الى طاعته وأقررت بامامته فاصنع ما أنت له صانع فقال له المعتضد لسنا نعذبك الا بما ذكرت فذكر أنه جعل فى حديدة طويلة أدخلت فى دبره وأخرجت من فيه وأمسك بأطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد وهو يسبه ويقول فيه العظائم والاشهر انه جعل بين رماح ثلاثة وشدت أطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير أن يماسها وهو فى الحياة يدار

جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار الى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب وفيها توفى أبو بكر أحمد بن أبى حاتم عبد الصمد بن أبى الفضل الغورجى الهروى والقاضى محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الازدى الهمانى راويا جامع الترمذى عن أبى محمد الجراحى رواه عنهما أبو الفتح الكروخى وتوفى عبد الله بن محمد بن على بن محمد أبو اسمعيل الانصارى الهروى شيخ الاسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب فى المذاهب ومحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مخلد الباقرحى ومولده فى شعبان وهو من أهل الحديث والرواية وفى المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع الى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد فى فعل الخير ما بلغت وفى شعبان توفى عبد العزيز الصحراوى الزاهد وفيها توفى الملك أحمد بن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولى عهد أبيه فى السلطنة وكان عمره احدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام فى دار الخلافة ولم يركب أحد فرسا وخرج النساء ينحن فى الاسواق واجتمع الخلق الكثير فى الكرخ للتفرج والمناحات وسوّد أهل الكرخ أبواب عقودهم اظهارا للحزن به

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

ذكر الفتنة ببغداد بين العامة

فى هذه السنة فى صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فاغلق أهل الكرخ الاسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهى بالدم ومضوا الى دار العميد كمال الملك أبى الفتح الدهستانى مستغيثين فارسل الى النقيب طراد بن محمد يطلب منه احضار القاتلين فقصد طراد دار الامير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به فارسل الخليفة الى بوزان يعرّفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر اليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ثم سار الى السلطان فعاد الناس الى ما كانوا فيه من الفتنة ولم ينقض يوم الا عن قتلى وجرحى

ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر

فى هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وسبب ذلك ان سمرقند كان قد ملكها أحمد خان ابن خضر خان أخو شمس الملك الذى كان قبله وهو ابن أخى تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعى عند السلطان شاكيا وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله فاظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا اليه وأطمعه فى البلاد فتحركت دواعى السلطان الى ملكها فسار من أصبهان وكان قد وصل اليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرّر عليه فاخذه نظام الملك معهم الى ما وراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل الى كاشغر اذن له نظام الملك فى العود الى بلاده وقال أحب ان يذكر عنا فى التواريخ ان ملك الروم حمل الجزية وأوصلها الى باب كاشغر لينهى الى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدّث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ولما سار السلطان من اصبهان الى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الاحصاء فلما قطع النهر قصد بخارا وأخذ ما على طريقه ثم سار اليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت

واراك ربك ما تحب فلا ترى ما لا تحب فجد بعفوك واصفح يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها هب ظالمي ومفسدي لمصلحي قال فأخذت الكتاب وسرت به الى أمير المؤمنين فلما عرضت عليه الابيات أعجبته وأمر أن يحمل اليها تخوت من الثياب وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك وشفعها فى كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه (وكتب) المعتضد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف بمواقعة رافع بن هرثمة وذلك فى سنة سبع وسبعين ومائتين فسار أحمد بن عبد العزيز الى رافع والتقوا بالرى لسبع بقين من ذى القعدة من هذه السنة وأقامت الحرب بينهم أياما ثم كانت على رافع بن هرثمة فولى وركب أصحاب ابن أبى دلف أكتافهم واستولوا على عسكرهم وكان وصول هذا الخبر الى بغداد لست خلون من ذى الحجة من هذه السنة (وفى سنة) ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل يلقب بشميلة ومعه عبيد الله بن المهتدى ومحمد ابن الحسن بن سهل هذا تصنيفات فى أخبار المبيضة وله كتاب مؤلف فى أخبار على بن محمد صاحب الزنج على حسب الملطفات

الملطفات قد قدمها الى أهل البلد يعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالاقامات وفرق أحمد خان صاحب سمرقند أبراج السور على الامراء ومن يثق اليه من أهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيار الى رجل علوى كان يختصابه فنصح فى القتال فاتفق ان ولدا لهذا العلوى أخذ أسيرا بخارا فهدد الاب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الامر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثلم بالمنجنيقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان الى السور هرب أحمد خان واختفى فى بيوت بعض العامة فغمز عليه وأخذ وحمل الى السلطان وفى رقبته حبل فأكرمه السلطان وأطلقه وأرسله الى أصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الامير العميد أبا طاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا الى كاشغر فبلغ الى يوزكند وهو بلد يجرى على بابه نهر وأرسل منها رسلا الى ملك كاشغر يأمره باقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وعظمه وتابع الانعام عليه وأعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان فلما أبعد عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع العميد أبى طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى الى خوارزم

﴿ذكر عصيان سمرقند﴾

كان مقدم العسكر المعروف بالجكلية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر ومملكته تعرف بآب نباشى وبيده قلعتها واستحضره فحضر عنده بسمرقند واتفقا ثم ان يعقوب علم ان أمره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان أساء اليهم حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم وأخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الاخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد الى سمرقند

﴿ذكر فتح سمرقند الفتح الثانى﴾

لما اتصلت الاخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجكلية عاد الى سمرقند فلما وصل الى بخارا هرب يعقوب المستولى على سمرقند ومضى الى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره الى السلطان مستأمنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان الى سمرقند ملكها ورتب بها الامير ابر وسار فى أثر يعقوب حتى نزل بيوزكند وأرسل العساكر الى سائر الاكناف فى طلبه وأرسل السلطان الى ملك كاشغر وهو أخو يعقوب ليجد فى أمره ويرسله اليه فاتفق ان عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه الى ان هرب على فرسه ودخل الى أخيه بكاشغر مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فارسل الى ملك كاشغر يتوعده ان لم يرسله اليه ان يقصد بلاده ويصيرها العدو فخاف ان يمنع السلطان وأنف ان يسلم أخاه بعد ان استجار به وان كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة فى الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار فاداه اجتهاده الى ان قبض على أخيه يعقوب وأظهر انه كان فى طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من أصحابه وكلهم يعقوب وأرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وأمر ولده انه اذا وصل الى قلعة بقرب السلطان ان يسمل يعقوب ويتركه فان رضى السلطان بذلك والا سلمه اليه فلما وصلوا الى القلعة عزم ابن ملك كاشغر ان يسمل عمه وينفذ فيه ما أمره به أبوه فتقدم فكتفه وألقاه على الارض ففعلوا به ذلك فبينما هم على تلك الحال وقد أحموا الميل ليسملوه اذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم أرادوا بعد ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم

لما ذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب فأقر عليه جماعة من السامة ٥٩ من عسكر العلوى وأصيبت له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبى طالب وكانوا قد عزموا على أن يظهروا ببغداد فى يوم بعينه ويقتلوا المعتضد فادخلوا الى المعتضد فأمر من كان مع محمد بن الحسن أن يقروا وقالوا أما الرجل الطالبى فانا لا نعرفه وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره وهذا كان الواسطة بيننا وبينه يعنون محمد بن الحسن فأمر بهم فقتلوا واستبقى شميلة طمعا فى أن يدله على الطالبى ونحلى عبيد الله بن المهتدى لعلمه ببراءته ثم أراد المعتضد بالله محمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدله على الطالبى الذى أخذ له العهد على الرجال فأبى وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل وكان فى مخاطبته للمعتضد أن قال لو شويتنى على النار ما زدتك على ما سمعت منى ولم أقر على من دعوت الناس الى طاعته وأقررت بامامته فاصنع ما أنت له صانع فقال له المعتضد لسنا نعذبك الا بما ذكرت فذكر أنه جعل فى حديدة طويلة أدخلت فى دبره وأخرجت من فمه وأمسك بأطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد وهو يسبه ويقول فيه العظائم والاشهر انه جعل بين رماح ثلاثة وشدت أطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير أن يماسها وهو فى الحياة يدار

جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار الى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب وفيها توفى أبو بكر أحمد بن أبى حاتم عبد الصمد بن أبى الفضل الغورجى الهروى والقاضى محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الازدى الهاى راويا جامع الترمذى عن أبى محمد الجراحى رواه عنهما أبو الفتح الكروخى وتوفى عبد الله بن محمد بن على بن محمد أبو اسمعيل الانصارى الهروى شيخ الاسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب فى المذاهب ومحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مخلد الباقرجى ومولده فى شعبان وهو من أهل الحديث والرواية وفى المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع الى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد فى فعل الخير ما بلغت وفى شعبان توفى عبد العزيز الصحراوى الزاهد وفيها توفى الملك أحمد بن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولى عهد أبيه فى السلطنة وكان عمره احدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام فى دار الخلافة ولم يركب أحد فرسا وخرج النساء ينحن فى الاسواق واجتمع الخلق الكثير فى الكرخ للتفرج والمناحات وسود أهل الكرخ أبواب عقودهم اظهارا للحزن به

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الفتنة ببغداد بين العامة﴾

فى هذه السنة فى صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فأغلق أهل الكرخ الاسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهى بالدم ومضوا الى دار العميد كمال الملك أبى الفتح الدهستانى مستغيثين فأرسل الى النقيب طراد بن محمد يطلب منه احضار القاتلين فقصد طراد دار الامير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به فأرسل الخليفة الى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر اليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ثم سار الى السلطان فعاد الناس الى ما كانوا فيه من الفتنة ولم ينقض يوم الا عن قتلى وجرحى

﴿ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر﴾

فى هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وسبب ذلك ان سمرقند كان قد ملكها أحمد خان ابن خضر خان أخو شمس الملك الذى كان قبله وهو ابن أخى تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعى عند السلطان شاكيا وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله فأظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا اليه وأطمعه فى البلاد فتحركت دواعى السلطان الى ملكها فسار من أصبهان وكان قد وصل اليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه فأخذه نظام الملك معهم الى ما وراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل الى كاشغر اذن له نظام الملك فى العود الى بلاده وقال أحب ان يذكر عنا فى التواريخ ان ملك الروم حمل الجزية وأوصلها الى باب كاشغر لينهى الى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ولما سار السلطان من اصبهان الى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الاحصاء فلما قطع النهر قصد بخارا وأخذ ما على طريقه ثم سار اليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت

بلد أصلح الله البلاد وأهلها * بعد الفساد وطال ما لم أصلح * وزجرت بك فتنة العزالى * لولاك بعد الله لم تتزحزح * أراك زبك ما تحب فلا ترى بالامس بعد بعولك واصبح بايمنة الدنيا وبدرها وكهفها ظالما ومفسدى أصلح قال فأخذت الكتاب وسرت به الى أمير المؤمنين فلما عرضت عليه الابيات أعجبته وأمر أن يحمل اليها تخوت من الثياب وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك وشفعها فى كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه (وكتب) المعتضد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف بمواقعة رافع بن هرثمة وذلك فى سنة سبع وسبعين ومائتين فسار أحمد بن عبد العزيز الى رافع والتقوا بالرى لسبع بقين من ذى القعدة من هذه السنة وأقامت الحرب بينهم أياما ثم كانت على رافع بن هرثمة فولى وركب أصحاب ابن أبى دلف أكتافهم واستولوا على عسكرهم وكان وصول هذا الخبر الى بغداد لست خلون من ذى الحجة من هذه السنة (وفى سنة) ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل يلقب بشميلة ومعه عبيد الله بن المهتدى ولمحمد ابن الحسن بن سهل هذا تصنيفات فى أخبار المبيضة وله كتاب مؤلف فى أخبار على بن محمد صاحب الزنج على حسب الملطفات

على أبواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ومن عند هذا اليوم بأراهل الكرخ وقصدوا شارع ابن أبي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوا دار أبي الفضل بن خيرون المعدل فقصدوا الديوان عشية نفير وجمعوا الناس ورفع العامة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته وأكثروا من الكلام الشنيع وقتل ذلك اليوم رجل هاشمي من أهل باب الازج بسهم أصابه فثار العامة هنالك بعلوي كان مقيما بينهم فقتلوه وحرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد أمور عظيمة فأرسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فأرسل عسكرا الى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهدمت دورهم وقتل منهم ونفي وسكنت الفتنة وأمن الناس

❁(ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا)❁

كان بالمغرب انسان اسمه محمد بن ابراهيم الكزولي سيد قبيلة كزولة وماللث جبلها وهو جبل شامخ وهي قبيلة كبيرة وبينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع فلما كان هذه السنة أرسل يوسف الى محمد بن ابراهيم يطلب الاجتماع به فركب اليه محمد فلما قاربه خافه على نفسه فعاد الى جبله واحتاط لنفسه فكتب اليه يوسف وحلف له انه ما أراد به الا الخير ولم يحدث نفسه بغدر فلم يركن محمد اليه فدعا يوسف حجاما وأعطاه مائة دينار وضمن له مائة دينار أخرى ان هو سار الى محمد بن ابراهيم واحتال في قتله فسار الحجام ومعه مشاريط مسمومة فقصد الجبل فلما كان الغد خرج ينادي أصناعته بالقرب من مساكن محمد فسمع محمد الصوت فقال هذا الحجام من بلدنا فقيل انه غريب فقال أراه يكثر الصياح وقد ارتبت بذلك ائتوني به فأحضر عنده فاستدعى حجاما آخر وأمره ان يحجمه بمشاريطه التي معه فامتنع الحجام الغريب فأمسك وحجم فمات وتعجب الناس من فطنته فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه ولج في السعي في أذى يوصله اليه فاستمال قوما من أصحاب محمد فمالوا اليه فأرسل اليهم جرارا من عسل مسموم فحضروا عند محمد وقالوا قد وصل الينا قوم معهم جرار من عسل أحسن ما يكون وأردنا اتحافك به وأحضروها بين يديه فلما رآها أمر باحضار خبز وأمر أولئك الذين أهدوا اليه العسل ان يأكلوا منه فامتنعوا واستعفوه من أكله فلم يقبل منهم وقال من لم يأكل قتل بالسيف فأكلوا فماتوا عن آخرهم فكتب الى يوسف بن تاشفين انك قد أردت قتلي بكل وجه فلم يظفرك الله بذلك فكف عن شرك فقد أعطاك الله المغرب بأسره ولم يعطني غير هذا الجبل وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور الاسود فلم تقنع بما أعطاك الله عز وجل فلما رأى يوسف ان سره قد انكشف وانه لا يمكنه في أمره شئ لحصانة جبله أعرض عنه وتركه

❁(ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم)❁

في هذه السنة نقض ابن علوي ما بينه وبين تميم بن المعز بن باديس أمير افريقية من العهد وسار في جمع من عشيرته العرب فوصل الى مدينة سوسة من بلاد افريقية وأهلها غارون لم يعلموا به فدخلها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامة قتال قتل من الطائفتين جماعة وكثر القتل في أصحابه والاسر وعلم انه لا يتم له مع تميم حال ففارقها وخرج منها الى حلته من الصحراء وكان بافريقية هذه السنة غلاء شديد وبقي كذلك الى سنة أربع وثمانين وصلحت أحوال أهلها وأخصبت البلاد ورخصت الاسعار وأكثر أهلها الزرع

❁(ذكر عدة حوادث)❁

سار اسمعيل بن أحمد بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد واستيلائه على امره خراسان ٦١ الى أرض الترك ففتح المدينة التي وسوقة من

مدنهم بها دار الملك وأسر خاتون زوجة الملك وأسر نحو عشر آلاف من الترك وقتل منهم عشرة آلاف ويقال ان هذا الملك يقال له طنكس وهذا الاسم سمة لكل ملك ملك هذا البلد من ملوكهم وأرام من الخلنجيين المعروفين بالخلجية وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جمل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم وكذلك فيما سلف من كتبنا (وفي سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبي الساج وعمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل وكان من أمره ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا وكان المعتضد خرج في هذه السنة الى الجبل لامور بلغته منها قصة محمد بن زيد العلوي الحسني صاحب بلاد طبرستان فولى ولده عليا المكتفي الري وأنزله بها وأضاف اليه قزوين وزنجان وأبهر وقم همذان وانصرف المعتضد الى بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز اصبهان وكرج بعد ابن أبي دلف وفيها استأمن الى المكتفي علي كوره وسار الى المعتضد في عدة كثيرة وفيها سار طغج

ابن شبث بن الاخشيد صاحب مصر في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في عساكر كثيرة من دمشق فدخل طرسوس

يعقوب أخبروني عن حالكم وما فوتكم الذي تريدونه مني واذا فعلتم في شيأً رعيا لدمتم عليه فقيل له ان طغرل بن ينال اسرى من غاس فرصاني عشرات ألوف من العساكر وكبس أحاله بكاشغر فأخذه أسيراوتم بعسكره وعاد الى بلاده فقال لهم هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس مما تتقربون به الى الله تعالى وانما تفعلونه لان الامر أخي وقد زال أمره ووعدهم الاحسان فأطلقوه فلما رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل بن ينال ومسيره الى كاشغر وقبض صاحبها وملكه لها مع قربه منه خاف ان يحصل بعض أمره وزوال هيبته وعلم انه متى قصد طغرل سار من بين يديه فان عاد عنه رجع الى بلاده وكذلك يعقوب أخو صاحب كاشغر وانه لا يمكنه المقام لسعة البلاد ورداءه وخوف الموت بها فوضع تاج الملك على ان يسعى في اصلاح أمر يعقوب معه ففعل ما أمره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد الى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم في وجه الآخر

﴿ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة الى أبيها﴾

وفي هذه السنة أرسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلبا لابد منه وسبب ذلك انها أرسلت تشكو من الخليفة وتذكر أنه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فأذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول وسار معها ابنها من الخليفة أبو الفضل جعفر بن المقتدي بامر الله ومعهما سائر أرباب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الاكابر وخرج الوزير وشيعهم الى النهروان وعاد وسارت الخاتون الى أصبهان فأقامت بها الى ذي القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة أيام وأكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان

﴿ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام﴾

في هذه السنة خرجت عساكر مصر الى الشام في جماعة من المقدمين فحصروا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي ووليها أولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون به فسلموها اليهم ثم سار العسكر عنها الى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك ثم ساروا الى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على أهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها أيضا وأصلحوا أحوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها الى مصر عائدين واستعمل أمير الجيوش على هذه البلاد الامراء والعمال

﴿ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية﴾

وفي هذه السنة في جمادى الاولى كثرت الفتن ببغداد بين أهل الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى أهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوها وأحرقوها فنزل شحنة بغداد وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين على دجلة في خيله ورجله ليكف الناس عن الفتنة فلم ينتهوا وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى أصحابه الجرايات والاقامات وفي بعض الايام وصل أهل باب البصرة الى سويقة غالب فخرج من أهل الكرخ من لم تجر عادته بالقتال فقاتلوهم حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقباء وغيرهم من أعيان الحنابلة كابن عقيل والكلوذاني وغيرهما الى الشحنة وساروا معه الى أهل الكرخ فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب أهل السنة فأجابوا الى الطاعة فبينما هم كذلك أتاهم الصارخ من نهر الدجاج بان أهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فمضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس وكتب أهل الكرخ

عليها وشوى كما تشوى الدجاج وغيرها الى أن انقرع جمعه وأخرج فصلب بين الجسرين من الجانب الغربي (وفي هذه السنة) كان خروج المعتضد في طلب الاعراب من بني شيبان وكانوا عاثوا وأكثروا الفساد وأوقع بهم بما يلي الجزيرة والدواب في الموضع المعروف بوادي الذئاب فقتل وأسر وساق الذراري وسار الى الموصل (وفي هذه السنة) افتتح أبو عبيد الله بن أبي الساج المراغة من بلاد اذربيجان فقبض على عبد الله بن الحسن واستبقى أمواله ثم أتى عليه بعد ذلك (وفي هذه السنة) كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف (وفي هذه السنة) افتتح أحمد بن ثور عمان وكان مسيره اليها من بلاد البحرين فواقع الشراة من الاباضية وكانوا في نحو من مائتي ألف وكان امامهم الصلت بن مالك بلاد بر وامن أرض عمان وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيرا من رؤسهم الى بغداد (وفيها) دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة (وفي هذه السنة) كان دخول عمرو بن الليث نيسابور (وفي هذه السنة) نقلت ابنة محمد بن أبي الساج الى بدر غلام المعتضد وقد أتينا على خبر ابن أبي الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد وما كان من خبر ابن أبي الساج ورحلته عن باب خراسان متوجها الى اذربيجان في الكتاب الاوسط (وفي هذه السنة) على

وفى هذه السنة فى جمادى الاولى نهب العرب البصرة وما قبحاوسبب ذلك انه ورد الى بغداد فى بعض السنين رجل أشقر من سواد النيل يدعى الادب والنجوم ويستجرى الناس فلقبه أهل بغداد تليا وكان نازلا فى بعض الخانات فسرق ثيابا من الديباج وغيره واخفاها فى خاناو سار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فنعوه من السفر اتهاما له وجاءوه الى المقدم عليهم فاطلقه لحرمة العلم فسار الى أمير من أمراء العرب من بنى عامر وبلاده متاخمة الاحساء وقال له أنت تلك الارض وقد فعل أجدادك بالحاج كذاوكذا وافعالهم مشهورة مذكورة فى التواريخ وحسن له نهب البصرة وأخذها فجمع من العرب مايزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من الجند الااليسير لكون الدنيا آمنة من ذاعر ولان الناس فى جنة من هيبة السلطان فخرج اليهم فى أصحابه وحاربهم ولم يمكنهم من دخول البلد فاتاه من أخبره ان اهل البلد يريدون ان يسلموه الى العرب فخاف ففارقهم وقصد الجزيرة التى هى مكان القلعة بنهر معقل فلما علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا ودخل العرب حينئذ البصرة وقد قويت نفوسهم وملكوها ونهبوا مافيها انتهابا شنيعا فكانوا ينهبون نهارا وأصحاب العميد عصمة ينهبون ليلا وأحرقوا مواضع عدة وفى جملة ماأحرقوا دارات للكتب احداهما وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا اليها وهى أول دار وقفت فى الاسلام والاخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان وكان بها نفائس الكتب وأعيانها وأحرقوا أيضا النحاسين وغيرها من الاماكن وخربت وقوف البصرة التى لم يكن لها نظير من جملتها وقوف على الحال الدائرة على شاطئ دجلة وعلى الدواليب التى تحمل الماء وترقيه الى قنى الرصاص الجارية الى المصانع وهى على فراسخ من البلد وهى من عمل محمد بن سليمان الهاشمى وغيره وكان فعل العرب بالبصرة أول خرق جرى فى أيام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر الى بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد الى البصرة لاصلاح أمورها فوجدوا العرب قد فارقوها ثم ان تليا أخذ بالبحرين وأرسل الى السلطان فشهره ببغداد سنة أربع وثمانين على جمل وعلى رأسه طرطور وهو يصفع بالدرة والناس يشتمونه ويسبهم ثم أمر به فصلب

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة قدم الامام أبو عبد الله الطبرى بغداد فى المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ثم ورد بعده فى شهر ربيع الآخر من السنة أبو محمد عبد الوهاب الشيرازى وهو أيضا معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوما والطبرى يوما

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عزل الوزير أبى شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول عزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة وكان سبب عزله ان انسانا يهوديا ببغداد يقال له أبو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك فلقيه انسان يبيع الخمر فصفعه صفعة ازالت عمامته عن رأسه فأخذ الرجل وحمل الى الديوان وسئل عن السبب فى فعله فقال هو وضعنى على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودى الى العسكر يشتكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير أبى شجاع فلما سار أخرج توقيع الخليفة بالزام أهل الذمة بالغيار ولبس ماشرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهربوا

وأكله السودان مما يلى الحبش وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين وذلك أن أهل الصين يخصون كثيرا من أولادهم كفعل الروم بأولادهم وما اجتمع عليه الخصيان من التضاد وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو فى كتابنا أخبار الزمان وما أحدثته الطبيعة عند الفلاسفة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكروه من الصفات (وذكر المدائنى) أن معاوية ابن أبى سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاختة وكانت ذات عقل وحزم ومعه خصى وكانت مكشوفة الرأس فلما رأت معه الخصى غطت رأسها فقال لها معاوية انه خصى فقالت يا أمير المؤمنين أترى المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه فاسترجع معاوية وعلم أن الحق ما قالته فلم يدخل بعد ذلك على حرمه خادما وان كان كبيرا فانيا (وقد تكلم) الناس فيهم وذكروا الفرق بين المجبوب والمسلوب وأنهم رجال مع النساء ونساء مع الرجال وهذا خلف من الكلام وفاسد من المقال بل هم رجال وليس فى عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب الحاقهم بما ذكروا ولا عدم نبات اللحية مخيلا لهم عما وصفوا ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر عن تغيير فعل البارى جل وعز لانه خلقهم رجالا ذكرانا لا اناثا وليس فى الجناية عليهم ما يقلب أعيانهم ويزيل خلق

فى هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب اقسنقر فى جماعة من عسكره وتبعهم ولم يزل حتى أخذهم وقتلهم فأمنت الطرق بولايته وفيها ورد العميد الاغر أبو المحاسن عبد الجليل بن على الدهستانى الى بغداد عميدا وعزل أخوه كمال الملك على ماذكرناه وفيها درس الامام أبو بكر الشاشى فى المدرسة التى بناها تاج الملك مستوفى السلطان بباب ابرز من بغداد وهى المدرسة التاجية المشهورة وفيها عمرت منارة جامع حلب وفيها توفى الخطيب أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الواحد بن أبى الحديد السلمى خطيب دمشق فى ذى الحجة وفيها توفى احمد بن محمد بن صاعد بن محمد أبو نصر النيسابورى رئيسها ومولده سنة عشر وأربعمائة وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد بن على بن عاصم العاصمى البغدادى من أهل الكرخ كان ظريفا كيسا له شعر حسن فمنه

ماذا على متلون الاخلاق * لو زارنى فأبثه اشواقى
وأبوح بالشكوى اليه تذللا * وافض ختم الدمع من آماقى
فعساه يسمح بالوصال لمدنف * ذى لوعة وصبابة مشتاق
اسر الفؤاد ولم يرق لموثق * ماضره لوجاد بالاطلاق
ان كان قد لسبت عقارب صدغه * قلبى فان رضابه درياقى

وقال أيضا

فديت من ذبت شوقا من محبته * وصرت من هجره فوق الفراش لقا
معتنقه يقتنى وهو مصطبح * افديه مصطحبا منه ومغتبقا
وأخلفتك ابنة البكرى ماوعدت * واصبح الحبل منها واهيا خلقا

والصحيح انه توفى سنة ثلاث وثمانين وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشريف أبو القاسم العلوى الدبوسى المدرس بالنظامية ببغداد وكان فاضلا فصيحا

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة)

(ذكر وفاة فخر الدولة أبى نصر بن جهير)

فى هذه السنة فى المحرم توفى فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الذى كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتزوج الى أبى العقارب شيخها ونظر فى املاك جارية قرواش المعروفة بسرهنك ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض على أخيه قرواش وحبسه ومضى بهدايا الى ملك الروم فاجتمع هو ورسول نصر الدولة بن مروان فتقدم فخر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال فخر الدولة لملك الروم أنا استحق التقدم عليه لان صاحبه يؤدى الخراج الى صاحبى فلما عاد الى قريش بن بدران اراد القبض عليه فاستجار بأبى الشداد وكانت عقيل تجيرعلى أمرائها وسار الى حلب فوزر لمعز الدولة أبى ثمال بن صالح ثم مضى الى ملطية ومنها الى ابن مروان فقال له كيف امنتنى وقد فعلت برسولى مافعلت عند ملك الروم فقال حملنى على ذلك نصح صاحبى فاستوزره فعمر بلاده ووزر بعد نصر الدولة لولده ثم سار الى بغداد وولى وزارة الخليفة على ماذكرناه وتولى اخذ ديار بكر من بنى مروان على ماذكرناه أيضا ثم أخذها منه السلطان فسار الى الموصل فتوفى بها

(ذكر نهب العرب البصرة)

فازيلوا فتح لؤلؤة عمار الى بلاد رغوث ودرب الراهب ٦٣ (وفى هذه السنة) نزل المعتضد على حمدان بن حمدون وقد تحصن فى القلعة المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران وسارع اسحق ابن ايوب العنبرى ومن كان معه من أصحابه الى المعتضد وقد أتينا على خبر حمدان بن حمدون وما كان من أمره وصعود الجبل الجودى وعبوره دجلة وكاتبه النصرانى ودخول عسكر المعتضد ليلا الى اسحق بن دسقويه حتى أتى به الى المعتضد واخراب المعتضد هذه القلعة وقد كان حمدان أنفق عليها أموالا جليلة وهو حمدان بن حمدون ابن الحرث بن منصور بن لقمان وهو جد أبى محمد الحسن بن عبد الله الملقب بناصر الدولة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من الحسن بن حمدان فى طلبه هرون الشارى وما كان من أخذ الحسين بن حمدان اياه بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب (قال المسعودى) وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبح ابو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بدمشق فى ذى القعدة وقد كان بنى فى سفح الجبل أسفل من دير مروان قصرا وكان يشرب فيه فى تلك الليلة وعنده طغج وكان الذى تولى ذلك خادما من خدمهم وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا ومنهم من رمى بالنشاب ومنهم من شرح لحمه من أفخاذه وعجيزته

وفى

بقولى البيت كالبيت وأمر اثر ذلك بالمقابلة فبقى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

فارقنا ان هذه الطاير تعقب الخير فلما أراد أمير المسلمين ملك الاندلس سار من مراكش الى سبتة وأقام بها وسير العساكر مع سير بن أبى بكر وغيره الى الاندلس فعبروا الخليج فاتوا مدينة مرسية فملكوها واعمالها واخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوهما وكانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديما بعد ان حصروها سبع سنين فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها فملكها المسلمون أيضا وعمروها وسكنوها فصارت الآن للمرابطين وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة فقصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل أهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده مالم يشاهد من غيره مايقاربه فكان يلقى فى نفسه المواقف التى لا يرجى خلاصه منها فيسلم بشجاعته وشدة نفسه ولكن اذا نفدت المدة لم تغن العدة وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الاندلس فخافوا ان يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا اكثروا وساروا ليساعدوا المعتمد ويعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبى بكر مقدم المرابطين بمسيرهم ففارق اشبيلية وتوجه الى لقاء الفرنج فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وعاد الى اشبيلية فحصرها ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا الى العشرين من رجب من هذه السنة فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الامر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه ونهب جميع مافيه ولم يبقوا على سبد ولا لبد وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بايديهم وسبى المخدرات وانتهكت الحرمات فاخذ المعتمد اسيرا ومعه أولاده الذكور والاناث بعد ان استأصلوا جميع مالهم فلم يصحبهم من ملكهم بلغة زاد وقيل ان المعتمد سلم البلد بامان وكتب نسخة الامان والعهد واستحلفهم به لنفسه وأهله وماله وعبيده وجميع مايتعلق باسبابه فلما سلم اليهم اشبيلية لم يفوا له وأخذوهم اسراء ومالهم غنيمة وسير المعتمد وأهله الى مدينة اغمات فحبسوا فيها وفعل أمير المسلمين بهم أفعالا لم يسلكها أحد ممن قبله ولا يفعلها أحد ممن يأتى بعده الا من رضى لنفسه بهذه الرذيلة وذلك أنه سجنهم فلم يجر عليهم مايقوم بهم حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس باجرة ينفقونها على أنفسهم وذكر ذلك المعتمد فى أبيات ترد عند ذكر وفاته فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة وهذه اغمات مدينة فى سفح جبل بالقرب من مراكش وسيرد من ذكر المعتمد عند موته سنة ثمان وثمانين مايعرف به محله قال أبو بكر بن اللبانة زرت المعتمد بعد أسره باغمات وقلت ابياتا عند دخولى اليه منها

لم أقل فى الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للمعالى * ركب الدهر فوقها اصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولو انى * كنت استطيع لالتزمت الطوافا

قال وجرت بينى وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وادل على السماح من فجر على صباح ولما أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبرا فقال فى ذلك

العشر البدر فلما أصبح نظر الى الثقب ولم ير المال فأمر باحضار صاحب الحرس وكان ... على الحرس ويقال مؤنس العجلى فلما أتاه قال له ان هذا المال للسلطان والجند ومتى لم تأت به أو بالذى نقبه وأخذ المال ألزمك أمير المؤمنين غرمه فجد فى طلبه وطلب اللص الذى جسر على هذا الفعل فصار الى مجلسه وأحضر التوابين والشرط والتوابون هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا فاذا جرت حادثة علموا من فعل من هى فدلوا عليه وربما يتقاسمون اللصوص ماسرقوه فتقدم اليهم فى الطلب وتهددهم وأوعدهم وطالبهم فتفرق القوم فى الدروب والاسواق والغرف والمواخير ودكاكين الرواسين ودور القمار فما لبثوا أن أحضروا رجلا نحيفا ضعيف الجسم رث الكسوة فى هذه الحالة فقالوا يا سيدى هذا صاحب الفعلة وهو غريب من غير هذا البلد وأطبق القوم كلهم على أنه صاحب النقب واللص المال فأقبل عليه مؤنس العجلى فقال له ويلك من كان معك ومن أعانك وأين أصحابك ما أظنك تقدر على عشر بدر وحدك فى ليلة ما كنتم الا عشرة وأقل ذلك خمسة فاقر لى بالمال ان كان معك وعلى أصحابك ان كان المال

قد قسم فما زاده على الانكار شيأ فأقبل يترفق به ويعده أن ينيه ويرزقه

كل مهرب وأسلم بعضهم فمن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن أخيه أبو نصر هبة الله بن الحسن بن على صاحب الخبر أسلما على يدى الخليفة ونقل أعداؤه الى السلطان ونظام الملك انه يكثر أغراضهم ويقبح أفعالهم حتى انه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال وما هذا مما يبشر به كأنه قد فتح بلاد الروم هل أتى الا الى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين فلما وصل كوهرائين وابن سمحا الى العسكر وشكيا من الوزير الى السلطان ونظام الملك وأخبراهما بجميع ما يقول عنهما وبكثير من أغراضهما أرسلا الى الخليفة فى عزله فعزله وأمره بلزوم بيته وكان عزله يوم الخميس فلما أمر بذلك أنشد

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره الى الجامع راجلا واجتمع الخلق العظيم عليه فأمر أن لا يخرج من بيته ولما عزل استنيب فى الوزارة أبو سعد بن موصلايا كاتب الانشاء وأرسل الخليفة الى السلطان ونظام الملك يستدعى عميد الدولة بن جهير ليستوزره فسيرا اليه فاستوزره فى ذى الحجة من هذه السنة وركب اليه نظام الملك فهناه بالوزارة فى داره وأكثر الشعراء تهنئته بالعود الى الوزارة

﴿ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الاندلس التى للمسلمين﴾

فى هذه السنة فى رجب ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الاندلس ما هو بيد المسلمين قرطبة واشبيلية وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الاندلس ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الامين محمد بن هرون الرشيد قال أبو بكر عيسى بن اللبانة الدانى من مدينة دانية كنت يوما عند الرشيد بن المعتمد فى مجلس انسه سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة فجرى ذكر غرناطة وملك أمير المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها فى وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها ودعونا للقصر بالدوام وللملك بتراخى الايام فأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلى بالغناء فغنى

يا دار مية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الابد

فاستحالت مسرته وتجهمت اسرته ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر الى أى حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد اربداد وجهه وتغيره وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت

يا لهف نفسى على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ما ليس عندى من احدى المصيبات

قال ابن اللبانة فلافيت الحال بأن قمت فقلت

محل مكرمة لا هد مبناه * وشمل مأثرة لا شتته الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه
ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل فى سبيل الله مثواه
حتم على الملك ان يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه
بأس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمرى قد بسطت من نفسه وأعدت عليه بعض أنسه على انى وقعت فيما وقع فيه الكل

بقولى

الخادم بطنه لا يوجد لا باطنه رائحة وهذا من فضائل الخدم (وحمل أبو الجيش) فى تابوت الى مصر وورد الخبر بذلك الى مصر فأخرج من التابوت وحمل على السرير وذلك على باب مصر وخرج ولده الامير جيش وسائر الامراء والاولياء فتقدم القاضى أبو عبيد الله محمد بن عبدة المعروف بالعبدانى وصلى عليه وذلك فى الليل فحكى أبو بشر الدولابى عن أبى عبد الله التحاوى وكان شيخا من أهل العراق وكان يقرأ فى دور آل طولون ومقابرهم أنه كان بات فى تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر وقد قدم أبو الجيش ليدلى فى القبر ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة سورة الدخان فأحدر من السرير ودلى فى القبر وانتهينا من السورة فى هذا الوقت الى قوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم قال فنقضنا أصواتنا وأذعرنا حياء ممن حضر (ومما ذكر) من خبر المعتضد وحزمه فى الامور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم فى الجند عشر بدر فحملت الى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم فنقب منزله فى تلك الليلة وأخذت

السنة فالج فتعطل جانبه الايسر وضعف الجانب الايمن فاستناب ابنه جعفرا فبقى كذلك ضابطا للبلاد حسن السيرة فى أهلها الى سنة خمس وأربعمائة فخالف عليه أخوه على وأعانه جمع من البربر والعبيد فاخرج اليه أخوه جعفر جندا من المدينة فاقتتلوا سابع شعبان وقتل من البربر والعبيد خلق كثير وهرب من بقى منهم وأخذ على أسيرا فقتله أخوه جعفر وعظم قتله على أبيه فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيام وأمر جعفر حينئذ أن ينفى كل بربرى بالجزيرة فنفوا الى افريقية وأمر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من أهل صقلية فقل العسكر بالجزيرة وطمع أهل الجزيرة فى الامراء فلم يمض الا يسير حتى ثار به أهل صقلية وأخرجوه وخلعوه وأرادوا قتله وسبب ذلك أنه ولى عليهم انسانا صادرهم وأخذ الاعشار من غلاتهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلد وقهر جعفر اخوته واستطال عليهم فلم يشعر الا وقد زحف اليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحصروه فى قصره فى المحرم سنة عشر وأربعمائة وأشرفوا على أخذه فخرج اليهم أبوه يوسف فى محفة وكانوا له محبين فلاطفهم ورفق فبكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما أحدث ابنه عليهم وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالاكحل ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره فى مركب الى مصر وسار أبوه يوسف بعده ومعهما من الاموال ستمائة ألف دينار وسبعون ألفا وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر ألف حجرة سوى البغال وغيرها ومات بمصر وليس له الا دابة واحدة ولما ولى الاكحل أخذ أمره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث سراياه فى بلاد الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد وأطاعه جميع قلاع صقلية التى للمسلمين وكان للاكحل ابن اسمه جعفر كان يستنيبه اذا سافر فخالف سيرة أبيه ثم ان الاكحل جمع أهل صقلية وقال أحب أن أشاكم على الافريقيين الذين قد شاركوكم فى بلادكم والرأى اخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيأ واحدا فصرفهم ثم أرسل الى الافريقيين فقال لهم مثل ذلك فاجابوه الى ما أراد فجمعهم حوله فكان يحمى أملاكهم ويأخذ الخراج من أملاك أهل صقلية فسار من أهل صقلية جماعة الى المعز بن باديس وشكوا اليه ما حل بهم وقالوا نحب أن نكون فى طاعتك والا سلمنا البلاد الى الروم وذلك سنة سبع وعشرين وأربعمائة فسير معهم ولده عبد الله فى عسكر فدخل المدينة وحصر الاكحل فى الخالصة ثم اختلف أهل صقلية وأراد بعضهم نصرة الاكحل فقتله الذين أحضروا عبد الله بن المعز ثم ان الصقليين رجع بعضهم على بعض وقالوا أدخلتم غيركم عليكم والله لا كانت عاقبة أمركم فيه الى خير فعزموا على حرب عسكر المعز فاجتمعوا وزحفوا اليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز وقتل منهم ثمانمائة رجل ورجعوا فى المراكب الى افريقية وولى أهل الجزيرة عليهم حسنا الصمصام أخا الاكحل فاضطربت أحوالهم واستولى الارذال وانفرد كل انسان ببلد وأخرجوا الصمصام فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابنش وغيرهما وانفرد القائد على بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصريانة وجرجنة وغيرهما وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية وتزوج باخت ابن الحواس ثم انه جرى بينها وبين زوجها كلام أغلظ كل منهما لصاحبه وهو سكران فامر ابن الثمنة بفصدها فى عضديها وتركها لتموت فسمع ولده ابراهيم فحضر وأحضر الاطباء وعالجها الى ان عادت قوتها ولما أصبح أبوه ندم واعتذر اليها بالسكر فاظهرت قبول عذره ثم انها طلبت منه بعد مدة ان تزور أخاها فاذن لها وسير معها التحف والهدايا فلما وصلت ذكرت لاخيها ما فعل بها فحلف انه لا يعيدها اليه فارسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها اليه فجمع ابن الثمنة عسكره وكان قد استولى على

حتى صح وقوى جسمه وظهر لونه ورجعت اليه نفسه ثم ذكر له فامر باحضاره فلما حضر بين يديه سأله عن حاله فدعا وشكر وقال أنا عبيد ما أبقى الله أمير المؤمنين ثم سأله عن المال فعاد الى الانكار فقال له ويلك ابعث تخلو من أن تكون أخذته وحدك كله أو وصل اليك بعضه فان كنت أخذته كله فانك تنفقه فى أكل وشرب ولهو ولا أظنك تفنيه قبل موتك وان مت فعليك وزره وان كنت أخذت بعضه معونا لك به فاقرر على أصحابك فانى أقتلك ان لم تقر ولا ينفعك بقاء المال بعدك ولا يبالى أصحابك بقتلك ومتى أقررت دفعت اليك عشرة آلاف درهم وأخذت لك من أصحاب الجسر مثل ذلك ومثلك من التوابين وأجريت لك فى كل شهر عشرة دنانير تكفيك لاكلك وشربك وكسوتك وطيبك وتكون عزيزا وتنجو من القتل وتتخلص من الاثم فأبى الا الانكار فاستحلفه بالله وأظهر له مصحفا فحلف عليه فقال انى سأظهر على المال فان أنا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم أستبقك فأبى الا الانكار فقال له فضع يدك على رأسى واحلف بحياتى فوضع يده على رأسه وحلف بحياته أنه ما أخذه وانه مظلوم متهم وان التوابين قد تبرؤا به فقال له المعتضد فان كنت قد كذبت قتلتك وأنا برىء من دمك قال نعم فامر باحضار الاثنين

يقولون صبرا لا سبيل الى الصبر * سأبكى وأبكى ما تطاول من عمرى
أفتح لقد أفتحت لى باب رحمة * كما بزيد الله قد زاد فى أجرى
هوى بكما المقدار عنى ولم أمت * فأدعى وفيا قد نكصت الى الغدر
ولو عدتما لاخترتما العود فى الثرى * اذا أنتما أبصرتمانى فى الاسر
أبا خالد أورثتنى البث خالدا * أبا نصر مذ ودعت ودعنى نصرى

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو محبوس بالنثر والنظم يتوجعون له ويذمون الزمان وأهله حيث مثله منكوب فمن ذلك ما قاله عبد الجبار بن أبى بكر بن حمديس وكتبه اليه يذكر مسيرهم عن اشبيلية الى اغمات

جرى لك جد بالكرام عثور * وجار زمان كنت منه تجير
لقد أصبحت بيض الظبى فى غمودها * اناثا لترك الضرب وهى ذكور
ولما رحلتم بالندى فى أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لسانى بالقيامة قد أتت * ألا فانظروا كيف الجبال تسير

وقال شاعره ابن اللبانة فى حادثته أيضا

تبكى السماء بدمع رائح غادى * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منها تحت أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * أساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تعمرها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

ولما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الاندلس وأخذ بلادهم جمع ملوكهم وسيرهم الى بلاد الغرب وفرقهم فيها ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ولما فرغ سير من اشبيلية سار الى المرية فنازلها وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح فقال لولده مادام المعتمد باشبيلية فلا نبالى بالمرابطين فلما سمع بملكهم لها وما جرى للمعتمد مات فى تلك الايام غما وكمدا فلما مات سار ولده الحاجب وأهله فى مراكب ومعهم كل مالهم وقصدوا بلاد بنى حماد فاحسنوا اليهم وكان عمر بن الافطس صاحب بطليوس ممن أعان سيرا على المعتمد فلما فتحت اشبيلية رجع ابن الافطس الى بلده فسار اليه سير وحاربه فغلبه وأخذ بلده منه وأخذه أسيرا هو وولده الفضل فقتلهما فقال عمر حين أراد واقتله قدموا ولدى قبلى للقتل ليكون فى صحيفتى فقتل ولده قبله وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم وأموالهم ولم يترك من ملوك الاندلس سوى بنى هود فانه لم يقصد بلادهم وهى شرق الاندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم وكان قد أعد كل ما يحتاج اليه فى الحصار وترك عنده ما يكفيه عدة سنين بمدينة روطة وكانت قلعة حصينة وكانت رعيته تخافه ولم يزل يهادى أمير المسلمين قبل ان يقصد بلاد الاندلس ويكاتبه ويواصله ويكثر مراسلته فرعى له ذلك حتى انه أوصى ابنه على بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بنى هود وقال اتركهم بينك وبين العدو فانهم شجعان

(ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية)

فى هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على جميع جزيرة صقلية أعادها الله تعالى الى الاسلام والمسلمين وسبب ذلك ان صقلية كان الامير عليها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة أبا الفتوح يوسف ابن عبد الله بن محمد بن أبى الحسين ولاه عليها العزيز العلوى صاحب مصر وافريقية فاصابه هذه

ويعظم بإثارته ويعده بكل جميل على رده والاقرار به ويتوعده بكل مكروه على جحوده وانكاره فلما غاظه ذلك

وانكاره ويئس من اقراره أخذ فى عقوبته ومساءلته فضربه بالسوط والقلوس والمقارع والدرة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه وعضله حتى لم يكن للضرب فيه موضع وبلغ به ذلك الى حالة لا يعقل فيها ولا ينطق فلم يقر بشئ فبلغ ذلك المعتضد فأحضر صاحب الجيش فقال له ما صنعت فى المال فاخبره الخبر فقال له ويلك تأخذ لصاقة سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال فاين حيل الرجال فاتى به وقد حمل فى جل فوضع بين يديه وقد عقل فسأله فانكر فقال له ويلك ان مت لم ينفعك وان برئت من هذا الضرب لم أدعك تصل اليه فلك الامان والضمان على ما تصلح به حالتك وتحمد به أمرك فابى الا الانكار فقال على بأهل الطب فأحضروا فقال خذوا هذا الرجل اليكم فعالجوه بأرفق العلاج وواظبوا عليه بالمراهم والغذاء والتعاهد واجتهدوا أن تبرؤه فى أسرع وقت فأخذوه اليهم وأخرج ما لا يمكنه المال

وأمر بتفريقه على الجند فيقال انه برئ وصلح فى أيام يسيرة ثم واظبوا عليه بالطعام والشراب والوطاء والطيب

السنة

وغيرهما من زعماء الاطراف وحمل البلاد ببغداد وتأنقوا في عمله فذكر الناس انهم لم يروا ببغداد مثله أبداً وأكثر الشعراء وصف تلك الليلة فمن قال المطرز

وكل نار على العشاق مضرمة * من نار قلبي أو من ليلة السذق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت * بسدفة الليل فيه غرة الفلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا * على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدّت على الارض بسطاً من جواهرها * ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا أنها نزلت * من السماء بلا رجم ولا حرق
اعجب بنار ورضوان يسعرها * ومالك قائم منها على فرق
في مجلس ضحكت روض الجنان له * لما جلى ثغره عن واضح يقق
وللشموع عيون كلما نظرت * تظلمت من يديها أنجم الغسق
من كل مرهفة الاعطاف كالغصن الـ * ـمياد لكنه عار من الورق
اني لاعجب منها وهي وادعة * تبكي وعيشتها من ضربة العنق

وفي هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدئ في عمارته في المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ بعده نظام الملك وتاج الملك والامراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها اذا قدموا بغداد فلم تطل مدتهم بعدها وتفرق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك في باقي سنتهم ولم تغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيأ فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة رحل ابن أبي هاشم من مكة مستغيثاً من التركمان وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه الاعيان والامراء من عسكر السلطان فعوفي وأرسل له الخليفة خلعاً نفيسة وفيها في تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بانطاكية كثير من المساكن وهلك تحتها عالم كثير وخرب من سورها تسعون برجاً فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها وفيها في شوال توفي أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك الفقيه الشافعي وهو من رؤساء الفقهاء الشافعية وهو الذي تقدم ذكره في فتح سمرقند ومشى أرباب الدولة السلطانية كلهم في جنازته الا نظام الملك فانه اعتذر بعلو السن وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبي اسحق بباب أبرز وزار السلطان قبره وتوفي محمد بن عبد الله بن الحسين أبو بكر الناصح الحنفي قاضي الري وكان من أعيان الفقهاء الحنفية يميل الى الاعتزال وكان موته في رجب وفيها في شعبان توفي أبو الحسن علي بن الحسين بن طاوس المقري بمدينة صور

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان ﴾

في هذه السنة جمع اذفونش عساكره وجموعه وغزا بلاد جيان من الاندلس فلقيه المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة أولاً على المسلمين ثم ان الله تعالى رد لهم الكرة على الفرنج فهزموهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج الا الاذفونش في نفر يسير وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع بعد الزلاقة وأكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم

ذلك الشوك والقماش والقصب فوضعته تحته وغطيته وهو هناك فأمر بردّه الى فراشه فردوه وأحضروه عليه ثم أمر باحضار المال فاحضر عن آخره واحضر مؤنس الهلى واحضر الوزير والعلماء وقد غطي المال بالبساط ناحية من المجلس ثم أمر بايقاظ اللص وقد استكفى في النوم وذهب عنه الوسن فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الاول فجحد وأنكر فامر بكشف البساط وقال له ويلك أليس هذا المال اليس فعلت كذا وكذا يصف له ما كان حدثه به فأسقط في يد اللص ثم أمر فقبض على يديه ورجليه وأوثق ثم أمر بمنفاخ فنفخ في دبره وأتى بقطن فحشي في أذنيه وفمه وخيشومه وأقبل ينفخ وخلي عن يديه ورجليه من الوثاق وأمسك بالايدي وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة وقد ورم سائر أعضائه وعظم جسمه وعيناه قد امتلأتا وبرزتا فلما كاد أن ينشق أمر بعض الاطباء فضربه في عرقين فوق الحاجبين وهما في الجبين فأقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولهما صوت وصفير الى أن خمد وتلف وكان ذلك أعظم منظر رؤي في ذلك اليوم من العذاب وقيل ان البدر كانت عيناه وان عهدها كان أكثر مما وصفنا (وقد كان ببغداد رجل) يتكلم على الطريق ويقص على الناس

أكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وسار وحصر ابن الحواس بقصريانه فخرج اليه فقاتله فانهزم ابن الثمنة وتبعه الى قرب مدينته قطانية وعاد عنه بعد ان قتل من أصحابه فأكثر فلما رأى ابن الثمنة ان عساكره قد تمزقت سوّلت له نفسه الانتصار بالكفار لما يريده الله تعالى فسار الى مدينة مالطة وهي بيد الفرنج قد ملكوها لما خرج ردويل الفرنجي الذى تقدم ذكره سنة اثنتين وستين وثلثمائة واستوطن الفرنج الى الآن وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي في جمع الفرنج فوصل اليهم ابن الثمنة وقال انا أملككم الجزيرة فقالوا ان فيها جندا كثيرا ولا طاقة لنا بهم فقال انهم مختلفون وأكثرهم يسمع قولي ولا يخالفون أمري فسار وامعه في رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة فلم يلقوا من يدافعهم فاستولوا على ما مروا به في طريقهم وقصدبهم الى قصريانه فحصروها فخرج اليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع الى الحصن فرحلوا عنه وساروا في الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين وسار جماعة من أهل صقلية الى المعز بن باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر اسطولا كبيرا وشحنه بالرجال والعدد وكان الزمان شتاء فساروا الى قوصرة فهاج عليهم البحر فغرق أكثرهم ولم ينج الا القليل وكان ذهاب هذا الاسطول مما أضعف المعز وقوى عليه العرب حتى أخذوا البلاد منه فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة لا يمنعهم أحد واشتغل صاحب افريقية بما دهمه من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وولي ابنه تميم فبعث أيضا اسطولا وعسكرا الى الجزيرة وقدم عليه ولديه أيوب وعليا فوصلوا الى صقلية فنزل أيوب والعسكر المدينة ونزل علي بجرجنت ثم انتقل أيوب الى جرجنت فأمر علي بن الحواس ان ينزل في قصره وأرسل هدية كثيرة فلما أقام أيوب فيها أحبه أهلها فحسده ابن الحواس فكتب اليهم ليخرجوه فلم يفعلوا فسار اليه في عسكره وقاتله فشذ أهل جرجنت من أيوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحواس يقاتل أتاه سهم غرب فقتله فملك العسكر عليهم أيوب ثم وقع بعد ذلك بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدت الى القتال ثم زاد الشر بينهم فاجتمع أيوب وعلي أخوه ورجعا في الاسطول الى افريقية سنة احدى وستين وصحبهم جماعة من أعيان صقلية والاسطولية ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين أيديهم غير قصريانه وجرجنت فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فضاق الامر على أهلهما حتى أكلوا الميتة ولم يبق عندهم ما يأكلونه فاما أهل جرجنت فسلموها الى الفرنج وبقيت قصريانه بعدها ثلاث سنين فلما اشتد الامر عليهم أذعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج لعنهم الله سنة أربع وثمانين وأربعمائة وملك رجار جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم يترك لاحد من أهلها حماما ولا دكانا ولا طاحونا ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين والاربعمائة وملك بعده ولده رجار فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فانهم لا يعرفون شيأ منه وجعل له ديوان المظالم ترفع اليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فأحبوه وعمر اسطولا كبيرا وملك الجزائر التي بين المهدية وصقلية مثل مالطة وقوصرة وجربة وقرقنة وتطاول الى سواحل افريقية وكان منه ما نذكره ان شاء الله

(ذكر وصول السلطان الى بغداد)

في هذه السنة في شهر رمضان وصل السلطان الى بغداد وهي المرة الثانية ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل اليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب وغيرهما

أسود يبعث براهم ويرونه وأمرهم أن يتناولوا في ملازمته فأتت عليه أيام وهو قاعد لا يتكلم ولا يستاق ولا يضطجع وكلما خفق خفقة وخز فنكه ورفع رأسه حتى اذا ضعف وقارب التلف أمر باحضاره فأعاد عليه ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الايمان فحلف على ذلك كله وبما لم يستحلفه به انه ما أخذ المال ولا يعرف من أخذه فقال المعتضد ان خضر قال يشهد أنه برىء وأن ما يقول حق وان التوابين قد عرفوا صاحبه وقد أغنا في هذا الرجل وسأله أن يجعله في حل ففعل ثم أمر باحضار مائدة عليها طعام وأحضر بارد الشراب وأمره بالجلوس والاكل والشرب فاقبل يأكل ويشرب ويحث على الاكل ويلقم ويعاد الشراب عليه ويكرر حتى لم يبق للاكل والشرب موضع ثم أمر ببخور وطيب فبخر وطيب وأتى له بحشية ريش فوطئ له ومهد فلما استقى واستراح وغفا أمر بازعاجه وسرعة ايقاظه فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفي عينيه الوسن فقال له حدثني كيف صنعت وكيف نقبت ومن أين خرجت والى أين ذهبت بالمال ومن كان معك قال ما سكنت الا وحدي وخرجت من النقب الذى دخلت منه وكان مقابل الدار حمام له كوم شوك يوقد به فأخذت المال ورفعت

أرباب دولته يقول له ان كنت شريكي في الملك ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم وان كنت نائبي وبحكمي فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولي ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسل معهم الامير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له تعرفني ما يقول فربما كتم هؤلاء شيأ فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعلم فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيري ورأيي أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان وذكر جماعة من خرج عليه وهو ذلك الوقت يتمسك بي ويلازمني ولا يخالفني فلما قدت الامور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصي والداني أقبل يتجنى لي الذنوب ويسمع في السعايات قولوا له عني ان ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى أطبقت هذه زالت تلك فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه وأطال في هذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عني مهما أردتم فقد أهمني ما لقيني من توبيخه وفت في عضدي فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان وان يقولوا له ما مضمونه العبودية والتنصل ومضوا الى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى يلبرد الى السلطان فاعلمه ما جرى وبكر الجماعة الى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان انه لم يقل هذا وانما قال كيت وكيت فاشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له وأكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله في المنام فسأله عن حاله فقال كان يعرض علي جميع عملي لولا الحديدة التي أصبت بها يعني القتل

﴿ذكر ابتداء حاله وشيء من أخباره﴾

اما ابتداء حاله فكان من أبناء الدهاقين بطوس فزال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت أمه وهو رضيع فكان أبوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية وسر الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلا وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل بالاعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض حضرا وسفرا وكان يطوف بلاد خراسان ووصل الى غزنة في صحبة بعض المتصرفين ثم لزم أبا علي بن شاذان متولي الامور ببلخ لداود والد السلطان الب ارسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وأمانته وصار معروفا عندهم بذلك فلما حضرت أبا علي بن شاذان الوفاة أوصى الملك الب ارسلان به وعرفه حاله فولاه شغله ثم صار وزيرا له الى ان ولي السلطنة بعد عمه طغرلبك واستمر على الوزارة لانه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء سديدة قادت السلطنة الى الب ارسلان فلما توفي الب ارسلان قام بامر ابنه ملكشاه وقد تقدم ذكر هذه الجمل مستوفى مشروحا وقيل ان ابتداء أمره أنه كان يكتب للامير تاجر صاحب

الخ وقال أنت ابن المغازلي قلت نعم يا أمير المؤمنين قال قد بلغني أنك تحكي وتضحك وأنك تأتي بحكايات عجيبة ونوادر طريفة قلت نعم يا أمير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع بها الناس وأتقرب الى قلوبهم بحكايتها ألتمس برهم وأتعيش بما أناله منهم قال فهات ما عندك وتحذق فيه فان أضحكتني أجزتك بخمسمائة درهم وان لم أضحك فما لي عليك فقلت اليمين والخذلان ما معي الا قفاي فاصفعه ما أحببت وكم شئت وبما شئت فقال لي قد أنصفت ان أضحكتني فلك ما ضمنت وان أنا لم أضحك صفعتك بهذا الجراب عشر صفعات فقلت في نفسي ملك لا يصفع الا بشيء يسير وبشيء خفيف هين ثم التفت واذا أنا بجراب أدم ناعم في زاوية البيت فقلت في نفسي ما أخطأ حزري ولا أخلف ظني وما عسى أن يكون من جراب فيه ريح ان أنا أضحكته ربحت وان أنا لم أضحكه فامر عشر صفعات بجراب منفوخ هين ثم أخذت في النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة فلم أدع حكاية أعرابي ولا نحوي ولا مخنث ولا قاض ولا زطي ولا نبطي ولا سندي ولا زنجي ولا خادم ولا شطارة ولا عبارة ولا نادرة ولا حكاية الا أحضرتها وأتيت بها حتى نفد جميع ما عندي وتصدع رأسي ولم يبق ورائي خادم الا هرب ولا غلام الا ذهب لما استفزهم الضحك وورد عليهم

﴿ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام﴾

لما كان السلطان ببغداد قدم اليه أخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرها فلما أذن لهم السلطان في العود الى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان ان يسيرا مع عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولي على ما للخليفة المستنصر العلوي بساحل الشام من البلاد ويسيروهم معه الى مصر ليملكها فساروا أجمعون الى الشام ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان الضرر به وبأولاده عظيما على المسلمين فحصروا البلد وضيقوا على من به فملكه تاج الدولة وأخذ ابن ملاعب وولديه وسار الى قلعة عرقة فملكها عنوة وسار الى قلعة افامية فملكها أيضا وكان بها خادم للمصري فنزل بالامان فأمنه ثم سار الى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك بن عمار جيشا لا يدفع الا بحيلة فأرسل الى الامراء الذين مع تاج الدولة وأطمعهم ليصلحوا حاله فلم يرفهم مطمعا وكان مع قسيم الدولة آقسنقر وزير له اسمه زرين كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده لينا فاتحفه وأعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في اصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين ألف دينار وتحفا بمثلها وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد والتقدم الى النواب بتلك البلاد بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربته فقال آقسنقر لتاج الدولة تتش لا اقاتل من هذه المناشير بيده فاغلظ له تاج الدولة وقال هل أنت الا تابع لي فقال آقسنقر أنا أتابعك الا في معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة الى الرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان أيضا الى بلاده فانتقض هذا الامر

﴿ذكر ملك السلطان اليمن﴾

وكان ممن حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان وهو صاحب قرميسين وغيرها فأمره السلطان ان يسير هو وجماعة من أمراء السلطان كانوا معه الى الحجاز واليمن ويكون أمرهم الى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هنالك فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك فساروا حتى وردوا اليمن فاستولوا عليها وأساؤا السيرة في أهلها ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة الا ارتكبوها وملكوا عدن وظهر على ترشك الجدري فتوفي في سابع يوم من وصوله اليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه الى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه

﴿ذكر مقتل نظام الملك﴾

في هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان في أصبهان وقد عاد الى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد ان فرغ من افطاره وخرج في محفته الى خيمة حرمه أتاه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميح أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب فعثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه وركب السلطان الى خيمته فسكن عسكره وأصحابه وبقي وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان الب ارسلان صاحب خراسان أيام عمه طغرلبك قبل ان يتولى السلطنة وكان قد عاش سنة فانه كان مولده سنة ثمان وأربعمائة وكان سبب قتله ان عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان اليها شحنة يقال له قودن وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الامراء في دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة في شيء فحمل عثمان حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على ان قبض عليه وأخرق به ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فارسل السلطان الى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاساني وغيرهما من

بأخبار ونوادر ومضاحك ويعرف بابن المغازلي وكان في نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك قال ابن المغازلي فوقفت يوما في خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأنادر فحضر حلقتي بعض خدم المعتضد فأخذت في حكاية الخدم فأعجب الخادم بحكايتي وأشغف بنوادري ثم انصرف عني فلم يلبث ان عاد وأخذ بيدي وقال اني لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدي المعتضد أمير المؤمنين فذكرت حكايتك وما جرى من نوادرك فاستضحكت فرآني أمير المؤمنين فأنكر ذلك مني وقال ويلك ما لك فقلت يا أمير المؤمنين على الباب رجل يعرف بابن المغازلي يضحك ويحاكي ولا يدع حكاية أعرابي وتركي ومكي ونحوي ونبطي وزنجي وسندي وخادم الا حكاها ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثكول وتصبي الحليم وقد أمرني باحضارك ولي نصف جائزتك فقلت له وقد طمعت في الجائزة السنية يا سيدي أنا ضعيف وعلي عيلة وقد من الله علي بك فما عليك ان أخذت بعضها سدسا أو ربعها فأبى الا نصفها فطمعت في النصف وقنعت به فأخذ بيدي وأدخلني عليه فسلمت وأحسنت ووقفت في الموضع الذي أوقفت فيه فرد علي السلام وقد كان ينظر في كتاب فلما نظر في أكثره أطبقه ثم رفع رأسه

أرباب

الطلع ولم يبق غير ايسها والجلوس في الدست اتفق ان السلطان خرج الى الصيد وعاد ثالث شوال مريضا وأشب الوت الطاره فيه ولم يمنع منه سنعة ملكه وكثرة عساكره وكان سبب مرضه انه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال ولما ثقل نقل أرباب دولته أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفي سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمته وأعادت جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان الى أبيه المقتدي بأمر الله وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وأرسلت قوام الدولة كربوقا الذي صار صاحب الموصل الى اصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر ان السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله لم يصل عليه أحد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة سبع وأربعين وأربعمائة وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت أيامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد ومن افعاله انه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك بأي شيء دعوت قال دعوت الله ان ينصرك فقال اما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية وحكي عنه ان سواديا لقيه وهو يبكي فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لا أملك سواها فغلبني عليه ثلاثة نفر من الاتراك فأخذوه مني فقال السلطان له اقعد ثم أحضر فراشا وقال قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فغاب ثم عاد ومعه البطيخ فأمره باحضار من وجده عنده فأحضره فسأله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلماني جاؤني به فأمر ان يجيئهم اليه فمضى وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم أجدهم فقال للسوادي خذ هذا مملوكي قد وهبته لك عوضا عن بطيخك وبحضر الذين أخذوه والله لئن أطلقته لاضربن عنقك فأخذه السوادي فاشترى الغلام نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد السوادي الى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلثمائة دينار فقال أرضيت بذلك قال نعم قال امض مصاحبا بالسلامة وقال عبد السميع بن داود العباسي شاهدت ملكشاه وقد أتاه رجلان من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية بعرف بابني غزال فلقياه فوقف لهما فقالا ان مقطعنا الامير خمارتكين قد صادرنا بألف وستمائة دينار وقد كسر ثنيتي أحدنا وأراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فان أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك والا فالله يحكم بيننا قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني الى خواجه حسن يعني نظام الملك فامتنعا من ذلك واعتذرا فأقسم عليهما الا فعلا فأخذ كل واحد منهما بكم من كميه ومشى معهما الى نظام الملك فبلغه الخبر فخرج مسرعا فلقيه وقبل الارض وقال يا سلطان العالم ما حملك على هذا فقال كيف يكون حالي غدا عند الله اذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الامر لتكفيني مثل هذا الموقف فان نال الرعية أذى فأنت المطالب فانظر لي ولنفسك فقبل الارض ومشى في خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل الامير خمارتكين عن اقطاعه ورد المال عليهما واعطاهما مائة دينار من عنده وأمرهما باثبات البينة انه قلع ثنيته ليقلع ثنيته عوضها فرضيا وانصرفا وقيل انه ورد بغداد ثلاث دفعات فنفاه الناس من غلاء الاسعار وتعدي الجند فكانت الاسعار أرخص منها قبل قدومه وكان الناس

وقال يا أمير المؤمنين أي شيء قضاني ورأى جنابة حلاتي فقلت له هذه جائزتي وأنت شريكي وقد أسلفتني نصفها وفي نصيبك منه فقلت أحلف الصفع وطرف قفاه الصافع أقدمت عليه أقول له أقول لك اني ضعيف مهيل وشكوت اليك الحاجة والمسكنة وأقول يا سيدي لا تأخذ نصفها لك ستدعيها للشريعة وأنت تقول ما آخذ الا نصفها ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزه صفع وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك من قولي للخادم وعتابي له فلما استوفى ضحكه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت تكأته صرة قد كان أعدها فيها خمسمائة درهم ثم قال له وقد أراد الانصراف قف هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت لك شريكا فيها ولعلني كنت أمنعه منها فقلت يا أمير المؤمنين وأين الامانة وقبح الخيانة ووددت أنك كنت تدفعها كلها اليه وتصفعه مع العشرة عشرة أخرى وتدفع له الخمسمائة درهم فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا (وفي سنة) اثنتين وثمانين ومائتين كانت وفاة اسمعيل ابن اسحق القاضي والحرث ابن أبي أسامة وبلال بن العلاء الرقي (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين نزل المعتضد تكريت وسار الحسن بن حمدان في الاولياء لحرب هرون الشاري فكانت بينهم

بخ وكان الامير يصادره في رأس كل سنة و يأخذ ما معه و يقول له قد سمنت يا حسن و يدفع اليه فرسا ومقرعة ويقول هذا أكفى بك فلما طال ذلك عليه أخذ في أولاده فخر الملك ومؤيد الملك وهرب الى جغرى بك داود والد الب ارسلان فوقف فرسه في الطريق فقال اللهم اني اسألك فرسا تخلصني عليه فسار غير بعيد فلقيه تركماني وتحته فرس جواد فقال لنظام الملك انزل عن فرسك فنزل عنه فأخذه التركماني وأعطاه فرسه فركبه وقال له لا تنسني يا حسن قال نظام الملك فقويت نفسي بذلك وعلمت انه ابتداء سعادة فسار نظام الملك الى مرو ودخل على داود فلما رآه أخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذه والدا لا يخالفه وكان الامير تاجر لما سمع بهرب نظام الملك سار في أثره الى مرو فقال لداود هذا كاتبي ونائبي قد أخذ أموالي فقال له داود حديثك مع محمد يعني الب ارسلان وكان اسمه محمدا فلم يتجاسر تاجر على خطابه فتركه وعاد * وأما أخباره فانه كان عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح أمر ببناء المدارس في سائر الامصار والبلاد وأجرى لها الجرايات العظيمة وأملى الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول اني لست من أهل هذا الشان لما تولاه ولكني أحب أن أجعل نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع المؤذن أمسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فاذا فرغ لا يبدأ بشيء قبل الصلاة وكان اذا غفل المؤذن ودخل الوقت يأمره بالاذان وهذا غاية حال المنقطعين الى العبادة في حفظ الاوقات ولزوم الصلوات وأسقط المكوس والضرائب وأزال لعن الاشعرية من المنابر وكان الوزير عميد الملك الكندري قد حسن للسلطان طغرلبك التقدم بلعن الرافضة فأمره بذلك فاضاف اليهم الاشعرية ولعن الجميع فلهذا فارق كثير من الائمة بلادهم مثل امام الحرمين وأبي القاسم القشيري وغيرهما فلما ولي الب ارسلان السلطنة أسقط نظام الملك ذلك جميعه وأعاد العلماء الى أوطانهم وكان نظام الملك اذا دخل عليه الامام أبو القاسم القشيري والامام أبو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل أبو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له في ذلك فقال ان هذين وأمثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي أنت كذا وكذا يثنون علي بما ليس في فيزيدني كلامهم تجبرا وتيها وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما أنا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وأرجع عن كثير مما أنا فيه وقال نظام الملك كنت أتمنى أن يكون لي قرية خالصة ومسجد أتفرد فيه لعبادة ربي ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لي قطعة أرض أتقوت بريعها ومسجد أعبد الله فيه وأما الآن فانا أتمنى أن يكون لي رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه وقيل كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه أخوه أبو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فأمره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرب المقطوع اليه فأكل معه وكانت عادته أن يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه ويدنيهم وأخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها المجاميع السائرة في البلاد

(ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته)

سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة وكان السلطان قد أمر ان تفصل خلع الوزارة لتاج الملك وكان هو الذي سعى بنظام الملك فلما فرغ من

من الاخر فقلت يا أمير المؤمنين قد بعد والله ما بيني وتصدع رأيي وذهب معاشي وما رأيت قط مثلك وما بقيت لي الا نادرة واحدة فقال هاتها فقلت يا أمير المؤمنين وعدتني أن تصفعني عشرا وجعلتها مكان الجائزة فاسألك أن تضعف الجائزة وتضعف الصفع عشرا فاراد أن يضحك فاستمسك ثم قال نفعل يا غلام خذ بيده فأخذ بيدي ومددت قفاي فصفعت بالجراب صفعة فكأنما سقط على قفاي قلعة واذا فيه حصى مدور كأنه صنجات فصفعت به عشرا كادت أن تنفصل رقبتي و ينكسر عنقي وطنت أذناي وقدح الشعاع من عيني فلما استوفيت العشرة صحت يا سيدي نصيحة فرفع الصفع عني بعد أن عزم على ايفاء ما كنت سألته من أضعاف جائزتي فقال ما نصيحتك قلت يا سيدي انه ليس في الدنيا أحسن من الامانة ولا أقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذي أدخلني عليك نصف هذه الجائزة على قلتها أو كثرتها وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد أضعفها وقد استوفيت نصفها وبقي للخادم نصفها فضحك حتى استلقى واستفزه ما كان قد سمعه مني أولا وتحامل له وصبر عليه فما زال يضرب بيديه و يفحص برجله و يمسك مراق بطنه حتى اذا سكن ضحكه ورجعت اليه نفسه قال علي بفلان الخادم فأتي به وكان طوالا فأمر بصفعه

الخادم

وأخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر الى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الامراء الذين في عسكر خاتون الى بركيارق منهم الامير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذى الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا الى اصبهان وصار بركيارق في أثرهم فحصرهم باصبهان

﴿ ذكر قتل تاج الملك ﴾

كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب الى نواحى بروجرد فأخذ وحمل الى عسكر بركيارق وهو يحاصر اصبهان وكان يعرف كفايته فاراد ان يستوزره فشرع تاج الملك في اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتي ألف دينار سوى العروض فزال ما في قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الاصاغر على الاستغاثة وان لا يقنعوا الا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه أجزاء وكان قتله في المحرم سنة ست وثمانين وحمل الى بغداد أحد أصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى جميع محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذى بنى تربة الشيخ أبى اسحق الشيرازى وعمل المدرسة التى الى جانبها ورتب بها الشيخ أبا بكر الشاشى وكان عمره حين قتل سبعا وأربعين سنة

﴿ ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة ﴾

سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة ورحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة وقد طمعوا بموت السلطان وبعد العسكر فأوقعوا بهم وقتلوا أكثر الجند الذين معهم وانهزم باقيهم ونهبوا الحجاج وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا فى أهلها فرماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد ان نهبوا وأخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء فوصل الخبر الى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فادركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فيها فى ربيع الاول عاد السلطان من بغداد الى أصبهان وأخذ معه الامير أبا الفضل جعفر بن الخليفة المقتدى بأمر الله من ابنة السلطان وتفرق الامراء الى بلادهم ثم عاد الى بغداد فتوفى كما ذكرناه وفيها فى جمادى الاولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد الى خربة الهراس الى باب دار الضرب واحترق سوق الصاغة والصيارف والمخلطين والريحانيين وكان الحريق من الظهر الى العصر فاحترق منها الامر العظيم فى الزمان القليل واحترق من الناس خلق كثير ثم ركب عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكبا حتى طفئت النار وفى هذه السنة توفى عبد الباقى بن محمد بن الحسين بن ناقيا الشاعر البغدادى سمع الحديث وكان يتهم بأنه يطعن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فاذا فيها مكتوب

نزلت بجار لا يخيب ضيفه ❊ ارجى نجاتى من عذاب جهنم
وانى على خوفى من الله واثق ❊ بانعامه والله أكرم منعم

وفيها توفى هبة الله بن عبد الوارث بن على بن أحمد أبو القاسم الشيرازى الحافظ أحد الرحالين فى طلب الحديث شرقا وغربا وقدم الموصل من العراق وهو الذى أظهر سماع الجعديات لابى محمد

بالكلاليب والفاصة وارتفع الضجيج وكثر الصراخ من الجانبين جميعا فبينما الناس كذلك اذ أخرج بعض الفاصة صبيا عليه حلى فاخرة من ذهب وجوهر فصرعه شيخ من الشطار طرار فجعل يلطم وجهه حتى دمى أنفه ثم تمرغ فى التراب وأظهر أنه ابنه وجعل يقول يا سيدى لم تمت اذ آخر جولتهم صحا سويا لم يأكلك السمك ولم تمت حتى اذ كانت عينى بك مرة قبل الموت وأخذه فحمله على حمار ثم مضى به فبارح القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك الآن الصبى فى أيديهم وليس معه ما كان عليه من حلى وثياب وانما أراد أن يكفنه ويصلى عليه ويدفنه فخبره الناس بالخبر فبقى هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين وسألوا عنه واستخبروا فاذا لا عين ولا أثر وعرف تاويهذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأيسوا أبا الغريق منه وذكروا أنه شيخ قد أعياهم أمره وحيرهم كيده وأنه بلغ من حيلته وخبثه ودهائه أنه أتى يوما من أول الصباح الى باب بعض العدول الكبار المشهورين بالرياسة واليسار ومعه جرة فارغة على عاتقه وفأس وزنبيل فقام فى ثوب خلق ولم يتكلم حتى وضع الفأس فى الدكاكين التى على باب ذلك العدل فهدمها وجعل ينقى الآجر ويعزله

يحرقون عساكره ليلا ونهارا فلا يخافون أحدا ولم يتعد عليهم أحد وأسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التى فى المفاوز وحفر الانهار الخراب وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد باصبهان وبنى منارة القرون بالسبيعى بطريق مكة وبنى مثلها بما وراء النهر واصطاد مرة صيدا كثيرا فامر بعده فكان عشرة آلاف رأس فامر بصدقة عشرة آلاف دينار وقال انى خائف من الله تعالى كيف ازهقت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من الثياب والاموال بين أصحابه مالا يحصى وصار بعد ذلك كلما صاد شيأ تصدق بعدده دنانير وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضا وقيل ان بعض أمراء السلطان كان نازلا بهراة مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن فى داره فقال يوما ذلك الامير للسلطان وهو سكران ان عبد الرحمن يشرب الخمر ويعبد الاصنام من دون الله تعالى ويحلل الحرام فلم يجبه ملكشاه فلما كان الغد صحا ذلك الامير فاخذ السلطان السيف وقال له اصدقنى عن فلان والا قتلتك فطلب منه الامان فامنه فقال ان عبد الرحمن له دار حسناء وزوجة جميلة فاردت ان تقتله فافوز بداره وزوجته فابعده السلطان وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعايته وتصدق باموال جليلة المقدار

(ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الاكبر بركيارق الى ان ملك)

لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون موته كما ذكرناه وأرسلت الى الامراء سرا فارضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره أربع سنين وشهور وأرسلت الى الخليفة المقتدى فى الخطبة لولدها أيضا فاجابها وشرط ان يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون المدبر لزعامة الجيوش ورعاية البلد هو الامير أنز ويصدر عن رأى تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الاموال الى تاج الملك أيضا وكان تاج الملك هو الذى يدبر الامر بين يدى خاتون فلما جاءت رسالة الخليفة الى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها ان ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان المخاطب لها فى ذلك الغزالى فاذعنت له وأجابت اليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين وكانت الخطبة يوم الجمعة الثانى والعشرين من شوال من السنة وخطب له بالحرمين الشريفين ولما مات السلطان ملكشاه أرسلت تركان خاتون الى اصبهان فى القبض على بركيارق ابن السلطان وهو أكبر أولاده خافته ان ينازع ولدها فى السلطنة فقبض عليه فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك باصبهان فاخذوه وثاروا فى البلد وأخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له باصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق زبيدة ابنة ياقوتى بن داود وهى ابنة عم ملكشاه خائفة على ولدها من خاتون أم محمود فاتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى اصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالاموال فوعدهم فلما وصلوا الى قلعة برجين صعد اليها لينزل الاموال منها فلما استقر فيها عصى على خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيأ فانه كان قد علم ما جرى فاستظهر وأخفاه ولما وصلت تركان خاتون الى اصبهان لحقها تاج الملك واعتذر بان مستحفظ القلعة حبسه وانه هرب منه اليها فقبلت عذره وأما بركيارق فانه لما قاربت خاتون وابنها محمود اصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الرى فلقيهم ارغش النظامى فى عساكره ومعه جماعة من الامراء وصاروا يدا واحدة واغتاظ النظامية على الميل الى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لانه كان عدو نظام الملك والمتهم بقتله فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك وأخذوها

حرب عظيمة كانت للحسن بن حمدان عليه فاتى به المعتضد أسيرا بغير أمان ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد وقد نصبت له القباب وزينت له الطرقات وعبى المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبية وأكمل هيئة فاشتقوا بغداد الى القصر المعروف بالحسنى ثم خلع المعتضد على الحسين بن حمدان خلعا شرفه بها وطوقه بطوق من ذهب وخلع على جماعة من فرسانه ورؤساء أصحابه وأهله وشهرهم فى الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ثم أمر بالشارى فاركب فيلا وعليه دراعة ديباج وعلى رأسه برنس خز طويل وخلفه أخوه على جمل فالج وهو ذو السنامين وعليه دراعة ديباج وبرنس خز وسيرهم فى أثر الحسين بن حمدان وأصحابه ثم دخل المعتضد فى أثره عليه قباء أسود وقلنسوة محددة على فرس صاف عن يساره أخوه عبد الله بن الموفق وخلفه بدر غلامه وأبو القاسم عبيد الله بن سليمان ابن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبد الله فاكثر الناس الدعاء له وتكاثف الناس فى منصرفهم من الجانب الشرقى الى الغربى فانخسف بهم كرسى الجسر الاعلى وسقط على زورق علوه ناسا فغرق فى هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف واستخرج الناس من دجلة

ألفا وكان تتش في عشرة آلاف وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم وتمت الهزيمة على ابراهيم والعرب وأخذ ابراهيم أسيرا وجماعة من أمراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت أموال العرب وما معهم من الابل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفا من السبي والفضيحة وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها واستناب بها علي بن شرف الدولة مسلم وأمه صفية عمة تتش وأرسل الى بغداد يطلب الخطبة وساعده كوهرائين على ذلك فقيل لرسوله أنا ننتظر وصول الرسل من العسكر فعاد الى تتش بالجواب

﴿ ذكر ملك تتش ديار بكر واذربيجان وعوده الى الشام ﴾

فلما فرغ تاج الدولة تتش من أمر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار الى ديار بكر في ربيع الآخر فملك ميافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان وسار منها الى اذربيجان فانتهى خبره الى ابن أخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير من البلاد منها الري وهمذان وما بينهما فلما تحقق الحال سار في عساكره ليمنع عمه عن البلاد فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر لبوزان انما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنه ونريد أن نكون معه فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركيارق فلما رأى تاج الدولة تتش ذلك علم انه لا قوة له بهم فعاد الى الشام واستقامت البلاد لبركيارق فلما قوي أمره سار كوهرائين الى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش وأعانه برسق وتعصب عليه كمشتكين الجاندار فأخذ اقطاعه وأعطى الامير ايلبرد زيادة وولي شحنكية بغداد عوض كوهرائين وتفرق عن كوهرائين أصحابه فكان ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها ﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله العلوي صاحب مصر مدينة صور وسبب ذلك ما ذكرنا سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أن أمير الجيوش بدرا وزير المستنصر سير العساكر الى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها قد امتنع من طاعتهم فملكها وقرر أمورها وجعل فيها الامراء وكان قد ولي مدينة صور لامير يعرف بمنير الدولة الجيوشي فعصى على المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور فسيرت العساكر من مصر اليه وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه فلما وصل العسكر المصري الى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع ونهب من البلد شيء كثير وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا الى مصر وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فاجحفت بهم ولما وصل منير الدولة الى مصر ومعه الاسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم

﴿ ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتي خال بركيارق ﴾

في هذه السنة في شعبان قتل اسمعيل بن ياقوتي بن داود وهو خال بركيارق وابن عم ملكشاه وسبب قتله انه كان باذربيجان أميرا لها فأرسلت اليه تركان خاتون زوجة ملكشاه تطمعه ان تتزوج به وتدعوه الى محاربة بركيارق فأجابها الى ذلك وجمع خلقا كثيرا من التركمان وغيرهم وصار أصحاب سرهنك ساوتكين في خيله وأرسلت اليه تركان خاتون كربوقا وغيره من الامراء في عسكر كثير مددا له فجمع بركيارق عساكره وسار الى حرب خاله اسمعيل فالتقوا عند الكرج

غريبة وحيل وهو الذي احتال للمتوكل حتى اتهم بختيشوع الطبيب ٧٧ أنه ان سرق من داره شيئا رده في الاث ليال ذكرت من ذلك الشهر فلما أن حمل الى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار وان خرجت هذه الليالي ولم يتم عليه ما ذكرناه الصيغة الذين ذكرها في المبايعة فأتى بهذا الشيخ في عنفوان شبابه الى المتوكل فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيئا لا ينكره وقد كان بختيشوع حرس داره وحصنها في هذه الليالي فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة الى أن سرق بختيشوع وجعله في صندوق وأتى به المتوكل في خبر ظريف وأنه رسول لعيسى بن مريم نزل الى بختيشوع بشمع أسرجه وتخليط عمله وبنج في طعام اتخذه وأطعمه الحراس لداره في تلك الليلة وقد ذكرنا ذلك في كتابنا أخبار الزمان وهذا الشيخ قد برز في مكايده وما أورده من حيله على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم (واطلاب صنعة الكيمياء) من الذهب والفضة وأنواع الجواهر من اللؤلؤ وغيره وصنعة أنواع الاكسيرات من الاكسير المعروف بالفرار وغيره واقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك ممن خدعهم وحيلهم في القرع والمغناطيس والتقطير والتكليس والبوادق

اصحر يغنى ولم يكن يعرف ذلك

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين واربعمائة﴾

﴿ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق﴾

كان عز الملك أبو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيما بخوارزم حاكما فيها وفى كل ما يتعلق بها اليه المرجع فى كل أمورها السلطانية فلما كان قبل ان يقتل أبوه حضر عنده خدمة له وللسلطان فقتل أبوه ومات السلطان فأقام باصبهان الى الآن فلما حصرها بركيارق وكان أكثر عسكره النظامية خرج من أصبهان هو وغيره من اخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه وأكرمه وفوض امور دولته اليه وجعله وزيراله

﴿ذكر حال تتش بن الب ارسلان﴾

كان تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وماجاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت أخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق اليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فأخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق يتجهز لطلب السلطنة فجمع العساكر وأخرج الاموال وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملكشاه وصغرهم فعلم انه لا يطيق دفع تتش فصالحه وصار معه وأرسل الى باغى سيان صاحب انطاكية والى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تتش حتى يروا مايكون من أولاد ملكشاه ففعلوا وصاروا معه وخطبوا له فى بلادهم وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها فى المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنة ثم ساروا الى نصيبين فحصروها فسب أهلها تاج الدولة ففتحها عنوة وقهرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا ونهبت الاموال وفعل فيها الافعال القبيحة ثم سلمها الى الامير محمد بن شرف الدولة العقيلى وسار يريد الموصل وأتاه الكافى بن فخر الدولة بن جهير وكان فى جزيرة ابن عمر فأكرمه واستوزره

﴿ذكر وقعة المضيع وأخذ الموصل من العرب﴾

كان ابراهيم بن قريش بن بدران أمير بنى عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ليحاسبه فلما حضر عنده اعتقله وأنفذ فخر الدولة بن جهير الى البلاد فملك الموصل وغيرها وبقى ابراهيم مع ملكشاه وسار معه الى سمرقند وعاد الى بغداد فلما مات ملكشاه أطلقته تركان خاتون من الاعتقال فسار الى الموصل وكان ملكشاه قد أقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابنها على وكانت قد تزوجت بعده شرف الدولة بأخيه ابراهيم فلما مات ملكشاه قصدت الموصل ومعها ابنها على فقصدها محمد بن شرف الدولة وأراد أخذ الموصل فافترقت العرب فرقتين فرقة معه وأخرى مع صفية وابنها على واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر على وانهزم محمد وملك على الموصل فلما وصل ابراهيم الى جهينة وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ سمع ان الامير على ابن أخيه شرف الدولة قد ملكها ومعه أمه صفية عمة ملكشاه فاقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد اليه فأقام به فلما ملك تتش نصيبين أرسل اليه يأمره ان يخطب له بالسلطنة ويعطيه طريقا الى بغداد لينحدر ويطلب الخطبة بالسلطنة فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش اليه وتقدم ابراهيم أيضا نحوه فالتقوا بالمضيع من أعمال الموصل فى ربيع الاول وكان ابراهيم فى ثلاثين

ع ذلك العدل بيده ما وقع الفأس والهدم فخرج لينظر فاذا الشيخ دائب يهدم كما كتبه الى على باب اره فقال ياعبد الله أى شئ تصنع ومن أمرك بهذا فجعل الشيخ يعمل عمله لا يلتفت الى العدل ولا كلامه فاجتمع الجيران وهم فى المحاورة فاخذوا الشيخ فوكزه هذا ودفعه هذا فالتفت اليهم فقال ويلكم أى شئ تريدون منى أما تستحيون تعبثون بى وأنا شيخ كبير فقالوا أما لنا العبث بك وبعلك من أمرك بهذا قال ويحكم أمرنى صاحب الدار فقالوا هذا صاحب الدار يكلمك قال لا والله ماهو هذا فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه وقالوا هذا مجنون أو مخدوع خدعه بعض جيران هذا العدل ممن قد حسده على ما أنعم الله تعالى به عليه وهم الذين حملوا هذا الشيخ على هذا الفعل فلما منعوه من الهدم مضى الى الجرة التى جاء بها وقد كان وضعها الى جانب الباب فأدخل يده فيما كانه قد خبأ ثيابه فيها فصرخ وبكى فلم يشك العدل أن محتالا خدعه وأخذ ثيابه فقال وأى شئ ذهب لك قال قميص جديد اشتريته أمس وملحفة لبنتى وسراويل فرقواله جميعا ودعا العدل فكساه ووهب له دراهم كثيرة ووهب له الجيران دراهم كثيرة وانصرف غانما وهذا الشيخ كان يعرف بالعقاب ويكنى بأبى البازوله أخبار

الفا

رمضان بالامام المقتدى بأمر الله وفى جمادى الاولى توفى الامير أبو الفضل جعفر بن المقتدى وأمه ابنة السلطان ملكشاه ومولده فى ذى القعدة سنة ثمانين واليه تنسب الجعفريات وفى رجب توفى الشيخ أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن الحسين الوكيل بالحريم وكان فقيها شافعيا كثير الاحسان الى أهل العلم وكان محمودا فى ولايته وفيها توفى كمال الملك الدهستانى الذى كان عميد بغداد وفى رمضان توفى الشطب بن محمد الحنفى بالكحيل من أرض الموصل وكان الخليفة قد أرسله الى بركيارق وكان بالموصل ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا وكان شيخا كبيرا عالما مكرما عند الملوك وحمل الى العراق ودفن عند أبى حنيفة وفيه توفى القاضى أبو على يعقوب بن ابراهيم المرزبانى قاضى باب الازج وولى مكانه القاضى أبو المعالى عزيزى وكان أبو المعالى شافعيا أشعريا فعاملوه مع أهل باب الازج أقاصيص وحكايات عجيبة وفيها توفى نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث وأبو الفتح التنكتى له كنيتان سافر البلاد شرقا وغربا وروى صحيح مسلم وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست وأربعمائة وفى ذى الحجة منها توفى أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الحنبلى الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ والسمت

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر الخطبة للسلطان بركيارق ﴾

فى هذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قدمها أواخر سنة ست وثمانين وأرسل الى الخليفة المقتدى بأمر الله يطلب الخطبة فأجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع الى بركيارق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه وتوفى فجأة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وولى ابنه الامام المستظهر بالله الخلافة فأرسل الخلع والتقليد الى السلطان بركيارق فأقام ببغداد الى ربيع الاول من السنة وسار عنها الى الموصل

﴿ ذكر وفاة المقتدى بأمر الله ﴾

فى هذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفى الامام المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله ابن الذخيرة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين فجأة وكان قد أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ثم قدم اليه طعام فأكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها ما هذه الاشخاص التى دخلت على بغير أذن قالت فالتفت فلم أر شيأ ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قوته وسقط الى الارض فظننتها غشية قد لحقته فحللت ازرار ثوبه فوجدته قد ظهرت عليه أمارات الموت ومات لوقته قالت فتماسكت وقلت لجارية عندى ليس هذا وقت اظهار الجزع والبكاء فان صحت قتلتك وأحضرت الوزير فأعلمته الحال فشرعوا فى البيعة لولى العهد وجهزوا المقتدى وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين وأمه أم ولد أرمنية تسمى أرجوان وتدعى قرة العين أدركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له فخر الدولة أبو نصر بن جهير ثم أبو شجاع ثم عميد الدولة أبو منصور بن جهير وقضاته أبو عبد الله الدامغانى ثم أبو بكر الشامى وكانت أيامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعظمت الخلافة أكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة محال فى خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والاجمة ودرب القيار وخربة ابن جردة وخربة

من كيفية الاعمال وهذا باب قد تنازع الناس فيه من قول قارون وغيره ونحن نعوذ بالله من النهوض فيما يضعف الدماغ ويذهب بنور الابصار ويكسف الالوان من بخار التصعيدات ورائحة الزاجات وغيرهما من الجمادات (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء بالاسرى بين المسلمين والروم فى شعبان وكان بدؤه يوم الثلاثاء وفيه كان مسير جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون من الشام الى مصر فى جيوشه فخالفه طغج بدمشق بعد ذلك (وفيها) خرج عن جيش بن خمارويه خاقان المفلحى وبدر بن كشجور وابن كنداج فساروا الى وادى القرى ودخلوا مدينة السلام فخلع عليهم المعتضد (وفيها) كان الشغب بمصر وقتل أحمد الماوردى بن محمد بن على المادرانى المقبوض عليه فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بمصر وقبض على جيش بن خمارويه ونصب أخوه هرون بن خمارويه مكانه وكانوا قد نقموا على جيش تقدمه لغلامه نحج المعروف بالطولونى وأخيه سلامة المعروف بالمؤتمن وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صحب جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضى وأراه مع المتقى فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى عمر ومقدام بن عمرو

فاختار الامير بلبرد الى بركيارق وصار معه فانهزم اسمعيل وعسكره وتوجه الى أصبهان فأكرمته تركان خاتون وخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الامر في الوصلة يتم بينهما فامتنع الامراء من ذلك لا سيما الامير أنر وهو مدبر الامر وصاحب الجيش وآثروا خروج اسمعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضا منهم ففارقهم وراسل أخته زبيدة والدة بركيارق في اللحاق بهم فاذنت له في ذلك فوصل اليهم وأقام عندهم أياما يسيرة فخلا به كمشتكين الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوه في القول فاطلعهم على سره وانه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه

﴿ذكر أخذ الحاج﴾

في هذه السنة انقطع الحج من العراق لاسباب أوجبت ذلك وسار الحاج من دمشق مع امير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم وعادوا سار ابن سير أمير مكة وهو محمد بن أبي هاشم عسكرا فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من أموالهم وجمالهم فعادوا اليها ولقوه وسألوه أن يعيد عليهم ما أخذ منهم وشكوا اليه بعد ديارهم فاعاد بعض ما أخذ منهم فلما أيسوا منه ساروا من مكة عائدين على أقبح صورة فلما أبعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدة جهات فصانعوهم على مال اخذوه من الحاج بعد ان قتل منهم جماعة وافرة وهلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السالم على أقبح صورة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى قدم الى بغداد اردشير بن منصور أبو الحسين الواعظ العبادي وأكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو مروزي وقدم بغداد قاصدا الحج وكان له قبول عظيم بحيث ان الغزالي وغيره من الائمة ومشايخ الصوفية الكبار يحضرون مجالسه وذرع في بعض المجالس الارض التي فيها الرجال فكان طولها مائة وخمسة وسبعين ذراعا وعرضها مائة وعشرون ذراعا وكانوا يزدحمون ازدحاما كثيرا وكان النساء أكثر من ذلك وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة وكان سبب منعه من الوعظ أنه نهى ان يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح وقال هو ربا فمنع من الوعظ وأخرج من البلد وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق الآخر وقطعوا الطرقات بالجانب الغربي وقتل أهل النصرية مصلحيا فارسل كوهرائين أحرقها واتصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وكان للعميد الاغر أبي المحاسن الدهستاني في اطفاء هذه الفتنة أثر حسن وفيها في شعبان سار سيف الدولة صدقة بن مزيد الى السلطان بركيارق فلقيه بنصيبين وسار معه الى بغداد على الموصل فوصلها في ذي القعدة ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد الدولة والناس الى لقائه من عقرقوف وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سمى الفضل وكنى أبا منصور ولقب عمدة الدين وهو المسترشد بالله وفيها في رمضان قتل الامير بلبرد قتله بركيارق وكان من الامراء الكبار مع أبيه فزاده بركيارق اقطاع كوهرائين وشحنكية بغداد فلما وصل الى دقوقا أعيد منها لانه تكلم فيما يتعلق بوالدة السلطان بركيارق بكلام شنيع فلما وصل اليه أصبح مقتولا وفيها في المحرم توفي علي بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القرشي الهكاري المعروف بشيخ الاسلام وكان فاضلا عابدا كثير السماع الا ان الغرائب في حديثه كثيرة لا يدري ما سببها والامير أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر العجلي المعروف بابن ماكولا مصنف كتاب الاكمال قتله غلمانه الاتراك بكرمان ومولده سنة اثنتين وأربعمائة وكان حافظا وفيها في صفر توفي أبو محمد عاصم الضرير وكان فقيها شافعيا مقرئا نحويا وكان يصلي في

والطلب والفضة والنافع أحداث عينية وجعل الله تعالى ذكرها ووجوه المدع فيها وكيفية الاحتيال بها في كتابنا أخبار الزمان وما ذكروه في ذلك من الاشعار وما عزوه الى من سلف من اليونانيين والروم مثل قلوبطرة الملكة ومارية وما ذكره خالد بن يزيد ابن معاوية في ذلك وهو متبع أهل الصنعة من المتقدمين فيهم في شعره الذي يقول فيه

خذ الطلق مع الاشق وما يوجد في الطرق
وشيأ يشبه البرقا قدبره بلا حرق
فان أحببت مولاكا فقد سوّدت في الخلق

(وقد صنف) يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي رسالة في ذلك وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وحيلهم وترجم الرسالة بابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنهما وقد نقض هذه الرسالة على الكندي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب الكتاب المنصوري في صناعة الطب الذي هو عشر مقالات وأرى القول أن ما ذكره الكندي فاسد وان ذلك قد يتأتى فعله ولابي بكر بن زكريا في هذا المعنى كتب قد صنفها وأفرد كل واحد منها بنوع من الكلام في هذه الصنعة في الاحجار المعدنية وغير ذلك

قتله فشفع فيه باغيسيان وأشار عليه ان يستوزره لميل الناس الى بيته فاستوزره وأرسل الى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد ايتكين جب فلازم الخدمة بالديوان وألح فى طلبها فأجيب الى ذلك بعد ان سمعوا ان بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تتش على مانذكره

﴿ ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه أصبهان بعد ذلك ﴾

فى هذه السنة فى شوّال انهزم بركيارق من عسكر عمه تتش وكان بركيارق بنصيبين فلما سمع بمسير عمه الى أذربيجان سار هو من نصيبين وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقى بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير ألف رجل وكان عمه فى خمسين ألف رجل فسار الامير يعقوب بن أبق من عسكر عمه فكبسه وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسق وكمشتكين الجاندار والبارق وهم من الامراء الكبار فسار الى أصبهان وكانت خاتون أم أخيه محمود قد ماتت على مانذكره فمنعه من بها من الدخول اليها ثم أذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه فلما قاربها خرج أخوه الملك محمود فلقيه ودخل البلد واحتاطوا عليه فاتفق ان أخاه محمودا اسم وجدر فاراد الامراء أن يكحلوا بركيارق فقال لهم أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب ان الملك محمودا قد جدر وما كانه يسلم منه وأراكم تكرهون ان يليكم ويملك البلاد تاج الدولة فلا تعجلوا على بركيارق فان مات محمود أقيموه ملكا وان سلم محمود فانتم تقدرون على كحله فمات محمود سلخ شوال فكان هذا من الفرج بعد الشدة وجلس بركيارق للعزاء باخيه وكان مولد محمود فى صفر سنة ثمانين وأربعمائة وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره فى ذى الحجة وكان أخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان مع بركيارق بالموصل وحمل الى بغداد فدفن بالنظامية وكان أصبح الناس وجها وأحسنهم خلقا وسيرة وكان قد اجرى الناس على ما بايديهم من توقيعات أبيه فى الاطلاقات من خاصه منها ببغداد ماتنا كرغلة وثمانية عشر ألف دينار أميرى ثم ان بركيارق جدر بعد أخيه وعوفى وسلم فلما عوفى كاتب مؤيد الملك وزيره الامراء العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم الى بركيارق فعظم شأنه وكثر عسكره

﴿ ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر ﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى أمير الجيوش بدر الجمالى صاحب الجيش بمصر وقد جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم فى دولة المستنصر والمرجوع اليه وكان قد استعمله على الشام سنة خمس وخمسين وأربعمائة وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق ماخاف على نفسه فخرج عنها هاربا وجمع وحشد وقدم الى الشام فاستولى عليه باسره سنة ست وخمسين ثم خالفه أهل دمشق مرة أخرى فهرب منهم سنة ستين وخرب العامة والجند قصر الامارة ثم مضى أمير الجيوش الى مصر وتقدم بها وصار صاحب الامر قال علقمة بن عبد الرزاق العليمى قصدت بدرا الجمالى بمصر فرأيت اشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا اليه قال فبينا أنا كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فخرج علقمة فى أثره وأقام الى ان رجع من صيده فلما قاربه وقف على نشز من الارض واومأ برقعة فى يده وانشأ يقول

نحن التجار وهذه اعلاقنا * در وجود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك انما * هى جوهر يختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع

السلطان أصحابهم بالخدم السودان بالاقبية صبغ ماء واطرح دقيق باقاف بالطويل الساق وذلك أن الخدم فى دار السلطان منهم اجتمعوا فكلموا المعتضد بما لحقهم فى الازقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام فأمر المعتضد بجماعة من العامة فضربوا بالسياط فتشغب العامة لذلك (وفى هذه السنة) ظهر للمعتضد شخص فى صور مختلفة فى داره فكان تارة يظهر فى صورة راهب ذى لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان وتارة يظهر شابا حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك السيرة وتارة يظهر شيخا أبيض اللحية ببزة التجار وتارة يظهر بيده سيف مسلول وضرب بعض الخدم فقتله فكانت الابواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان فى بيت أو صحن أو غيره وكان يظهر له فى أعلى الدار التى بناها فأكثر الناس القول فى ذلك واستفاض الامر واشتهر فى خواص الناس وعوامهم وسارت به الركبان وانتشرت به الاخبار والقول فى ذلك على حسب ما كان يقع لكل واحد منهم فمن قائل ان شيطانا مريدا اصعد له يظهر فيؤذيه ومنهم من يقول ان بعض مؤمنى الجن رأى ماهو عليه من المنكر وسفك الدماء فظهر له رادعا عن المنكر زاجرا ومنهم من رأى أن ذلك بعض خدمه كان قد هوى

الهراس والطاوونيين وأمر بنفي المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فبعن ومنع الناس ان يدخل أحد الحمام الا بمئزر وقلع الهرادي والابراج التي للطيور ومنع من اللعب بالطيور لاجل الاطلاع على حرم الناس ومنع من اجراء ماء الحمامات الى دجلة وألزم أربابها بحفر آبار للمياه وأمر ان من يغسل السمك المالح يعبر الى الصحن فيغسله هناك ومنع الملاحين ان يحملوا الرجال والنساء مجتمعين وكان قوى النفس عظيم الهمة من رجال بني العباس

﴿ ذكر خلافة المستظهر بالله ﴾

لما توفي المقتدي بامر الله أحضر ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله واعلم بموته وحضر الوزير فبايعه وركب الى السلطان بركيارق فاعلمه الحال وأخذ بيعته للمستظهر بالله فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدي أظهر ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وأخوه بهاء الملك وأمراء السلطان وجميع أرباب المناصب والنقيبان طراد العباسي والمعمر العلوي في أصحابهما وقاضي القضاة والغزالي والشاشي وغيرهما من العلماء فجلسوا في العزاء وبايعوا وكان المستظهر بالله لما بويع ست عشرة سنة وشهران

﴿ ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد ﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى قتل قسيم الدولة آقسنقر جد ملوكنا بالموصل الآن أولاد الشهيد زنكي بن آقسنقر وسبب قتله ان تاج الدولة تتش لما عاد من أذربيجان منهزما لم يزل يجمع العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان وأمدهما ركن الدين بركيارق بالامير كربوقا الذي صار بعد صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا الى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريبا من تل السلطان بينه وبين حلب ستة فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقر فانهزموا وتبعهم الباقون فتمت الهزيمة وثبت آقسنقر فاخذ اسيرا وأحضر عند تتش فقال له لو ظفرت بي ما كنت صنعت قال كنت أقتلك فقال له أنا أحكم عليك بما كنت تحكم علي فقتله صبرا وسار نحو حلب وكان قد دخل اليها كربوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تتش ولج في قتالها حتى ملكها اسلمها اليه المقيم بقلعة الشريف ومنها دخل البلد وأخذهما أسيرين وأرسل الى حران والرها ليسلمها من بهما وكانتا لبوزان فامتنعوا من التسليم اليه فقتل بوزان وأرسل رأسه اليهم وتسلم البلدين وأما كربوقا فانه أرسله الى حمص فسجنه بها الى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تتش وكان قسيم الدولة أحسن الامراء سياسة لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وأمن واسع وكان قد شرط على أهل كل قرية من بلاده متى أخذ عندهم قفل أو احد من الناس غرم أهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده ألقوا رحالهم وناموا وحرسهم اهل القرية الى ان يرحلوا فأمنت الطرق وأما وفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخرا انه قتل في حفظ بيت صاحبه وولي نعمته فلما ملك تتش حران والرها سار الى الديار الجزرية فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط وسار الى أذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها الى همذان فملكها ورأى بها فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها الى السلطان بركيارق ليخدمه فوقع عليه الامير قماج وهو من عسكر محمود بن السلطان ملكشاه باصبهان فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء الى همذان فصادفه تتش بها فاراد

قتله

[illegible] شهر رمضان وكان من جملة الفقهاء ومن كبار أصحاب مالك (وفيها) ولى المعتضد يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة السلام وخلع عليه وانشده لجماعة الشرف (وفي هذه السنة) وهي سنة ثلاث وثمانين ومائتين قبض المعتضد على أحمد بن الطيب بن مروان السرخسي صاحب يعقوب ابن اسحق الكندي وسلمه الى بدر غلامه ووجه الى داره من قبض على جميع ماله وقرر جواريه على المال حتى استخرجوه فكان جملة ما حصل من العين والورق وثمن الآلات خمسين ومائة ألف دينار وكان ابن الطيب قد ولي الحسبة ببغداد وكان موضعه من الفلسفة لا يجهل وله مصنفات حسان في أنواع من الفلسفة وفنون من الاخبار (وقد تنازع الناس) في كيفية قتله والسبب الذي من أجله كان قتل المعتضد اياه وقد أتينا على ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب (وفيها) ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث ورافع بن هرثمة (وفي سنة) أربع وثمانين ومائتين أدخل الى بغداد رأس رافع بن هرثمة ثم صلب ساعة من نهار ثم رد الى دار السلطان (وفي هذه السنة) كان لاهل بغداد ثورة مع

الحاج سنة ست وثمانين وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها في ربيع الاول قتل السلطان بركيارق عمه تكش وغرقه وقتل ولده معه وكان ملكشاه قد أخذه لما خرج عليه وكحله وحبسه بقلعة تكريت فلما ملك بركيارق أحضره اليه ببغداد وسار بعسكره فظفر بملطفات اليه من أخيه تتش يحثه على اللحاق به وقيل انه أراد المسير الى بلخ لان أهلها كانوا يريدونه فقتله فلما غرق بقي يسيرا من رأى فحمل الى بغداد فدفن عند قبر أبي حنيفة وفيها في جمادى الآخرة كانت وقعة بين الامير أنر وتورانشاه بن قاورت بك وكانت تركان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد أرسلته في عسكر ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه ولم يحسن الامير أنر تدبير بلاد فارس فاستوحش منه الاجناد واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا أنر ومات تورانشاه بعد الكسرة بشهر من سهم أصابه فيها وفيها استولى أصبهبذ بن ساوتكين على مكة حرسها الله عنوة وهرب منها الامير قاسم بن أبي هاشم العلوي صاحبها وأقام بها الى شوال وجمع الامير قاسم وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب في شوال من هذه السنة فانهزم أصبهبذ ودخل قاسم الى مكة ومضى أصبهبذ الى الشام وقدم الى بغداد وفيها في رجب أحرق شحنة بغداد وهو ايلكدي بن جب باب البصرة وسبب ذلك أن النقيب طراد الزينبي كان له كاتب يعرف بابن سنان فقتل فأنفذ النقيب الى الشحنة يستدعي منه من يقيم السياسة فأنفذ حاجبه محمدا فرجمه أهل باب البصرة وأدموه فرجع الى صاحبه فشكا اليه منهم فأمر أخاه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم فسار اليهم في جماعة كثيرة وتبعهم أهل الكرخ فأحرقوا ونهبوا فأرسل الخليفة الى الشحنة يأمره بالكف عنهم فكف وفيها في رمضان توفيت تركان خاتون الجلالية باصبهان وهي ابنة طفغاج خان وهو من نسل فراسياب التركي وكانت قد برزت من أصبهان للمسير الى تاج الدولة تتش لتتصل به فمرضت وعادت وماتت وأوصت الى الامير أنر والى الامير سرمز شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة أصبهان ومعها عشرة آلاف فارس أتراك وفيها في ذي القعدة توفي أبو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان الزمام ببغداد

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم﴾

في هذه السنة غدر شاهملك التركي بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس وقبض عليه وكان هذا شاهملك من أولاد بعض الامراء الاتراك ببلاد الشرق فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منه فسار الى مصر في مائة فارس فأكرمه الافضل أمير الجيوش وأعطاه اقطاعا ومالا ثم بلغه عنه أسباب أوجبت اخراجه من مصر فخرج هو وأصحابه هاربين فاحتالوا حتى أخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا الى المغرب فوصلوا الى طرابلس الغرب وأهل البلد كارهون لواليها فادخلوهم البلد وأخرجوا الوالي وصار شاهملك أمير البلد فسمع تميم الخبر فأرسل العساكر اليها فحصروها وضيقوا على الترك ففتحوها ووصل شاهملك معهم الى المهدية فسر به تميم وبمن معه وقال ولد لي مائة ولد انتفع بهم وكانوا لا يخطئ لهم سهم فلم تطل الايام حتى جرى منهم أمر غير تميما عليهم فعلم شاهملك ذلك وكان داهيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم الى الصيد في جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس ومعه شاهملك وكان أبوه تميم قد تقدم اليه أن لا يقرب شاهملك فلم يقبل فلما أبعدوا في طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه وسار به وبمن أخذ معه من أصحابه الى مدينة سفاقس وبلغ الخبر تميما فركب وسير العساكر في أثرهم فلم يدركوهم ووصل شاهملك بيحيى بن تميم الى سفاقس

وأخذ من الناس نحوا من ألف ألف دينار وفي هذه السنة وهي سنة خمس وثمانين ومائتين ٨٣ كانت وفاة أبي اسحق ابراهيم بن محمد الفقيه المحدث في الجانب الغربي وله خمس وثمانون سنة وكانت يوم الاثنين لسبع بقين من ذي الحجة ودفن مما يلي باب الانبار وشارع الكبش والاسد وكان صدوقا عالما فصيحا جوادا عفيفا وكان زاهدا عابدا ناسكا وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ظريف الطبع سلس القياد ولم يكن معه تجبر ولا تكبر وربما مزح مع أصدقائه بما استحسن منه ويستقبح مع غيره وكان شيخ البغداديين في وقته وظريفهم وناسكهم وزاهدهم ومسندهم في الحديث وكان يتفقه لاهل العراق وكان له مجلس يوم الجمعة في المسجد الجامع الغربي (وأخبرنا) أبو اسحق ابن جابر قال كنت أجلس يوم الجمعة في حلقة ابراهيم الحربي وكان يجلس الينا غلامان في نهاية الحسن والجمال من الصورة والبزة من أبناء التجار من الكرخيين وبزتهما واحدة كأنهما روحان في جسدان ان قاما قاما معا وان قعدا قعدا معا فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما وقد بان الاصفرار بوجهه والانكسار في عينيه فتوهمت أن غيبة الآخر لعلة قد لحق الحاضر من أجل ذلك الانكسار فلما كان الجمعة الثانية حضر الغائب ولم يحضر الذي كان

فانالك يحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والاطماع
حتى أناخوها ببابك والرجا * من دونك السمسار والبياع
فوهبت ما لم يعطه في دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس في طلب العلا * فالناس بعدك كلهم أتباع
يا بدر أقسم لو بك اعتصم الورى * ولجوا اليك جميعهم ما ضاعوا

وكان على يد بدر بازي فالقاه وانفرد عن الجيش وجعل يستردّ الابيات وهو ينشدها الى أن استقر في مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من أحبني فليخلع على هذا الشاعر فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا يحمل الخلع والتحف وأمر له بعشرة آلاف درهم فخرج من عنده وفرق كثيرا من ذلك على الشعراء ولما مات بدر قام بما كان اليه ابنه الافضل

﴿ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي﴾

في هذه السنة ثامن عشر ذي الحجة توفي المستنصر بالله أبو تميم معد بن أبي الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله العلوي صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذي خطب له البساسيري ببغداد وقد ذكرنا ذلك وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الاسماعيلية قد قصده في زي تاجر واجتمع به وخاطبه في اقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس اليه سرا ثم أظهرها وملك القلاع كما ذكرناه وقال للمستنصر من امامي بعدك فقال ابني نزار وهو أكبر أولاده والاسماعيلية الى يومنا هذا يقولون بامامة نزار ولقي المستنصر شدائد وأهوالا وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر أخرج فيها أمواله وذخائره الى أن بقي لا يملك غير سجادته التي يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع وقد أتينا على ذكر هذا سنة سبع وستين وأربعمائة وغيرها ولما مات ولي بعده ابنه أبو القاسم أحمد المستعلي بالله ومولده في المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة وكان قد عهد في حياته بالخلافة لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع المستعلي بالله وسبب خلعه أن الافضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا ونزار خارج والمجاز مظلم فلم يره الافضل فصاح به نزار انزل يا أرمني كلب عن الفرس ما أقل أدبك فحقدها عليه فلما مات المستنصر خلعه خوفا منه على نفسه وبايع المستعلي فهرب نزار الى الاسكندرية وبها ناصر الدولة افتكين فبايعه أهل الاسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الافضل وأعانه أيضا القاضي جلال الدولة بن عمار قاضي الاسكندرية فسار اليه الافضل وحاصره بالاسكندرية فعاد عنه مقهورا ثم ازداد عسكرا وسار اليه فحصره وأخذه وأخذ افتكين فقتله وتسلم المستعلي نزارا فبنى عليه حائطا فمات وقتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن أعانه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر رأى بعض اليهود بالغرب رؤيا انهم سيطيرون فأخبر اليهود بذلك فوهبوا أموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الامم وفي هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها الا انها لم يكن الهدم كثيرا وفيها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الارجا فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا فلما احترقت عبر ابن صاحب الشرطة فقتل رجلا مستورا فنفر الناس منه وعزل في اليوم الثالث وفيها توفي محمد بن أبي هاشم الحسيني أمير مكة وقد جاوز سبعين سنة ولم يكن له ما يمدح به وكان قد نهب بعض

بعض جواريه فاحتال بحيلة … فالقى فيه من بعض العقاقير الحامضة ضمها في فيه فلا يدرك بحاسة البصر وكل ذلك ظن

حسان فاحضر المعتضد المزمين واشتد قلقه واستوحش وجار عليه أمره فقتل وغرق جماعة من خدمه وجواريه وضرب وحبس جماعة منهم وقد أتينا على الخبر في ذلك وما حكى من الفلاطون في هذا المعنى وعلى خبر شغب أم المقتدر بالله والسبب الذي من أجله حبسها المعتضد واراد قطع أنفها والتشويه بها في كتابنا أخبار الزمان (وفي هذه السنة) ورد الخبر بقتل أبي الليث الحرث بن عبد العزيز بن أبي دلف بسيفه لنفسه في الحرب ذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهورا فكبا به فرسه فذبحه سيفه فأخذ عيسى النوشري رأسه وأنفذه الى بغداد (وفي سنة) خمس وثمانين ومائتين وقع صالح بن مدرك الطائي في نبهان وسنبس وغيرهم من طيء بالحاج وعلى الحاج يحيى الكبير وكانت ليحيى مع صالح ومن معه من الطالبيين حرب عظيمة في الموضع المعروف بقاع الاجفر وتشوش الحاج وأخذهم السيف فمات عطشا وقتلا خلائق من الحاج وأصاب يحيى ضربات كثيرة وكانت العرب ترتجز في ذلك اليوم وتقول

ما ان رأى الناس كيوم الاجفر * الناس صرعى والقبور تحفر

كان كر بأنه سار من موضع الوقعة الى همذان وقد تحصن بها أميرا آخر فرحل تتش عنها فتبعه أمير آخر لاجل أنها له فعاد عليه تتش فكسره فعاد الى همذان راسيا من اليه وصار معه وبلغ تتش مرض بركيارق فسار الى أصبهان فاستأذنه أمير آخر في قصد جرباذقان لاقامة الضيافة وما يحتاج اليه فاذن له فسار اليها ومنها الى أصبهان وعرفهم خبر تتش وعلم تتش خبره فنهب جرباذقان وسار الى الري وأرسل الى الامراء الذين بأصبهان يدعوهم الى طاعته ويبذل لهم البذول الكثيرة وكان بركيارق مريضا بالجدري فاجابوه يعدونه بالانحياز اليه وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق فلما عوفي أرسلوا الى تتش ليس بيننا غير السيف وسار واسع بركيارق من أصبهان وهم في نفر يسير قليل فلما بلغوا جرباذقان أقبلت اليهم العساكر من كل مكان حتى صاروا في ثلاثين ألفا فالتقوا بموضع قريب من الري فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض أصحاب آقسنقر صاحب حلب أخذا بثار صاحبه وكان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك وهو معه فاطلق واستقام الامر والسلطنة لبركيارق واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه بالامس انهزم من عمه تتش ويصل الى أصبهان في نفر يسير فلا يتبعه أحد ولو تبعه عشرون فارسا لاخذوه لانه بقي على باب اصبهان عدة أيام ثم لما دخلها أراد الامراء كحله فاتفق ان أخاه حم ثاني يوم وصوله وجدر فمات فقام في الملك مقامه ثم جدر هو وأصابه معه سرسام فعوفي وبقي مذ كسره عمه الى ان عوفي وسار عن اصبهان أربعة أشهر لم يتحرك عمه ولا عمل شيأ ولو قصده وهو مريض أو وقت مرض أخيه الملك البلاد

ولله سر في علاك وانما ✱ كلام العدا ضرب من الهذيان

❁(ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما)❁

كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يأمره ان يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار في عدد كثير منهم ايلغازي بن ارتق وكان قد سار الى تتش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الامير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قارب هيت بلغه قتل أبيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها أبو القاسم الحسن بن علي الخوارزمي قد سلمها اليه تتش وحكمه في البلد والقلعة ولحق برضوان زوج أمه جناح الدولة الحسين بن ايتكين وكان مع تتش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضا أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكانوا كلهم مع أبي القاسم كالاضياف لتحكمه في البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا أكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم وأرسل اليه رضوان يطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لابيه بعد قتله نحو شهرين وسار جناح الدولة في تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن الب التركماني صاحب انطاكية ثم صالحهم وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من وال يحفظها فسار واجميعا وقدم عليهم أمراء الاطراف الذين كان تتش رتبهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم اليها الامير سقمان بن ارتق جد أصحاب الحصن اليوم وأخذها ومنعهم عنها وأمر أهل البلد فخرجوا الى رضوان وتظلموا اليه من عساكره وما يفسدون من غلاتهم ويسألونه الرحيل فرحل عنهم الى الرها وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل المسلمين عن معه واحتمى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ما كانوا لا يظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلعة من رضوان فوهبها له فتسلمها وحصنها ورتب رجالها وأرسل اليهم أهل

بسمائه وإم سامه وحدثني بها فتأملتها وقد كنت مستطلعا نحوها لبنين اللتي ها فاذا انهما مكتوب عفا الله عن عبد أعان بدعوة لخلين كانا دائمين على الود الى أن وشى واشي الهوى بنميمة الى ذا الى من هذا فزالا عن العهد فكانت الرقعة معي فلما كانت الجمعة الثانية حضرا معا واذا الاصفرار والانكسار قد زال فقلت لابي جويرية اني لارى الدعوة قد سبقتهما بالاجابة من الله تعالى وان دعاء الشيخ كان على التمام ان شاء الله تعالى فلما كان في تلك السنة كنت ممن حج فكأني أنظر اليهما بين منى وعرفات محرمين جميعا فلم أزل أراهما متألفين الى أن كهلا وأرى أنهما في صف أصحاب الديباج في الكرخ أو غيره من الصفوف (قال المسعودي) وهذا الخبر سمعته من ابراهيم بن جابر القاضي قبل ولايته القضاء وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر ويتلقاه من خالقه بالرضا ناصرا للفقر على الغنى فما مضت أيام حتى لقيته بحلب من بلاد قنسرين والعواصم من أرض الشام وذلك في سنة تسع وثلثمائة واذا هو بالضد مما عهدته متوليا القضاء على ما وصفنا ناصرا ومشرفا للغنى على الفقر فقلت له أيها القاضي تلك الحكاية التي كنت حكيتها عن الوالي الذي كان بالري وأنه قال لك ان الخواطر اعترضتني بين منازلي

وركب صاحبها وانهزم وكان قد خالف على تميم ولقي يحيى ومشى في ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فأقام عنده أياما ولم يذكره أبوه بكلمة وكان قد جعله ولي عهده فلما أخذ أقام أبوه مقامه ابنا له آخر اسمه مثنى ثم ان صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه ان يثور معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم فأرسل الى تميم كتابا يسأله في انفاذ الاتراك وأولادهم اليه ليرسل ابنه يحيى فقبل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه أبوه عنه مدة ثم أعاده الى حاله ورضي عنه ثم جهز تميم عسكرا الى سفاقس ويحيى معهم فساروا اليها وحصروها برا وبحرا وضيقوا على الاتراك بها وأقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الاتراك الى قابس وكان تميم لما رضي عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فلم يملك نفسه فنقل عنه الى أبيه ما غير قلبه عليه فأمر باخراجه من المهدية بأهله وأصحابه فركب في البحر ومضى الى سفاقس فلم يمكنه عاملها من الدخول اليها وقصد مدينة قابس وبها أمير يقال له مكين بن كامل الدهماني فأنزله وأكرمه فحسن له مثنى الخروج معه الى سفاقس والمهدية وأطمعه فيهما وضمن الانفاق على الجند من ماله فجمع مكين من يمكنه جمعه وسار الى سفاقس ومعه ماشاء الله التركي وأصحابه فنزلوا على سفاقس وقاتلوها وسمع تميم فجرد اليها جندا فلما علم المثنى ومن معه انهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها الى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها وكان الذي يتولى القتال من المهدية يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ أولئك منها غرضا فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال وغيره وعظم أمر يحيى وصار هو المشار اليه

(ذكر قتل أحمد خان صاحب سمرقند)

في هذه السنة في المحرم قتل أحمد خان صاحب سمرقند وكان قد كرهه عسكره واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان سبب ذلك ان السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند وأسر هذا أحمد خان قد وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له معتقدهم وأخرجوه الى الاباحة فلما عاد الى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدل على انحلاله من الدين فلما كرهه أصحابه وعزموا على قتله قالوا المستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند الى قتاله فيتمكنوا من قتله فعصى طغرل ينال بك فسار أحمد خان والعسكر الى قتاله فلما نازل القلعة تمكن العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا الى سمرقند واحضروا القضاة والفقهاء وأقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة فجحد فشهد عليه جماعة بذلك فأفتى الفقهاء بقتله فخنقوه وأجلسوا ابن عمه مسعودا مكانه وأطاعوه

(ذكر ما فعله يوسف بن أبق ببغداد)

في هذه السنة في صفر سير الملك تتش يوسف بن أبق التركماني شحنة لبغداد ومعه جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وورد اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة وكان يكره تتش ولم يخطب له في بلاده فلما سمع ابن أبق بوصوله عاد الى طريق خراسان ونهب باجسرا وقاتله العسكر بيعقوبا فهزمهم ونهبهم أفحش نهب وأكثر معه من التركمان وعاد الى بغداد وكان صدقة قد رجع الى الحلة فدخل يوسف بن أبق الى بغداد وأراد نهبها والايقاع بأهلها فمنعه أمير كان معه من ذلك ثم وصل اليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد الى الموصل وسار من هنالك الى حلب

(ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش)

في هذه السنة في صفر قتل تتش بن ألب ارسلان وكان سبب ذلك انه لما انهزم السلطان بركيارق

في الجمعة الأولى منهما وان الصفرة والانكسار أبين في لونه ونشاطه فعلمت أن ذلك الفراق بينهما ولاحق الالفة الجامعة لهما فلم يزل الايتناف في كل جمعة الى الحلقة فأيهما سبق صاحبه الى الحلقة لم يجلس الآخر فيها عندي ما كان تقدم في نفسي جواز كونه فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما فجلس اليها وجاء الآخر فأشرف على الحلقة فاذا صاحبه قد سبق واذا المسبوق المطلع على الحلقة قد خنقته العبرة فتبينت ذلك في حماليق عينيه واذا في يسراه رقاع صغار مكتوبة فقبض بيمينه رقعة من تلك الرقاع وحذف بها في وسط الحلقة وانساب بين الناس مارا مستخفيا وأنا أرمقه ببصري وكذلك جماعة ممن كان جالسا في الحلقة وكان الى جانبي على اليمين أبو عبد الله علي بن الحسين بن جويرية وذلك في عنفوان الشباب وأوان الحداثة فوقعت الرقعة بين يدي ابراهيم الحربي فقبض عليها ونشرها وقرأها وكان من شأنه فعل ذلك اذا وقعت في يده رقعة فيها دعاء أن يدعو لصاحبها مريضا كان أو غير ذلك ويؤمن على دعائه من حضر فلما قرأ الرقعة أقبل يتأمل ما فيها تأملا شافيا لأنه رأى ما فيها ثم قال اللهم اجمع بينهما وألف بين قلوبهما واجعل ذلك مما يقرب منك ويزلف لديك وأمنوا على دعائه كما جرت العادة منهم بفعله ثم أدرج الرقعة كما

واحسانه القديم اليه فلما توفي أتاه فوقف على قبره يوم عيد والناس عند قبور أهاليهم وأنشد بصوت عال

ملأت المسامع أم أسامع فأنادي * أم قد عداك عن الجواب عوادي

لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد

فقبلت في هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

وأخذ في اتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه يبكون ولو أخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الامر فلنقف عند هذا

(ذكر وفاة الوزير أبي شجاع)

في هذه السنة توفي الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وزير الخليفة في جمادى الآخرة وأصله من روذراور وولد بالاهواز وقرأ الفقه على الشيخ أبي اسحق الشيرازي وكان عالما بالعربية وله تصانيف منها ذيل تجارب الامم وكان عفيفا عادلا حسن السيرة كثير الخير والمعروف وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاورا فيها ولما حضره الموت أمر فحمل الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله عز وجل ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت معترفا بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك وبكى فأكثر وتوفي من يومه ودفن عند قبر ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم

(ذكر الفتنة بنيسابور)

في هذه السنة في ذي الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا وسار بهم الى نيسابور فحصرها فاجتمع أهلها وقاتلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوما فلم يجد له مطمعا فيها سار عنها في المحرم سنة تسع وثمانين فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية أبا القاسم بن امام الحرمين أبي المعالي الجويني ومقدم الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محمشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الآخر شرع الخليفة في عمل سور على الحريم وأذن الوزير عميد الدولة ابن جهير للعامة في التفرج والعمل فزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا في عمارته وفيها في شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه انسان ستري له من أهل سجستان في عضده ثم أخذ الرجل وأعانه رجلان أيضا من أهل سجستان فلما ضرب الرجل الجارح اعترف ان هذين الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا بالضرب الشديد ليقرا على من أمرهما بذلك فلم يقرا فقربا الى الفيل ليجعلا تحت قوائمه وقدم أحدهما فقال اتركوني وأنا أعرفكم فتركوه فقال لصاحبه يا أخي لابد من هذه القتلة فلا تفضح أهل سجستان بافشاء الاسرار فقتلا وفيها توجه الامام أبو حامد الغزالي الى الشام وزار القدس وترك التدريس في النظامية واستناب أخاه وتزهد ولبس الخشن وأكل الدون وفي هذه السفرة صنف احياء علوم الدين وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد الى بغداد بعد ما حج في السنة التالية وسار الى خراسان وفيها في ربيع الاول خطب لولي العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك

ممين ودفن بمقابر الكوفة من الجانب الغربي وكان عالي الاسناد (وفي هذه السنة) كان الفزع من أبي سعيد الجنابي بالبصرة ومن معه بالبحرين خوفا من أن يكبسها وكتب الواثق وهو أحمد بن محمد وكان على حربها الى المعتضد بذلك فأطلق لسورها أربعة عشر ألف دينار فبنيت وحصنت (وفي هذه السنة) ظفر أبو الاغر خليفة بن المبارك السلمي بصالح بن مدرك الطائي بناحية فيد مكرا في ذهابهم الى مكة وقد كانت الاعراب جمعت لابي الاغر ليستنقذوا صالحا من يده فواقعهم وقتل رئيسهم جحش بن دبال وجماعة معه وأخذ رأسه فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحش بن دبال يئس من الخلاص من يد أبي الاغر فلما نزل المنزل المعروف بمنزلة القرشي أتاهم غلام بطعام فاستلب منه سكينا وقتل نفسه فأخذ أبو الاغر رأسه وأظهره بالمدينة فتباشر الحاج وكانت لابي الاغر في رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الاعراب وكانت الاعراب قد اجتمعت وتحشدت من طيئ وأحلافها فكانت رجالتها نحوا من ثلاثة آلاف راجل والخيل نحوا من ذلك فكانت الحرب بينهم ثلاثا وذلك بين معدان القرشي والحاجر ثم انهزمت الاعراب وسلم الناس وكان ممن تولى مع أبي الاغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الاعلى (ودخل) أبو الاغر مدينة السلام

حران بطاعتهم ليسلموا اليهم حران فسمع ذلك قراجة أميرها فاتهم ابن المفتي وكان هذا ابن المفتي قد اعتمد عليه تتش في حفظ البلد فأخذه وأخذ معه بني أخيه فصلبهم ووصل الخبر الى رضوان وقد اختلف جناح الدولة وباغيسيان وأضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة الى حلب فدخلها واجتمع بزوجته أم الملك رضوان وسار رضوان وباغيسيان فعبر الفرات الى حلب فسمع بدخول جناح الدولة اليها ففارق باغيسيان الملك رضوان وسار الى انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي وسار رضوان الى حلب وأما دقاق بن تتش فانه كان قد سيره أبوه الى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب له ابنة السلطان وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمود الى أصبهان وخرج الى السلطان بركيارق سرا وصار معه ثم لحق بأبيه وحضر معه الوقعة التي قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لأبيه اسمه ايتكين الحلبي وسار به الى حلب وأقام عند أخيه الملك رضوان فراسله الامير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سرا يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سرا وجد في السير فارسل أخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به الخادم وأظهر الاستبشار ولقيه فلما دخلها أرسل اليه باغيسيان يشير عليه بالتفرد بملك دمشق عن أخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغدكين الى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره وقد سلموا فانه كان قد شهد الحرب مع صاحبه وأسر فبقي الى الآن وخلص من الاسر فلما وصل الى دمشق لقيه الملك دقاق وأرباب دولته وبالغوا في اكرامه وكان زوج والدة دقاق فمال اليه لذلك وحكمه في بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين فقتلوه وسار اليهم باغيسيان من انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي فجعله وزير الدقاق وحكمه في دولته

(ذكر وفاة المعتمد بن عباد)

في هذه السنة توفي المعتمد بن عباد الذي كان صاحب الاندلس مسجونا باغمات من بلد المغرب وقد ذكرنا كيف أخذت بلاده منه سنة أربع وثمانين وأربعمائة فبقي مسجونا الى الآن وتوفي وكان من محاسن الدنيا كرما وعلما وشجاعة ورياسة تامة وأخباره مشهورة وآثاره مدونة وله أشعار حسنة فمنها ما قاله لما أخذ ملكه وحبس

سلت علي يد الخطوب سيوفها * فجذذن من جسدي الخصيف الامتنا
ضربت بها أيدي الخطوب وانما * ضربت رقاب الآملين بها المنا
يا آملي العادات من نفحاتنا * كفوا فان الدهر كف أكفنا

وله من قصيدة يصف القيد في رجله

تعطف في ساقي تعطف أرقم * يساورها عضا بأنياب ضيغم
واني من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة وجهنم

(وقال في يوم عيد)

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فصرت كالعيد في اغمات ماسورا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مسرورا

وكان شاعره أبو بكر بن اللبانة يأتيه وهو مسجون فيمدحه لا لجدوى ينالها منه بل رعاية لحقه

الفقراء والاغنياء ورأيت في النوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت له يا أبا الحسن ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء اشكرا لله تعالى وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله تعالى فقال لي ان الخلق تحت التدبير لا يسكون من أحكامه في جميع تصرفاتهم وكنت كثيرا ما أسمعه فيما وصفناه من حال فقره يذم ذوي الحرص على الدنيا ويذكر في ذلك شعرا عن علي كرم الله وجهه وهو أن عليا عليه السلام كان يقول ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه فانه ان يكن من أجلك يأت الله فيه برزقك واعلم أنك لن تكتسب شيأ فوق قوتك الا كنت خازنا فيه لغيرك فركب بعد ذلك الهمالج من الخيل (ولقد أخبرت) أنه قطع لزوجته أربعين ثوبا تستريا وقصبا وأشباه ذلك من الثياب على مقراض واحد وخاف ما لا عطيا لغيره (وفي هذه) السنة وهي سنة خمس وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي العباس محمد ابن يزيد النحوي المعروف بالمبرد ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة وله تسع وسبعون سنة ودفن بمقابر باب الكوفة من الجانب الغربي بمدينة السلام (وفي سنة) ست وثمانين ومائتين مات محمد بن يونس الكوفي المحدث ويكنى بأبي العباس يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة وله مائة سنة وست

في هذه السنة في المحرم توفي منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر وهو الذي انقرض أمر بني مروان على يده حين حاربه فخر الدولة بن جهير وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة وتركه عند رجل يهودي فمات في داره وحملته زوجته الى تربة آبائه فدفنته ثم حجت وعادت الى بلد البشنوية فابتاعت ديرا من بلد فنك بقرب جزيرة ابن عمر وأقامت فيه تتعبد الله وكان منصور شجاعا شديد البخل له في البخل حكايات عجيبة فتعسا لطالب الدنيا المعرض عن الآخرة الا ينظر الى فعلها بابنائها يهب هذا منصور ملك من بيت ملك آل أمره الى ان مات في بيت يهودي نسأل الله تعالى أن يحسن أعمالنا ويصلح عاقبة أمرنا في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

﴿ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا﴾

في هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمرا وسبب ذلك انها كان بها انسان يقال له قاضي بن ابراهيم بن بلمونه فمات فولى أهلها عليهم عمرو بن المعز فاساء السيرة وكان قاضي بن ابراهيم عاصيا على تميم وتميم يعرض عنه فسلك عمرو طريقه في ذلك فاخرج تميم العساكر الى أخيه عمرو ليأخذ المدينة منه فقال له بعض أصحابه يامولانا لما كان فيها قاضي توانيت عنه وتركته فلما وليها أخوك جردت اليه العساكر فقال لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلا علينا واما اليوم وابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا مالا يمكن السكوت عليه وفي فتحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة المشهورة التي أولها

ضحك الزمان وكان يلقى عابسا * لما فتحت بحد سيفك قابسا
الله يعلم ماحويت ثمارها * الا وكان أبوك قبل الغارسا
من كان في زرق الاسنة خاطبا * كانت له قلل البلاد عرائسا
فابشر تميم بن المعز بفتكة * تركتك من اكناف قابس قابسا
ولوا فكم تركوا هنالك مصانعا * ومقاصرا ومخالدا ومجالسا
فكانها قلب وهن وساوس * جاء اليقين فذاد عنه وساوسا

﴿ذكر ملك كربوقا الموصل﴾

في هذه السنة في ذي القعدة ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل وقد ذكرنا ان تاج الدولة تتش أسره لما قتل آقسنقر وبوزان فلما أسره أبقى عليه طمعا في استصلاح حمية الامير أنز ولم يكن له بلد يملكه اذا قتله كما فعل بالامير بوزان فانه قتله واستولى على بلاده الرها وحران ولم يزل قوام الدولة محبوسا بحلب الى ان قتل تتش وملك ابنه الملك رضوان حلب فارسل السلطان بركيارق رسولا يأمره باطلاقه واطلاق أخيه التونتاش فلما أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطالين فاتيا حران فتسلماها وكاتبهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثروان بن وهيب وأبو الهيجاء الكردي يستنصرونهما على الامير على بن شرف الدولة وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تتش بعد وقعة المضيع فسار كربوقا اليهم فلقيه محمد ابن شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين واستحلفهما لنفسه فقبض عليه كربوقا بعد اليمين وحمله معه وأتى نصيبين فامتنعت عليه فحصرها أربعين يوما وتسلمها وسار الى الموصل فحصرها فلم يظفر منها بشيء فسار عنها الى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة وغرقه وعاد الى حصار الموصل ونزل على فرسخ منها بقرية باحلافا وترك التونتاش شرقي الموصل فاستنجد على بن مسلم صاحبها بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار اليه نجدة له فلما علم التونتاش بذلك سار الى طريقه فقاتله

الشقة) وهي سنة سبع وثمانين ومائتين كان مسير الداعي العلوي من طبرستان الى بلد جرجان في جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم فالتقيه جيوش المسودة من قبل اسمعيل ابن احمد وعليها محمد بن هرون فكانت وقعة لم ير مثلها في ذلك العصر وصبر الفريقان جميعا وكانت للبيضة على المسودة ثم كانت مكيدة من محمد بن هرون لما رأى من ثبوت الديلم على مصافهم فلم ينقض صفوفه وولى فأسرعت الديلم ونقضت صفوفها فرجعت عليهم المسودة وأخذهم السيف فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعي ضربات وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم في الغنيمة ولم يرجعوا اليه ثبت مع من وقف لنصرته فكرت عليهم الجيوش فأسفرت الحرب وقد أثخن بالكلوم وأسر ولده زيد ابن محمد بن زيد وغيره وبقي محمد الداعي أياما يسيرة وتوفي لما ناله فدفن بباب جرجان وقبره هنالك معلم الى هذه الغاية (وقد أتينا) على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته وخبر بكر بن عبد العزيز ابن أبي دلف حين دخل اليه مستأمنا في كتابنا أخبار الزمان وكذلك ذكرنا خبر يحيي بن الحسين الحسني الرسي باليمن وتظافره هو وأبو سعيد بن يعفر على ما كان من حروبهم باليمن مع القرامطة وما كان من أمرهم مع على بن الفضل صاحب

واستوزر أخاه فخر الملك وسبب ذلك ان بركيارق لما هزم عمه تتش وقتله أرسل خادما يحضر والدته زبيدة خاتون من اصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الامراء وأشاروا عليه بتركها فقال لا أريد الملك الا بها وبوجودها عندي فلما وصلت اليه وعلمت الحال تنكرت على مؤيد الملك وكان مجد الملك أبو الفضل البلاساني قد صحبها في طريقها وعلم انه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك وكان بين مؤيد الملك وأخيه فخر الملك منافرة بسبب جواهر خلفها أبوهم نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر السلطان على أخيه مؤيد الملك أرسل وبذل أموالا جزيلة في الوزارة فأجيب الى ذلك وعزل أخوه وولي هو وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي الفقيه الحنبلي وكان عارفا بعدة علوم وكان قريبا من السلاطين وفيها في رجب توفي أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن الباقلاني وهو مشهور ومولده سنة ست وأربعمائة وفيها في شعبان توفي قاضي القضاة أبو بكر محمد بن المظفر الشامي وكان من أصحاب أبي الطيب الطبري ولم يأخذ على القضاء اجرا وأقر الحق مقره ولم يحاب أحدا من خلق الله ادعى عنده بعض الاتراك على رجل شيأ فقال ألك بينة قال نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغاني فقال لا أقبل شهادة المشطب لانه يلبس الحرير فقال التركي فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير فقال لو شهدا عندي على باقة بقل لم أقبل شهادتهما وولي القضاء بعده أبو الحسن علي بن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد الدامغاني وفيها مات القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مغاليا في الاعتزال وقيل كان زيدي المذهب وفيها توفي القاضي أبو بكر بن الرطبي قاضي دجيل وكان شافعي المذهب وولي بعده أخوه أبو العباس أحمد ابن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحداد الاصفهاني صاحب أبي نعيم الحافظ روى عنه حلية الاولياء وهو أكبر من أخيه أبي المعالي وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي الاندلسي ولد قبل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببلده ومصر والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلا وتوفي في ذي الحجة ووقف كتبه فانتفع بها الناس

﴿ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل يوسف بن أبق والمجن الحلبي﴾

في هذه السنة في المحرم قتل يوسف بن أبق الذي ذكرنا أنه سيره تاج الدولة تتش الى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله انه كان بحلب بعد قتل تاج الدولة وكان بحلب انسان يقال له المجن وهو رئيس الاحداث بها وله أتباع كثير يحضر عند جناح الدولة حسين وقال له ان يوسف بن آبق يكاتب باغيسيان وهو على عزم الفساد واستأذنه في قتله فاذن له وطلب ان يعينه بجماعة من الاجناد ففعل ذلك فقصد المجن الدار التي بها يوسف فكبسها من الباب والسطح وأخذ يوسف فقتله ونهب كل ما في داره وبقي بحلب حاكما فحدثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة ان الملك رضوان أمرني بقتلك فخذ لنفسك فهرب جناح الدولة الى حمص وكانت له فلما انفرد المجن بالحكم تغير عليه رضوان وأراد منه ان يفارق البلد فلم يفعل وركب في أصحابه فاوهم بالمحاربة فلم يفعل ثم أمر أصحابه ان ينهبوا ماله وأثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى فطلب فوجد بعد ثلاثة أيام فأخذ وعوقب وعذب ثم قتل هو وأولاده وكان من السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحالة

﴿ذكر وفاة منصور بن مروان﴾

وقدامه رأس صالح وبعض ورأس غلام لصالح أسود وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك فخلع السلطان في ذلك اليوم على أبي الاغر وطوقه بطوق من ذهب ونصب الرؤس على الجسر من الجانب الغربي وأدخل الاسارى المطبق (وفي هذه) السنة مات اسحق بن أيوب العبدي وكان على حرب ديار ربيعة (وفيها) شخص العباس بن عمرو الغنوي الى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين (وفي هذه السنة) كانت الحرب بين اسمعيل ابن أحمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ فأسر عمرو وقد أتينا على كيفية أسره في الكتاب الاوسط (وفي سنة) سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة في جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر فالتقى هو وأبو سعيد الجنابي فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرا دون من هلك من الرمل والعطش فأحرقت الشمس أجسادهم ثم ان أبا سعيد من على العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار الى المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الوقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل وقد أتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذي كان من أجله تغلبة أبي سعيد العباس بن عمرو الغنوي مع من بالبحرين من قومه وعصبتهم له (وفي هذه

في

غلمانه واتصل به جماعة فسار الى نيسابور فلم يصل اليها فطمع في مرو وكان شحنته بها أميرا اسمه قودن من مماليك ملكشاه وهو الذي كان سبب تنكر السلطان ملكشاه على نظام الملك وقد تقدم ذلك في قتل نظام الملك فمال الى ارسلان ارغون وسلم البلد اليه فأقبلت العساكر اليه وقصد بلخ وبها فخر الملك بن نظام الملك فسار عنها ووزر لتاج الدولة تتش على ما ذكرناه وملك ارسلان ارغون بلخ وترمذ ونيسابور وعامة خراسان وارسل الى السلطان بركيارق والى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب ان يقر عليه خراسان كما كانت لجده داود ما عدا نيسابور ويبذل الأموال ولا ينازع في السلطنة فسكت عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمه تتش فلما عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته ووليها أخوه فخر الملك واستولى على الامور مجد الملك البلاساني قطع ارسلان ارغون مراسلة بركيارق وقال لا أرضى لنفسي مخاطبة البلاساني فندب بركيارق حينئذ عمه بوربرس بن الب ارسلان وسيره في العساكر لقتاله وكان قد اتصل بارسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك ووزر له فلما وصلت العساكر الى خراسان لقيهم ارسلان ارغون وقاتلهم وانهزم منهم وسار منهزما الى بلخ وأقام بوربرس والعساكر التي معه بهراة ثم جمع ارغون عساكر جمة وسار الى مرو وحصرها أياما وفتحها عنوة وقتل فيها واكثر وقلع أبواب سورها وهدمه فسار اليه بوربرس من هراة فالتقيا وتصافا فانهزم بوربرس سنة ثمان وثمانين وسبب هزيمته انه كان معه من جملة العساكر الذين سيرهم معه بركيارق أميرآخر ملكشاه وهو من أكابر الامراء والامير مسعود بن تاجر وكان أبوه مقدم عسكر داود جد ملكشاه وللمسعود منزلة كبيرة ومحل عظيم عند كافة الناس وكان بين أميرآخر وبين ارسلان مودة قديمة فارسل اليه ارسلان ارغون يستميله ويدعوه الى طاعته فاجابه الى ذلك ثم ان مسعود بن تاجر قصد أميرآخر زائرا له ومعه ولده فاخذهما وقتلهما فضعف أمر بوربرس وانهزم من ارسلان ارغون وتفرق عسكره وأسر وحمل الى ارسلان ارغون وهو أخوه فحبسه بترمذ ثم أمر به فخنق بعد سنة من حبسه وقتل أكابر عسكر خراسان ممن كان يخافه ويخشى تحكمه عليه وصادر وزيره عماد الملك بثلثمائة ألف دينار وقتله وخرب أسوار مدن خراسان منها سور سبزوار وسور مرو والشاهجان وقلعة سرخس وقهندز نيسابور وسور شهرستان وغير ذلك خربه جميعه سنة تسع وثمانين ثم انه قتل هذه السنة كما ذكرنا

﴿ ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور ﴾

في هذه السنة في ربيع الاول وصل عسكر كثير من مصر الى ثغر صور بساحل الشام فحصرها وملكها وسبب ذلك ان الوالي بها ويعرف بكتيلة أظهر العصيان على المستعلي صاحب مصر والخروج عن طاعته فسير اليه جيشا فحصروه بها وضيقوا عليه وعلى من معه من جندي وعامي ثم افتتحوها عنوة بالسيف وقتل بها خلق كثير ونهب منها المال الجزيل وأخذ الوالي أسيرا بغير أمان وحمل الى مصر فقتل بها

﴿ ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها الى أخيه سنجر ﴾

كان بركيارق قد جهز العساكر مع أخيه الملك سنجر وسيرها الى خراسان لقتال عمه ارسلان ارغون وجعل الامير قماج اتابك سنجر ورتب في وزارته أبا الفتح علي بن الحسين الطغرائي فلما وصلوا الى الدامغان بلغهم خبر قتله فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فوصل اليها خامس جمادى الاولى من السنة وملكها بغير قتال وكذلك سائر البلاد

الخليل وفيهم خاقان المفلحي ووصيف موشكير وعلى كورة وغيرهم من القواد فقاتلوهم وصيف وذلك في الموضع المعروف بدرب الحب فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه أسر وأتي به المعتضد فسلمه الى مؤنس الفحل وأمن جميع أصحابه الذين انضافوا اليه من الثغر الشامي وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية وحمل من طرسوس أبا اسحق امام الجامع وأبا عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي صاحب مدينة أذنة من الثغر الشامي وغيرهم من البحريين مثل اسمعيل وابنه وكان دخول المعتضد الى مدينة السلام في الماء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر وبدر الكبير وسائر الجيش على الظهر وقد زينت الطرق وبين أيديهم وصيف الخادم على جمل فالج وعليه مدراعة ديباج وبرنس وخلفه على جمل آخر البغيل وخلف البغيل ابنه على جمل آخر وخلف ابن البغيل على جمل آخر رجل من أهل الشام يعرف بابن الهندس وقد ألبسوا الدراريع من الحرير الاحمر والاصفر وعلى رؤسهم البرانس وطوق وسور خاقان المفلحي وغيره من القواد عن أبلى في ذلك اليوم الذي كان فيه أسر وصيف الخادم وقد كان المعتضد أراد استحياء وصيف وأسف على موت مثله لشهامته وشجاعته وحسن

فانهزم جكرمش وعاد الى الجزيرة منهزما وصار فى طاعة كربوقا وأعانه على حصر الموصل وعدمت الاقوات بها وكل شئ حتى ماتوقدونه فاوقدوا القير وحب القطن فلما ضاق بصاحبها على الامر فارقها وسار الى الامير صدقة بن مزيد بالحلة وتسلم كربوقا البلد بعد ان حصره تسعة أشهر وخافه أهله لانه بلغهم أن التونتاش يريد نهبهم وان كربوقا يمنعه من ذلك فاشتغل التونتاش بالقبض على أعيان البلد ومطالبتهم بودائع البلد واستطال على كربوقا فأمر بقتله فقتل فى اليوم الثالث وأمن الناس شره وأحسن كربوقا السيرة فيهم وسار نحو الرحبة فمنع عنها فملكها ونهبها واستناب بها وعاد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة اجتمع ستة كواكب فى برج الحوت وهى الشمس والقمر والمشترى والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون فى الناس يقارب طوفان نوح فاحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عيسون المنجم فسأله فقال ان طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة فى برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس منها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول ان مدينة أو بقعة من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد فاحكمت المسنيات والمواضع التى يخشى منها الانفجار والغرق فاتفق ان الحاج نزلوا بوادى المناقب بعد نخلة فأتاهم سيل عظيم فاغرق أكثرهم ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والازواد وغير ذلك فخلع الخليفة على المنجم وفيها فى صفر درس الشيخ أبو عبد الله الطبرى الفقيه الشافعى بالمدرسة النظامية ببغداد رتبه فيها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وفيها أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل فى أثرهم عسكرا مقدمه ابن عمه قريش بن بدران بن دبيس بن مزيد فاسرته خفاجة وأطلقوه وقصدوا مشهد الحسين بن على عليه السلام فتظاهروا فيه بالفساد والمنكر فوجه اليهم صدقة جيشا فكبسوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا فى المشهد حتى عند الضريح وألقى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور فسلم هو والفرس وفى هذه السنة فى صفر توفى القاضى أبو مسلم وادع بن سليمان قاضى معرة النعمان والمستولى على أمورها وكان رجل زمانه همة وعلما وفيها فى ربيع الاول توفى أبو بكر محمد بن عبد الباقى المعروف بابن الخاضبة المحدث وكان عالما وفيها فى رمضان توفى أبو بكر عمر بن السمرقندى ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وفيها فى رمضان توفى أبو الفضل عبد الملك بن ابراهيم المقدسى المعروف بالهمذانى وكان عالما فى عدة علوم وقد قارب ثمانين سنة

﴿ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل ارسلان ارغون﴾

فى هذه السنة فى المحرم قتل ارسلان ارغون بن الب ارسلان أخو السلطان ملكشاه بمرو وكان قد ملك خراسان وسبب قتله انه كان شديدا على غلمانه كثير الاهانة لهم والعقوبة وكانوا يخافونه خوفا عظيما فاتفق انه الآن طلب غلاما له فدخل عليه وليس معه أحد فانكر عليه تأخره عن الخدمة فاعتذر فلم يقبل عذره وضربه فاخرج الغلام سكينا معه وقتله وأخذ الغلام فقيل له لم فعلت هذا فقال لاريح الناس من ظلمه وكان سبب ملكه خراسان انه كان له أيام أخيه ملكشاه من الاقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار وكان معه ببغداد لما مات فسار الى همذان فى سبعة

وخبر وفاته وقصة شيخ لاعقة صاحب قادية كحل وخبر ولده الى هذا الوقت

المعتضد وما كان من قصته بها وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ونزول يحيى بن الحسين الرسى مدينة صعدة من بلاد اليمن وخبر ولده أبى القاسم وخبر ولد ولده الى هذه الغاية وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبهين على ما قدمناه من تصنيفنا مما بسطناه من أخبار من ذكرناه وشرحنا من قصصهم وسيرهم وما كان منهم (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين كان دخول المعتضد الى الثغر الشامى فى طلب وصيف الخادم وراسله مع رشيق المعروف بالحرامى واستأمن الى المعتضد وصيف اليشكرى وغيره من القواد قواد الخادم وأصحابه وقد كان وصيف الخادم لما أخذ الاكثر من أصحابه أراد الدخول الى أرض الروم والتعلق بالدروب وقد كان المعتضد أسرع فى السير من بغداد وستر أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لامره حتى عبر المعتضد الفرات وسار الى الشام فلم يلحق جند المعتضد لذلك لما أتعب نفسه فى سرعة السير وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامى خلف سواده بالكنيسة السوداء وجرد القواد فى طلب وصيف فساروا فى طلبه خمسة عشر ميلا الى ان أدركه أوائل

مرصعة بالجوهر ومنطقة ذهب مرصعة بالجوهر وقيمة ذلك من الجواهر ٩٣ وثلثمائة ألف دينار ليفرقها في أصحابه

فكبر وعلا أمره وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف وكان مقدما محبوبا إليه وولد له ولد
سماه محمدا وهو هذا وعلمه وخرجه وأحسن تأديبه وتقدم بنفسه وبالعناية الأزلية فلما ولي
أمير داذ حبشي خراسان كان خوارزمشاه اكنجي قد قتل وقد تقدم ذكره ونظر الأمير حبشي
فيمن يوليه خوارزم فوقع اختياره على محمد بن أنوشتكين فولاه خوارزم ولقبه خوارزمشاه
فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله
علوا ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمدا خوارزمشاه على خوارزم وأعمالها فظهرت
كفايته وشهامته فعظم سنجر محله وقدره ثم ان بعض ملوك الاتراك جمع جموعا وقصد خوارزم
ومحمد غائب عنها وكان طغرلتكين بن اكنجي الذي كان أبوه خوارزمشاه قبل عند السلطان
سنجر فهرب منه والتحق بالاتراك على خوارزم فلما سمع خوارزمشاه محمد الخبر بادر الى خوارزم
وأرسل الى سنجر يستمده وكان بنيسابور فسار في العساكر اليه فلم ينتظره محمد فلما قارب خوارزم
هرب الاتراك الى منقشلاغ وطغرلتكين أيضا رحل الى جند خان وكفى خوارزمشاه شرهم
ولما توفي خوارزمشاه ولي بعده ابنه اتسز فمد ظلال الامن وأفاض العدل وكان قد قاد الجيوش
أيام أبيه وقصد بلاد الاعداء وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما ولي بعد أبيه قربه السلطان
سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه في اسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده
تقدما وعلوا وهو ابتداء ملك بيت خوارزمشاه تكش وابنه محمد الذي ظهرت التتر عليه على
ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق﴾

في هذه السنة سار الملك رضوان الى دمشق وبها أخوه دقاق عازما على أخذها منه فلما قاربها
ورأى حصانتها وامتناعها علم عجزه عنها فرحل الى نابلس وسار الى القدس ليأخذه فلم يمكنه
وانقطعت العساكر عنه فعاد ومعه باغي سيان صاحب انطاكية وجناح الدولة ثم ان باغي سيان
فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب جزاء لما فعله فجمع عساكر كثيرة
وسار ومعه باغيسيان فأرسل رضوان رسولا الى سقمان بن ارتق وهو بسروج يستنجده فأتاه
في خلق كثير من التركمان فسار نحو أخيه فالتقيا بقنسرين فاقتتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت
خيامهم وجميع مالهم وعاد رضوان الى حلب ثم اتفقا على ان يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق
وبانطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين

﴿ذكر الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان﴾

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلوي صاحب مصر
وسبب ذلك انه كان عنده الامير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار الى
حمص وهي له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب ونزل بظاهرها
وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم أسعد وكان يميل اليه فقدمه بعد مسير جناح الدولة
فحسن له مذاهب العلويين المصريين وأتته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم ويبذلون له
المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الاعمال سوى انطاكية
وحلب والمعرة أربع جمع ثم حضر عنده سقمان بن ارتق وباغيسيان صاحب انطاكية فأنكرا
ذلك واستعظماه فأعاد الخطبة العباسية في هذه السنة وأرسل الى بغداد يعتذر مما كان منه
وسار باغيسيان الى انطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة أيام حتى وصل الفرنج اليها وحصروها وكان

وبعثهم الى بلاد سجستان
الى حرب طاهر بن محمد بن
عمرو بن الليث وأمر عبد
الله بن الفتح أن يحمل في
طريقه من خراج ما يجتاز به
من بلاد الجبل عشرة آلاف
ألف درهم ويضمها الى
الثلثمائة ألف دينار وسار
بدر غلام المعتضد بالله في
عساكره الى بلاد فارس
في هذه السنة فنزل
شيراز وانكشف عن
البلد الليشكرية (وفي أول
يوم) من المحرم وهو يوم
الثلاثاء من سنة تسع
وثمانين ومائتين توفي
وصيف الخادم فأخرج
وصلب على الجسر بدنا
بلا رأس وقد كان الخدم
سألوا المعتضد أن يستروا
عورته فأباح لهم ذلك
فألبس ثيابا ولف عليه
ثوب جديد وخيط على
مكان الثياب من سرته الى
الركبتين وطلي بدنه بالصبر
وغيره من الاطلية القابضة
والماسكة لاجزاء جسمه
فأقام مصلوبا على الجسر
لا يبلى الى سنة ثلثمائة في
خلافة المقتدر بالله (وفي
هذه السنة) تشغب الجند
والعامة فصعدت العامة
اليه تماسا واحطوه من
فوق الخشبة وقالوا قد وجب
علينا حق الاستاذ أبي علي
وصيف الخادم أطول
مجاورته لنا وصبره علينا لا يبلى على هذه الخشبة فلفوه في رداء بعضهم وحملوه على أكتافهم وهم نحو من مائة ألف من

الخراسانية وساروا الى بلخ وكان عسكر ارسلان ارغون قد ملكوا بعده ولداله صغيرا عمره سبع سنين فلما سمعوا بوصول السلطان أبعدوا الى جبال طخارستان وأرسلوا يطلبون الامان فأجابهم الى ذلك فعادوا ومعهم ابن ارسلان ارغون فأحسن السلطان لقياه وأعطاه ما كان لأبيه من الاقطاع أيام ملكشاه وكان وصوله الى السلطان في خمسة عشر ألف فارس فما انقضى يومهم حتى فارقوه واتصلت كل طائفة منهم بأمير يخدمه وبقي وحده مع خادم لأبيه فأخذته والدة السلطان بركيارق اليها وأقامت له من يتولى خدمته وتربيته وسار بركيارق الى ترمذ فسلمت اليه وأقام عند بلخ سبعة أشهر وأرسل الى ماوراء النهر فأقيمت له الخطبة بسمرقند وغيرها ودانت له البلاد

(ذكر خروج أميرامیران بخراسان مخالفا)

في هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه أمير اسمه محمد بن سليمان ويعرف بأمير أميران وهو ابن عم ملكشاه وتوجه الى بلخ واستمد من صاحب غزنة فأمده بجيش كثير وفيلة وشرط عليه ان يخطب له في جميع ما يفتحه من خراسان فقويت شوكته ومدّيده في البلاد فسير اليه الملك سنجر بن ملكشاه جريدة ولا يعلم به أميراميران فكبسه فجرى بينهما قتال ساعة ثم أسر وحمل الى بين يدي سنجر فأمر به فكحل

(ذكر عصيان الامير قودن ويارقطاش على السلطان واستعمال حبشي على خراسان)

في هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارق وسبب ذلك ان الامير قودن كان قد صار في جملة الامير قماج فتوفي والسلطان بمرو فاستوحش قودن وأظهر المرض وتأخر بمرو بعد مسير السلطان الى العراق وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجي وقد ولاه السلطان خوارزم ولقبه خوارزمشاه فجمع عساكره وسار في عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان فسبق العسكر الى مرو في ثلثمائة فارس وتشاغل بالشرب فاتفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه وساروا الى خوارزم وأظهروا أن السلطان قد استعملهما عليها فتسلماها وبلغ الخبر الى السلطان فتمم المسير الى العراق لما بلغه من خروج الامير انز ومؤيد الملك من طاعته وأعاد أميرداذ حبشي بن التونتاق في جيش الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه فعاجلاه في خمسة عشر ألفا فعلم أميرداذ أنه لا طاقة له بهما فعبر جيحون فسار اليه وتقدم يارقطاش ليلحقه قودن فعاجله يارقطاش وحده وقاتله فانهزم يارقطاش وأخذ أسيرا وبلغ الخبر الى قودن فثار به عسكره ونهبوا خزائنه وما معه فبقي في سبعة نفر فهرب الى بخارا فقبض عليه صاحبها ثم أحسن اليه وبقي عنده وسار من هناك الى الملك سنجر ببلخ فقبله أحسن قبول وبذل له قودن ان يكفيه أموره ويقوم بجمع العساكر على طاعته فقدر انه مات عن قريب وأما يارقطاش فبقي أسيرا الى ان قتل أميرداذ وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه)

في هذه السنة أمر بركيارق الامير حبشي بن التونتاق على خراسان كما ذكرناه فلما صفت له وقتل قودن كما ذكرناه قبل ولى خوارزم الامير محمد بن انوشتكين وكان أبوه انوشتكين مملوك أمير من السلجوقية اسمه بلكابك قد اشتراه من رجل من غرشستان فقيل له أنوشتكين غرشجه

حمله والدامه ثم قال أليس في جامع هذا الخادم أن رأسه أخذ الى طاعة أن يؤس في نفسه وقد كان بعث اليه معدا قبض عليه وأوثق بالحديد هل لك من شهوة قال نعم باقة من الريحان أشمها وكتب من سير الملوك العابرة أنظر فيها فلما رجع الرسول الى المعتضد وأخبره انه يديم النظر في سير الملوك وحروبهم ويجهادون سائر ما حمل الى حضرته من الدفاتر فتعجب المعتضد وقال هو يموّن على نفسه الموت (وفي هذه السنة) كانت وفاة أبي عبد الله محمد بن أبي الساج باذربيجان واختلفت كلمة أصحابه وغلمانه بعده فمنهم من انحاز الى أخيه يوسف ابن أبي الساج ومنهم من انحاز الى ولده ديوداد (وفي هذه السنة) أدخل عمرو ابن الليث الى مدينة السلام في جمادى الاولى قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان فشهر عمرو وأركب على جمل فالج وقد ألبس دراعة ديباج وشافه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله في الجيش فأتوابه الثريا فرآه المعتضد ثم أدخل المطامير وقد كان في هذا الوقت سارت عساكر الشاكرية من قبل طاهر ابن محمد بن عمرو بن الليث غضبا لجده عمرو ولحقته ببلاد الاهواز وخرجت عن حدود فارس واضطرب الامر وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح واستأمن الى اسمعيل بن أحمد بهدايا منها مائة بدلة ديباج منسوجة بالذهب

فكبر

ويسيروا الى الرويكون أسهل عليهم فلما وصلوا اليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده وقال لا أمكنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحلفوا لي انكم تسلمون الى انطاكية وكان قصده يحثهم على الخروج الى بلاد الاسلام ظنا منه ان الاتراك لا يبقون منهم أحدا لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد فاجابوه الى ذلك وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين ووصلوا الى بلاد قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش وهي قونية وغيرها فلما وصلوا اليها لقيهم قلج ارسلان في جموعه ومنعهم فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين واجتازوا في بلاده الى بلاد ابن الارمني فسلكوها وخرجوا الى انطاكية فحصروها ولما سمع صاحبها باغيسيان بتوجههم اليها خاف من النصارى الذين بها فاخرج المسلمين من أهلها ليس معهم غيرهم وأمرهم بحفر الخندق ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضا ليس معهم مسلم فعملوا فيه الى العصر فلما ارادوا دخول البلد منعهم وقال لهم انطاكية لكم تهبونها لي حتى أنظر ما يكون منا ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ أبناءنا ونساءنا فقال أنا أخلفكم فيهم فامسكوا وأقاموا في عسكر الفرنج فحصروها تسعة أشهر وظهر من شجاعة باغيسيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد من غيره فهلك أكثر الفرنج موتا ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها لطبقوا بلاد الاسلام وحفظ باغيسيان أهل نصارى انطاكية الذين أخرجهم وكف الايدي المتطرقة اليهم فلما طال مقام الفرنج على انطاكية راسلوا أحد المستحفظين للابراج وهو زراد يعرف بروزبه وبذلوا له مالا واقطاعا وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي وهو مبني على شباك في الوادي فلما تقرر الامر بينهم وبين هذا الملعون الزراد جاؤا الى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة فاستيقظ باغيسيان فسأل عن الحال فقيل ان هذا البوق من القلعة ولا شك انها قد ملكت ولم يكن من القلعة وانما كان من ذلك البرج فدخله الرعب وفتح باب البلد وخرج هاربا في ثلاثين غلاما على وجهه فجاء نائبه في حفظ البلد فسأل عنه فقيل انه هرب فخرج من باب آخر هاربا وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة لهلكوا ثم ان الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك في جمادى الاولى وأما باغيسيان فانه لما طلع عليه النهار رجع اليه عقله وكان كالوالهان فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه أين أنا فقيل على أربعة فراسخ من انطاكية فندم كيف خلص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل وجعل يتلهف ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط الى الارض أراد أصحابه ان يركبوه فلم يكن فيه مسكة قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به انسان أرمني كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله وأخذ رأسه وحمله الى الفرنج بانطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق باننا لا نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم لا نطلب سواها مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكية

❁(ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم)❁

لما سمع قوام الدولة كربوقا بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام وأقام بمرج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين أتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسليمان ابن أرتق وغيرهم من الامراء ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا

الى المعتضد فاحضر الرجل الذي كان يحمل المال اليهم فانكر عليه اخفاءه ذلك وامره باظهاره وقرب آل أبي طالب وكان السبب في ذلك قرب النسب ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن علي الوراق الانطاكي الفقيه المعروف بابن الفتنوي بانطاكية قال أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد الجليس قال رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كان شيخا جالسا على دجلة يمد يده الى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت قال فسألت عنه فقيل لي هذا علي بن أبي طالب عليه السلام قال فقمت اليه وسلمت عليه فقال يا أحمد ان هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدي ولا تؤذهم فقلت السمع والطاعة يا أمير المؤمنين وعم الناس تأخر الخراج عنهم وكان انعام المعتضد عليهم فقالت الشعراء في ذلك وأكثرت ووصفت في أشعارها ذلك وأطنبت فاحسن يحيى بن علي المنجم فقال

يا محيي الشرف اللباب ومجدد الملك الخراب
ومعيد ركن الدين فيـ ـنا ثابتا بعد اضطراب
فت الملوك مبرزا فوت المبرز في الحلاب
أسعد بنيروز جمعـ ـت الشكر فيه الى الثواب
قدمت في تأخيره * قد قدموه الى الصواب

وقوله

يوم نيروزك يوم * واحد لا يتأخر

الناس يرمونه ويعاودون ويصيحون جوله الاستاذ لما حضروا من ذلك طرحوه فى دجلة وذلك أنهم شيعوه فى

ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين أهل سبزوار وأهل خسرو جرد وقتال عظيم قتل بينهم جماعة كثيرة وانهزم أهل خسرو جرد وفيها قتل عثمان وكيل دار نظام الملك وكان سبب قتله انه كان كاتب صاحب خبره بالاخبار من قبل السلطان فأخذ وحبس بترمذ مدة ثم اطلع عليه وهو فى الحبس انه كان يكاتبه أيضا فقتل وفى صفر منها قتل عبد الرحمن السميرمى وزير أم السلطان بركيارق قتله باطنى غيلة وقتل الباطنى بعده وفيها فى شعبان ظهر كوكب كبير له ذؤابة وأقام يطلع عشرين يوما ثم غاب ولم يظهر وفيها توفى النقيب الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبد الله وكان دينا خيرا كريما متعصبا حنفى المذهب وولى النقابة بعده ولده أبو الفتوح حيدرة وفيها توفى أبو القاسم يحيى بن أحمد السيبى وهو ابن مائة سنة وسنتين وهو صحيح الحواس وكان مقرئا محدثا حاضر القلب وفيها قتل ارغش النظامى مملوك نظام الملك بالرى وكان قد بلغ مبلغا عظيما بحيث انه تزوج ابنة ياقوتى عم السلطان بركيارق قتله باطنى وقتل قاتله وقتل برسق فى شهر رمضان وهو من أكابر الامراء قتله باطنى وكان برسق من أصحاب السلطان طغرلبك وهو أول شحنة كان ببغداد

﴿ ثم دخلت سنة احدى وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر ملك الفرنج مدينة انطاكية ﴾

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم الى بلاد الاسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الاندلس وقد تقدم ذكر ذلك ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها وقد ذكرته أيضا وتطرقوا الى أطراف افريقية فملكوا منها شيأ وأخذ منهم ثم ملكوا غيره على ما تراه فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا الى بلاد الشام وكان سبب خروجهم ان ملكهم بردويل جمع جمعا كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجى الذى ملك صقلية فارسل الى رجار يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وأنا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقية افتحها وأكون مجاورا لك فجمع رجار أصحابه واستشارهم فى ذلك فقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم وتصبح البلاد بلاد النصرانية فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال وحق دينى هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الى احتاج الى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم الى افريقية وعساكر من عندى أيضا فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عنى ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفلحوا رجعوا الى بلادى وتأذيت بهم ويقول تميم غدرت بى ونقضت عهدى وتنقطع الوصلة والاسفار بيننا وبلاد افريقية باقية لنا متى وجدنا قوة أخذناها وأحضر رسوله وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين فافضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر واما افريقية فبينى وبين أهلها أيمان وعهود فتجهزوا وخرجوا الى الشام وقيل ان أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها فخافوا وأرسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله أعلم فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا الى القسطنطينية ليعبروا المجاز الى بلاد المسلمين

الماء سباحة فغرقوه ثم فى جرية الماء خلق كثير (وفى هذه السنة) أتى جماعة من القرامطة من ناحية الكوفة فيهم المعروف بأبى الفوارس وبعد أن قطعت يداه ورجلاه صلب الى جانب وصيف الخادم ثم حول الى ناحية الكناس مما يلى الناشرية من الجانب الغربى فصلب مع قرامطة هنالك (وقد كان لاهل بغداد) فى قتل أبى الفوارس هذا أراجيف كثيرة وذلك أنه لما قدم ليضرب عنقه أشاعت العامة أنه قال لمن حضر قتله من العوام هذه عمامتى تكون قبلك فانى راجع بعد أربعين يوما فكان يجتمع فى كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويعدون الايام ويتقاولون ويتناظرون فى الطرق فى ذلك فلما تمت الاربعون ليلة وقد كان كثر لغطهم واجتمعوا فكان بعضهم يقول هذا جسده ويقول آخر قد مر واغما السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه لكى لا يفتتن الناس فكثر تنازع الناس فى ذلك حتى نودى بتفريقهم فتركوا التنازع والخوض فيه (وكان وردمال) من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق فى آل أبى طالب سرا فغمز بذلك

ويسيروا

﴿ذكر الحرب بين الملك سنجر ودولتشاه﴾

كان دولتشاه من أبناء الملوك السلجوقية فاجتمع عليه جمع من عساكر سنجر وأتى طغرلبك وكان بطخارستان فاخذوا والوالج وكبج فسار اليهم السلطان سنجر وعساكره فوصل الى بلخ فدخلها في رجب من هذه السنة وخرج منها لقتال دولتشاه فلم يكن له من الجموع ما يثبت مقابل عسكر سنجر فقاتلوا شيأ من قتال وانهزموا وأخذوا دولتشاه أسيرا وأحضر عند سنجر فعفا عنه من القتل وحبسه ثم بعد ذلك كله وسير سنجر جيشا الى مدينة ترمذ فملكوها وسلمها الى طغرل تكين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة فتح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس وكان بافريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس وفيها أرسل الخليفة رسولا الى السلطان بركيارق مستنفرا على الفرنج ومبالغا في تعظيم الامر وتداركه قبل ان يزداد قوة وفي هذه السنة في شعبان توفي أبو الحسن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف ومولده سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وكان فاضلا في الحديث وفيها توفي أبو الفضل عبد الوهاب بن أبي محمد التميمي الحنبلي وكان فاضلا فصيحا وفيها في شوال توفي طراد بن محمد الزينبي وهو عالي الاسناد في الحديث وولي نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين علي بن طراد وفيها في ذي القعدة توفي أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة وكان بيته مجمع الفضلاء وأهل الدين ومن جملة من كان عنده الى ان توفي الشيخ أبو اسحق الشيرازي وفيها توفي أبو الفرج سهل بن بشر بن أحمد الاسفرايني وهو من أعيان المحدثين

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عصيان الامير أنز وقتله﴾

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى الامير أنز بلاد فارس جميعها وكانت قد تغلب عليها الشوانكارة على اختلاف بطونهم وقبائلهم واستعانوا بصاحب كرمان ايرانشاه بن قاورت فاجتمعوا وصاففوا الامير أنز وكسروه وعاد مفلولا الى أصبهان وأرسل الى السلطان يستأذنه في اللحاق به الى خراسان فأمره بالمقام ببلد الجبال وولاه امارة العراق وكاتب العساكر المجاورة له بطاعته فأقام باصبهان وسار منها الى اقطاعه باذربيجان وعاد وقد انتشر أمر الباطنية باصبهان فندب نفسه لقتالهم وحصر قلعة على جبل اصبهان واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك وكان ببغداد فسار منها الى الحلة فأكرمه صدقة وسار من عنده الى الامير أنز فلما اجتمع بالامير أنز خوفه هو وغيره من السلطان بركيارق وعظموا عليه الاجتماع به وحسنوا له البعد عنه وأشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملكشاه وهو اذ ذاك بكنجة فعزم على المخالفة للسلطان وتحدث فيه فظهر ذلك فزاد خوفه من السلطان فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس وسار من أصبهان الى الري وأرسل الى السلطان يقول انه مملوك ومطيع ان سلم اليه مجد الملك البلاساني وان لم يسلمه فهو عاص خارج عن الطاعة فبينما هو يفطر وكانت عادته يصوم أياما من الاسبوع فلما قارب الفراغ من الافطار هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم وهم من جملة خيله فصدم أحدهم المشعل فالقاه وصدم الآخر الشمعة فاطفأها وضربه الثالث بالسكين فقتله وقتل معه جانداره واختلط الناس في الظلمة ونهبوا خزائنه وتفرق عسكره وبقي ملقى فلم يوجد ما يحمل عليه ثم حمل الى داره باصبهان ودفن بها ووصل خبر قتله السلطان

والفاكهة بيده والله سبحانه اسرارا وجهرا أن يخصه من الفضل وأن يعمل صغرا ٩٧ والباقل محمد بن هرون لمحمد بن زيد العلوي أظهر المعتضد الملك الكبير والمدن أسفاعلى قتله (وكانت) وفاة نصر بن أحمد صاحب ما وراء النهر بلخ في أيام المعتضد وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين وصار الامر الى أخيه اسمعيل بن أحمد (وكانت) وفاة أحمد بن أبي طاهر الكاتب صاحب كتاب أخبار بغداد سنة ثمانين ومائتين (وفيها كانت) وفاة أحمد بن محمد القاضي الذي يحدث (وفي سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي مؤدب المكتفي بالله في المحرم وهو صاحب الكتب المصنفة في الزهد وغيره (وفي سنة) اثنتين كانت وفاة أبي سهل محمد ابن أحمد الرازي المحدث وانما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم في التاريخ وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكانت) وفاة عبيد الله بن شريك المحدث في سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد (وفيها) وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف بطبرستان (وفيها) مات محمد بن الحسين بن الجنيد (وفي سنة) ثمان وثمانين ومائتين مات أبو على بشر بن عميرة الاسدي وله نيف وتسعون سنة وقبض ولده وهو ابن تسع

لما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على انطاكية وأساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين وأغضب الامراء وتكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال فأغضبهم ذلك وأضمروا له في أنفسهم الغدر اذا كان قتال وعزموا على اسلامه عند الصدمة وأقام الفرنج بانطاكية بعد ان ملكوها اثني عشر يوما ليس لهم ما يأكلونه وتقوت الاقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما رأوا ذلك أرسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجوا الا بالسيف وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفري والقمص صاحب الرها وبيمنت صاحب انطاكية وهو المقدم عليهم وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذي بانطاكية وهو بناء عظيم فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفى أثرها وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغي ان تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فان أمرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكن من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية أحد منهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا أولا من الاستهانة لهم والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب أحد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وآخر من انهزم سقمان بن أرتق وجناح الدولة لانهما كانا في الكمين وانهزم كربوقا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا أن يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم الوفا وغنموا ما في العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم

﴿ذكر ملك الفرنج معرة النعمان﴾

لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا الى معرة النعمان فنازلوها وحصروها وقاتلهم أهلها قتالا شديدا ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد في حربهم والاجتهاد في قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع وظنوا أنهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور وأخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه فرآهم طائفة أخرى ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم أيضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلاليم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبوا السبي الكثير وملكوه وأقاموا أربعين يوما وساروا الى عرقة فحصروها أربعة أشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها وساروا الى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواقير الى عكا فلم يقدروا عليها

السلام مع ابن الجصاص في ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين وفي ذلك يقول علي بن العباس الرومي

يا سيد العرب الذي زفت له
بالتمن والبركات سيدة العجم
اسعد بها كسعود ها بك انها
ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بملء ناظريها بهجة
وضميرها نبلا وكفيها كرم
شمس الضحى زفت الى
بدر الدجى
فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم

(ولما أدخل) عمرو بن الليث الى مدينة السلام من المصلى العتيق رافعا يديه يدعو وهو على جمل فالج وهو ذو السنامين وكان أنفذه الى المعتضد في هدايا تقدمت له قبل أسره فقال في ذلك الحسن ابن محمد بن مهر

ألم تر هذا الدهر كيف صروفه
يكون عسيرا مرة ويسيرا
وحسبك بالصفار نبلا وعزة
يروح ويغدو في الجيوش أميرا
حباهم بأجمال ولم يدر انه
على جمل منها يقاد أسيرا

وفي ذلك يقول محمد بن بسام

أيها المغتر بالدنـ
يا أما أبصرت عمرا
مقبلا قد أركب الفا * لج بعد الملك قسرا
وعليه برنس الـ * ـذلة اذلالا وقهرا

﴿ذكر

وإخوانكم بالشام يضحي مقيلهم * ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى * توارى حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبا * وسمر العوالي داميات اللهاذم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللن بأيدي المشركين قواضبا * ستغمد منهم في الطلى والجماجم
يكاد لهن المستجن بطيبة * ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتي لا يشرعون الى العدى * رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الاعاريب بالاذى * ويغضي على ذل كماة الاعاجم
ومنها
فليتهم اذ لم يذودوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وان زهدوا في الاجر اذ حمس الوغى * فهلا أتوه رغبة في الغنائم
لئن أذعنت تلك الخياشيم للبرى * فلا عطسوا الا بأجدع راغم
دعوناكم والحرب ترنو ملحة * الينا بألحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية * تطيل عليها الروم عض الاباهم
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * رمينا الى أعدائنا بالجرائم

﴿ذكر الحرب بين المصريين والفرنج﴾

في هذه السنة في رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسببها ان المصريين لما بلغهم ما تم على أهل القدس جمع الافضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهددهم فاعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على أثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر من وصولهم ولا من حركتهم ولم يكونوا على اهبة القتال فنادوا الى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم وأعجلهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما في العسكر من مال وسلاح وغير ذلك وانهزم الافضل فدخل عسقلان ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز وكان هناك كثيرا فاحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه وعاد الافضل في خواصه الى مصر ونازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثنى عشر ألف دينار وقيل عشرين ألف دينار ثم عادوا الى القدس

﴿ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه﴾

كان السلطان محمد وسنجر أخوين لام وأب أمهما أم ولد ولما مات أبوهما ملكشاه كان محمد معه ببغداد فسار مع أخيه محمود وتركان خاتون زوجة والده الى أصبهان ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد مختفيا ومضى الى والدته وهي في عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين وأربعمائة واقطعه بركيارق كنجة وأعمالها وجعل معه اتابكا له الامير قتلغ تكين فلما قوي محمد قتله واستولى على جميع أعمال أران الذي من جملته كنجة فعرف ذلك الوقت شهامة محمد وكان السلطان ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من

قد قعدوا عند القاسم بن عبيد الله فأطالهم الخطاب وهو في سكرته وكادت أنفس الجماعة أن تخرج من هيبته وحمل الى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فدفن بها (قال المسعودي) وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير في الارض غير ما ذكرناه أتينا على ذكرها والغرر منها مبسوطا في كتاب أخبار الزمان والاوسط

﴿ذكر خلافة المكتفي بالله﴾

وبويع المكتفي بالله وهو علي بن أحمد المعتضد بمدينة السلام في اليوم الذي كانت فيه وفاة أبيه المعتضد وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وأخذ له البيعة القاسم بن عبيد الله والمكتفي يومئذ بالرقة وللمكتفي يومئذ نيف وعشرون سنة ويكنى بأبي محمد فكان وصول المكتفي الى مدينة السلام يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الاولى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان دخوله في الماء ونزل قصر الحسني على دجلة وكانت وفاته يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فكانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما وقيل ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما على تباين الناس في تواريخهم والله أعلم

بركيارق وهو بنحو الرى فقد خرج من خراسان عازما على قتاله وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره وفرح مجد الملك البلاساني بقتله وكان له مثل يومه عن قريب وكان عمر أربعا وثلاثين سنة وكان كثير الصوم والصلاة والخير والمحبة للصالحين

﴿ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس﴾

كان البيت المقدس لتاج الدولة تتش وأقطعه للامير سقمان بن أرتق التركماني فلما ظفر الفرنج بالاتراك على انطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الاتراك ساروا اليه ومقدمهم الافضل بن بدر الجمالي وحصروه وبه الامير سقمان وايلغازي ابنا ارتق وابن عمهما سونج وابن أخيهما ياقوتي ونصب عليه نيفا وأربعين منجنيقا فهدموا مواضع من سوره وقاتلهم أهل البلد فدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوما وملكوه بالامان في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سقمان وايلغازي ومن معهما وأجزل لهم العطاء وسيرهم فساروا الى دمشق ثم عبروا الفرات فاقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازي الى العراق واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة وبقي فيه الى الآن فقصده الفرنج بعد ان حصروا عكا فلم يقدروا عليها فلما وصلوا اليه حصروه نيفا وأربعين يوما ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون وأحرقه المسلمون وقتلوا كل من به فلما فرغوا من احراقه أتاهم المستغيث بان المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان وركب الناس السيف ولبث الفرنج في البلدة اسبوعا يقتلون فيه المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الامان فسلموه اليهم ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلا الى عسقلان فاقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامي وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الاحصاء وورد المستنفرون من الشام في رمضان الى بغداد صحبة القاضي أبي سعد الهروي فاوردوا في الديوان كلاما أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا وذكروا ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبي الحريم والاولاد ونهب الاموال فلشدة ما أصابهم أفطروا فأمر الخليفة ان يسير القاضي أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاشي وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفاء بن عقيل وأبو سعد الحلواني وأبو الحسين بن سماك فساروا الى حلوان فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني على ما نذكره فعادوا من غير بلوغ أرب ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين على ما نذكره فتمكن الفرنج من البلاد فقال أبو المظفر الابيوردي في هذا المعنى أبياتا منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه * اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بني الاسلام ان وراءكم * وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
اتهويمة في ظل امن وغبطة * وعيش كنوار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها * على هفوات أيقظت كل نائم

وتسعين سنة وفيها مات أبو المثنى معاذ بن المثنى بن معاذ العنبري في أيام المعتضد (قال المسعودي) وقد ذكرنا من أشهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل الآراء والادب في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا ملوحين على ما سلف (وكانت) وفاة المعتضد لاربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين في قصره المعروف بالحسني بمدينة السلام وقيل ان وفاته كانت بسم اسمعيل بن بلبل قبل قتله اياه فكان يسري في جسده ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل في مسيره في طلب وصيف الخادم على ما ذكرنا ومنهم من رأى أن بعض جواريه سمته في منديل أعطته اياه يتنشف به وقيل غير ذلك مما عنه أعرضنا (وقد كان) أوصى أن يدفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر في الجانب الغربي من الدار المعروفة بدار الرخام فلما اعتراه الغشي ووقع للموت شك وافى وفاته فتقدم الطبيب الى بعض أعضائه يجسه فاحس به وهو على ما به من السكرات فأنف من ذلك وركله برجله فقلبه أذرعا فيقال ان الطبيب مات منها ومات المعتضد من ساعته وسمع ضجة وهو على ما به من الحال ففتح عينيه وأشار بيديه كالمستفهم فقال له مؤنس الخادم يا سيدي الغلمان واخوانكم

يسألون تسليمه اليهم ووافقهم على ذلك العسكر جميعه وقالوا ان لم يسلمه الينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة وان منعنا فارقناه وأخذناه قهرا فامتنع السلطان منه فارسل مجد الملك الى السلطان يقول له المصلحة ان تحفظ أمراء دولتك وتقتلني انت لئلا يقتلني القوم فيكون فيه وهن على دولتك فلم تطب نفس السلطان بقتله وأرسل اليهم يستحلفهم على حفظ نفسه وحبسه في بعض القلاع فلما حلفوا اسلمه اليهم فقتله الغلمان قبل ان يصل اليهم فسكنت الفتنة ومن العجب أنه كان لا يفارقه كفنه سفرا وحضرا ففي بعض الايام فتح خازنه صندوقا فرأى الكفن فقال وما أصنع بهذا ان أمري لا يؤول الى كفن والله ما أبقى الا طريحا على الارض فكان كذلك ورب كلمة تقول لقائلها دعني ولما قتل حمل رأسه الى مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مجد الملك خيرا كثير الصلاة بالليل كثير الصدقة لا سيما على العلويين وأرباب البيوتات وكان يكره سفك الدماء وكان يتشيع الا انه كان يذكر الصحابة ذكرا حسنا ويلعن من يسبهم ولما قتل أرسل الامراء يقولون للسلطان المصلحة ان تعود الى الري ونحن نمضي الى أخيك فنقاتله ونقضي هذا المهم فسار بعد امتناع ومعه مائتا فارس لا غير ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع أصحابه وعاد الى الري وسار العسكر الى السلطان محمد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في شعبان وصل الكيا أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالهراس الفقيه الشافعي ولقبه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيارق الى الخليفة وهو من أصحاب امام الحرمين أبي المعالي الجويني ومولده سنة خمسين وأربعمائة واعتنى بأمره مجد الملك البلاساني وقام له الوزير عميد الدولة بن جهير لما دخل عليه وفيها قتل أبو القاسم ابن امام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور وكان خطيبها واتهم العامة أبا البركات الثعلبي بانه هو الذي سعى في قتله فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه وفيها كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الاقوات ودام سنتين وكان سببه ان البرد أهلك الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم وفيها في شعبان توفي أبو الغنائم الفارقي الفقيه الشافعي بجزيرة ابن عمر وكان اماما فاضلا زاهدا وفيها في صفر توفي أبو عبد الله الحسين بن طلحة النعالي وعمره نحو تسعين سنة وكان عالي الاسناد في الحديث وقيل توفي سنة ثلاث وتسعين وفيها في شعبان توفي أبو غالب محمد بن علي بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي تفقه على ابن عمه أبي نصر وكان حسن الخلق متواضعا

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر اعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد﴾

في هذه السنة أعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد وسبب ذلك ان بركيارق سار في العام الماضي من الري الى خوزستان فدخلها وجميع من معه على حال سيئة وكان أمير عسكره حينئذ ينال بن أنوشتكين الحسامي وأتاه غيره من الامراء وسار الى واسط فظلم عسكره الناس ونهبوا البلاد واتصل به الامير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ووثب على السلطان قوم ليقتلوه فأخذوا وأحضروا بين يديه فاعترفوا ان الامير سرمز شحنة أصبهان وضعهم على قتله فقتل أحدهم وحبس الباقون وسار الى بغداد فدخلها سابع عشر صفر وخطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين وكان سعد الدولة كوهرآيين بالشفيعي وهو في طاعة السلطان محمد

الوقت فلما استخلف المكتفي أغراه القاسم ببدر وكان ميل جماعة من القواد الى بدر فساروا الى حضرة السلطان وسار بدر الى واسط فأخرج القاسم المكتفي الى نهر ديالى فعسكر هنالك وجعل في نفس المكتفي من بدر كل حالة يقدر عليها من الشر وأغراه به فأحضر القاسم أبا حازم القاضي وكان ذا علم ودراية فأمره عن أمير المؤمنين بالمسير الى بدر فيأخذ له الامان ويجيء به معه ويضمن له عن أمير المؤمنين ما أحب فقال أبو حازم ما كنت أبلغ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو بن يوسف القاضي فأرسله الى بدر في سر فأعطاه الامان والعهود والمواثيق عن المكتفي وضمن له أنه لا يسلمه عن يده الا عن رؤية أمير المؤمنين فخلى عسكره وجلس معه في السميرية مصعدين فلما انتهوا الى ناحية المدائن والسيب تلقاه جماعة بالحذر فأحاطوا بالسميرية وتنحى أبو عمرو عنه الى طيار فركب فيه وقرب بدر الى الشط وسألهم أن يصلي ركعتين وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال فأمهلوه للصلاة فلما كان في الركعة الثانية قطعت عنقه وأخذ رأسه فحمل الى المكتفي فلما وضع الرأس بين يدي المكتفي سجد وقال الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ودخل

فضلون بن أبي الاسوار الروادي ورحلها الى سرهنك ساوتكين الخادم واقطع فضلون استراباذ وعاد فضلون عن بلاده ثم مضى فيها الساوي فارسل السلطان اليه الامير بوزان فحاربه وأسره واقطع بلاده لجماعة منهم باغيسيان صاحب انطاكية ولما مات باغيسيان عاد ولده الى ولاية أبيه في هذه البلاد وبقي فضلون ببغداد سنة أربع وتسعين وهو على غاية من الاضافة في مسجد على دجلة وقد ذكرنا فيما تقدم تنقل الاحوال بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك وانه كان عند الامير أنر يحسن له عصيان السلطان بركيارق فلما قتل أنر سار الى الملك محمد فاشار عليه بمخالفة أخيه والسعي في طلب السلطنة ففعل ذلك وقطع خطبة بركيارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزره مؤيد الملك واتفق قتل مجد الملك البلاساني واستيحاش العسكر من السلطان بركيارق وفارقوه وسار وانحو السلطان محمد فلقوه بخرقان فصار وامعه وسار وانحو الري وكان السلطان بركيارق لمفارقة عسكره سار مجدا الى الري فاتاه بها الامير ينال بن أنوشتكين الحسامي وهو من أكابر الامراء ووصل اليه أيضا عز الملك منصور بن نظام الملك وأمه ابنة ملك الابخاز ومعه عساكر جمة فبلغه مسير أخيه محمد اليه في العساكر فسار من الري الى أصبهان فلم يفتح أهلها له الابواب فسار الى خوزستان على ماذكره وورد السلطان محمد الى الري ثاني ذي القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها فاخذها مؤيد الملك وسجنها في القلعة وأخذ خطها بخمسة آلاف دينار وأراد قتلها وأشار عليه ثقاته ان لا يفعل ذلك فلم يقبل منهم وقالوا له العسكر محبون لولدها وانما استوحشوا منه لاجلها ومتى قتلت عدلوا اليه فلا تغتر بهؤلاء الجند فانهم غدروا بمن أحسن اليهم أوثق ما كان بهم فلم يصغ الى قولهم ورفعها الى القلعة وخنقت وكان عمرها اثنتين واربعين سنة فلما أسر السلطان بركيارق مؤيد الملك رأى خطه في تذكرته بخمسة آلاف دينار فكان أعظم الاسباب في قتله

﴿ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد﴾

لما قوي أمر السلطان محمد سار اليه سعد الدولة كوهرآيين من بغداد وكان قد استوحش من السلطان بركيارق فاجتمع هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة وسرخاب بن بدر صاحب كنكور وغيرها فسار والى السلطان محمد فلقوه بقم فرد سعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش في خدمته الى أصبهان ولما وصل كوهرآيين الى بغداد خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمد فاجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة ولقب غياث الدنيا والدين

﴿ذكر قتل مجد الملك البلاساني﴾

قد ذكرنا تحكم مجد الملك أبي الفضل اسعد بن محمد في دولة السلطان بركيارق وتمكنه منها فلما بلغ الغاية التي لا مزيد عليها اتته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لا يحتسب وأما سبب قتله فان الباطنية لما توالى منهم قتل الامراء الاكابر من الدولة السلطانية نسبوا ذلك اليه وانه هو الذي وضعهم على قتل من قتلوه وعظم ذلك قتل الامير برسق فاتهم أولادهم زنكي واقبوري وغيرهما مجد الملك بقتله وفارقوا السلطان وسار السلطان الى زنجان لانه بلغه خروج السلطان محمد عليه على ماذكرناه فطمع حينئذ الامراء فارسل أميرآخر وبكابك وطغايرك بن اليزن وغيرهم الى الامراء بني برسق يستحضرونهم اليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك اليهم ليقتلوه فحضروا عندهم فارسلوا الى السلطان بركيارق وهم بسجاس مدينة قريبة من همذان

﴿ذكر جمل من أخباره وثلاثين وثلثمائة من خلافة المكتفي بالله من اسمه علي الا علي بن ابي طالب والمكتفي ولما نزل المكتفي قصر الحسني في اليوم الذي كان دخوله الى مدينة السلام خلع على القاسم بن عبيد الله ولم يخلع على أحد من القواد وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس واطلاق من كان فيها وأمر برد المنازل التي كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير الى أهلها وفرق فيهم أموالا فمالت قلوب الرعية اليه وكثر الداعي له بهذا السبب وغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم بن عبيد الله وزيره العباس بن الحسين وفاتك وقد كان القاسم ابن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الاصبهاني وكان يتقلد ديوان الرسائل وكان ذا علم ومعرفة وأوقع بمحمد بن بسار وابن منارة لشيء بلغه عنهم فأوثقهم بالحديد وأحدرهم الى البصرة فيقال انهم غرقوا في الطريق ولم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية ففي ذلك يقول علي بن بسام عذرنا الك في قتلك المسلمين وقتلك اعداؤه أهل الملل فهذا المنارى ماذنبه * وديمكما واحدلم يزل وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيد الله و بدر قبل هذا يلتمسون

وصف ابن بدر في أيام الموفق وكان للمعتضد غلام يقال له فاتن وكان من أحسن الناس

أرسلان أرسلانه أبيه ملكشاه الى بغداد فاحضر له الخلع والتقليد ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الامر وتمام القدرة وطاعة أعيان الامراء وخدمتهم اياه وكان حليما كريما حسن السيرة لم يصادر أحدا من أهل ولايته ومناقبه كثيرة

(ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضا وقتل أميرداذ حبشي)

لما انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلا وهو في خمسين فارسا ونزل ثمة واستراح وقصد الري وأرسل الى من كان يعلم أنه يريده ويؤثر دولته فاستدعاه فاجتمع معه جمع صالح فسار الى اسفراين وكاتب أميرداذ حبشي بن التونتاق وهو بدامغان يستدعيه فأجابه يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى يأتيه وكان بيده حينئذ أكثر خراسان وطبرستان وجرجان فلما وصل بركيارق الى نيسابور قبض على رؤسائها ثم خرج بهم وأطلقهم بعد ذلك وتمسك بعميد خراسان أبي محمد وأبي القاسم بن أبي المعالي الجويني فأما أبو القاسم فمات مسموما في قبضه وقد تقدم انه قتل سنة اثنتين وتسعين وعاد بركيارق فاستدعى أميرداذ فاعتذر بقصد السلطان سنجر بلاده في عساكر بلخ وسأل السلطان بركيارق ان يصل اليه ليعينه على الملك سنجر فسار اليه في ألف فارس فلم يعلم بقدومه الا الامراء الكبار من أصحاب سنجر ولم يعلم الاصاغر لئلا ينهزموا وكان مع الاميرداذ عشرون ألف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع المصاف بين بركيارق وأخيه سنجر خارج النوشجان وكان الامير برغش في ميمنة سنجر والامير كندكز في ميسرته والامير رستم في القلب فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله وانهزم أصحابه وأصحاب سنجر واشتغل العسكر بالنهب فحمل عليهم برغش وكندكز فقتلا المنهزمين وانهزم الرجالة الى مضيق بين جبلين فارسل عليهم الماء فاهلكهم ووقعت الهزيمة على أصحاب بركيارق وكان قد أخذ والدة أخيه سنجر لما انهزم أصحابه أولا فخافت ان يقتلها بامه فاحضرها وطيب قلبها وقال انما أخذتك حتى يطلق أخي سنجر من عنده من الاسرى ولست كفؤا لوالدتي حتى أقتلك فلما أطلق سنجر الاسرى أطلقها بركيارق وهرب أميرداذ الى بعض القرى وأخذه بعض التركمان فاعطاه في نفسه مائة ألف دينار فلم يطلقه وحمله الى برغش فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى دامغان وسار في البرية ورؤي في بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارسا وجمازة واحدة ثم كثر جمعه وصار معه ثلاثة آلاف فارس منهم جاولي سقاوو وغيره وسار الى أصبهان بمكاتبة من أهلها فسمع السلطان محمد فسبقه اليها فعاد الى همذان

(ذكر فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس)

في هذه السنة فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس وكان صاحبها حمو وهو عاصي فتغلب عليها واشتد أمره بوزير كان عنده قد قصده وهو من كتاب المعز كان حسن الرأي والتدبير فاستقامت به دولته وعظم شأنه فارسل اليه تميم يطلبه ليستخدمه ووعده وبالغ في استمالته فلم يقبل فسير تميم جيشا الى حصار سفاقس وأمر الامير الذي جعله مقدم الجيش ان يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الاشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير فانه لا يتعرض اليه ويبالغ في صيانته ففعل ذلك فلما رأى حمو ما فعل بأملاك الناس ما عدا الوزير اتهمه فقتله فانحل نظام دولته وتسلم عسكر تميم المدينة وخرج حمو منها وقصد مكن بن كامل الدهماني فأقام عنده فأحسن اليه ولم يزل عنده حتى مات

(ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته)

وكان السبب في ذلك أن المعتضد غضب على بعض جواريه فأمر ببيعها فلبس فاتن من ابتياعها له فكان السبب في اعادتها من قلب المعتضد عند فوت ذلك اليه وزاد أمر بدر وعلت مرتبته حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد وكانت الشعراء تقرن مديح بدر بمدح المعتضد وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام (قال المسعودي) وأخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي النديم الشطرنجي بمدينة السلام قال كان لي وعد على المعتضد فاطلت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا أولها

أيها الهاجر من حال لا يجد
أجزاء الود أن يلقى بصد
لامير المؤمنين المعتضد
بحر جود ليس يعدوه أحد
وأبو النجم لمن يقصده
جدول منه الى البحر يرد
قد مضى الفطر الى الاضحى وقد
آن أن يقرب وعد قد بعد
ما اقتضاني الوعد أن لست على
ثقة من انه آخذ بيد
غير أن النفس تهوى عاجلا
وسوا أعطي كريم أو وعد
قال فقصدت أمرا لي بما وعدني به (وأخبرنا) محمد بن النديم بمدينة السلام قال سمعت المعتضد يقول انا آنف من هيبة القائل ولا أرى الدنيا لو كانت لي

فسار الى داى مرج ومعه ايلغازي بن ارتق وغيره من الامراء فارسل الى مؤيد الملك والسلطان محمد يحضهما على الوصول اليه فارسلا اليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فاما جكرمش فاستأذن كوهرآيين في العود الى بلده وقال انه قد اختلت الاحوال فاذن له وبقي مع كوهرآيين جماعة من الامراء فاتفقوا على ان يصدروا عن رأى واحد ولا يختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على ان كتبوا الى السلطان بركيارق يقولون له اخرج الينا فانفينا من يقاتلك وكان الذي أشار بذا كربوقا وقال الكوهرآيين اننا لم نظفر من محمد ومؤيد الملك بطائل وكان مضرفا من مؤيد الملك فسار بركيارق اليهم فترجلوا وقبلوا الارض وعادوا معه الى بغداد وأعاد الى كوهرآيين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودواب وغير ذلك واستوزر بركيارق ببغداد الاعز أبا المحاسن عبد الجليل بن علي بن محمد الدهستاني وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لما تولاها هو وأبوه أيام ملكشاه فاستقر الامر على مائة ألف دينار وستين ألف دينار يحملها اليه وخلع الخليفة على السلطان بركيارق

﴿ذكر الوقعة بين السلاطين بركيارق ومحمد واعادة خطبة محمد ببغداد﴾

في هذه السنة سار بركيارق من بغداد الى شهرزور فاقام بها ثلاثة أيام والتحق به عالم كثير من التركمان وغيرهم فسار نحو أخيه السلطان محمد ليحاربه فكاتبه رئيس همذان ليسير اليها ويأخذ اقطاع الامراء الذين مع أخيه فلم يفعل وسار نحو أخيه فوقع الحرب بينهم رابع رجب وهو المصاف الاول بين بركيارق وأخيه السلطان محمد باسبيذروز ومعناه النهر الابيض وهو على عدة فراسخ من همذان وكان مع محمد نحو عشرين ألف مقاتل وكان محمد في القلب ومعه الامير سرمز وعلى ميمنته أمير آخر وابنه اياز وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية وكان السلطان بركيارق في القلب ووزيره الاعز أبو المحاسن وعلى ميمنته كوهرآيين وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وعلى ميسرته كربوقا وغيره فحمل كوهرآيين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد وبها مؤيد الملك والنظامية فانهزموا ودخل عسكر بركيارق في خيامهم فنهبوهم وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت الميسرة وانضافت ميمنة محمد اليه في القلب على بركيارق ومن معه فانهزم بركيارق ووقف محمد مكانه وعاد كوهرآيين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه وكبا به فرسه فاتاه خراساني فقتله وأخذ رأسه وتفرقت عساكر بركيارق وبقي في خمسين فارسا وأما وزيره الاعز أبو المحاسن فانه أخذ أسيرا فاكرمه مؤيد الملك بن نظام الملك ونصب له خياما وحركاه وحمل اليه الفرش والكسوة وضمنه عمارة بغداد وأعاده اليها وأمره بالمخاطبة في اعادة الخطبة للسلطان محمد ببغداد فلما وصل اليها خاطب في ذلك فأجيب اليه وخطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب

﴿ذكر قتل سعد الدولة كوهرآيين﴾

في هذه السنة في رجب قتل سعد الدولة كوهرآيين في الحرب المذكورة قبل وكان ابتداء أمره انه كان خادما للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بويه انتقل اليه من امرأة من قرقوب بخوزستان وكان اذا توجه الى الاهواز حضر عندها واستعرض حوائجها وأصاب أهلها منه خيرا كثيرا فارسله أبو كاليجار مع ابنه أبي نصر الى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه الى قلعة طبرك فلما مات أبو نصر انتقل الى خدمة السلطان الب ارسلان ووقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمي وكان الب ارسلان قد أقطعه واسط وجعله شحنة ببغداد فلما قتل الب

المكتفي الى مدينة السلام يوم الاحد ٢٠٠ الثمان خلون من شهر رمضان في محمد بن يوسف القاضي يقول بعض الشعراء في طعاله

ليبدر العهود والمواثيق
عن المكتفي
قل اتاني مدينة المنصور
ثم ألا ان أخذ رأس الامير
بعد اعطائه المواثيق
والعهود
وعقد الامان في منطور
أين أيمانك التي يشهد الله
على انها ايمن فجور
أين تأكيدك الطلاق
ثلاثا
ليس فيهن نية التغيير
ان كفيك لا تفارق كفيه
الى أن ترى مليك السرير
يا قليل الحياء يا أكذب
الامة يا شاهدا شهادة
زور
ليس هذا فعل القضاة
ولا يحسن
أمثاله ولاة الجسور
قد مضى من قتلت في
رمضان
راكعا بعد سجدة التكبير
أي ذنب أتيت في الجمعة
الزهراء
في خير خير الشهور
فأعدا لجواب للحكم العادل
من بعد منكر ونكير
يا بني يوسف بن يعقوب
أضحى
أهل بغداد منكم في غرور
شتت الله شملكم وأراني
بكم الذل بعد ذل الوزير
أنتم كلكم فداء أبي حازم
المستقيم كل الامور
قالوا وكان بدر حرا وهو
بدر بن خير من موالي المتوكل وكان بدر في خدمة ناشي غلام الموفق صاحب ركابه ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه

ارسلان

وأصله من عكبرا واليه ينسب مسجد ابن جردة وخرابة ابن جردة ببغداد. وفيها توفي أبو علي يحيى ابن جزلة الطبيب وكان نصرانيا فأسلم وهو مصنف كتاب المنهاج. وفيها في شوال توفي عبد الرزاق الصوفي الغزنوي المقيم برباط عتاب وحج عدة حجات على التجريد ولم يخلف ما تكفن فيه فقالت زوجته اذا مت افتضحنا قال لم تفتضح قالت لانك ليس لك ما تكفن فيه فقال انما أفتضح اذا خلفت ما أكفن فيه. وفيها في رمضان توفي عز الدولة أبو المكارم محمد بن سيف الدولة صدقة بن مزيد

﴿ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك﴾

في هذه السنة ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثاني بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين انهزام السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد وتنقله في البلاد الى أصبهان وانه لم يدخلها وسار منها الى خوزستان وأتى عسكر مكرم فأتاه الاميران زنكي والبكي ابنا برسق وصارا معه وأقام بها شهرين وسار منها الى همذان فاتصل به الامير اياز وكان سبب ذلك ان أميراً آخر قد مات منذ قريب فاتهم اياز مؤيد الملك بانه سقاه السم وقوي ذلك عنده ان وزير أمير آخر هرب عقيب موته فازداد ظن اياز باتهامه فظفر بالوزير فقتله وكان اياز قد اتخذه أميرا آخر ولدا واتصل به العسكر ووصى له بجميع ماله فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركيارق واتصل به ومعه خمسة آلاف فارس وصار من جملة عسكره وسار السلطان محمد الى لقاء أخيه فلما تقارب العسكران استأمن الامير سرخاب بن كيخسرو صاحب آوة الى السلطان بركيارق فاكرمه ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة وكان مع السلطان بركيارق خمسون ألفا ومع أخيه السلطان محمد خمسة عشرة ألفا فالتقوا فاقتتلوا يومهم أجمع وكان النفر بعد النفر يستأمنون من عسكر محمد الى بركيارق فيحسن اليهم ومن العجب الدال على الظفران رجالة بركيارق احتاجوا الى تراس فوصل اليه يوم المصاف بكرة اثنا عشر حملا سلاحا من همذان منها ثمانية احمال تراس ففرقت فيهم فلما وصلت نزل السلطان بركيارق وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ولم يزل القتال بينهم الى آخر النهار فانهزم السلطان محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك اسره غلام لمجد الملك البلاساني وأحضر عند السلطان بركيارق فسبه وأوقفه على ما اعتمده معه من سب والدته مرة ونسبته الى مذهب الباطنية أخرى ومن حمل أخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته الى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة فقتله بركيارق بيده وألقي على الارض عدة أيام حتى سأل الامير اياز في دفنه فاذن فيه فحمل الى تربة أبيه باصبهان فدفن معه وكان بخيلا سيئ السيرة مع الامراء الا انه كان كثير المكر والحيل في اصلاح أمر الملك وكان عمره لما قتل نحو خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر في صفر الاعز ابا المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني فلما قتل مؤيد الملك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولا الى بغداد وهو أبو ابراهيم الاسترابادي لاخذ أموال مؤيد الملك فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم اليه محمد الشرابي وهو ابن خالة مؤيد الملك فاخذت منه الاموال والجواهر بعد مكروه أصابه وعذاب ناله وأخذ له ذخائر من مواضع أخر ببلاد العجم منها قطعة بلخش وزنها احد وأربعون مثقالا ولما فرغ السلطان بركيارق من هذه الوقعة سار الى الري فوصل اليه هناك قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد

﴿ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه باخيه الملك سنجر﴾

ومائتين ظهر القرمطي بالشام وكان في حروبه مع طغج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره وقد أتينا على ذكره فيما سلف وما كان من خروج المكتفي الى الرقة وأخذ القرامطة وذلك في سنة احدى وتسعين ومائتين وكذلك ما كان من ذكرويه بن مهرويه ووقوعه بالحاج في سنة أربع وتسعين ومائتين الى أن قتل وأدخل الى مدينة السلام (قال المسعودي) وكان فداء الغدر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين ومائتين بالامنين بعد أن فادوا بجماعة المسلمين ثم ان الروم قدروا بعد ذلك وكان فداء التمام بالامنين بين المسلمين على التمام في شوال من سنة خمس وتسعين ومائتين والامير في الفداء ابن جمعا رستم وكان على الثغور الشامية فكان عدة من فدي به من المسلمين في فداء ابن طغان في سنة ثلاث وثمانين ومائتين على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكره ألف نفس وأربعمائة وخمسا وتسعين نفسا من ذكر وأنثى وكان عدة من فدي به من المسلمين في الغدر ألفا ومائة وأربعا وخمسين نفسا وعدد من فودي به في فداء التمام ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين نفسا ومات المكتفي وقد خلف في بيوت الاموال ثمانية آلاف ألف دينار ومن الورق خمسة وعشرين ألف ألف درهم ومن الدواب والبغال والجمازات

لما أطلق مؤيد الدولة وزير السلطان محمد الأعز أبا المحاسن وزير بركيارق وضمنه عمادة بعد ادامرهم ان يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جهير وسار من العسكر ومع عميد الدولة الحرقاص الاصبهبذ صباوه بن خمارتكين بالخروج الى طريق الاعز وقتله وكان الاصبهبذ قد حضر الحرب مع بركيارق ولما انهزم العسكر قصد بغداد فخرج الى طريق الاعز أبي المحاسن فلقيه قريبا من بعقوبا فاوقع بمن معه ولقيا الاعز الى القرية واحتمى فلما رأى الاصبهبذ صباوه ذلك أرسل اليه يقول له انت وزير السلطان بركيارق وأنا مملوكه فان كنت على خدمته فاخرج الينا حتى نسير الى بغداد ونقيم الخطبة للسلطان وأنت الصاحب الذي لا يخالف وان لم تجب الى هذا فما بيننا غير السيف فاجابه الاعز الى ذلك واجتمعا فعرفه صباوه الذي أمره به عميد الدولة من قتله وباتا تلك الليلة وأرسل الاعز الى الامير ايلغازي بن أرتق وكان قد ورد في صحبته وفارقه بنهر الزاذان يحضر في الليل فانقطع حينئذ أمل صباوه منه وفارقه وسار الاعز الى بغداد وخاطب في عزل عميد الدولة فعزل في رمضان وأخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار وقبض عليه وعلى اخوته وبقي معزولا الى سادس عشر شوال فتوفي محبوسا في دار الخلافة ومولده في المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وكان عاقلا كريما حليما الا أنه كان عظيم الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان اذا كلم انسانا كلمات يسيرة هنى ذلك الرجل بكلامه

(ذكر ظفر المسلمين بالفرنج)

في ذي القعدة من هذه السنة لقي كمشتكين ابن الدانشمند طايلو وانما قيل له ابن الدانشمند لان أباه كان معلما للتركمان وتقلبت به الاحوال حتى ملك وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرهما بيمند الفرنجي وهو من مقدمي الفرنج قريب ملطية وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه اليه فورد عليه في خمسة آلاف فلقيهم ابن الدانشمند فانهزم بيمند وأسر ثم وصل من البحر سبعة قامصة من الفرنج وأرادوا تخليص بيمند فاتوا الى قلعة تسمى انكورية فاخذوها وقتلوا من بها من المسلمين وساروا الى قلعة أخرى فيها اسمعيل بن الدانشمند وحصروها فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيرا ولقي الفرنج وجعل له كمينا وقاتلهم وخرج الكمين عليهم فلم يفلت أحد من الفرنج وكانوا ثلثمائة ألف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلا وافلتوا مجروحين وسار ابن الدانشمند الى ملطية فملكها وأسر صاحبها ثم خرج اليه عسكر الفرنج من انطاكية فلقيهم وكسرهم وكانت هذه الوقائع في شهور قريبة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة زاد أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد في شعبان وعظم ضررهم فامر الخليفة كمال الدولة بن يمن بتهذيب البلد فاخذ جماعة من أعيانهم وطلب الباقين فهربوا وفيها أيضا انحلت الاسعار بالعراق وكان الكر الحنطة قد بلغ سبعين دينارا وربما زاد كثيرا في بعض الاوقات وانقطعت الامطار ويبست الانهار وكثر الموت حتى عجزوا عن دفن الموتى فحمل في بعض الاوقات ستة أموات على نعش واحد وعدمت الادوية والعقاقير وفيها في رجب سار بيمند الفرنجي صاحب انطاكية الى قلعة فامية فحصرها وقاتل أهلها أياما وافسد زروعهم ثم رحل عنها وفيها في آخر رمضان قتل الامير بلكابك سرمز باصبهان بدار السلطان محمد وكان كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع ومن يمنع عنه ففي ذلك اليوم لم يلبس درعا ودخل دار السلطان في قلة فقتله الباطنية فقتل واحد ونجا آخر وفيها توفي أبو الحسن البسطامي الصوفي ورباطه مشهور على دجلة غربي بغداد بناه أبو الغنائم بن المحلبان وفيها مات أبو نصر بن أبي عبد الله بن جردة

بني وبينهم أعرف ما صلح بانفقه دوبا دوما ولو كنت بخيلا ما أطاقت ذلك له (وأخبرنا) أبو الحسن محمد ابن علي الفقيه الوراق الانطاكي بمدينة انطاكية قال أخبرني ابراهيم بن محمد الكاتب عن يحيى بن علي المنجم النديم قال كنت يوما بين يدي المعتضد وهو مقطب فاقبل بدر فلما رآه من بعيد ضحك وقال لي يا يحيى من الذي يقول من الشعراء

في وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقالت يقوله الحكم بن مرة المازني فقال لله دره أنشدني هذا الشعر فانشدته

ويلي على من أطار النوم فامتنعا
وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس في أعطافه لمعت
حسنا أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان كثرت
منه الذنوب ومعذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب وجيه حيثما شفعا

قال وأخذ قوله أو البدر من أزراره طلعا أحمد بن يحيى بن العراف الكرفي فقال

بدا وكأنما قمر * على أزراره طلعا
بعث المسك عن عرق الصبين بنانه ولما (وفي سنة) تسع وثمانين وأصله

﴿ ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق ﴾

فى هذه السنة خرج الامير صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركيارق وقطع خطبته من بلاده وخطب فيها السلطان محمد وسبب ذلك ان الوزير الاعز أبا المحاسن الدهستانى وزير السلطان بركيارق أرسل الى صدقة يقول له قد تخلف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار وكذا وكذا دينارا لسنين كثيرة فان أرسلتها والا سيرنا العساكر الى بلادك وأخذناها منك فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة وخطب لمحمد فلما وصل السلطان بركيارق الى بغداد على هذه الحال أرسل اليه مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير اياز يشير عليه بقصد خدمة السلطان ويضمن له كل ما يريده فقال لا أحضر ولا أطيع السلطان الا اذا سلم وزيره أبا المحاسن الىّ وان لم يفعل فلا يتصور منى الحضور عنده أبدا ويكون فى ذلك ما يكون فان سلمه الىّ فانا العبد المخلص فى العبودية بالحسن والطاعة فلم يجب الى ذلك فتم على مقاطعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

﴿ ذكر وصول السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها ﴾

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من ذى الحجة وصل السلطان محمد وسنجر الى بغداد وكان السلطان محمد لما استولى على همذان وغيرها سار الى بغداد فلما وصل الى حلوان سار اليه ايلغازى ابن ارتق فى عساكره وخدمه وأحسن فى الخدمة وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الاتباع فلما وصلت الاخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض يرجف عليه خواصه بكرة وعشيا فهاج أصحابه وخافوا واضطربوا وحاروا وعبروا به فى محفة الى الجانب الغربى فنزلوا بالرملة ولم يبق فى بركيارق غير روح يتردد وتيقن أصحابه موته وتشاوروا فى كفنه وموضع دفنه فبينما هم كذلك اذ قال لهم انى أجد نفسى قد قويت وحركتى قد تزايدت فطابت نفوسهم وساروا وقد وصل العسكر الآخر فتراءى الجمعان بينهما دجلة وجرى بينهما مراماة وسباب وكان أكثر ما يسبهم عسكر محمد يا باطنية يعيرونهم بذلك ونهبوا البلاد فى طريقهم الى ان وصلوا الى واسط ووصل السلطان محمد الى بغداد فنزل بدار المملكة فبرز اليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه والاستبشار بقدومه وخطب له بالديوان ونزل الملك سنجر بدار كوهرائين وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير الملك أبا منصور محمد بن الحسين وقدم اليه فى المحرم سنة خمس وتسعين الامير سيف الدولة صدقة وخرج الخلق كلهم الى لقائه

﴿ ذكر حال قاضى جبلة ﴾

هو أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة وكان والده رئيسها أيام كان الروم مالكين لها على المسلمين يقضى بينهم فلما ضعف أمر الروم وملكها المسلمون وصارت تحت حكم جلال الملك أبى الحسن على بن عمار صاحب طرابلس كان منصور على عادته فى الحكم فيها فلما توفى منصور قام ابنه أبو محمد مقامه وأحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فاراد ابن عمار ان يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه وأقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشئ وأصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة فى ركبته وبقى أثرها وبقى أبو محمد بها مطاعا الى ان جاء الفرنج اخزاهم الله فحصروها فاظهر ان السلطان بركيارق

فى ذلك يقول بعض أهل الادب وأراه عبد الله بن الحسن بن سعد

شربنا عشية مات الوزير * ونشرب ياقوم فى ثالثه
فلا قدس الله تلك العظام
ولا بارك الله فى وارثه

(وكان) ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق وكان معه لاعند مؤنس فبعث اليه حتى أخذ رأسه وذلك فى أيام المكتفى وقد كان المعتضد يحبه ويميل اليه ميلا شديدا ولم يكن لعبد الواحد همة فى خلافة ولا سمو الى رياسة بل كان همته فى اللعب مع الاحداث وقد كان المكتفى أخبر عنه أنه أرسل عدة من غلمانه الخاصة فوكل بهم من يراعى خبره وما يظهر من قوله اذا أخذ الشراب منه فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابى حيث يقول

تلوم على ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنها من طريف وتالد
رأت حولها النسوان يمشين حاقة * مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصنى * مغصهما بالمرهفات البوارد
ذرينى تجئنى ميتتى مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد
فان نفيسات الامور مشوبة * بمستودعات فى بطون الاساود
وان الذى يسمو الى درك العلا * ملقى باسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب ياسيدى

لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان الى أخيه سنجر وهما لأم واحدة فأقام بجرجان وراسل أخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير اليه ما طلب وترددت الرسل بينهما حتى تحالفا واتفقا ولم يكن بقي مع السلطان محمد غير أميرين في نحو ثلثمائة فارس فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان في عساكره نحو أخيه السلطان محمد فاجتمعا بجرجان وسار منها الى دامغان فخربها العسكر الخراساني ومضى أهلها هاربين الى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدر وا عليه من البلاد وعم الغلاء تلك الاصقاع حتى اكل الناس الميتة والكلاب واكل الناس بعضهم بعضا وساروا الى الري فلما وصلوا اليها انضم اليهم النظامية وغيرهم فكثر جمعهم وعظمت شوكتهم وتمكنت من القلوب هيبتهم

﴿(ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد)﴾

لما كان السلطان بركيارق بالري بعد انهزام أخيه محمد اجتمعت عليه العساكر الكثيرة فصار معه نحو مائة ألف فارس ثم انهم ضاقت عليهم الميرة فتفرقت العساكر فعاد دبيس بن صدقة الى أبيه وخرج الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتي باذربيجان فسير اليه قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف فارس واستأذن الامير اياز في أن يقصد داره بهمذان يصوم بها شهر رمضان ويعود بعد الفطر فاذن له وتفرقت العساكر لمثل ذلك وبقي في العدد القليل فلما بلغه ان أخويه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود وانهما المبالغة ماقاله من معه جدا في المسير اليه وطويا المنازل ليعاجلاه قبل ان يجمع جموعه وعساكره فلما قاربا سار من مكانه وقد طمع فيه من كان يهابه وأيس منه من كان يرجوه فقصد نحو همذان ليجتمع هو واياز فبلغه ان اياز قد راسل السلطان محمدا ليكون معه ومن جملة أعوانه خوفا على ولايته وهي همذان وغيرها فلما سمع ذلك عاد عنها وقصد نحو زستان فلما قرب من تستر كاتب الامراء بني برسق يستدعيهم اليه فلم يحضروا لما علموا أن اياز لم يحضر وللخوف من السلطان محمد فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان أتاه رسول الامير اياز يسأل التوقف ليصل اليه وسبب ذلك ان اياز راسل السلطان محمدا في الانضمام اليه والمصير في جملة عسكره فلم يقبله وسير العساكر الى همذان ففارقها منهزما ولحق بالسلطان بركيارق فاقام السلطان بركيارق بحلوان ووصل اليه اياز وسار واجميعهم الى بغداد وأخذ عسكر محمد ما تخلف للامير اياز بهمذان من مال ودواب وبرك وغير ذلك فانه أعجل عنه وكان من جملته خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوي كل حصان منها ما بين ثلثمائة دينار الى خمسمائة دينار ونهبوا داره وصادروا جماعة من أصحابه وصودر رئيس همذان بمائة ألف دينار ولما وصل اياز الى بركيارق تكاملت عدتهم خمسة آلاف فارس وقد ذهبت خيامهم وثقلهم ووصل بركيارق الى بغداد سابع عشر ذي القعدة وأرسل الخليفة الى طريقه أمين الدولة بن موصلايا يلتقيه في الموكب ولما كان عيد الاضحى أنفذ الخليفة منبرا الى دار السلطان وخطب عليه الشريف أبو الكرم وصلى صلاة العيد ولم يحضر بركيارق لانه كان مريضا وضاقت الاموال على بركيارق فلم يكن عنده ما يخرجه على نفسه وعلى عساكره فارسل الى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب ان يعان بما يخرجه فتقرر الامر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار حملها الخليفة اليه ومد بركيارق وأصحابه أيديهم الى أموال الناس فعم ضررهم وتمنى أهل البلاد زوالهم عنهم ودعتهم الضرورة الى ان ارتكبوا خطة شنعاء وذلك انه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضي جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرنج على ما نذكره ومعه أموال جليلة المقدار فاخذوها منه

وغيرها تسعة آلاف رأس وكان مع ذلك نحو لا صنفا (وأخبرنا) أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم المعروف بابن النديم وكان من حذاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل وفي ابنه علي ابن يحيى يقول أبو هفان ربيع الزمان في الحول وقت وابن يحيى في كل وقت ربيع رجل عنده المكارم سوق يشتريها دهره وتحن نبيع قال وكانت وظيفة المكتفي بالله عشرة ألوان في كل يوم وجدي في كل جمعة وثلاث جامات حلوا وكان يردد عليه الحلوا ووكل على مائدته بعض خدمه وأمره أن يحصي ما فضل من الخبز فما كان من المكسر عزله للثريد وما كان من الصحاح رد الى مائدته من الغد وكذلك كان يفعل بالنوادر والحلوا وأمر أن يتخذ له قصر بناحية الشماسية بازاء قطربل فأخذ بهذا السبب ضياعا كثيرة ومزارع كانت في تلك النواحي بغير ثمن من ملاكها فكثر الداعي عليه فلم يستتم ذلك البناء حتى توفي وكان هذا الفعل مشاكلا لفعل أبيه المعتضد في بناء المطامير (وكان وزيره) القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وكان الكبير والصغير على رعب منه لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه (وكانت) وفاته عشية الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين ومائتين وله نيف وثلاثون سنة

﴿ذكر

وأول دم أراقوه فإنه جرى إلى نظام الملك فأمر بأخذ من يتهم بقتله فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجر وارجله في الأسواق فهو أول قتيل منهم وكان والده واعظا وقدم إلى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ست وثمانين فحظي منهم ثم قصد البصرة فولي القضاء بها ثم توجه في رسالة إلى كرمان فقتله العامة في الفتنة التي جرت وذكروا انه باطني ثم ان الباطنية قتلوا نظام الملك وهي أول فتكة مشهورة كانت لهم وقالوا اقتل نجارا فقتلناه به وأول موضع غلبوا عليه وتحصنوا به بلد عند قاين كان متقدمه على مذهبهم فاجتمعوا عنده وقووا به فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرمان الى قاين فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنية فقتل أهل القفل أجمعين ولم ينج منهم غير رجل تركماني فوصل الى قاين فأخبر بالقصة فتسارع أهلها مع القاضي الكرماني الى جهادهم فلم يقدروا عليهم ثم قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه فعظم أمرهم واشتدت شوكتهم وقويت أطماعهم وكان سبب قوتهم بأصبهان ان السلطان بركيارق لما حصر أصبهان وبها أخوه محمود وأمه خاتون الجلالية وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنية بها وانتشرت وكانوا متفرقين في المحال فاجتمعوا وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم فعلوا هذا بخلق كثير وزاد الأمر حتى ان الانسان كان اذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقنوا قتله وقعدوا للعزاء به فحذر الناس وصاروا لا ينفرد أحد وأخذوا في بعض الأيام مؤذنا أخذه جار له باطني فقام أهله للنياحة عليه فأصعده الباطنية الى سطح داره وأراه أهله كيف يلطمون ويبكون وهو لا يقدر يتكلم خوفا منهم

﴿ذكر ما فعل بهم العامة بأصبهان﴾

لما عمت هذه المصيبة الناس بأصبهان أذن الله تعالى في هتك أستارهم والانتقام منهم فاتفق ان رجلا دخل دار صديق له فرأى فيها ثيابا ومداسات وملابس لم يعهدها فخرج من عنده وتحدث عما كان فكشف الناس عنها فعلموا انه من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التي هم فيها وانهم اذا اجتاز بهم انسان أخذوه الى دار منها وقتلوه وألقوه في بئر في الدار قد صنعت لذلك وكان على باب درب منها رجل ضرير فاذا اجتاز به انسان يسأله ان يقوده خطوات الى باب الدرب فيفعل ذلك فاذا دخل الدرب أخذ وقتل فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي الفقيه الشافعي وجمع الجم الغفير بالأسلحة وأمر بحفر أخاديد وأوقد فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجا ومنفردين فيلقون في النار وجعلوا انسانا على أخاديد النيران وسموه مالكا فقتلوا منهم خلقا كثيرا

﴿ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم﴾

واستولوا على عدة حصون منها قلعة أصبهان وهذه القلعة لم تكن قديما وانما بناها السلطان ملكشاه وسبب بنائها انه كان قد أتاه رجل من مقدمي الروم فأسلم وصار معه فاتفق انه سار يوما الى الصيد فهرب منه كلب حسن الصيد وصعد هذا الجبل فتبعه السلطان والرومي معه فوجده موضع القلعة فقال له الرومي لو أن عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به فأمر ببناء القلعة ومنع منها نظام الملك فلم يقبل قوله فلما فرغت جعل فيها دزدارا فلما انقضت أيام السلطان ملكشاه وصارت أصبهان بيد خاتون أزالت الدزدار وجعلت غيره فيها وهو انسان ديلمي اسمه زيار فمات وصار بالقلعة انسان خوزي فاتصل به أحمد بن عطاش وكان الباطنية قد ألبسوه تاجا وجمعوا له أموالا وقدموه عليهم مع جهله وانما كان أبوه مقدما فيهم فلما اتصل بالدزدار بقي معه

رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * يعوض أو يسلي أو ينسي
و أبت نفسي الهلاك لفقد شيء * كفى حزنا لنفسي فقد نفسي
(ومن قوله) الغريب الذي ذهب فيه الى معاني الأئمة اليونانيين ومن مشهور المتقدمين قوله في القصيدة التي قالها في صاعد بن مخلد
لما تؤذن الدنيا به من زوالها * يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
والا فما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأوسع
وهذا في غاية الحسن وذهب الى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدليين وطريقة حذاق المتقدمين قوله
غموض الشيء حين تذب عنه * يقلل ناصر الخصم المحق
تضيق عقول سامعيه عنه * فيقضي للمجل على المدق
(ومما أجاد) فيه في وصف القناعة قوله
اذا ما شئت أن تما * ر يوما كذب الشهوه
فكل ما شئت يصدر لك * عن المرة والحلوه
وطأ ما شئت بعدك * عن الحسناء والدره
وكم أنساك ما تهوا * ه نيل الشيء لم تهوه
وقوله
بأبي حسن وجهك اليوسفي * يا كفى الهوى وفوق الكفي
فيه ورد ونرجس وعجيب * اجتماع الشتوي والصيفي
وقوله في العنب الرازقي
ورازقي مخطف الخصور * كأنه مخازن البلور
آلين في اللمس من الحرير * لو أنه يبقى على الدهور * لقرطوه للحسان الحور * (ولابن الرومي) أخبار حسان مع القاسم بن

قد توجه الى الشام وشاع هذا فرحل الفرنج فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا حصاره فاظهر ان المصريين قد توجهوا لحربهم فرحلوا ثانيا ثم عادوا فقرر مع النصارى الذين بها ان راسلوا الفرنج وواعدوهم الى برج من أبراج البلد ليسلموه اليهم ويملكوا البلد فلما أتاهم الرسالة جهزوا نحو ثلثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم فتقدموا الى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون في الحبال واحدا بعد واحد وكلما صار عند ابن صليحة وهو على السور رجل منهم قتله الى ان قتلهم أجمعين فلما أصبحوا رمى الرؤس اليهم فرحلوا عنه وحصروه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا برجا من أبراجه وأصبحوا وقد بناه أبو محمد ثم نقب في السور نقوبا وخرج من الباب وقاتلهم فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب فأتوا الفرنج من ظهورهم فولوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكند اصطبل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم انهم لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنعهم منه فأرسل الى طغتكين اتابك يلتمس منه انفاذ من يثق به ليسلم اليه ثغر جبلة ويحميه ليصل هو الى دمشق بماله وأهله فأجابه الى ما التمس وسير اليه ولده تاج الملوك بوري فسلم اليه البلد ورحل الى دمشق وسأله ان يسيره الى بغداد ففعل وسيره ومعه من يحميه الى ان وصل الى الانبار ولما صار بدمشق أرسل ابن عمار صاحب طرابلس الى الملك دقاق وقال سلم الى ابن صليحة عريانا وخذ ماله أجمع وأنا أعطيك ثلثمائة ألف دينار فلم يفعل فلما وصل الى الانبار أقام بها أياما ثم سار الى بغداد وبها السلطان بركيارق فلما وصل أحضره الوزير الاعز أبو المحاسن عنده وقال له السلطان محتاج والعساكر يطالبونه بما ليس عنده ونريد منك ثلاثين ألف دينار وتكون لك منة عظيمة تستحق بها المكافأة والشكر فقال السمع والطاعة ولم يطلب ان يحط شيأ وقال ان رحلي ومالي في الانبار بالدار التي نزلتها فأرسل الوزير اليها جماعة فوجدوا فيها مالا كثيرا واعلاقا نفيسة فمن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغا عجيب الصنعة ومن الملابس والعمائم التي لا يوجد مثلها شيء كثير* كان ينبغي ان نذكر هذه الحوادث التي بعد انهزام السلطان محمد الى ههنا بعد قتل الباطنية فانها كانت أواخر السنة وكان قتلهم في شعبان وانما قدمناها لنتبع بعض الحادثة بعضا لا يفصل بينها شيء واما تاج الملوك بوري فانه لما ملك جبلة وتمكن منها اساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها وفعلوا بهم أفعالا أنكروها فراسلوا القاضي فخر الملك أبا علي عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس وشكوا اليه ما يفعل بهم وطلبوا منه ان يرسل اليهم بعض أصحابه ليسلموا اليه البلد ففعل ذلك وسير اليهم عسكرا فدخلوا جبلة واجتمعوا بأهلها وقاتلوا تاج الملوك ومن معه فانهزم الاتراك وملك عسكر ابن عمار جبلة وأخذوا تاج الملوك أسيرا وحملوه الى طرابلس فأكرمه ابن عمار وأحسن اليه وسيره الى أبيه بدمشق واعتذر اليه وعرفه صورة الحال وانه خاف أن يملك الفرنج جبلة

﴿ذكر قتل الباطنية﴾

في هذه السنة في شعبان أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الاسماعيلية وهم الذين كانوا قديما يسمون قرامطة ونحن نبتدئ بأول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم فأول ما عرف من أحوالهم أعني هذه الدعوة الاخيرة التي اشتهرت بالباطنية والاسماعيلية في أيام السلطان ملكشاه فانه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فصلوا صلاة العيد في ساوة ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم سئل فيهم فأطلقهم فهذا أول اجتماع كان لهم ثم انهم دعوا مؤذنا من أهل ساوة كان مقيما بأصبهان فلم يجبهم الى دعوتهم فخافوه أن ينم عليهم فقتلوه فهو أول قتيل لهم

وأول

أين أنت عما قيل فيه يزيد بن المهلب تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما فقال له عبد الواحد منه لقد أخطأت الغرض وأخطأ ابن المهلب وأخطأ قائل هذا البيت وأصاب أبو سعون التميمي حيث يقول قال الشيخ حيث يقول ماذا قال قال

وما بي شيء في الوغى غير أنني
أخاف على فخراي أن يتحطما
ولو كنت مبتاعا من السوق مثلها
لدى الدرع ما باليت أن أتقدما

فلما انتهى ذلك الى المكتفي ضحك وقال قد قلت للقاسم ليس عمي عبد الواحد ممن تسمو همته الى ما هذا قول من ليس له همة غير فرجه وجوفه وأمر دبابته وكلاب يهارش بها وكباش يناطح بها وديوك يقاتل بها أطلقوا لعمي كذا وكذا فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله (وقد كان) المكتفي لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش القاسم من قبره وضربه بالسوط وحرقه بالنار وقد قيل غير ذلك والله أعلم

(وممن أهلك) القاسم بن عبيد الله على ما قيل بالسم في خشكنانجة علي بن العباس بن جريج الرومي وكان منشؤه ببغداد ووفاته بها وكان من حذاق معاني الشعراء والمجودين في القصير والطويل متصرفا في المذاهب تصرفا حسنا وكان أقل أدواته الشعر ومن محكم شعره وجيده قوله

ملكوها بعد ملكشاه نزل من باصاحبها فقتل وأخذت منه ومنها أردهن وملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح * ومنها كردكوه وهي مشهورة * ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور وبينها وبين أرجان فرسخان أخذها أبو حمزة الاسكاف وهو من أهل أرجان سافر الى مصر وعاد داعية لهم وقلعة خلادخان وهي بين فارس وخوزستان وأقام بها المفسدون نحو مائتي سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما صارت الدولة لملكشاه أقطعها الامير أنز فجعل بها دزدارا فاتخذ اليه الباطنية الذين بأرجان يطلبون منه بيعها فأبى فقالوا نحن نرسل اليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق فأجابهم الى ذلك فأرسلوا اليه انسانا ديلميا يناظره وكان للدزدار مملوك قد رباه وسلم اليه مفاتيح القلعة فاستماله الباطني فأجابه الى القبض على صاحبه وتسليم القلعة اليهم فقبض عليه وسلم القلعة اليهم ثم أطلقه واستولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه أشهرها

﴿ ذكر ما فعله جاولي سقاوو بالباطنية ﴾

في هذه السنة قتل جاولي سقاوو واخاقا كثيرا منهم وسبب ذلك ان هذا الامير كانت ولايته البلاد التي بين رامهرمز وأرجان فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة بخوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد واقف جماعة من أصحابه حتى أظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية وأظهروا انهم معهم وعلى رأيهم فأقاموا عندهم حتى وثقوا بهم ثم أظهر جاولي ان الامراء بني برسق يريدون قصده وأخذ بلاده وانه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم والمسير الى همذان فلما ظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من أصحابه لهم الرأي أننا نخرج الى طريقه ونأخذه وما معه من الاموال فساروا اليه في ثلثمائة من أعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا الى الجبل وهربوا وغنم جاولي ما معهم من دواب وسلاح وغير ذلك

﴿ ذكر قتل صاحب كرمان الباطني وملك غيره ﴾

كان تيرانشاه بن تورانشاه بن قاورت بك هو الذي قتل الاتراك الاسماعيلية وليسوا منسوبين الى هذه الطائفة الباطنية انما نسبوا الى أمير اسمه اسمعيل وكانوا من أهل السنة فقتل منهم ألفي رجل صبرا وقطع أيدي ألفين ونفق عليه انسان يقال له أبو زرعة كان كاتبا بخوزستان فحسن له مذهب الباطنية فأجاب اليه وكان عنده فقيه حنفي يقال له أحمد بن الحسين البلخي كان مطاعا في الناس فأحضره عنده ليلا وأطال الجلوس معه فلما خرج من عنده اتبعه من قتله فلما أصبح الناس دخلوا عليه وفيهم صاحب جيشه فقال لتيرانشاه أيها الملك من قتل هذا الفقيه فقال أنت شحنة البلد تسألني من قتله فقال أنا اعرف قاتله ونهض من عنده ففارقه في ثلثمائة فارس وسار الى اصبهان فأرسل في أثره ألفي فارس ليردوه فقاتلهم وهزمهم وصار الى اصبهان وبها السلطان محمد ومؤيد الملك فأكرمه السلطان وقال أنت والد الملوك وانتقض عسكر كرمان بعد مسيره واجتمعوا وقاتلوا تيرانشاه وأخرجوه عن مدينة بردسير التي هي مدينة كرمان فلما فارقها اتفق القاضي والجند وأقاموا أرسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك وسار تيرانشاه الى مدينة بم من كرمان فحاربه أهلها ومنعوه منها وأخذوا ما معه من أموال وجواهر وقصد قلعة سميرم وتحصن بها وفيها أمير يعرف بمحمد بهستون فأرسل أرسلانشاه جيشا حصر والقلعة فقال محمد بهستون لتيرانشاه انصرف عني فلست أرى الغدر بك وانا رجل مسلم ومتى ملكتك عندي يؤذيني وأنتم بالشق

منه وكان أحمد بن يحيى يتنع من ذلك (وأخبرنا) أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي الفقيه وكان صديقهما قال قلت لأبي عبد الله الدينوري ختن ثعلب لم يأبى أحمد بن يحيى الاجتماع مع المبرد فقال لي أبو العباس محمد بن يزيد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وأحمد بن يحيى مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم لهذا على الظاهر الى أن يعرف الباطن (وأخبرنا) أبو بكر القاسم بن بشار الانباري النحوي أن أبا علي الدينوري هذا كان يختلف الى أبي العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سيبويه عمرو بن عثمان ابن قنبر فكان ثعلب يعذله على ذلك فلم يكن ذلك يردعه وقيل ان وفاة أحمد بن يحيى ثعلب كانت في سنة اثنتين وتسعين ومائتين (وفي هذه السنة) مات شيد بن محمد الحسد ويحيى القاضي وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان به من التعزز في الاوسط (وفي سنة) اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي خازم عبد العزيز بن عبد الحميد القاضي يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة بعد ان دولة نقص تسعون سنة (وفي هذه السنة) تغلب ابن الخليجي في ستة آلاف وتسعين عسكر وأبو علي مصر (وفيها) وقع الحريق العظيم

ووثق به وقلده الامور فلما توفي الدزدار استولى أحمد بن عطاش عليها ونال المسلمين منه ضرر عظيم من أخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطريق والخوف الدائم فكانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لا بد وان تكون خاتمة أمرها الشر ومنها الموت وهي من نواحي قزوين قيل ان ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فارسل يوما عقابا وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فأمر ببناء قلعة عليه فسماها أله موت ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان وفيها قلاع حصينة أشهرها الموت وكانت هذه النواحي في ضمان شرفشاه الجعفري وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بله وسلامة صدر وكان الحسن بن الصباح رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وكان رئيس الري انسان يقال له ابو مسلم وهو صهر نظام الملك فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذي ملك قلعة اصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فاكرمه وأعطاه مالا وأمره ان يدعو الناس الى امامته فقال له الحسن فمن الامام بعدك فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ودخل كاشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضلهم فلما رأى قلعة ألموت واختبر أهل تلك النواحي أقام عندهم وطمع في اغوائهم ودعاهم في السر وأظهر الزهد ولبس المسح فتبعه أكثرهم والعلوي صاحب القلعة حسن الظن فيه يجلس اليه يتبرك به فلما أحكم الحسن أمره دخل يوما على العلوي بالقلعة فقال له ابن الصباح أخرج من هذه القلعة فتبسم العلوي وظنه يمزح فامر ابن الصباح بعض أصحابه باخراج العلوي فاخرجوه الى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة ولما بلغ الخبر الى نظام الملك بعث عسكرا الى قلعة ألموت فحصروه فيها وأخذوا عليه الطرق فضاق ذرعه بالحصر فارسل من قتل نظام الملك فلما قتل رجع العسكر عنها ثم ان السلطان محمد بن ملكشاه جهز نحوها العساكر فحصرها وسيرد ذلك ان شاء الله تعالى * ومنها طبس وبعض قهستان وكان سبب ملكهم لها ان قهستان كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور امراء خراسان ايام السامانية وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المنور وكان رئيسا مطاعا عند الخاصة والعامة فلما ولي كلسارغ قهستان ظلم الناس وعسفهم وأراد أختا للمنور بغير حل فحمل ذلك المنور على ان التجأ الى الاسماعيلية وصار معهم فعظم حالهم في قهستان واستولوا عليها ومن جملتها خور وخوسف وزوزن وقاين وتون وتلك الاطراف المجاورة لها * ومنها قلعة وسمكوه ملكوها وهي بقرب ابهر سنة أربع وثمانين وتأذى بهم الناس لا سيما أهل ابهر فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية أشهر وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم * ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من اصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت الى جاولي سقاو وجعل بها انسانا تركيا فصادقه نجار باطني واهدى له هدية جميلة ولزمه حتى وثق به وسلم اليه مفاتيح القلعة فعمل دعوة للتركي وأصحابه فسقاهم الخمر فاسكرهم واستدعى ابن عطاش فجاء في جماعة من أصحابه فسلم اليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركي فانه هرب وقوي ابن عطاش بها وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة * ومن قلاعهم المذكورة استوناوند وهي بين الري وآمل

عبيدالله وأبي الحسن علي بن سليمان الاخفش النحوي وأبي العباس الزجاجي النحوي وكان ابن الرومي الأغلب عليه من الاخلاط السوداء وكان شرها نهما وله أخبار تدل على ما ذكرناه من هذه الجمل مع أبي سهل اسمعيل بن علي النوبختي وغيره من آل نوبخت (وفي سنة) تسعين ومائتين مات عبدالله بن أحمد بن حنبل يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة (وفي سنة) احدى وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ليلة السبت لثمان بقين من جمادى الاولى ودفن في مقابر الشأم في حجرة اشتريت له وخلف احدى وعشرين ألف درهم وألفي دينار وغلة بشارع باب الشأم قيمتها ثلاثة آلاف دينار ولم يزل أحمد بن يحيى مقدما عند العلماء منذ أيام حداثته الى أن كبر وصار اماما في صناعته ولم يخلف وارثا الا ابنة لابنه فرد ماله عليها وكان هو وأحمد ابن المبرد عالمين قد ختم بهما تاريخ الادباء وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين

أيا طالب العلم لا تجهل
وعذ بالمبرد أو ثعلب

تجد عند هذين علم الورى
ولا تك كالجمل الاجرب

علوم الخلائق مقرونة
بهذين في الشرق والمغرب (وكان) محمد بن يزيد المبرد يحب أن يجتمع في المناظرة مع أحمد بن يحيى ويستكثر

ملكوها

ورماها بالمنجنيق فخرب كثيرا من سورها وضعف من بها ولم يبق الا أخذها فارسلوا اليه الرشا الكثيرة واستنزلوه عما كان يريده منهم فرحل عنهم وتركهم فعادوا وعمروا ما انهدم من سورها وملؤها ذخائر من سلاح وأقوات وغير ذلك ثم عاودهم برغش سنة سبع وتسعين فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ما ملك الفرنج من الشام﴾

وفيها سار كندفرى ملك الفرنج بالشام وهو صاحب البيت المقدس الى مدينة عكا بساحل الشام فحصرها فاصابه سهم فقتله وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها الى قمص من الفرنج اسمه طنكرى فلما قتل كندفرى سار أخوه بغدوين الى البيت المقدس فى خمسمائة فارس وراجل فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره فنهض اليه فى عسكره ومعه الامير جناح الدولة فى جموعه فقاتله فنصر على الفرنج وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك ان الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من أهلها لان أكثرهم أرمن وليس بها من المسلمين الا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركمان وزحف اليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه فى ربيع الاول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج الى سروج فحصروها وتسلموها وقتلوا كثيرا من أهلها وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا وهى بالقرب من عكا على ساحل البحر ملكوها عنوة وملكوا ارسوف بالامان وأخرجوا أهلها منها وفيها فى رجب ملكوا مدينة قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان تقدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وان يصلى فيه صلاة التراويح ولم يكن جرت بذلك عادة وأمر بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهذا أيضا لم تجر به عادة وانما ترك الجهر بالبسملة فى جوامع بغداد لان العلويين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها فترك ذلك مخالفة لهم لا اتباعا لمذهب أحمد الامام وأمر أيضا بالقنوت على مذهب الشافعى فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم فى جامع القصر وازدحم الناس عنده وكان زعيم الرؤساء ابو القاسم على بن فخر الدولة بن جهير أخو عميد الدولة قد أطلق من الاعتقال فاختلط بالناس وخرج الى ظاهر بغداد من ثلمة فى السور وسار الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فاستقبله وأنزله وأكرمه وفيها فى المحرم توفى جمال الدولة أبو نصر بن رئيس الرؤساء ابن المسلمة وهو استاذ دار الخليفة وفيه توفى القاضى أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصباغ الفقيه الشافعى وأخذ الفقه عن ابن عمه الشيخ أبى نصر بن الصباغ وكان يصوم الدهر وروى الحديث عن القاضى أبى الطيب الطبرى وغيره وفيه توفى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور المستوفى الخوارزمى باصبهان وكان مستوفيا فى ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة ألف دينار حتى ترك الاستيفاء وبنى مشهدا على قبر أبى حنيفة رحمة الله عليه ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو وجميعها للحنفيين وفيها فى صفر توفى القاضى أبو المعالى عزيزى وكان شافعيا أشعريا وهو من جيلان وله مصنفات كثيرة حسنة وكان ورعاوله مع أهل باب الازج أخبار ظريفة وكان قاضيا عليهم وكانوا يبغضونه ويبغضهم وتوفى اسعد بن مسعود بن على بن محمد أبو ابراهيم العتبى من ولد عتبة بن غزوان نيسابورى ولد سنة أربع وأربعمائة وروى عن أبى بكر الحيرى وغيره وتوفى فى صفر محمد بن أحمد بن عبد الباقى ابن الحسن بن محمد بن طوق أبو الفضائل الربعى الموصلى الفقيه الشافعى تفقه على أبى اسحق

الكنى نوصفت بين

يديه فى نهاية الاتقان ورقة الخبز واحكام العمل فقال هل وصفت الشعراء هذا فقال له يحيى بن على ثم قال أحمد بن يحيى فيها

قطائف قد حشيت باللوز والسكر الماذى حشو الموز
تسبح فى آزى دهن الجوز سررت لما وقعت فى حوزى
سرور عباس بقرب فوز

قال وانشدت لابن الرومى

وأتت قطائف بعد ذاك لطائف

فقال هذا يقتضى ابتداء فانشدنى الشعر من أوله فانشدته لابن الرومى

وخبيصة صفراء دينارية ثمنا ولونا زفها لك جوذر
عظمت فكادت أن تكون أوزة وثوت فكاد اهابها يتفطر
طفقت تجود بوابلها جوزابه فاذا الباب اللوز فيها السكر
نعم السماء هناك ظل صبيبها يهمى ونعم الارض ظلت تمطر
يا حسنها فوق الخوان وبنتها قدامها بحريرها تتغرغر
ظلنا نقشر جلدها عن لحمها وكان تبرا عن لجين يقشر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائد مثل الرياض بمثلهن يصدر
ومرققات كلهن مزخرف بالبيض منها ملبس ومدثر
وأتت قطائف بعد ذاك لطائف ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر

ديلمي فلما عزم على الخروج أرسل محمد بهستون الى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسير ابرانشاه فجرد عسكرا الى طريقه فظفر بجواعليه وأخذوه ومامعه وأخذوا أيضا أبا زرعة فارسل أرسلانشاه فقتلهما وتسلم جميع بلاد كرمان

﴿ ذكر السبب في قتل بركيارق الباطنية ﴾

لما اشتد أمر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين أعدائهم ذحول واحن فلما قتلوا جماعة من الامراء الاكابر وكان أكثر من قتلوا من هو في طاعة محمد مخالف للسلطان بركيارق مثل شحنة أصبهان سرمز وأرغش وكمش النظاميين وصهره وغيرهم نسب أعداء بركيارق ذلك اليه واتهموه بالميل اليهم فلما ظفر السلطان بركيارق وهزم أخاه السلطان محمدا وقتل مؤيد الملك وزيره انبسط جماعة منهم في العسكر واستغووا كثيرا منهم وادخلوهم في مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل فصار يخافهم من يخالفهم حتى انهم لم يتجاسر أحد منهم لا أمير ولا متقدم على الخروج من منزله حاسرا بل يلبس تحت ثيابه درعا حتى ان الوزير الاعز أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه واستأذن السلطان بركيارق خواصه في الدخول عليه بسلاحهم وعرفوه خوفهم ممن يقاتلهم فاذن لهم في ذلك وأشاروا على السلطان ان يفتك بهم قبل ان يعجز عن تلافي أمرهم وأعلموه مايتهمه الناس به من الميل الى مذهبهم حتى ان عسكر أخيه السلطان محمد يشنعون بذلك وكانوا في المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية فاجتمعت هذه البواعث كلها فاذن السلطان في قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم وأخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم الا من لم يعرف وكان ممن اتهم بانه مقدمهم الامير محمد ابن دشمنزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه صاحب يزد فهرب وسار يومه وليلته فلما كان اليوم الثاني وجد في العسكر قد ضل الطريق ولا يشعر فقتل وهذا موضع المثل أتتك بحائن رجلاه ونهبت خيامه فوجد عنده السلاح المعد وأخرج الجماعة المتهمون الى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة برآء لم يكونوا منهم سعى بهم اعداؤهم وفيمن قتل ولد كيقباذ مستحفظ تكريت فلم يغير والده خطبة بركيارق ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها لئلا يؤتى منه وجعل بيعة في البلد جامعا وصلى الناس فيه وكتب الى بغداد بالقبض على أبي ابراهيم الاسداباذي الذي كان قد وصل اليها رسولا من بركيارق ليأخذ مال مؤيد الملك وكان من أعيانهم ورؤسهم فأخذ وحبس فلما ارادوا قتله قال هبوا أنكم قتلتموني أتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل ولم يصل عليه أحد وألقي خارج السور وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم وقد كان أهل عانة نسبوا الى هذا المذهب قديما فانهي حالهم الى الوزير أبي شجاع أيام المقتدي بأمر الله فاحضرهم الى بغداد فسئل مشايخهم عن الذي يقال فيهم فانكروا وجحدوا فاطلقهم واتهم أيضا الكيا الهراس المدرس بالنظامية بانه باطني ونقل ذلك عنه الى السلطان محمد فامر بالقبض عليه فارسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلو الدرجة في العلم فأطلق

﴿ ذكر حصر الامير برغش قهستان وطبس ﴾

في هذه السنة جمع الامير برغش وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر جموعا كثيرة وقواهم بالمال والسلاح وسار الى بلد الاسماعيلية فنهبه وخربه وقتل فيهم فاكثر وحصر طبس وضيق عليها

فأحرق الله باب الطاق نحو من ثلثمائة دكان وأكثر وظفر بابن الخليجي في سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر وأدخل الى بغداد وقد أشهر وقدامه أربعة وعشرون انسانا من أصحابه منهم الصراجي الخادم الاسود وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة (وفي سنة) أربع وتسعين ومائتين مات موسى ابن هرون بن عبد الله بن مروان البزار المحدث المعروف بالجمال في يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ببغداد ويكنى أبا عمران وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن في مقابر باب حرب الى جانب أحمد بن حنبل وقد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكرنا وفاة هؤلاء الشيوخ اذ كان الناس في أغراضهم مختلفين وفي طلبهم الفوائد متباينين وربما قد يقف على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون غرضه معرفة وفاة هؤلاء الشيوخ (وكانت) وفاة أبي مسلم ابراهيم بن عبد الله الكجي البصري المحدث في المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان مولده في شهر رمضان سنة مائتين (وقبض) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو في سن أبي مسلم على ماذكرناه من تنازع الناس في تاريخ وفاته وقد كان أبو العباس أحمد بن يحيى قد ناله صمم وزاد عليه قبل

بالامير اياز والوزير واستعطفهما بالتملق وطلب الفاظا فصيحة تطمئن القلوب فاجابوه الى ملتمسه وقالوا له نريد ان تجمع لنا من يعبر دوابنا في الماء وسبح معها فجمع لهم من شباب واسط واعطاهم الاجرة الوافرة فعبروا دوابهم من الخيل والبغال والجمال وكان الامير اياز بنفسه يسوق الدواب ويفعل ما يفعله الغلمان ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد فعبروا أموالهم ورحالهم فيها فلما صاروا في الجانب الشرقي اطمأنوا ونهب العسكر البلد فرجع القاضي وبعد الخطاب في الكف عنهم فاجيب الى ذلك فارسل معه من يمنع من النهب ثم ان عسكر واسط ارسلوا الى بركيارق يطلبون الامان ليحضروا الخدمة السلطان فامنهم فحضر اكثرهم عنده وسار واسعه الى بلاد بني برسق فحضروا أيضا عنده وخدموه واجتمعت العساكر عليه وبلغه مسير أخيه محمد من بغداد فسار يتبعه على نهاوند فادركه بروذراور وكان العسكران متقاربين في العدة كل واحد منهما أربعة آلاف فارس من الاتراك فتصافوا أول يوم جميع النهار ولم يجر بينهم قتال لشدة البرد وعادوا في اليوم الثاني ثم تواقفوا كذلك ثم كان الرجل يخرج من أحد الصفين فيخرج اليه من يقاتله فاذا تقاربا اعتنق كل واحد منهما صاحبه وسلم عليه ويعود عنه ثم خرج الامير بلدجي وغيره من عسكر محمد الى الامير اياز والوزير الاعز فاجتمعوا واتفقوا على الصلح لما قد عم الناس من الضرر والملل والوهن فاستقرت القاعدة ان يكون بركيارق السلطان ومحمد الملك ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جنزة واعمالها واذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل وان يمده السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح ما يمتنع عليه منها وحلف كل واحد منهما لصاحبه وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الاول وسار بركيارق الى مرج قراتكين قاصدا ساوة والسلطان محمد الى اسداباذ وتفرق العسكران وقصد كل أمير اقطاعه

٭(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما)٭

في هذه السنة في جمادى الاولى كان المصاف الرابع بين السلطان بركيارق وأخيه محمد وكان سببه ان السلطان محمدا سار من روذراور من الوقعة المذكورة الى اسداباذ ومنها الى قزوين ونسب الأمراء الذين سعوا في ذلك الصلح الى المخامرة عليه والتقاعد به فوضع رئيس قزوين ان يدعو اليه باولئك الامراء ليحضروا دعوته فاستشفع الرئيس بهم الى السلطان ليحضر دعوته بعد أن امتنع ووصى خواصه بحمل السلاح تحت أقبيتهم وحضر الدعوة ومعه الامير ايتكين وبسمل فقتل الامير بسمل وهو من اكابر الامراء وكحل الامير ايتكين وكان الامير ينال بن انوشتكين الحسامي قد فارق بركيارق وأقام يجاهد الباطنية الذين في القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمدا وسار معه الى الري يضرب النوب الخمس واجتمعت اليه العساكر وأقام بها ثمانية أيام ووافاه أخوه السلطان بركيارق في اليوم التاسع ووقع بينهما المصاف عند الري وكانت عدة العسكرين متقاربة كل عسكر منهما عشرة آلاف فارس فلما اصطفوا حمل الامير سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب آبة على الامير ينال فهزمه وتبعه في الهزيمة جميع عسكر محمد وتفرقوا ومضى معظمهم نحو طبرستان ولم يقتل في هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبرا ومضى قطعة من المنهزمين نحو قزوين ونهبت خزائن محمد ومضى في نفر يسير الى اصبهان وحمل هو عليه بعد ليتبعه أصحابه وسار في طلبه الامير البكي بن برسق والامير اياز الى قم وتتبع السلطان بركيارق أصحاب أخيه محمد وأخذ أموالهم

٭(ذكر حصار السلطان محمد باصبهان)٭

معدي وغيبتها عن ناظري
نفسي

وللمكتفي أيضا
بلغ النفس ما اشتهت
فاذا هي قد اشتفت
انما العيش ساعة
أنت فيها وما انقضت
كل من يبذل الحب
اذا ما هدا اسكنت

وله أيضا
من لي بان تعلم ما القى
فتعرف الصبوة والعشقا
ما زال لي عبدا وحبي له
صيرني عبدا له رقا
أعتق من رقي ولكنني
من حبه لا أملك العتقا

(وأخبرنا) أبو عبد الله ابراهيم ابن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه قال أخبرنا أبو محمد عبد بن حمدون قال تذاكرنا يوما بحضرة المكتفي فقال فيكم من يحفظ في نبيذ الدوشاب شيأ فانشدته قول ابن الرومي
اذا أخذت حبه ودبسه
ثم أخذت ضربه وخمسه
ثم أطلت في الاناء حبسه
شربت منه البابلي نفسه
فقال المكتفي قبحه الله ما أشرهه لقد شوقني في هذا اليوم الى شرب الدوشابي وقدم الطعام فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة وقد جعل في وسطها مثل السكرجة الضخمة فيها دسم الدجاج فضحكت وخطر ببالي خبر الرشيد مع أبان القارى فلحظني المكتفي وقال يا أبا عبد الله ما هذا الضحك فقلت خبر ذكرته

الشيرازي وسمع الحديث من أبي الطيب الطبري وغيره وكان ثقة صالحا وتوفي في ربيع الاول منها محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان أبو نصر القاضي الموصلي وهو صاحب الاربعين الودعانية وقد تكلموا فيها فقيل انه سرقها وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشمي والغالب على حديثه المناكير وتوفي فيها في ربيع الاول نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر القارئ أبو الخطاب ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة سمع ابن رزقويه وغيره وصارت اليه الرحلة لعلو اسناده وكان سماعه صحيحا

﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر باحكام الله﴾

في هذه السنة توفي المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن معد المستنصر بالله العلوي الخليفة المصري لسبع عشرة خلت من صفر وكان مولده في العشرين من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وكانت خلافته سبع سنين وقريبا من شهرين وكان المدبر لدولته الافضل ولما توفي ولي بعده ابنه أبو علي المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه وله خمس سنين وشهر وأربعة أيام ولقب الآمر باحكام الله ولم يكن من تسمى بالخلافة قط أصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر أكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الافضل بن أمير الجيوش أحسن قيام ولم يزل كذلك يدبر الامر الى ان قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة

﴿ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما﴾

في هذه السنة في صفر كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد وقد ذكرنا سنة أربع وتسعين قدوم السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها الى واسط مريضا فاقام السلطان محمد ببغداد الى سابع عشر المحرم من هذه السنة وسار عنها هو وأخوه السلطان سنجر عائدين الى بلادهم وسنجر يقصد خراسان والسلطان محمد يقصد همذان فلما سار محمد عن بغداد وصلت الاخبار أن بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط وسمع منه في حق الخليفة ما يقبح نقله فارسل الخليفة وأعاد السلطان محمدا الى بغداد وذكر له ما نقل اليه وعزم على الحركة مع محمد الى قتال بركيارق فقال السلطان محمد لا حاجة الى حركة أمير المؤمنين فاني أقوم في هذا القيام المرضي وسار عائدا ورتب ببغداد أبا المعالي المفضل بن عبد الرزاق في جباية الاموال وايلغازي شحنة وكان لما دخل بغداد قد خاف عسكره بطريق خراسان فنهبوا البلاد وخربوها فاخذهم السلطان محمد معه وجد السير الى روذراور وأما السلطان بركيارق فقد تقدم سنة أربع وتسعين أنه سار من بغداد عند وصول محمد اليها قاصدا الى واسط فلما سمع عسكر واسط بقربه منهم خافوا منه وأخذوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وجمعوا السفن جميعها وانحدروا الى الزبيدية فاقاموا هنالك ووصل السلطان وهو شديد المرض يحمل في محفة وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير فانهم كانوا يجدون السير خوفا ان يتبعهم السلطان محمد أو الامير صدقة صاحب الحلة وكانوا كلما جازوا قنطرة هدموها ليمتنع من يجتاز بها من اتباعهم ولما وصلوا الى واسط عوفي بركيارق ولم يكن له ولا لاصحابه همة غير العبور من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي فلم يجد هنالك سفينة وكان الزمان شاتيا شديد البرد والماء زائدا وكان أهل البلد قد خافوهم فلزموا الجامع وبيوتهم فخلت الطرق والاسواق من مجتازة بها فخرج القاضي أبو علي الفارقي الى العسكر واجتمع

ضحك الوجود من الطرز دثونها * دمع العيون مع الدهان بمصر فاستحسن المكتفي بالله الابيات وأومأ الى أن اكتبها له فكتبتها له (قال محمد) بن يحيى الصولي وكانا يوما بين يديه بعد هذا بمقدار شهر فجاءت لوزينجة فقال هل وصف ابن الرومي اللوزينج فقلت نعم فقال أنشدنيه فانشدته

لا يخطئني منك لوزينج
اذا بدا أعجب أو أعجبا
لم تغلق الشهوة أبوابها
الا أبت زلفاه أن تحجبا
لو شاء أن يذهب في صخرة
لسهل الطيب له مذهبا
يدور بالنفحة في جامه
دورا ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبرا
مستحسن ساعد مستعذبا
كالحسن المحسن في شدوه
تم فاضحى مغربا مطربا
مستكثف الحشو ولكنه
أرق جلدا من نسيم الصبا
كأنما قدت جلابيبه
من أعين القطر الذي طنبا
يخال في رقة خرسانه
شارك في الاجنحة الجندبا
لو أنه صور من خبزه
ثغر لكان الواضح الاشنبا
من كل بيضاء يود الفتى
أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة زرقاء مدفونة
شهباء تحكي الاورق الاشهبا
دين له اللوز فلا مرة
مرت على الذائق الا أبى
وانتقد السكر نقاده
وشاركوا في نقده المذهبا
فلا اذا العين رأتها انبث * ولا اذا الطرس علاها انبا

فحفظها المكتفي فكان ينشدها (ومما استحسن) من شعر بالامير

العام الماضي فانتهز الفرصة فيه وقيل كان باطنيا فجرحه عدة جراحات وتفرق أصحابه عنه ثم عادوا اليه فجرح أقربهم منه جراحات أثخنته وعاد الى الوزير فتركه ما ثم خرزمي وكان كريما واسع الصدر حسن الخلق كثير العمارة وتفر الناس منه لانه دخل في الوزارة وقد تغيرت القوانين ولم يبق دخل ولا مال فقعل للضرورة ما خافه الناس بسببه وكان حسن المعاملة مع التجار فاستقى به خلق كثير فكانوا يسألونه ليعاملهم فلما قتل ضاع منهم مال كثير حتى ان بعض التجار باعه متاعا بألف دينار فقال له خذ ثمنها حنطة من الراذان خمسين كرا كل كر بعشرين دينارا فامتنع التاجر من أخذها وقال لا أريد غير الدنانير فلما كان من الغد دخل اليه التاجر فقال له يا فلان فقال وما هو قال خير حنطتك فقال مالي حنطة ولا أريدها فقال بلى وقد بعت كل كر بخمسين دينارا فقال أنا لم أتقبلهم فقال الوزير ما كنت لافسخ عقدا عقدته قال فخرجت وأخذت ثمن الحنطة ألفين وخمسمائة دينار وأضفت اليها مثلها وعاملته فقتل فضاع الجميع وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء واختص به انسان كيمياوي فكان يعده الشهر بعد الشهر والحول بعد الحول وقال له بعض أصحابه وقد أحاله عليه بكر حنطة فاستزاده لو كان صادقا في عمله لما كان يستزيد من القدر القليل وقتل ولم يصح له منه شيء ولما قتل الاعز أبو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير أبو المنصور الميبذي الذي كان وزير السلطان محمد وكان سبب فراقه لوزارة محمد انه كان معه باصبهان وبركيارق يحاصره وقد سلم اليه محمد بابا من أبوابها يحفظها فقال له الامير ينال بن أنوشتكين كنت قد كلفتنا ونحن بالري القصد همذان وقلت أنا أقيم بالعسكر من مالي وأحصل لهم مائة يوم ولا بد من ذلك فقال له الخطير أنا أفعل ذلك فلما كان الليل فارق البلد وخرج من الباب الذي كان مسلما اليه وقصد بلده ميبذ وأقام بقلعتها متحصنا فارسل اليه السلطان بركيارق وحصره فنزل منها مستأمنا فحمل على بغل باكاف الى العسكر فوصله في طريقه قتل الوزير الاعز وكتاب السلطان له بالامان وطيب قلبه فلما وصل الى العسكر خلع عليه واستوزره

﴿حادثة يعتبر بها﴾

في سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بني جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك الى مؤيد الملك ثم قتل في سنة أربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ماله وتركته وأخذ الجميع وحمل الى الوزير الاعز وقتل الوزير الاعز هذه السنة وبيع رحله واقتسمت أمواله وأخذ السلطان ومن ولي بعده أكثرها وتفرقت أيدي سبا وهذا عاقبة خدمة الملوك

﴿ذكر الفتنة بين ايلغازي وعامة بغداد﴾

في هذه السنة في رجب كانت فتنة شديدة بين عسكر الامير ايلغازي بن ارتق شحنة بغداد وبين عامتها وسببها ان ايلغازي كان بطريق خراسان فعاد الى بغداد فلما وصل أتى جماعة من أصحابه الى دجلة فنادوا ملاحا ليعبر بهم فتأخر فرماه أحدهم بنشابة فوقعت في مشعره فمات فأخذ العامة القاتل وقصدوا باب النوبي فلقيهم ولد ايلغازي مع جماعة فاستنقذوه ورجمهم العامة بسوق الثلاثاء فمضى الى أبيه مستغيثا فانفذ حاجب الباب من له في هذه الحادثة عمل فلم يقنع ايلغازي ذلك فعبر باصحابه الى محلة الملاحين المعروفة بربعة القطانين ونهبهم خلق كثير فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه فعطف عليهم العيارون فقتلوا أكثرهم ونزل من سلم في السفن ليعبروا دجلة فلما توسطوها ألقى الملاحون أنفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا فكان الغريق أكثر من القتيل وجمع ايلغازي التركمان وأراد نهب الجانب الغربي فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة

المرب (قال) واشتدت علة المكتفي بالله الدرب فاستحضر محمد بن يوسف القاضي وعبد الله بن علي بن أبي الشوارب فأشهدهما على وصيته بالعهد الى أخيه جعفر وقد قدمنا ذكر وصيته فيما سلف من هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع (قال المسعودي) وللمكتفي بالله أخبار حسان وما كان في عصره من الكوائن في قصة ابن الخلنجي بمصر وأمر القرمطي بالشام وأمر ذكرويه وخروجه على الحاج وغير ذلك مما كان في خلافته قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان والأوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكره

﴿ذكر خلافة المقتدر بالله﴾

وبويع المقتدر جعفر بن أحمد في اليوم الذي توفي فيه أخوه المكتفي بالله وكان يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شغب وكذلك أم المكتفي أم ولد يقال لها ظلوم وقيل غير ذلك وكان له يوم بويع ثلاث عشرة سنة وقتل ببغداد بعد صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة فكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة عشر يوما وبلغ من السن ثمانيا وثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقد قيل في مقدار عمره غير ما ذكرنا والله أعلم

لما انهزم السلطان محمد من الوقعة التي ذكرناها بالري مضى الى اصبهان في سبعين فارسا والبلد في حكمه وفيه نائبه ومعه من الامراء الامير ينال وغيره من الامراء ودخل المدينة في ربيع الاول وأمر بتجديد ما تشعث من السور وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة بن كاكويه سنة تسع وعشرين وأربعمائة عند خوفه من طغرلبك وأمر محمد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه وسلم الى كل أمير بابا وكان معه في البلد ألف ومائة فارس وخمسمائة راجل ونصب المجانيق ولما علم السلطان بركيارق بمسير أخيه محمد الى اصبهان سار يتبعه فوصلها في جمادى الاولى وعساكره كثيرة تزيد على خمسة عشر ألف فارس ومعها مائة ألف من الحواشي وأقام يحاصر البلد وضيق عليه وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الامر في الحصار أخرج الضعفاء والفقراء من البلد حتى خلت المحال وعدمت الاقوات وأكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك وقلت الاموال فاضطر السلطان محمد الى ان يستقرض من أعيان البلد فأخذ مالا عظيما ثم عاود الجند الطلب فقسط على أهل البلد شيأ آخر وأخذه منهم بالشدة والعنف فلم تزل الاسعار تغلو حتى بلغ عشرة أمنان من الحنطة بدينار وأربعة أرطال لحم بدينار وكل مائة رطل تبن بأربعة دنانير ورخصت الامتعة وهانت لعدم الطالب وكانت الاسعار في عسكر بركيارق رخيصة فبقي الحصار على البلد الى عاشر ذي الحجة فلما رأى السلطان محمد انه لا قدرة له على الدفع عن البلد وكلما جاء أمره يضعف قوي عزمه على مفارقته وقصد جهة أخرى يجمع فيها العساكر ويعود يدفع الخصم عن الحصار فسار عن البلد في مائة وخمسين فارسا ومعه الامير ينال واستخلف بالبلد جماعة من الامراء الكبار في باقي العسكر فلما فارق العسكر والبلد لم يكن في دوابهم ما يدوم على السير لقلة العلف في الحصار فنزل على ستة فراسخ فلما سمع بركيارق بمسيره سير وراءه الامير اياز في عسكر كثير وأمره بالجد في السير في طلبه فقيل ان محمدا سبقهم فلم يدركوه فرجعوا وقيل بل أدركوه فأرسل الى الامير اياز يقول أنت تعلم ان لي في رقبتك عهودا وأيمانا ما انقضت ولم يكن مني اليك ما تبالغ في اذاي فعاد عنه وأرسل له خيلا وأخذ علمه والجتر وثلاثة أحمال دنانير وعاد الى بركيارق فدخل عليه وأعلام أخيه السلطان محمد منكوسة فانكر بركيارق ذلك وقال ان كان قد أساء فلا ينبغي ان يعمل معه هذا فأخبره الخبر فاستحسن ذلك منه فلما فارق محمد اصبهان اجتمع من المفسدين والسوادية ومن يريد النهب ما يزيد على مائة ألف نفس وزحفوا الى البلد بالسلاليم والدبابات وطموا الخندق بالتبن والتصقوا بالسور وصعد الناس في السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد يحمي حريمه وماله فعادوا خائبين فحينئذ أشار الامراء على بركيارق بالرحيل فرحل ثامن عشر ذي الحجة من السنة واستخلف على البلد القديم الذي يقال له شهرستان ترشك الصوابي في ألف فارس مع ابنه ملكشاه وسار الى همذان وكان هذا من أعجب ما سطر ان سلطانا محصورا قد تقطعت مواده وهو يخطب له في أكثر البلاد ثم يخلص من الحصر الشديد وينجو من العساكر الكثيرة التي كلها قد شرع اليه رمحه وفوق اليه سهمه

ذكر قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير أبي منصور

في هذه السنة ثاني عشر صفر قتل الوزير الاعز أبو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستاني وزير السلطان بركيارق على أصبهان وكان مع بركيارق محاصر لها فركب هذا اليوم من خيمته الى خدمة السلطان فجاءه شاب أشقر قيل انه كان من غلمان أبي سعيد الحداد وكان الوزير قد قتله في

والمدايني ان أبان القاري تغدى مع الرشيد فجاؤا بمريسة عجيبة في وسطها مثل السكرجة الضخمة على هذا المثال من دهن الدجاج قال أبان فاشتهيت من ذلك الدسم واستحييت من الرشيد من أن أمد يدي فأغمس فيه قال فقمت باصبعي فيه قمنا يسيرا فانقلب الدسم نحوي فقال الرشيد أبان أخرقتها لتغرق أهلها فقال أبان لا يا أمير المؤمنين ولكن سقناه لبلد ميت فضحك الرشيد حتى أمسك صدره (وفي سنة) خمس وتسعين ومائتين وردت الى مدينة السلام هدية زيادة الله بن عبد الله ويكنى أبا مضر وكانت الهدية مائتي خادم أسود أبيض ومائة وخمسين جارية ومائة من الخيل العربية وغير ذلك من اللطائف وقد كان الرشيد في سنة أربع وثمانين ومائة وذلك بالرقة قلد ابراهيم بن الاغلب أمر افريقية من أرض المغرب لم يزل آل الاغلب أمراء فريقية حتى أخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا سنة ست وتسعين ومائتين وقيل في سنة خمس وتسعين ومائتين أخرجه من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذي ورد في كنانة وغيرهما من بربر فدعا الى عبد الله صاحب المغرب وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب تولية المنصور للاغلب بن سالم السعدي العام

مواضع ذكروها من أعمال البصرة فلما رجعوا لم يقبل شيأ من ذلك وأخذ مراكب القوم من أصحاب أبي سعد فحمله ذلك على ان سار بنفسه في قطع كثيرة تزيد على مائة قطعة بين كبيرة وصغيرة ووصل الى فوهة نهر الابلة وخرج عسكر اسمعيل في عدة مراكب ووقع القتال بينهم وكان البحريون في نحو عشرة آلاف واسمعيل في سبعمائة واصعد البحريون في دجلة فاحرقوا عدة مواضع وتفرق عسكر اسمعيل فبعضه بالابلة وبعضه بنهر الدير وبعضه في مواضع أخر فلما ضعف اسمعيل عن مقاومة أبي سعد طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد ان يسعى في الصلح فارسل اليه في ذلك فاعاد الجواب يذكر قبح ما عامله به اسمعيل مرة بعد أخرى وتكررت الرسائل بينهم فاجاب الى الصلح فاصطلحا واجتمعا وعاد أبو سعد الى بلاده وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية جميلة

﴿ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركماني الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن﴾

في هذه السنة في ذي القعدة توفي قوام الدولة كربوقا عند مدينة خوي وكان السلطان بركيارق قد أرسله في العام الماضي الى اذربيجان كما ذكرناه فاستولى على أكثرها وأتى الى خوي فمرض بها ثلاثة عشر يوما وكان معه اصبهبذ صباوة بن خمارتكين وسنقرجه فوصى الى سنقرجه وأمر الاتراك بطاعته وأخذله على عسكره العهود مات على أربعة فراسخ من خوي ولف في زلية لعدم ما يكفن فيه ودفن بخوي وسار سنقرجه وأكثر العسكر الى الموصل فتسلمها فاقام بها ثلاثة أيام وكان أعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركماني وهو بحصن كيفا ينوب عن كربوقا فيها وسألوه ان يبادر اليهم ليسلموا اليه البلد فسار مجدا فسمع سنقرجه بوصوله فظن انه جاء اليه خدمة له فخرج ليستقبله في أهل البلد فلما تقاربا نزل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه واعتنقا وبكيا على قوام الدولة فتسايرا فقال سنقرجه لموسى في جملة حديثه انا مقصودي من جميع ما كان لصاحبنا التخت والمنصب والاموال والولايات لكم وبحكمكم فقال موسى من نحن حتى يكون لنا مناصب ودست الامر في هذا الى السلطان يرتب فيه من يريد ويولي من يختار وجرى بينهما محاورات فجذب سنقرجه سيفه وضربه صفحا على رأسه فجرحه فالقى موسى نفسه الى الارض وجذب سنقرجه فالقاه الى الارض وكان مع موسى ولد منصور بن مروان الذي كان أبوه صاحب ديار بكر فجذب سكينا وضرب بها رأس سنقرجه فابانه ودخل موسى البلد وخلع على أصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم فصارت الولاية له ولما سمع شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الخبر قصد نصيبين وتسلمها وسار موسى قاصدا الى الجزيرة فلما قارب جكرمش غدر بموسى عسكره وصاروا مع جكرمش فعاد موسى الى الموصل وقصده جكرمش وحصره مدة طويلة فاستعان موسى بالامير سقمان بن ارتق وهو يومئذ بديار بكر واعطاه حصن كيفا وعشرة آلاف دينار فسار سقمان اليه فرحل جكرمش عنه وخرج موسى لاستقبال سقمان فلما كان موسى عند قرية تسمى كراثا فوثب عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه رماه أحدهم بنشابة فقتله فعاد أصحابه منهزمين ودفن على تل هناك يعرف الآن بتل موسى ورجع الامير سقمان الى الحصن فملكها وهي بيد أولاده الى يومنا هذا سنة عشرين وستمائة وصاحبها حينئذ غازي بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق وقصد جكرمش الموصل وحصرها أياما ثم تسلمها صلحا وأحسن السيرة فيها وأخذ القوامية الذين قتلوا موسى فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور

كيف وقلة منها الخلاص ٭ الذين الشهامة المعتق (وقوله) ضعيفة أجفانه ٭ ١١٩ والقلب منه حجر كأنما الحاظه

من فعله تعتذر

(وقوله)

تولى الجهول وانقطع العتاب
ولاح الشيب وافتضح الخضاب
لقد أبغضت نفسي في مشيبي
فكيف تحبني الخود الكعاب

(وقوله)

عتبا للزمان من حالتيه
وبلاء دفعت منه اليه
رب يوم بكيت فيه فلما
صرت في غيره بكيت عليه

وقوله في أبي الحسن علي ابن محمد بن الفرات الوزير

أبا حسن نبت في الارض وطأتي
وأدركتني في المعضلات الهزاهز
وألبستني درعا على حصينة
فناديت صرف الدهر هل من مبارز

(وقوله)

ومن شر أيام الفتى بذل وجهه
الى غير من خفت عليه الصنائع
متى يدرك الاحسان من لم تكن له
الى طلب الاحسان نفس تنازع

(وقوله)

فان شئت غادتني السقاة بكاسها
وقد فتح الاصباح في ليلة فا
نفات الدجا والفجر قد مد خيطه ٭ رداء موشى بالكواكب معلما (وقوله) وأبكي اذا ما غاب نجم كأنني ٭ فقدت صديقا أو رزئت حميما

والكيا الهراسي المدرس بالنظامية فمنعوه من ذلك فامتنع

﴿ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها﴾

في هذه السنة في العشرين من شوال قصد الامير اسمعيل صاحب البصرة مدينة واسط للاستيلاء عليها ونحن نبتدئ بذكر اسمعيل وتنقل الاحوال به الى ان ملك البصرة وهو اسمعيل بن سلانجق وكان اليه في أيام ملكشاه شحنكية الري ولما وليها كان أهل الري والرستاقية قد أعيوا من واليهم وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقا أصلحهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها وأرسل من شعورهم الى السلطان ما عمل منه مقاود وشكالا للدواب ثم عزل عنها ثم ان السلطان بركيارق أقطع البصرة للامير قماج فارسل اليها هذا الامير اسمعيل نائبا عنه فلما فارق قماج بركيارق وانتقل الى خراسان حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد فأنفذ مهذب الدولة بن أبي الجبر من البطيحة اليه لحاربه ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدي صاحب الجزيرة الدبيسية فاقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا الى مطارا فبينما معقل يقاتل قريبا من القلعة التي بناها ينال بمطارا وجددها اسمعيل وأحكمها أتاه سهم غرب فقتله فعاد ابن أبي الجبر الى البطيحة وأخذ اسمعيل سفنه وذلك سنة احدى وتسعين فاستمد ابن أبي الجبر كوهرائين فأمده بأبي الحسن الهروي وعباس بن أبي الجبر فلقيهما فكسرهما وأسرهما وأطلق عباسا على مال أرسله أبوه واصطلحا وأما الهروي فبقي في حبسه مدة ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار فلم يصح له منها شيء وقوي حال اسمعيل فبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ مقابل مطارا وصار مخوف الجانب وأمن البصريون به وأسقط شيأ من المكوس واتسعت امارته باشتغال السلاطين وملك المشان واستضافها الى ما بيده فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم اليه فقوي طمعه في واسط فاصعد في السفن الى نهرابان وراسلهم في التسليم فامتنعوا من ذلك وقالوا راسلناك وقد رأينا غير ذلك الرأي فاصعد الى الجانب الشرقي فخيم تحت النخيل وسفنه بين يديه وخيم جند واسط حذاءه وراسلهم ووعدهم وهم لا يجيبونه واتفقت العامة مع الجند وشتموه أقبح شتم فلما أيس منهم عاد الى البصرة وساروا بازائه من الجانب الآخر فوصل الى العمر وعبر طائفة من أصحابه فوق البلد وهو يظن البلد خاليا وان الناس قد خرجوا منه لما رأى كثرة من بازائه فيوقع الحريق في البلد فاذا رجع الاتراك عاد هو ومن وراءهم فكان ظنه خائبا لان العامة كانوا على الدجلة أولهم في البلد وآخرهم مع الاتراك بازائه فلما عبر أصحابه عاد الاتراك عليهم ومعهم العامة فقتلوا منهم ثلاثين رجلا وأسروا خلقا كثيرا وألقى الباقون أنفسهم في الماء فأتاه من ذلك مصيبة لم يظنها وصار أعيان أصحابه مأسورين وعاد الى البصرة وكان عوده من سعادته فانه كان قد قصد الامير أبو سعد محمد بن مضر بن محمود البصرة ذلك الوقت وله أعمال واسعة منها نصف عمان وجنابة وسيراف وجزيرة بني نقيس وكان سبب قصده اياها انه كان قد صار مع اسمعيل انسان يعرف بجعفرك وآخر اسمه زنجويه والثالث بابي الفضل الابلي فاطمعوه في ان يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة في البحر الى هذا أبي سعد وغيره فعمل نيفا وعشرين قطعة فلما علم أبو سعد الحال أرسل جماعة كثيرة من أصحابه في نحو خمسين قطعة فأتوا الى دجلة البصرة وذلك في السنة الخالية فاقاموا بها محاربين وظفروا بطائفة من أصحاب اسمعيل وقتلوا صاحب قلعة الابلة وكاتبوا بني برسق بخوزستان يطلبون أن يرسلوا عسكرا ليساعدوهم على أخذ البصرة فتمادى الجواب وركن الطائفتان الى الصلح على ان يسلم اليهم اسمعيل جعفرك ورفيقه ويقطعهم

مواضع

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾ ﴿ذكر بيعة المقتدر وعلى ووزارة العباس بن الحسن

الى أن وثب الحسين بن حمدان ووصيف بن سوارتكين وغيرهما من الاولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكا معه وذلك في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وكان من أمر عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود وغيرهما ما قد اتضح في الناس واشتهر وأتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وغيره من أخبار المقتدر وقد صنف جماعة من الناس أخبار المقتدر مجموعة مع أخبار غيره من الخلفاء ومفردة وعمل ذلك في أخبار بغداد وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشياري أخبار المقتدر في ألوف من الاوراق ووقع لي منها أجزاء يسيرة (وأخبرني) غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة وانما نذكر من أخبار كل واحد منهم لمعا وانما الغرض جوامع من أخبارهم تبعث على درسه وحفظ ما فيه ونسخه (وكان) عبد الله بن المعتز أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاقتراح للمعاني فمن ذلك قوله

يقول العاذلون تعزعنها * وأطفئ لهيب قلبك بالسلو

الفقيه سنة ست وتسعين ومائتين وكان ممن قد علا في رتبة الادب وتصرف في فنون اللغة وتفنن في موارد المذاهب

﴿ذكر عود قلعة خفتيذ كان الى سرخاب بن بدر﴾

في هذه السنة عادت قلعة خفتيذ كان الى الامير سرخاب بن بدر بن مهلهل وكان سبب أخذها منه ان قرابلي وهو من قبيل من التركمان يقال لهم سلغر كان قد أتى الى بلد سرخاب ثمه من المراعي وقتل جماعة من أصحابه فمضى قرابلي الى التركمان واستجاش بهم وجاء في عسكر كثير فلقيه سرخاب وقاتله فقتل قرابلي من أصحاب الاكراد قريبا من ألفي رجل وانهزم سرخاب الى بعض جباله في عشرين رجلا فلما سمع المستحفظان بقلعة خفتيذ كان ذلك وكان الرجلين حدثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها وكان بها ذخائره وأمواله وقدرها ما يزيد على ألفي ألف دينار فملكاها واجتاز بها السلطان بركيارق فانفذا اليه مائتي ألف دينار واستولى التركمان على جميع بلاد سرخاب بن بدر سوى دقوقا وشهرزور فلما كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظين الآخر وأرسل الى سرخاب يطلب منه الامان ليسلم اليه القلعة فامنه على نفسه وعلى ما حصل بيده من أموالها فسلمها اليه ووفى له

﴿ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند﴾

قد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع أخيه السلطان محمد الى بغداد وعوده الى خراسان فلما وصل الى نيسابور خطب لاخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان ببغداد طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند في خراسان لبعده عنها وجمع عساكر تملأ الارض قيل كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان أمير من أمراء سنجر اسمه كندغدي قد كاتب قدرخان بالاخبار وأعلمه مرض سنجر بعد عوده الى بلاده وانه قد أشفى على الهلاك وقوى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد وبشدة عداوة بركيارق لسنجر وأشار عليه بالسرعة مهما الاختلاف واقع وانه متى أسرع ملك خراسان والعراق فبادر قدرخان وأقدم وقصد البلاد فبلغ السلطان سنجر الخبر وكان قد عوفي فبادر وسار نحوه قاصدا قتاله ومنعه عن البلاد وكان من جملة من معه كندغدي المذكور وهو لا يتهمه بشيء مما فعل فوصل الى بلخ في ستة آلاف فارس فبقي بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيام فهرب كندغدي الى قدرخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده الى ترمذ فملكها وكان الباعث للكندغدي على ما فعل حسده للامير برغش على منزلته ثم تقدم قدرخان فلما دنا الى العسكران أرسل سنجر يذكر قدرخان العهود والمواثيق القديمة فلم يصغ الى قوله وأذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان فكان لا يخفى عنه شيء من خبره فاتاه من أخبره انه نزل بالقرب من بلخ وانه خرج متصيدا في ثلثمائة فارس فندب سنجر عند ذلك الامير برغش لقصده فسار اليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم يصبر من مع قدرخان فانهزموا وأسر كندغدي وقدرخان وأحضرهما عند سنجر فاما قدرخان فانه قبل الارض واعتذر فقال له سنجر ان خدمتنا أو لم تخدمنا فما جزاؤك الا السيف ثم أمر به فقتل فلما سمع كندغدي انخبر نجا بنفسه ونزل في قناة ومشى فيها فرسخين تحت الارض على ما به من النقرس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق أصحابه الى مخرجها وسار منها في ثلثمائة فارس الى غزنة وقيل بل جمع سنجر عساكر كثيرة والتقى هو وقدرخان وجرى بينهما مصاف وقتال عظيم كثر فيه القتل فيهم فانهزم قدرخان وعسكره وحمل أسيرا الى سنجر فقتله وحصر ترمذ وبها كندغدي فطلب الامان فامنه سنجر ونزل اليه وسلم ترمذ فامره سنجر بمفارقة بلاده فسار الى غزنة فلما وصل اليها أكرمه صاحبها علاء الدولة وحل عنده المحل الكبير واتفق ان

وأشفى على أغراض المطالب وكان عالما بالفقه منفردا وواحدا فيه فريدا وألف في عنفوان صباه وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف بالزهرة ثم تناهت فكرته ونشبت قوته فصنف الفقهيات ككتابه في الوصول الى معرفة الاصول وكتاب الانذار وكتاب الاعذار والاعذار وكتابه المعروف بالانتصار على محمد ابن جرير وعبد الله بن شرشي وعيسى بن ابراهيم الضرير (ومما قال) فيه فاحسن في عنفوان شبابه وأثبته في كتابه المترجم بالزهرة وعزاه الى بعض أهل عصره وان كان محسنا في سائر كلامه من منظومه ومنثوره قوله

على كبدي من خيفة البين لوعة
يكاد لها قلبي أسى يتصدع
يخاف وقوع البين والشمل جامع
فيبكي بعين دمعها متسرع
فلو كان مسرورا بما هو واقع
كما هو محزون بما يتوقع
لكان سواء سقمه وسقامه
ولكن وشك البين أدهى وأوجع

(وقوله)

تمتع من حبيبك بالوداع
الى وقت السرور بالاجتماع
فكم جربت من وصل وهجر
ومن حال ارتفاع واتضاع
وكم كأس أمر من المنايا * شربت فلم يضق عنها ذراعي
فلم أر في الذي لاقيت شيأ

وملك العرب والاكراد فاطاعوه

﴿ذكر حال صنجيل الفرنجى وما كان منه فى حصار طرابلس﴾

كان صنجيل الفرنجى لعنه الله قد لقى قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب قونية وكان صنجيل فى مائة ألف مقاتل وكان قلج ارسلان فى عدد قليل فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم كثير وأسر كثير وعاد قلج ارسلان بالغنائم والظفر الذى لم يحسبه ومضى صنجيل مهزوما فى ثلاثمائة فوصل الى الشام فارسل فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس الى الامير ياخز خليفة جناح الدولة على حمص والى الملك دقاق بن تتش يقول من الصواب ان يعاجل صنجيل اذ هو فى هذه العدة القريبة فخرج الامير ياخز بنفسه وسير دقاق ألفى مقاتل واتتهم الامداد من طرابلس فاجتمعوا على باب طرابلس وصافوا صنجيل هناك فاخرج مائة من عسكره الى أهل طرابلس ومائة الى عسكر دمشق وخمسين الى عسكر حمص وبقى هو فى خمسين فاما عسكر حمص فانهم انكسروا عند المشاهدة وولوا منهزمين وتبعهم عسكر دمشق وأما أهل طرابلس فانهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم فلما شاهد ذلك صنجيل حمل فى المائتين الباقية فكسروا أهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحصرها واتاه أهل الجبل فاعانوه على حصارها وكذلك أهل السواد وأكثرهم نصارى فقاتل من بها أشد قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة ثم انه هادنهم على مال وخيل فرحل عنهم الى مدينة انطرسوس وهى من أعمال طرابلس فحصرها وفتحها وقتل من بها من المسلمين ورحل الى حصن الطوبان وهو يقارب رفنية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلوهم فنصر عليه أهل الحصن وأسر ابن العريض منه فارسا من أكابر فرسانه فبذل صنجيل فى فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير فلم يجبه ابن العريض الى ذلك

﴿ذكر ما فعله الفرنج﴾

فى هذه السنة أطلق الدانشمند بيمند الفرنجى صاحب انطاكية وكان قد أسره وقد تقدم ذكر ذلك وأخذ منه مائة ألف دينار وشرط عليه اطلاق ابنة باغى سيان الذى كان صاحب انطاكية وكانت فى أسره ولما خلص بيمند من أسره عاد الى انطاكية فقويت نفوس أهلها به ولم يستقر حتى أرسل الى أهل العواصم وقنسرين وما جاورها يطالبهم بالاتاوة فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التى بناها الدانشمند وفيها سار صنجيل الى حصن الاكراد فحصره فجمع جناح الدولة عسكره ليسير اليه ويكبسه فقتله باطنى بالمسجد الجامع فقيل ان الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله فلما قتل صبح صنجيل حمص من الغد ونازلها وحصر أهلها وملك أعمالها ونزل القمص على عكة فى جمادى الآخرة وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج وكان له فى البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل وأتوا الى منجنيقاتهم وابراجهم فاحرقوها واحرقوا سفنهم أيضا وكان ذلك نصرا عجيبا أذل الله به الكفار وفيها سار القمص الفرنجى صاحب الرها الى بيروت من ساحل الشام وحصرها وضايقها وأطال المقام عليها فلم يرفيها طمعا فرحل عنها وفيها فى رجب خرجت عساكر مصر الى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقى فى أيديهم من البلاد الشامية فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم فى سبعمائة فارس وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى فى اجمة قصب فاحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر فى اصحابه

ل سليمان بن وهب
سنائح
الى ومعروف لدى تقدما
هم علموا الايام كيف تروق
وهم غسلوا من ثوب والذى
الدنيا
وقوله عند وفاة المعتصم بالله
قد قنوا مااقتنوا من عبقة ثم
قدموا
اماما يوم انطلاق بين يديه
وصلوا عليه خاشعين كأنهم
صفوف قيام للسلام عليه
وقوله فى فصادة المعتضد بالله
نادما سال من ذراع الامام
أنت أذكى من عنبر ومدام
فظننا انك أجريت الى الطشـ
ـت دموما من مقلتى مستهام
الفاغرق الطبيب شبا المبـ
ـضع فى نفس مهجة الاسلام
(وقوله)
اصبر على حسد الحسو
د فان صبرك يقتله
فالنار تأكل نفسها
ان لم تجد ما تأكله
(وقوله)
يطوف بالراح بيننا بشر
محكم فى القلوب والمقل
يكاد لحظ العيون حين بدا
يسفك من خده دم الخجل
(وقوله)
وشادن يحسن صورته
عبث الفتور بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت
لمادنت من نار وجنته
(وقوله)
اذا اجتنى وردة من خده فقه
تكون شقها أخرى من الخجل

(قال) وكانت وفاة أبى بكر محمد بن داود بن على بن خلف الاصبهانى (ذكر

الاولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش أمير بني عقيل قتله بنو نمير عند هيت وصلبا وفيها توفي القاضي البندنيجي الضرير الفقيه الشافعي انتقل الى مكة فجاور بها أربعين سنة يدرس الفقه ويسمع الحديث ويشتغل بالعبادة وفيها توفي أبو عبد الله الحسين بن محمد الطبري باصبهان وكان يدرس فقه الشافعي بالمدرسة النظامية وقد جاوز تسعين سنة وهو من أصحاب أبي اسحق وفيها توفي الامير منظور بن عمارة الحسيني أمير المدينة على ساكنها الصلاة والسلام وقام ولده مقامه وهو من ولد المهنا وقد كان قتل المعمار الذي أنفذه مجد الملك البلاساني لعمارة القبة التي على قبر الحسن بن علي والعباس رضي الله عنهما وكان من أهل قم فلما قتل البلاساني قتله منظور بعد ان أمنه وكان قد هرب منه الى مكة فارسل اليه بامانه

﴿ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر استيلاء ينال على الري وأخذها منه ووصوله الى بغداد﴾

كانت الخطبة بالري للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من اصبهان على ما ذكرناه ومعه ينال بن أنوشتكين الحسامي استأذنه في قصد الري واقامة الخطبة له بها فاذن له فسار هو وأخوه علي بن أنوشتكين فوصلا اليها في صفر فاطاع من بها من نواب بركيارق وخطب لمحمد بالري واستولى ينال على البلد وعسف أهله وصادرهم بمائتي ألف دينار وأقام بها الى النصف من ربيع الاول فورد اليه الامير برسق بن برسق من عند السلطان بركيارق فوقع القتال بينهم على باب الري فانهزم ينال وأخوه علي فاما علي فعاد الى ولايته قزوين وسلك ينال الجبال فقتل من أصحابه كثير وتشتتوا ووافى الى بغداد في سبعمائة رجل فاكرمه الخليفة واجتمع هو وايلغازي وسقمان ابنا أرتق بمشهد أبي حنيفة وتحالفوا على مناصحة السلطان محمد وساروا الى سيف الدولة صدقة فحالفهم أيضا على ذلك وعادوا

﴿ذكر ما فعله ينال بالعراق﴾

قد ذكرنا وصول ينال بن أنوشتكين الى بغداد قبل فلما استقر ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا وصادرهم واستطال أصحابه على العامة بالضرب والقتل والتقسيط وصادر العمال فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني ينهاه عن ذلك ويقبح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان وتردد أيضا الى ايلغازي وكان ينال قد تزوج هذه الايام باخته وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تتش حتى توسط الامر معه فمضوا اليه وحلفوه على الطاعة وترك ظلم الرعية وكف أصحابه ومنعهم فحلف ولم يف باليمين ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة وعرفه ما يفعله ينال من نهب الاموال وسفك الدماء وطلب منه ان يحضر بنفسه ليكف ينال فسار من حلته في رمضان ووصل بغداد رابع شوال وضرب خيامه بالنجمي واجتمع هو وينال وايلغازي ونواب ديوان الخليفة وتقررت القواعد على مال يأخذه ويرحل عن العراق فطلب ينال المهلة فعاد صدقة عاشر شوال الى حلته وترك ولده دبيسا ببغداد ليمنعه من الظلم والتعدي عما استقر الامر عليه فبقي ينال الى مستهل ذي القعدة وسار الى اوانا ونهب وقطع الطريق وعسف الناس وبالغ في الفعل القبيح واقطع القرى لاصحابه فارسل الخليفة الى صدقة في ذلك فارسل ألف فارس وساروا اليه ومعهم جماعة من أصحاب الخليفة وايلغازي شحنة بغداد فلما سمع ينال بقربهم منه عبر دجلة وسار الى باجسرى وشعثها وقصد شهرابان فمنعه أهلها فقاتلهم فقتل بينهم قتلى ورحل عنهم وسار الى اذربيجان قاصدا الى السلطان محمد وعاد دبيس بن

(وأنشدني) أبو الحسن محمد بن علي الفقيه الوراق الانطاكي بانطاكية لعلي بن ١٢٣ محمد بن بسام يهجو الموفق والوزير أبا الصقر اسمعيل بن بلبل والطائي أمير بغداد وعبدون النصراني أخا صاعد وأبا العباس بن بسام وحامد بن العباس وزير المقتدر بالله بعد ذلك واسحق بن عمران أمير الكوفة يومئذ

أيرجو الموفق نصر الاله
وأمر العباد الى دانيه
ومن قبلها كان أمر العباد
لعمر أبيك الى زانيه
فان رضيت رضيت أنه
كذا اليه نوفها داليه
وظل ابن بلبل يدعى الوزير
ولم يك في الاعصر الخاليه
وطحان طي تولى الجسور
وسقى الفرات وزرقاميه
ويحكم عبدون في المسلمين
ومن ضله موجد الحاليه
وأحول بسطام ظل المشير
وكان يحوك ببرزاطيه
وحامد يا قوم لو أمره
الي لا لزمته الراويه
نعم ولا رجعته صاغرا
الى بيع رمان حصراويه
واسحق عمران يدعى الامير
لداهية أيما داهيه
فهذي الخلافة قد ودعت
وظلت على عرشها خاويه
نقل الزمان لاوغاده
الى لعنة الله والهاويه
فيارب قد ركب الارذلون
ورجلي في رحلهم عاليه
فان كنت حاملنا مثلهم
والا فارحل بني الزانيه

جمع في شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة في ذلك العصر (وأنشد) أبو اسحق الزجاج النحوي صاحب المبرد في المعتضد وقد ختن

صاحب غزنة عزم على قصد اوتان وهى جبال منيعة على أربعين فرسخا من غزنة وقد عصى عليه
فيها قوم وتحصنوا بمعاقلها ووعورة مسالكها فقاتلهم عسكر علاء الدولة فلم يظفروا منهم بطائل
فتقدم كندغدى منفردا عنهم فابلى بلاء حسنا ونصر عليهم وأخذ غنائمهم وحملها الى علاء الدولة فلم
يقبل منها شيأ ووفرها عليه فغضب العسكر وحسدوه على ذلك وعلى قربه من صاحبهم ونفاقه عليه
فاشاروا بقبضه وقالوا انالا نأمن ان يقصد بعض الاماكن فيفعل فى أمر الدولة مالا يمكن
تلافيه فقال قد تحققت قصدكم ولكن بمن اقبض عليه فانى أخاف ان آمركم بالقبض عليه
فينالكم منه ما تقتضون به فقالوا الصواب ان توليه ولاية ويقبض عليه اذا سار اليها فولاه
حصنا من جرت عادته ان يسجن فيه من يخاف جانبه فسار اليه فلما قاربه ما عرف ما اريد منه
فاسرق بجميع ماله ونعر جماله وسار جريدة وكان فى مدة مقامه بغزنة يسأل عن الطرق وتشعبها
فانه ندم على قصد تلك الجهة فلما سار سأل راعيا عن الطريق التى يريدها فدله فاخذه معه خوفا
ان يكون قد غره ولم يزل سائرا الى ان وصل الى قريب هراة فبات هنالك وهو من مماليك تتش
ابن الب ارسلان الذى كحله اخوه ملكشاه وسجنه بتكريت وقد تقدم ذكر حادثته

﴿ذكر ملك محمد خان سمرقند﴾

فى هذه السنة أحضر السلطان سنجر محمدا ارسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان من مرو
وملكه سمرقند بعد قتل قدرخان وكان هذا محمد خان من أولاد الخانية بما وراء النهر وامه ابنة
السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو وأقام بها الى الآن فلما قتل قدرخان ولاه
سنجر اعماله وسير معه العساكر الكثيرة فعبروا النهر فاطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها وعظم
شأنه وكثرت جموعه الا انه انتصب له أمير اسمه صاغوبك وزاحمه فى الملك فطمع فيه فجرى له معه
حروب احتاج فى بعضها الى الاستنجاد بعساكر سنجر على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ولما ملك
محمد خان البلاد أحسن الى الرعايا بوصية من سنجر وحقن الدماء وصار بابه مقصدا وجنابه ملجأ

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة ابى سعد بن الموصلايا الى
الحلة السيفية مستجيرا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك ان الوزير الاعز وزير السلطان بركيارق
كان ينسب اليه انه هو الذى يميل جانب الخليفة الى السلطان محمد فسار خائفا واعتزل خاله أمين
الدولة الديوان وجلس فى داره فلما قتل الوزير الاعز على ما ذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلة الى
بغداد وعاد خاله الى منصبه وفى ربيع الاول أيضا ورد العميد المهذب أبو المجد أخو الوزير الاعز
الى بغداد نائبا عن أخيه ظنا منه ان ايلغازى لا يخالفهم حيث كان بركيارق ومحمد قد اتفقا كما
ذكرناه فقبض عليه ايلغازى ولم يتغير عن طاعة محمد وفيها فى جمادى الاولى ورد الى بغداد ابن
تكش بن الب ارسلان وكان قد استولى على الموصل نخدعه من كان بها حتى يسير عنها الى بغداد
ففعل فلما وصل اليها زوجه ايلغازى ابن ارتق ابنته وفيها فى شهر رمضان استوزر الخليفة
سديد الملك أبا المعالى بن عبد الرزاق ولقب عضد الدين وفيها فى صفر قتل الربعيون بهيت قاضى
البلد أبا على بن المثنى وكان ورعا فقيها حنفيا من أصحاب القاضى أبى عبد الله الدامغانى وكان هذا
القاضى على ما جرت به عادة القضاة هنالك من الدخول بين القبائل فنسبوه فى ذلك الى التحامل
عليهم فقتله أحدهم فندم الباقون على قتله وقد فات الامر وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن
مزيد الحلة بالجامعين وسكنها وانما كان يسكن هو وآباؤه قبله فى البيوت العربية وفى جمادى

لا خير فى عاشق يخفى صبابته
بالقول والشوق فى زفراته بادى
يخفى هواه وما يخفى على أحد
حتى على العيس والركبان والحادى

(وفى سنة) ثلاث وثلثمائة
فى خلافة المقتدر بالله
كانت وفاة على بن محمد بن
نصر بن منصور بن بسام
وكان شاعرا لسنا مطبوعا
فى الهجاء ولم يسلم منه
وزير ولا أمير ولا صغير
ولا كبير وله فى هجاء
أبيه واخوته وسائر أهل
بيته فما قال فى أبيه

بنى أبو جعفر دارا فشيدها
ومثله لخيار الدور بناه
فالجوع داخلها والذل خارجها
وفى جوانبها بؤس وضراء

(وله فيه)

ما ينفع الدار من تشييد حائطها
وليس داخلها خبز ولا ماء

(وله فيه)

هبك عمرت عمر عشرين نسرا
أترى اننى أموت وتبقى
فلئن عشت بعدي وملكت يوما
لأشقن جيب مالك شقا

(وله فيه)

رأى الجوع طبا فهو يحمى ويحتمى
فلست ترى فى داره غير جائع
ويزعم أن الفقر فى الجود والسخا * وأن ليس حظ فى اكتساب الصنائع
لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها * ولم يدر أن المرء رهن الفجائع

أهلها وكف عسكره عن أذاهم ووصل اليه ايلغازي واسطا وفارقها القيصري ونزل مخيما بدجلة فقيل لسيف الدولة ان هناك مخاضة فسار اليها بعسكره وقد لبسوا السلاح فلما رآهم عسكر القيصري تفرقوا عنه وبقي في خواص أصحابه فطلب الامان من سيف الدولة فأمنه فحضر عنده فأكرمه وقال له قد بعثت قال وتركتنا بين أخرجتنا من بغداد ثم من واسط ونحن لا نعقل ثم بذل صدقة الامان لجميع عسكر واسط ومن كان مع القيصري سوى رجلين فعادوا اليه فأمنهم وعاد القيصري الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وخطب بعده لسيف الدولة وايلغازي واستناب كل واحد منهما فيها ولده وعادا عنها في العشرين من جمادى الاولى وأمن أهل واسط مما كانوا يخافونه فأما ايلغازي فانه أصعد الى بغداد وأما سيف الدولة صدقة فانه عاد الى الحلة وأرسل ولده الاصغر منصورا مع ايلغازي الى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه فانه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة فوصل الى بغداد وخاطب في ذلك فأجيب اليه

(ذكر استيلاء صدقة على هيت)

كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش اقطعه اياها السلطان الب ارسلان ولم تزل معه حتى قتل فنظر فيها عميد بغداد الى ان مات السلطان ملكشاه ثم أخذها أخوه تتش بن الب ارسلان فلما استولى السلطان بركيارق أقطعها لبهاء الدولة ثروان بن وهب بن وهيبة وأقام هو وجماعة من بني عقيل عند سيف الدولة صدقة وكانا متصافيين وكان صدقة يزوره كثيرا ثم تنافرا وكان سبب ذلك أن صدقة زوج بنتا له من ابن عمه وكان ثروان قد خطبها فلم يجبه الى ذلك فتحالفت عقيل وهم في حلة سيف الدولة ان يكونوا يدا واحدة عليه فأنكر صدقة ذلك وحج ثروان عقيب ذلك وعاد مريضا فوكل به صدقة وقال لا بد من هيت فأرسل ثروان حاجبه وكتب خطه بتسليم البلد اليه وكان بهيت حينئذ محمد بن رافع بن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر وأرسل صدقة ابنه دبيسا مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلم اليه محمد فعاد دبيس الى أبيه فلما أخذ صدقة واسطا هذه النوبة أصعد في عسكره الى هيت فخرج اليه منصور بن كثير ابن أخي ثروان ومعه جماعة من أصحابه فلقوا سيف الدولة وحاربوه ساعة من النهار ثم ان جماعة من الربعيين فتحوا لسيف الدولة البلد فدخله أصحابه فلما رأى ذلك منصور ومن معه سلموا البلد اليه فملكه يوم نزوله وخلع على منصور وجماعة من وجوه أصحابه وعاد الى حلته واستخلف عليه ابن عمه ثابت بن كامل

(ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد)

في هذه السنة ثامن جمادى الآخرة كان المصاف الخامس بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وكانت كنجة وبلاد اران جميعها للسلطان محمد وبها عسكره ومقدمهم الامير غزغلي فلما طال مقام محمد بأصبهان محصورا توجه غزغلي والامير منصور بن نظام الملك وابن أخيه محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك قاصدين انصرته ليراهم بعين الطاعة وكان آخر ما تقام فيه الخطبة لمحمد زنجان مما يلي اذربيجان فوصلوا الى الري في العشرين من ذي الحجة سنة خمس وتسعين ففارقه عسكر بركيارق ودخلوه وأقاموا به ثلاثة أيام ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمد من أصبهان وانه وصل الى ساوة فساروا اليه ولحقوه بهمذان ومعه ينال وعلي ابنا أنوشتكين الحسامي فبلغ عدتهم ستة آلاف فارس فأقاموا بها الى أواخر المحرم فأتاهم الخبر بأن السلطان بركيارق قد أتاهم فلم يوافق رأيهم فسار ينال وعلي ابنا أنوشتكين الى الري على ما ذكرناه وعزم السلطان محمد على

خبز أبي جعفر طباشير
فيه الافاويه والعقاقير
فمدوا للأكل معضلة
للبطن والصدر والبواسير
وقصعة الاكل مثل مدهنة
يرهق من حولها النواظير
ونيل ما ترتجيه من يده
ما ليس تجري به المقادير
(وله فيه)
بعثت لاستهديه عيرا ولم أكن
لاعلم أن العير صار لناصرا
فوجه لي كي نستوي في ركوبه
فيركبه بطنا وأركبه ظهرا
(وقال في جماعة من الرؤساء)
قل للسروس ومن نرجي نوافلهم
ومن يؤمل فيه الرفد والعمل
ان تشغلوني بأعمال أصيرها
شغلا والا ففي أعراضكم شغل
وقوله
مالي رأيتك دائما
مستخطا أبدا الزقك
ارجع الى ما تستحق
فان قوتك فوق حقك
(وله في عبيد الله بن سليمان الوزير)
عبيد الله ليس له معاد
ولا عقل وليس له سداد
رددت الى الحياة فعدت عنه
لقول الله لو ردوا لعادوا
(وله في القاسم بن عبيد الله بن سليمان)
قل للولي دولة السلطان
عند الكمال توقع النقصان
كم من وزير قد رأيت معظما
أضحى بدار مذلة وهوان
(وله في عبيد الله بن سليمان) لا بد يا نفس من سجود في زمن القرد للقرود
هيت الثالث الربع يا ابن وهب

صدقة وايلغازي شحنة بغداد الى ما وصفوهم

﴿ ذكر وصول كمشتكين القيصري شحنة الى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازي وسقمان وصدقة ﴾

في هذه السنة منتصف ربيع الاول ورد كمشتكين القيصري الى بغداد شحنة أرسله اليها السلطان بركيارق وقد ذكرنا في السنة المتقدمة رحيل بركيارق من اصبهان الى همذان فلما وصلها أرسل الى بغداد كمشتكين شحنة فلما سمع ايلغازي وهو شحنة ببغداد للسلطان محمد أرسل الى أخيه سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا يستدعيه اليه ليعتضد به على منعه وسار الى سيف الدولة صدقة بالحلة واجتمع به وسأله تجديد عهد في دفع من يقصده من جهة بركيارق فاجابه الى ذلك وحلف له فعاد ايلغازي وورد سقمان في عساكره ونهب في طريقه تكريت وسبب تمكنه منها انه أرسل جماعة من التركمان الى تكريت معهم أحمال جبن وسمن وعسل فباعوا ما معهم وأظهروا ان سقمان قد عاد عن الانحدار فاطمأن أهل البلد ووثب التركمان تلك الليلة على الحراس فقتلوهم وفتحوا الابواب وورد اليها سقمان ودخلها ونهبها ولما وصل الى بغداد نزل بالرملة واما كمشتكين فوصل أول ربيع الاول الى قرميسين وأرسل الى من له هوى مع بركيارق وأعلمهم بقربه فمنهم خرج اليه جماعة منهم فلقوه بالبندنيجين وأعلموه الاحوال وأشاروا عليه بالمعاجلة فأسرع السير فوصل الى بغداد منتصف ربيع الاول ففارق ايلغازي داره واجتمع بأخيه سقمان وأصعدا من الرملة ونهبا بعض قرى دجيل فسار طائفة من عسكر كمشتكين وراءهما ثم عادوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد فأرسل كمشتكين القيصري الى سيف الدولة صدقة ومعه حاجب من ديوان الخليفة في طاعة بركيارق فلم يجب الى ذلك وكشف القناع ببغداد في مخالفته وسار من الحلة الى جسر صرصر فقطعت خطبة بركيارق ببغداد ولم يذكر على منابرها أحد من السلاطين واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير ولما وصل سيف الدولة الى صرصر أرسل الى ايلغازي وسقمان وكانا بحربي يعرفهما انه قد أتى لنصرتهما فعادا ونهبا دجيلا ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة وأخذت الاموال وافتضت الابكار ونهب العرب والاكراد الذين مع سيف الدولة نهرملك الا انهم لم ينقل عنهم مثل التركمان من أخذ النساء والفساد معهن لكنهم استقصوا في أخذ الاموال بالضرب والاحراق وبطلت معايش الناس وغلت الاسعار فكان الخبز يساوي عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة أرطال بقيراط وجميع الاشياء كذلك فأرسل الخليفة الى سيف الدولة في الاصلاح فلم تستقر قاعدة وعاد ايلغازي وسقمان ومعهما دبيس بن سيف الدولة صدقة من دجيل فخيموا بالرملة فقصدهم جماعة كثيرة من العامة فقاتلهم فقتل من العامة أربعة نفر وأخذ منهم جماعة فأطلقوا بعد أن أخذت أسلحتهم وازداد الامر شدة على الناس فأرسل الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن بن الدامغاني وتاج الرؤساء بن الموصلايا الى سيف الدولة يأمره بالكف عن الامر الذي هو ملابسه ويعرفه ما الناس فيه ويعظم الامر عليه فأظهر طاعة الخليفة ان أخرج القيصري من بغداد والا فليس غير السيف وأرعد وأبرق فلما عاد الرسول استقر الامر على اخراج القيصري من بغداد ففارقها ثاني عشر ربيع الآخر وسار الى النهروان وعاد سيف الدولة الى بلده وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد وسار القيصري الى واسط فخاف الناس منه وأرادوا الانحدار عنها فأمنوا فنعهم القيصري وخطب لبركيارق بواسط ونهبوا كثيرا من سوادها فلما سمع صدقة ذلك سار الى واسط فدخلها وعدل في

(وله أيضا في المعتضد)
الى كم لا ترى ما ترتجيه
ولا تنفك من أمل كذوب
الى مولاك معتضد افاني
أظنك سوف تعقد من قريب
(وله في الوزير) العباس
ابن الحسن وابن عمرويه
الخراساني وكان أمير بغداد
يومئذ
لعن الله الذي قلد عباس الوزاره
والذي ولى ابن عمرو ببغداد الاماره
لوزير سمج الوجه بطين كالقواره
وقفا فيه سناما ت ورأس كالخباره
لم يزل يعرف بالزنـ ـن قديما والعياره
وأمير أعجمي كحمار ابن حماره
رحل الاسلام عنا بتوليه الوزاره
(وأنشدني في أبي الحسن جحظة البرمكي المغني)
بجحظة الحسن عندي يد
أشكرها منه الى المحشر
لما أراني وجهه برذونه
وصانني عن وجهه المنكر
(وله في أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام)
شبيهة قد من سكره
وبرمة تطبخ في قنبره
عنده في أسمج من حاتم
يطبخ قدرين على مجمره وليس ذا في كل أيامه * لكنه في الدعوة المنكره في يوم لهو وفطم هائل * وجمع اللذات والقرقره اهاها

وقرأوا وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فقبض على الوزير بعد أيام

﴿ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة﴾

في هذه السنة في شعبان ملك الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة وكانت بيد انسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب أرسلان فلما قتل كربوقا استولى عليها فسار دقاق وطغتكين أتابكه اليه وحصراه بها ثم رحل عنه وتوفي قايماز هذه السنة في صفر وقام مقامه غلام تركي اسمه حسن فابعد عنه كثيرا من جنده وخطب لنفسه وخاف من دقاق فاستظهر وأخذ جماعة من السلارية الذين يخافهم وقبض عليهم وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم فتوجه دقاق اليه وحصره فسلم العامة البلد اليه واعتصم حسن بالقلعة فأمنه دقاق فسلم القلعة اليه فاقطعه اقطاعا كثيرا بالشام وقرر أمر الرحبة وأحسن الى أهلها وجعل فيها من يحفظها ورحل عنها الى دمشق

﴿ذكر أخبار الفرنج بالشام﴾

كان الافضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكا لابيه لقبه سعد الدولة ويعرف بالطواشي الى الشام لحرب الفرنج فلقيهم بين الرملة ويافا ومقدم الفرنج يعرف ببغدوين لعنه الله تعالى وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج حملة صادقة فانهزم المسلمون وكان المنجمون يقولون لسعد الدولة انك تموت مترديا فكان يحذر من ركوب الخيل حتى انه ولي بيروت وأرضها مفروشة بالبلاط فقلعه خوفا ان تزلق به فرسه أو يعثر فلم ينفعه الحذر عند نزول القدر فلما كانت هذه الوقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين فارسل الافضل بعده ابنه شرف المعالي في جمع كثير فالتقوا هم والفرنج بيازور بقرب الرملة فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة وعاد من سلم منهم مفلولين فلما رأى بغدوين شدة الامر وخاف القتل والاسر ألقى نفسه في الحشيش واختفى فيه فلما أبعد المسلمون خرج منه الى الرملة وسار شرف المعالي بن الافضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من أعيان الفرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا الى يافا وقاتل ابن الافضل من بقي خمسة عشر يوما ثم أخذهم فقتل منهم أربعمائة صبرا وأسر ثلثمائة الى مصر ثم اختلف أصحابه في مقصدهم فقال قوم نقصد البيت المقدس ونتملكه وقال قوم نقصد يافا ونملكها فبينما هم في هذا الاختلاف اذ وصل الى الفرنج خلق كثير في البحر قاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغدوين للغزو ومعه فسار والى عسقلان وبها شرف المعالي فلم يكن يقوى بحربهم فلطف الله تعالى بالمسلمين فرأى الفرنج الحربية حصانة عسقلان وخافوا البيات فرحلوا الى يافا وعاد ولد الافضل الى أبيه فسير رجلا يقال له تاج العجم في البر وهو من أكبر مماليك أبيه وجهز معه أربعة آلاف فارس وسير في البحر رجلا يقال له القاضي ابن قادوس في الاسطول على يافا ونزل تاج العجم على عسقلان فاستدعاه ابن قادوس اليه ليتفقا على حرب الفرنج فقال تاج العجم ما يمكنني ان أنزل اليك الا بأمر الافضل ولم يحضر عنده ولا أعانه فارسل القادوسي الى قاضي عسقلان وشهودها وأعيانها وأخذ خطوطهم بانه أقام على يافا عشرين يوما واستدعى تاج العجم فلم يأته ولا أرسل رجلا فلما وقف الافضل على الحال أرسل من قبض على تاج العجم وأرسل رجلا لقبه جمال الملك فأسكنه عسقلان وجعله متقدم العساكر الشامية وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله البيت المقدس وفلسطين ما عدا عسقلان ولهم أيضا يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية وانطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان

مهين ولا يكاد يبين (ولبعض في ابن المرزبان وقد كان سأله دابة فمنعه) بعثت الى عقرف مطاعه فلم تراني ما فشت أركبه وان تكن صدته فما خلق الله صدوقا وأنت تركبه

(ولبعضهم أحسن فيه)

تضمن لي في حاجة ما أحبه فلما اقتضيت الوعد قطب واعتلى

وصرت عذارا شغله واتصاله ولولا اتصال الشغل ما كان أشغلا

(ولعلي بن محمد بن بسام) في هذه المعاني أشعار كثيرة اكتفينا بذكر البعض عن ايراد ما هو أكثر منه في هذا الكتاب لما قدمنا ذكره فيما سلف قبله من الكتب وقد كان أبو محمد ابن جعفر في غاية الستر والمروءة وكان رجلا مترفا حسن الزي ظاهر المروءة مشغوفا بالنساء (وذكر) أبو عبد الرحمن العتبي قال دخلت عليه يوما شاتيا شديد البرد ببغداد فاذا هو في قبة واسعة قد طليت بالطين الاحمر الارمني وهو يلوح بريقا فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعا في مثلها وفي وسطها كانون بزرافين اذا اجتمع ونصب كان مقداره عشرة أذرع في مثلها وقد ملئ بجمر الغضى وهو جالس في صدر القبة عليه غلالة تسترية وما فضل عن الكانون مفروش بالديباج الاحمر فأجلسني بالقرب منه فكدت أتلظى فدفع الي جام ماء الورد وقد مزج بالكافور فمسحت به وجهي ثم رأيته قد استسقى ماء فأتوه بماء رأيت

التوجه الى شروان فوصل الى اردبيل فأرسل اليه الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتى صاحب بعض أذربيجان وكانت قبله لابيه اسمعيل بن ياقوتى وهو خال السلطان بركيارق وكانت أخته زوجة السلطان محمد وهو مطالب السلطان بركيارق بثار أبيه وقد تقدم مقتله أول دولة بركيارق وقال له ينبغى ان تقدم الينا لنجتمع كلمتنا على طاعتك وقتال خصمنا فسار اليه مجدا وتصيدفى طريقه بين اردبيل وبيلقان وانفرد عن عسكره فوثب عليه نمر وهو غافل فجرح السلطان محمدا فى عضده فأخذ سكينا وشق بها جوف النمر فألقاه عن فرسه ونجا ثم ان مودود بن اسمعيل توفى فى النصف من ربيع الاول وعمره اثنتان وعشرون سنة ولما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد والملك مودود سار غير متوقف فوصل بعد موت مودود وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد وحاموا له وفيهم سكمان القبطى ومحمد بن باغيسيان الذى كان أبوه صاحب انطاكية وقزل ارسلان بن السبع الاحمر فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خوى من أذربيجان عند غروب الشمس ودامت الى العشاء الآخرة فاتفق ان الامير اياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين وحمل بهم وقد أعيا العسكر من الجهتين على عسكر السلطان محمد فكسرهم وولوا الادبار لا يلوى أحد على أحد فاما السلطان بركيارق فانه قصد جبلا بين مراغة وتبريز كثير العشب والماء فاقام به أياما وسار الى زنجان وأما السلطان محمد فانه سار مع جماعة من أصحابه الى أرجيش من بلاد أرمينية على أربعين فرسخا من الوقعة وهى من أعمال خلاط من جملة اقطاع الامير سكمان القبطى وسار منها الى خلاط واتصل به الامير على صاحب ارزن الروم وتوجه الى آنى وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروادى ومنها سار الى تبريز من أذربيجان وسنذكر باقى أخبارهم سنة سبع وتسعين عند صلحهم ان شاء الله وكان الامير محمد بن مؤيد الملك ابن نظام الملك مع السلطان محمد فى هذه الوقعة فرمنهزما ودخل ديار بكر وانحدر منها الى جزيرة ابن عمر وسار منها الى بغداد وكان فى حياة أبيه يقيم ببغداد فى سوق المدرسة فاتصلت الشكاوى منه الى أبيه فكتب الى كوهرآيين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة وتوجه سنة اثنتين وتسعين الى مجد الملك البلاسانى ووالده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل ان يخطب لنفسه بالسلطنة وتوجه بعد قتل مجد الملك الى والده وقد صار وزير السلطان محمد وخاطب لمحمد بالسلطنة وبقى بعد قتل والده واتصل بالسلطان محمد وحضر معه هذه الحرب فانهزم

(ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبى سعد بن الموصلايا فى الوزارة)

فى هذه السنة منتصف رجب قبض على الوزير سديد الملك أبى المعالى وزير الخليفة وحبس فى دار بدار الخلافة وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان فنقلوا اليه وكان مجلسه جميلا وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة فانه قضى عمره فى أعمال السلاطين وليس لهم هذه القواعد ولما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا الى النظر فى الديوان ومن عجيب ما جرى من الكلام الذى وقع بعد أيام ان سديد الملك كان يسكن فى دار عميد الدولة بن جهير ويجلس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوى فانشدوا أبياتا ارتجلها

سديد الملك سدت وخضت بحرا * عميق اللج فاحفظ فيه روحك
وأحى معالم الخيرات واجعل * لسان الصدق فى الدنيا فتوحك
وفى الماضين معتبر فأسرج * مروحك فى السلامة أو جموحك

ثم قال سديد الملك من شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد زمان ثم أشار الى الدار

آذنت بالتكشف

(وله فى العباس بن الحسن الوزير)

تجمل أوزار البرية كلها
وزير نظام العالمين مجاهر
ألم تر أسباب الذين تقدموا
وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر

(وله فى الوزير صاعد بن مخلد)

حمدنا الله شكرا ادنيا
حوتم ادوننا أيدى القرود
فما نالت أناملنا بشىء
علمناه سوى ذاك السجود

(وله فى العباس بن الحسن الوزير)

بنيت على دجلة مجلسا
تباهى به فعل من قد مضى
فلا تفرحن فكم مثل ذا
رأيناه ماتم حتى انقضى

(وله فى الوزير على بن محمد ابن الفرات)

وقفت شهورا للوزير أعدها
فلم تنسه نحوى الحقوق السوالف
فلا هو يرثى لى رعاية مثله
ولا أنا أستحيى الوقوف وآنف

(وله فى أبى جعفر محمد بن جعفر النوملى)

سألت أبا جعفر
فقال يدى تقصر
فقلت له عاجلا
يكون كما تذكر

(وله فيه)

ملية كية آتنى بها الفتى
فى ووجه مشوه ملعون

قامت لما بايديهم فى القو* لو يهذى كأنه مجنون صدق الله أنت من ذكر الله وقرأ

ابن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب ملكها اليه السلطان ملكشاه سنة تسع وسبعين وقد ذكرناه فيها

﴿ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملكشاه وكان سببه ان الحروب تطاولت بينهما وعم الفساد فصارت الاموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموع فيها محكوم عليها وأصبح الملوك مقهورين بعد ان كانوا قاهرين وكان الامراء الاكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وادلالهم وكان السلطان بركيارق حينئذ بالري والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين وكان السلطان محمد باذربيجان والخطبة له فيها وببلاد ارانية وارمينية وأصبهان والعراق كله الا تكريت وأما اعمال البطائح فيخطب ببعضها لبركيارق وببعضها لمحمد وأما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا وأما خراسان فان السلطان سنجر كان يخطب له في جميعها وهي من حدود جرجان الى ما وراء النهر ولاخيه السلطان محمد فلما رأى السلطان بركيارق المال عنده معدوما والطمع من العسكر زائدا أرسل القاضي أبا المظفر الجرجاني الحنفي وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمذاني المعروف بصاحب قراتكين الى أخيه محمد في تقرير قواعد الصلح فسار اليه وهو بالقرب من مراغة فذكرا له ما أرسلا فيه ورغباه في الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب وطمع عدو الاسلام في أطراف الارض فأجاب الى ذلك وأرسل فيه رسلا واستقر الامر وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتقررت القاعدة ان السلطان بركيارق لا يعترض أخاه محمدا في الطبل وان لا يذكر معه على سائر البلاد التي صارت له وان لا يكاتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرين ولا يعارض أحد من العسكر في قصد أيهما شاء وان يكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسبيذروذ الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة فاجاب بركيارق الى هذا وزال الخلاف والشغب وأرسل السلطان محمد الى أصحابه باصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد وتسليمه الى أصحاب أخيه وسار السلطان بركيارق الى اصبهان فلما سلمه اليه أصحاب أخيه دعاهم الى ان يكونوا معه وفي خدمته فامتنعوا وأوفوا وزموا خدمة صاحبهم فسماهم أهل العسكرين جميعا أهل الوفاء وتوجهوا من اصبهان ومعهم حريم السلطان محمد اليه وأكرمهم بركيارق وحمل لاهل أخيه المال الكثير ومن الدواب ثلثمائة جمل ومائة وعشرين بغلا تحمل الثقل وسير معهم العساكر يخدمونهم ولما وصلت رسل السلطان بركيارق الى الخليفة المستظهر بالله بالصلح وما استقرت القواعد عليه حضر ايلغازي بالديوان وسأل في اقامة الخطبة لبركيارق فأجيب الى ذلك وخطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى وخطب له من الغد بالجوامع وخطب له أيضا بواسط ولما خطب ايلغازي ببغداد لبركيارق وصار في جملته أرسل الامير صدقة الى الخليفة يقول كان أمير المؤمنين ينسب الي كل ما يتجدد من ايلغازي من الاخلال بواجب الخدمة وشرط الطاعة ومن اطراح المراقبة والآن فقد أبدى صفحته للسلطاني الذي استنابه وأنا غير صابر على ذلك بل أسير لاخراجه عن بغداد فلما سمع ايلغازي ذلك شرع في جمع التركمان وورد صدقة بغداد فنزل مقابل التاج وقبل الارض ونزل في مخيمه بالجانب الغربي ففارق ايلغازي بغداد الى يعقوبا وأرسل الى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق

أخيرا فقد ما كان عليه وأنه لم يسلم من لسانه انسان وله أخبار وهو كبرق الناس فيه ١٢٩ أثنا في مسوطه فيما سلف من كذا وما كان من قوله في القاسم بن عبيد الله ودخوله الى المعتضد وهو يلعب بالشطرنج ويتمثل بقول علي بن بسام

حياة هذا كموت هذا
فليس يخلو من المصائب

فلما شال رأسه نظر الى القاسم فاستحيا فقال يا قاسم اقطع لسان ابن بسام عنك فخرج القاسم مبادرا ليقطع لسانه فقال له المعتضد بالبر والشغل ولا تعرض له بسوء فولاه القاسم البريد والجسر بجند قنسرين والعواصم من أرض الشام وما كان من قوله في أسد بن جهور الكاتب وخبره معه وما عم به تباته أسدا وغيره من الكتاب وهو

تعس الزمان لقد أتى بعجائب
ومحا رسوم الظرف والآداب

أوما ترى أسد بن جهور قد أتى
متشبها بأجلة الكتاب

وأتى بأقوام لو انبسطت يدي
فيهم رددتهم الى الكتاب

(ولما قتل) العباس بن الحسن استوزر المقتدر علي بن محمد بن موسى بن الفرات يوم الاربعاء لاربع ليال خلون من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين فكانت وزارته الى أن سخط عليه ثلاث سنين وتسعة أشهر وأياما واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان في اليوم الذي سخط

صنجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام ولا ولدنا أبيها وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وقصد بذلك أن يخلوا السواد ممن يزرع لتقل المواد من الفرنج فيرحلوا عنه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة سادس المحرم توفيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله التي كانت زوجة السلطان طغرلبك وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة وكان الخليفة المستظهر بالله قد ألزمها بيتها لانه أبلغ عنها انها تسعى في ازالة دولته وفيها في شعبان أيضا استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير واستقدمه من الحلة من عند سيف الدولة صدقة وقد ذكرنا في السنة المتقدمة سبب مسيره اليها فلما قدم الى بغداد خرج كل ارباب الدولة فاستقبلوه وخلع عليه الخلع التامة وأجلس في الديوان ولقب قوام الدين وفيه أيضا قتل أبو المظفر بن الخجندي بالري وكان يعظ الناس فقتله رجل علوي حين نزل عن كرسيه وقتل العلوي ودفن الخجندي بالجامع وأصل بيت الخجندي من مدينة خجندة بما وراء النهر وينسبون الى المهلب بن أبي صفرة وكان نظام الملك قد سمع أبا بكر محمد بن ثابت الخجندي يعظ بمرو فأعجبه كلامه وعرف محله من الفقه والعلم فحمله الى اصبهان وصار مدرسا بمدرسته بها فنال جاها عريضا ودنيا واسعة وكان نظام الملك يتردد اليه ويزوره وفيها اجتمع ساغربك بما وراء النهر جموعا كثيرة وهو من أولاد الخانية وقصد محمد خان الذي ملكه السلطان سنجر سمرقند ونازعه في ملكها فضعف محمد خان عنه فأرسل الى السلطان سنجر يستنجده فسار الى سمرقند فأبعد عنه ساغربك وخافه واحتمى منه وأرسل يطلب الامان من سنجر والعفو فأجابه الى ما طلب وحضر ساغربك عنده وقرر الصلح بينه وبين محمد خان وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد الى خراسان فوصل الى مرو في ربيع الأول سنة سبع وتسعين وأربعمائة وفيها توفي أبو المعالي الصالح ساكن باب الطاق وكان مقلا من الدنيا له كرامات ظاهرة

﴿ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة﴾

في هذه السنة في المحرم استولى بلك بن بهرام بن أرتق وهو ابن أخي ايلغازي بن ارتق على مدينة عانة والحديثة وكان له مدينة سروج فأخذها الفرنج منه فسار عنها الى عانة وأخذها من بني يعيش بن عيسى بن خلاط فقصد بنو يعيش سيف الدولة صدقة بن مزيد ومعهم مشايخهم فسألوه الاصعاد اليها وان يتسلمها منهم ففعل وأصعد معهم فرحل التركمان وبهرام عنها وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى حلته فرجع بلك اليها ومعه ألفا رجل من التركمان فمانعه أصحابه قليلا واستدل على المخاضة اليها فخاضها وعبر وملكهم ونهبهم وسبى جميع حرمهم وانحدر طالباهيت من الجانب الشامي فبلغ الى قريب منها ثم رجع من يومه ولما سمع صدقة جهز العساكر ثم أعادهم عند عود بلك

﴿ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر﴾

في هذه السنة في صفر اغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا لما خرجوا من الرها افترقوا فرقتين وأبعدوا وتواعدوا ان تكون الغارة على البلدين فيه ففعلوا ما استقر بينهم وأغاروا واستاقوا المواشي وأسروا من وقع بأيديهم من المسلمين فكانت القلعة والرقة لسالم

فيه لجالم يكن لي وكذا لاانقطع ما يبقى ويليه ثم خرجت من عنده الى ردمانج وقد قال لى لا يصلح هذا البيت لمن يريد الخروج منه (قال) ودخلت عليه في بعض الايام وهو جالس في موضع في آخر داره وقد رفعه على بركة وفي صدره صفة وهو يشرف منها على البستان وعلى حير الغزلان وحظيرة القمارى وأشباهها فقلت يا أبا جعفر أنت والله جالس في الجنة قال فليس ينبغي لك أن تخرج من الجنة حتى تصطبح فيها فلما جلست واستقر بي المجلس حتى أتوه بمائدة جزع لم أر أحسن منها وفي وسطها جام جزع ملونة قد لوى على جنباتها الذهب الاحمر وهي مملوأة من ماء ورد وقد جعل ساقا على ساق كهيئة الصومعة من صدور الدجاج وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الاصباغ وأنواع الملح ثم أتينا بشنبوشق بلور وبعده جامات اللوزينج ورفعت المائدة وقمنا من فورنا الى موضع الستارة فقدم بين أيدينا اجانة صيني بيضاء قد كرمت بالبنفسج والخيري وأخرى مثلها قد عبي فيها التفاح الشامي قدرنا مقدار ما حضر فيها ألف حبة فما رأيت طعاما أنظف منه ولا ريحا أظرف منه فقال لي هذا حق الصبوح فما أنسى الى الساعة طيب ذلك اليوم (قال المسعودي) وانما ذكرنا هذا الخبر عن محمد بن جعفر ليعلم أن علي بن محمد ابنه

ابن

من أصحاب سقمان فأخذهم وحمل بردويل الى خيم صاحبه وقد سار فيمن معه لاتباع بيمند ورأى أصحاب جكرمش ان أصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكرمش أي منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له أخذ القمص فانفذ أخذ القمص من خيم سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الامر وركب أصحابه للقتال فردهم وقال لهم لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا أوثر شفاء غيظي بشماتة الاعداء بالمسلمين ورحل لوقته وأخذ سلاح الفرنج وراياتهم وألبس أصحابه لبسهم وأركبهم خيلهم وجعل يأتي حصون شيحان وبها الفرنج فيخرجون ظنا منهم ان أصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم فعل ذلك بعدة حصون وأما جكرمش فانه سار الى حران فتسلمها واستخلف بها صاحبه وسار الى الرها فحصرها خمسة عشر يوما وعاد الى الموصل ومعه القمص الذي أخذه من خيام سقمان ففاداه بخمسة وثلاثين دينارا ومائة وستين أسيرا من المسلمين وكان عدة القتلى من الفرنج يقارب اثنى عشر ألف قتيل

(ذكر وفاة دقاق وملك ولده)

في هذه السنة في شهر رمضان توفي الملك دقاق بن تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وخطب أتابكه طغتكين لولده صغير له سنة واحدة وجعل اسم الملك فيه ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش بن تتش عم هذا الطفل في ذي الحجة وله من العمر اثنتا عشرة سنة ثم ان طغتكين أشار عليه بقصد الرحبة فخرج اليها فملكها وعاد فمنعه طغتكين من دخول البلد فمضى الى حصون له وأعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق وقيل ان سبب استيحاش بكتاش من طغتكين ان والدته خوفته منه وقالت انه زوج والدة دقاق وهي لا تتركه حتى تقتلك ويستقيم الملك لولدها فخاف ثم انه حسن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج والعود الى دمشق وأخذها من طغتكين فخرج من دمشق سرا في صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه الامير ايتكين الحلبي وهو من جملة من قرر مع بكتاش ذلك وهو صاحب بصرى فعاثا في نواحي حوران ولحق بهما كل من يريد الفساد وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه فاجابهما الى ذلك وسارا اليه فاجتمعا به وقررا القواعد معه وأقاما عنده مدة فلم يريا منه غير التحريض على الافساد في أعمال دمشق وتخريبها فلما يئسا من نصره عادا من عنده وتوجها في البرية الى الرحبة فملكها بكتاش وعاد عنها واستقام أمر طغتكين بدمشق واستبد بالامر وأحسن الى الناس وبث فيهم العدل فسروا به سرورا كثيرا

(ذكر استيلاء صدقة على واسط)

في هذه السنة في شوال انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة الى واسط في عسكر كثير وأمر فنودي بها في الاتراك من أقام فقد برئت منه الذمة فسار جماعة منهم الى بركيارق وجماعة الى بغداد وسار مع صدقة جماعة منهم ثم انه أحضر مهذب الدولة بن أبي الجبر صاحب البطيحة وضمنه البلد مدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار وعاد الى الحلة وأقام مهذب الدولة بواسط الى سادس ذي القعدة وانحدر الى بلده

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول أطلق سديد الملك أبو المعالي من الاعتقال وهو الذي كان وزير الخليفة ولما أطلق هرب الى الحلة السيفية ومنها الى السلطان بركيارق فولاه الاشراف على

استوزر بعده عبيد الله بن محمد الكلوذاني ثم استوزر بعده الحسن بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وهو المقتول بالرقة ثم استوزر بعده الفضل بن جعفر ابن موسى بن الفرات (وقتل المقتدر بالله) ببغداد وقت صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وكان قتله في الوقعة التي كانت بينه وبين مؤنس الخادم بباب الشماسية من الجانب الشرقي وتولى دفن المقتدر العامة وكان وزيره في ذلك اليوم أبا الفتح الفضل بن جعفر (وذكر) ان الفضل أخذ الطالع في وقت ركوب المقتدر بالله الى الوقعة التي قتل فيها فقال له المقتدر أي وقت هو فقال وقت الزوال فتطير له المقتدر وأراد أن لا يخرج حتى أشرفت عليه خيل مؤنس فكان آخر العهد به من ذلك الوقت وكل سادس من خلفاء بني العباس مخلوع مقتول فكان السادس منهم محمد ابن هرون المخلوع والسادس الآخر المستعين والسادس الآخر المقتدر بالله (وللمقتدر أخبار حسان) وما كان في أيامه من الحروب والوقائع وأخبار ابن أبي الساج وأخبار مؤنس وأخبار سليمان بن الحسن الجنابي وما كان منه بمكة في سنة سبع عشرة وثلثمائة وغيرها وما كان في المشرق والمغرب قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار

بالصلح الواقع وان اقطاعه حلوان وغيرها فى جملة بلاده وان بغداد التى هو شحنة فيها قد صارت له فذلك الذى أدخله فى طاعته فرضى عنه صدقة وعاد الى الحلة وفى ذى القعدة سيرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق وللامير اياز وللوزير بركيارق وهو الخطير والعهد بالسلطنة وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا

﴿ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام﴾

فى هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية فيها التجار والاجناد والحجاج وغير ذلك واستعان بهم صنجيل الفرنجى على حصار طرابلس فحصروها معه برا وبحرا وضايقوها وقاتلوها أياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا عنها الى مدينة جبيل فحصروها وقاتلوا عليها قتالا شديدا فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمانا وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالامان وأخذوا أموالهم واستنقذوها بالعقوبات وأنواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين ملك الفرنج صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحصروها فى البر والبحر وكان الوالى بها اسمه بناو يعرف بزهر الدولة الجيوشى نسبه الى ملك الجيوش الافضل فقاتلهم أشد قتال فزحفوا اليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منه وملك الفرنج البلد بالسيف قهرا وفعلوا باهله الافعال الشنيعة وسار الوالى به الى دمشق فاقام بها ثم عاد الى مصر واعتذر الى الافضل فقبل عذره

﴿ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج﴾

لما استطال الفرنج خذلهم الله تعالى بما ملكوه من بلاد الاسلام واتفق لهم اشتغال عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا فتفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء واختلفت الاهواء وتمزقت الاموال وكانت حران لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه فاستخلف عليها انسانا يقال له محمد الاصبهانى وخرج فى العام الماضى فعصى الاصبهانى على قراجه وأعانه أهل البلد لظلم قراجه وكان الاصبهانى جلدا شهما فلم يترك بحران من أصحاب قراجه سوى غلام تركى يعرف بجاولى وجعله اصفهسلار العسكر وأنس به فجلس معه يوما للشرب فاتفق جاولى مع خادم له على قتله فقتلاه وهو سكران فعند ذلك سار الفرنج الى حران وحصروها فلما سمع معين الدولة سقمان وشمس الدولة جكرمش ذلك وكان بينهما حرب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه وكل منهما يستعد للقاء صاحبه وأنا أذكر سبب قتل جكرمش له ان شاء الله تعالى أرسل كل منهما الى صاحبه يدعوه الى الاجتماع معه لتلافى أمر حران ويعلمه انه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه فكل واحد منهما أجاب صاحبه الى ما طلب منه وسارا فاجتمعا على الخابور وتحالفا وسارا الى لقاء الفرنج وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والاكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف بينهم هنالك فاقتتلوا فأظهر المسلمون الانهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤا وامتلأت أيدى التركمان من الغنائم ووصلوا الى الاموال العظيمة لان سواد الفرنج كان قريبا وكان بيمند صاحب انطاكية وطنكرى صاحب الساحل قد انفردا وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم اذا اشتدت الحرب فلما خرجا رأيا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فاقاما الى الليل وهربا فتبعهم المسلمون وقتلوا من أصحابهما كثيرا وأسروا كذلك وافلتا فى ستة فرسان وكان القمص بردويل صاحب الرها قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم وخاضوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجاء تركمانى من

فيه على علي بن محمد بن موسى بن الفرات وهو يوم الاربعاء لاربع خلون من ذي الحجة وخلع عليه ولم يخلع على أحد غيره وقبض عليه يوم الاثنين لثمان خلون من المحرم سنة احدى وثلثمائة وخلع على الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وثلثمائة وقبض عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة أربع وثلثمائة واستوزر علي بن محمد بن الفرات ثانية وخلع عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة أربع وثلثمائة وقبض عليه يوم الخميس لاربع بقين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وخلع على الوزير حامد بن العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست وثلثمائة وأطلق علي بن عيسى فى اليوم الثانى من وزارته وهو يوم الاربعاء وفوضت الامور اليه وقبض على حامد بن العباس واستوزر علي بن محمد بن الفرات وهى الثالثة من وزارته وقد كان ولده محسن بن علي هو الغالب على الامور فى هذه الوزارة فاتى على جماعة من الكتاب واستوزر المقتدر عبد الله ابن محمد بن عبد الله الخاقانى ثم استوزر بعده أحمد بن عبيد الله الخصيبى ثم استوزر علي بن عيسى ثانية ثم استوزر علي بن محمد بن علي بن مقلة ثم استوزر بعده سليمان بن الحسن بن مخلد ثم

وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه ما لم يقاسه أحد واختلفت به الأحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله وأشرف في عدة نوب بعد اسلام النعمة على ذهاب المهجة ولما قوي أمره في هذا الوقت وأطاعه المخالفون وانقادوا له أدركته منيته ولم يهزم في حروبه غير مرة واحدة وكان امراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى انهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء ووقفت المعايش والمكاسب وكان أهلها مع ذلك يحبونه ويختارون سلطانه وقد ذكرنا من تقلب الأحوال به ما وقفت عليه ومن أعجبها دخوله أصبهان هاربا من عمه تتش فمكنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه فاتفق ان أخاه محمودا مات فاضطروا الى ان يملكوه وهذا من أحسن الفرج بعد الشدة وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة حسن القدرة لا يبالغ في العقوبة وكان عفوه أكثر من عقوبته

(ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق)

في هذه السنة خطب لملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد من الغد يوم الجمعة وكان سبب ذلك ان ايلغازي شحنة بغداد سار في المحرم الى السلطان بركيارق وهو بأصبهان يحثه على الوصول الى بغداد ووصل مع بركيارق فلما مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والأمير اياز الى بغداد فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر ولقوا في طريقهم بردا شديدا لم يشاهدوا مثله بحيث انهم لم يقدروا على الماء لجموده وخرج الوزير أبو القاسم علي بن جهير فلقيهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس وحضر ايلغازي والأمير طغايرك بالديوان وخاطبوا في اقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارق فأجيب اليها وخطب له ولقب بألقاب جده ملكشاه وهي جلال الدولة وغيره من الألقاب ونثرت الدنانير عند الخطبة له

(ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل)

لما اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرناه في السنة الخالية وسلم محمد مدينة أصبهان الى بركيارق وسار اليها أقام محمد بتبريز من أذربيجان الى ان وصل أصحابه الذين بأصبهان فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن أثره كان في حفظ أصبهان وأقام الى صفر من هذه السنة وسار الى مراغة ثم الى اربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصل ليأخذ بلاده فلما سمع جكرمش بمسيره اليه جدد سور الموصل ورم ما احتاج الى اصلاح وأمر أهل السواد بدخول البلد وأذن لأصحابه في نهب من لم يدخل وحصر محمد المدينة وأرسل الى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين أخيه وأن في جملة ما استقر ان تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه الكتب من بركيارق اليه بذلك والايمان على تسليمها اليه وقال له ان أطعت فأنا لا آخذها منك بل أقرها بيدك وتكون الخطبة لي بها فقال جكرمش ان كتب السلطان وردت الي بعد الصلح تأمرني ان لا أسلم البلد الى غيره فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال وزحف اليه بالنقابين والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقا كثيرا لمحبتهم لجكرمش لحسن سيرته فيهم فأمر جكرمش ففتح في السور أبواب لطاف يخرج منها الرجالة يقاتلون فكانوا يكثرون القتل في العسكر ثم زحف محمد مرة فنقب في السور أصحابه وأدركهم الليل فأصبحوا وقد عمره أهل البلد وشحنوه بالمقاتلة وكانت الأسعار عندهم رخيصة في الحصار كانت الحنطة تساوي كل ثلاثين مكوكا دينارا والشعير خمسون مكوكا بدينار وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعفر فكانوا يغيرون على أطراف العسكر ويمنعون الميرة عنهم فدام القتال عليهم الى عاشر جمادى الأولى فوصل الخبر الى جكرمش بوفاة السلطان بركيارق فأحضر أهل البلد واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان

وماثتين وانما حكينا الخلاف في ذلك (وفي هذه السنة) وهي سنة سبع وثمانين وماثتين كانت وفاة أبي عوف البزوري المعدل ببغداد وذلك في شوال وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن في الجانب الغربي وانما ذكر هؤلاء لاتفاقهم في السن واشتهارهم بذلك وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار الى معرفة وقت وفاتهم (وفيها) مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث وهو ابن أربع وثمانين سنة ودفن بباب آل حرب من الجانب الغربي وقد قدمنا في هذا الكتاب أخبار من ظهر من آل أبي طالب في أيام بني أمية وبني العباس وفي غيره مما سلف من كتبنا وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو حرب وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر من ظهر من آل أبي طالب واللمع من أخبارهم في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا من ايراد ذكرهم ومقاتلهم وغير ذلك من أخبارهم من منذ أمير المؤمنين الى الوقت الذي ينتهي اليه تصنيفنا لهذا الكتاب (وكانت) وفاة يحيى بن الحسين الرسي بعد أن قطن بمدينة صعدة من أرض اليمن في سنة ثمان وسبعين ومائتين وقام بعده ولده الحسين بن يحيى وكان

عمالكه وفيها توفي أمين الدولة أبو سعد العلاء بن الحسن بن الموصلايا فجأة وكان قد أضر وكان بليغا فصيحا وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة خدم الخلفاء خمسا وستين سنة كل يوم تزداد منزلته حتى ناب عن الوزارة وكان نصرانيا فأسلم سنة أربع وثمانين وكان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف أملاكه على أبواب البر ومكاتباته مشهورة حسنة والمقامات خلع على ابن أخته أبي نصر ولقب نظام الحضرتين وقلد ديوان الانشاء وفيها كانت ببغداد بين العامة فتن كثيرة وانتشر العيارون وفيها قتل أبو تميم بن مساوة الطبيب الواسطي وكان من الحذاق في الطب وله فيه اصابات حسنة وفيها عزل السلطان سنجر وزيره المجير أبا الفتح الطغرائي وسبب ذلك ان الامير برغش وهو اصفهسلار العسكر السنجري ألقى اليه ملطفا فيه لا يتم لك أمر مع هذا السلطان ووقع الى سنجر لا يتم لك أمر مع الامير برغش مع كثرة جموعه فجمع برغش أصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على كاتب الطغرائي وظهرت عليه فقتل وقبض سنجر على الطغرائي وأراد قتله فمنعه برغش وقال له حق خدمة فأبعده الى غزنة وفيها جمع برغش كثيرا من عساكر خراسان وأتاه كثير من المتطوعة وسار الى قتال الاسماعيلية فقصد طبس وهي لهم فخربها وما جاورها من القلاع والقرى وأكثر فيهم القتل والنهب والسبي وفعل بهم الافعال العظيمة ثم ان أصحاب سنجر أشاروا بأن يؤمنوا ويشرط عليهم انهم لا يبنون حصنا ولا يشترون سلاحا ولا يدعون أحدا الى عقائدهم فسخط كثير من الناس هذا الامان وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم ان برغش بعد عوده من هذه الغزاة توفي وكانت خاتمة أمره الجهاد رحمه الله وفي هذه السنة توفي أبو بكر علي بن أحمد بن زكرياء الطريثيثي وكان صوفيا محدثا مشهورا وفي رجب توفي القاضي أبو الحسين أحمد بن محمد الثقفي قاضي الكوفة ومولده في ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو من ولد عروة بن مسعود ومن تلاميذ القاضي الدامغاني وولي القضاء بعده ابنه أبو البركات وفي ربيع الآخر توفي أبو عبد الله الحسين بن علي بن البسري البندار المحدث ومولده سنة أربع وأربعمائة

﴿ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وفاة السلطان بركيارق﴾

في هذه السنة ثاني شهر ربيع الآخر توفي السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض باصبهان بالسل والبواسير فسار منها في محفة طالبا بغداد فلما وصل الى بروجرد ضعف عن الحركة فأقام بها أربعين يوما فاشتد مرضه فلما أيس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر وخلع على الامير اياز وأحضر جماعة الامراء وأعلمهم انه قد جعل ابنه ولي عهده في السلطنة وجعل الامير اياز أتابكه وأمرهم بالطاعة لهما ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده والذب عنها فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال في حفظ ولده وسلطنته عليه واستحلفهم على ذلك فحلفوا وأمرهم بالمسير الى بغداد فساروا فلما كانوا على اثني عشر فرسخا من بروجرد وصلهم خبر وفاته وكان بركيارق قد تخلف على عزم العود الى أصبهان فعاجلته منيته فلما سمع الامير اياز بموته أمر وزيره الخطير الميبذي وغيره بأن يسيروا مع تابوته الى أصبهان فحمل اليها ودفن في تربة جددتها السرية ثم ماتت بعد أيام فدفنت بازائه وأحضر اياز السرادقات والخيام والجتر والشمسة وجميع ما يحتاج اليه السلطان فجعله برسم ولده ملكشاه

﴿ذكر عمره وشيء من سيرته﴾

لما توفي بركيارق كان عمره خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتي عشرة سنة

الزمان مفصلا وفي الكتاب الاوسط مجملا وذكرنا منه في هذا الكتاب لمعا وأرجو أن يفسح الله لنا في البقاء ويمد لنا في العمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنون الاخبار وأنواعا من طرائف الآثار على غير نظم من تأليف ولا ترتيب من تصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ويوجد من نوادر الآثار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومختلط الآداب تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا لما تقدم من تصنيفنا (وكانت) وفاة موسى بن اسحق القاضي في خلافة المقتدر وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة الكوفي ودفن في الجانب الشرقي وكان هذا من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل وورد الخبر الى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الاربعة غرقت حتى عم الغرق الطواف وفاضت بئر زمزم وان ذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان (وفيها) كانت وفاة يوسف ابن يعقوب بن اسمعيل بن حماد القاضي وذلك في شهر رمضان بمدينة السلام وهو ابن خمس وتسعين سنة وقيل ان في هذه السنة كانت وفاة محمد بن داود بن خلف الاصبهاني الفقيه وقد قدمنا ذكره وان وفاته كانت في سنة ست وتسعين وأربعة

السلطان محمد وأدى الصفي رسالة صاحبه اياز واعتذر مما كان منه أيام بركيارق فأجابه محمد جوابا لطيفا سكن به قلبه وطيب نفسه وأجاب الى ما التمسه منه من اليمين فلما كان الغد حضر قاضي القضاة والنقيبان والصفي وزير اياز عند السلطان محمد فقال له وزيره سعد الملك ان اياز يخاف لما تقدم منه وهو يطلب الأمن لملكشاه ابن أخيك ولنفسه وللأمراء الذين معه فقال السلطان أما ملكشاه فانه ولدي ولا فرق بيني وبين أخي وأما اياز والامراء فأحلف لهم الا ينال الحسامي وصباوة فاستحلفه الكيا الهراسي مدرس النظامية على ذلك وحضر الجماعة اليمين فلما كان من الغد حضر الامير اياز عند السلطان محمد ولقيه وزير السلطان وكافة الناس ووصل سيف الدولة صدقة ذلك الوقت ودخلا جميعا الى السلطان فأكرمهما وأحسن اليهما وقيل بل ركب السلطان ولقيهما ووقف أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وأقام السلطان ببغداد الى شعبان وسار الى اصبهان وفعل فيها ما نذكره آنفا ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل الامير اياز)

في هذه السنة ثالث عشر جمادى الآخرة قتل الامير اياز قتله السلطان محمد وسبب ذلك ان اياز لما سلم السلطنة الى السلطان محمد وسار في جملته واستحلفه لنفسه فلما كان ثامن جمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره وهي دار كوهرائين ودعا السلطان اليها وقدم له شيئا كثيرا من جملته الحبل البلخش الذي أخذه من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وقد تقدم ذكر ذلك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد وكان من الاتفاق الردىء ان اياز تقدم الى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته ليعرضهم على السلطان فدخل عليهم رجل من أهل يتطايب معهم ويضحكون منه مع كونه يتصوف فقالوا له لابد من ان نلبسك درعا ونعرضك فألبسوه الدرع تحت قميصه وتناولوه بأيديهم وهو يسألهم ان يكفوا عنه فلم يفعلوا فاشتد ما فعلوا به فهرب منهم ودخل بين خواص السلطان معتصما بهم فرآه السلطان مذعورا وعليه لباس عظيم فاستراب به فقال لغلام له بالتركية ألمسه من غير ان يعلم أحد فلمسه فرأى الدرع تحت قميصه فأعلم السلطان بذلك فاستشعر وقال اذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح فكيف الاجناد وقوي استشعاره لكونه في داره وفي قبضته فنهض وفارق الدار وعاد الى داره فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الامير صدقة واياز وجكرمش وغيرهم من الامراء فلما حضروا أرسل اليهم انه بلغنا ان قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليملكها ويسير منها الى الجزيرة وينبغي ان تجتمع آراؤكم على من يسير اليه ليمنعه ويقاتله فقال الجماعة ليس لهذا غير الامير اياز فقال اياز ينبغي ان أجتمع أنا وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الامر والدفع لهذا القاصد فقيل ذلك للسلطان فأعاد الجواب يستدعي اياز وصدقة والوزير سعد الملك ليحضروا الامر في حضرته فنهضوا اليه فدخلوا اليه وكان قد أعد جماعة من خواصه ليقتلوا اياز اذا دخل اليه فلما دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه فأما صدقة فغطى وجهه بكمه وأما الوزير فانه غشي عليه ولف اياز في مسح وألقي على الطريق عند دار المملكة وركب عسكر اياز فنهبوا ما قدروا عليه من داره فأرسل السلطان من حماها من النهب وتفرق أصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة والدولة الكبيرة في لحظة بسبب هزل ومزاح فلما كان من الغد كفنه قوم من المتطوعة ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة رحمه الله وكان عمره قد جاوز أربعين سنة وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه ثم صار بعد موته في جملة أميرآخر فاتخذه ولدا وكان غزير المروأة شجاعا حسن

(وكان) وفاة أبي جعفر محمد بن ابراهيم بن جابر القاضي في شعبان وأدخل الليث بن ... الى مدينة السلام على الفيل في سنة سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله وقيل ان الليث أدخل الى مدينة السلام في سنة ثمان وتسعين ومائتين (وفي هذه السنة) وهي سنة ثمان وتسعين ومائتين مات ببغداد أبو بكر محمد بن سليمان المروزي المحدث صاحب الجاحظ وقيل أيضا ان وفاته كانت في سنة ثمان وتسعين (وفي هذه السنة) كان دخول فارس صاحب مراكب الروم وحربهم الى ساحل الشام فافتتح حصن القبة بعد حرب طويل وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين وافتتح مدينة اللاذقية فسبى منها خلقا كثيرا ووقع في الكوفة برد عظيم الواحدة رطل بالبغدادي وريح مظلمة وذلك في شهر رمضان وانهدم كثير من المنازل والبنيان وكان فيها رجفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس هكذا كان بالكوفة في سنة تسع وثمانين ومائتين وكان بمصر في هذه السنة زلزلة عظيمة وفيها طلع نجم الذنب (وفيها) غزا وهنالك صاحب الغزو البحر الرومي في مراكب المسلمين جزيرة قبرس وقد كانوا نقضوا العهد الذي كان في صدر الاسلام أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم وأن خراجهم نصفه

فقالوا أموالنا وأرواحنا بين يديك وأنت أعرف بشأنك فاستشر الجند فهم أعرف بذلك فاستشار أمراءه فقالوا لما كان السلطان حيا قد كنا على الامتناع ولم يتمكن أحد من طروق بلدنا وحيث توفى فليس للناس اليوم سلطان غيرهذا والدخول تحت طاعته أولى فأرسل الى محمد يبذل الطاعة ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل اليه فحضر الوزير عنده وأخذ بيده وقال المصلحة ان تحضر الساعة عند السلطان فانه لا يخالفك في جميع ما تلتمسه وأخذ بيده وقام فسار معه جكرمش فلما رآه أهل الموصل قد توجه الى السلطان جعلوا يبكون ويضجون ويحثون التراب على رؤسهم فلما دخل على السلطان محمد أقبل عليه وأكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال ارجع الى رعيتك فان قلوبهم اليك وهم متطلعون الى عودك فقبل الارض وعاد ومعه جماعة من خواص السلطان وسأل السلطان من الغد ان يدخل البلد لتزينه له فامتنع من ذلك فعمل سماطا بظاهر الموصل عظيما وحمل الى السلطان من الهدايا والتحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار

﴿(ذكر وصول السلطان الى بغداد وصلحه مع ابن أخيه والامير اياز)﴾

لما وصل خبر وفاة السلطان بركيارق الى أخيه السلطان محمد وهو يحاصر الموصل جلس للعزاء وأصلح جكرمش صاحب الموصل كما ذكرناه وسار الى بغداد ومعه سكمان القطبي وهو ينسب الى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتي بن داود واسمعيل بن عم ملكشاه وسار معه جكرمش وغيرهما من الامراء وكان سيف الدولة صدقة صاحب الحلة قد جمع خلقا كثيرا من العساكر فبلغت عدتهم خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأرسل ولديه بدران ودبيسا الى السلطان محمد يستحثه على المجيء الى بغداد فاستصحبهما معه الى بغداد فلما سمع الامير اياز بمسيره اليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه على طاعة ملكشاه بن بركيارق وكان أشدهم في ذلك ينال وصباو وفانهم بالغوا في الاطماع في السلطان محمد والمنع له من السلطنة فلما تفرقوا قال له وزيره الصفي أبو المحاسن يامولانا ان حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك وأنا أكثر التزاما بك من هؤلاء وليس الرأى ما أشاروا به فان كلا منهم يقصد ان يسلك طريقا وان يقيم سوقا لنفسه بك وأكثرهم يناويك في المنزلة وانما يقعدبهم عن منازعتك قلة العدد والمال والصواب مصالحة السلطان محمد وطاعته وهو يقرك على اقطاعك ويزيدك عليه مهما أردت فتردد رأى الامير اياز في الصلح والمباينة الا ان حركته في المباينة ظاهرة وجمع السفن التى ببغداد عنده وضبط المشارع من متطرق الى عسكره والى البلد ووصل السلطان محمد الى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الاولى ونزل عند الجانب الغربى باعلى بغداد وخطب له بالجانب الغربى وللكشاه بن بركيارق بالجانب الشرقى واما جامع المنصور فان الخطيب قال فيه اللهم اصلح سلطان العالم وسكت وخاف الناس من امتداد الشر والنهب فركب اياز في عسكره وهم عازمون على الحرب وسار الى ان أشرف على عسكر السلطان محمد وعاد الى مخيمه فدعا الامراء الى اليمين مرة ثانية على المخالصة لملكشاه فأجاب البعض وتوقف البعض وقالوا قد حلفنا مرة ولا فائدة في اعادة اليمين لاننا ان وفينا بالاولى وفينا بالثانية وان لم نف بالاولى فلا نفي بالثانية فأمر اياز حينئذ وزيره الصفي أبا المحاسن بالعبور الى السلطان محمد في الصلح وتسليم السلطنة اليه وترك منازعته فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر الى عسكر محمد واجتمع بوزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمد فعرفه ما جاء فيه فحضر عنده

له وزراء الرضا وهو محسن بن جعفر بن ٣٤ علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد في أعمال دمشق في سنة ثلثمائة وكانت له مع أبي العباس أحمد بن كيغلغ وقعة فقتل صبرا وقيل قتل في المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي وظهر ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن علي وأخرج عنها المسودة وذلك في سنة احدى وثلثمائة وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل وقد كان أقام في الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ومنهم جاهلية وكذلك الجيل فدعاهم الى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وغيرها وبنى في الديلم مساجد والديلم يزعم كثير من الناس من ذوي المعرفة بالنسب أنهم من ولد باسل ابن ضبة بن أد وأن الجيل من تميم وقد قيل ان دخول الاطروش الى طبرستان كان في أول يوم من المحرم سنة احدى وثلثمائة وان في هذا اليوم دخل صاحب البحرين البصرة وقتل أميرها عسكر المفلحي وقد أتينا على خبر الاطروش العلوي وخبر ولده وخبر أبي محمد الحسن بن القاسم الحسني الداعي واستيلائه على طبرستان ومقتله وما كان من الجيل والديلم في أمره في كتابنا أخبار الزمان (وكانت) وفاة أبي العباس أحمد بن شريح القاضي في سنة ست وثلثمائة

السلطان

فسير جكرمش الى سقمان مالا كثيرا وبرا فاخذه ورضى وقال انه قتل فى الحرب ولا يعرف قاتله وملك ماردين بعده ياقوتى أخوه على وصار فى طاعة جكرمش واستخدم أميرا معه على أيضا فارسل على الوالى بماردين الى سقمان يقول له ان أخيك يريد أن يسلم ماردين الى جكرمش فسار سقمان بنفسه وتسلمها فجاء اليه على ابن أخيه وطلب اعادة القلعة اليه فقال انما أخذتها لئلا يخرب البيت فاقطعه جبل جور ونقله اليه وكان جكرمش يعطى عليا كل سنة عشرين ألف دينار فلما أخذ عمه سقمان ماردين منه أرسل على الى جكرمش يطلب منه المال فقال انما كنت أعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاورتك والآن فاصنع ما أنت صانع فلا قدرة لك على

(ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان)

فى هذه السنة سار جمع كثير من الاسماعيلية من طريثيث عن بعض أعمال بيهق وشاعت الغارة فى تلك النواحى وأكثروا القتل فى أهلها والنهب لاموالهم والسبى لنسائهم ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة وفى هذه السنة اشتد أمرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا أيديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فمن جملة فعلهم ان قفل الحاج تجمع هذه السنة مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد فوصلوا الى جوار الرى فاتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤا وغنموا أموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيأ وقتلوا هذه السنة أبا جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية أخذ الفقه عن الخجندى وكان يدرس بالرى ويعظ الناس فلما نزل من كرسيه أتاه باطنى فقتله

(ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام)

فى هذه السنة فى شعبان كانت وقعة بين طنكرى الفرنجى صاحب انطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسببها ان طنكرى حصر حصن ارتاح وبها نائب الملك رضوان وضيق الفرنج على المسلمين فارسل النائب بالحصن الى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذى اضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان فى عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فساروا حتى وصلوا الى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما رأى طنكرى كثرة المسلمين أرسل الى رضوان يطلب الصلح فاراد ان يجيب فمنعه اصبهبذ صباو وكان قد قصده وسار معه بعد قتل اياز فامتنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا انعود ونحمل عليهم حملة واحدة فان كانت لنا والا انهزمنا فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم وأسر كثير واما الرجالة فانهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا فاشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج الا الشريد فاخذ أسيرا وهرب من فى ارتاح الى حلب وملكه الفرنج لعنهم الله تعالى وهرب اصبهبذ صباو الى طغتكين اتابك بدمشق فصار معه ومن أصحابه

(ذكر حرب الفرنج والمصريين)

فى ذى الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء وسببها ان الافضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالى فى السنة الخالية الى الفرنج فقهرهم وأخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منهما ان الفتح له فاتاهم سرية الفرنج فتقاعد كل فريق منهما بالآخر حتى كاد الفرنج يظهرون عليهم فرحل عند ذلك شرف المعالى الى أبيه بمصر فنفذ ولده الآخر وهو سناء الملك حسين فى جماعة من الامراء منهم جمال الملك النائب بعسقلان للمصريين وأرسلوا الى طغتكين اتابك بدمشق يطلبون منه عسكرا

كثير واستأمن رجل من وجوه البرابرة يعرف بابن حرة الى السلطان وسار الى

مدينة السلام فخلع عليه (وفى سنة) سبع عشرة وثلثمائة أدخل يوسف بن أبى الساج الى مدينة السلام وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دراعة الديباج التى ألبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلاجل وحوله الجيوش ومؤنس الخادم وراءه مع أرباب الدولة من أصحاب السيوف وقد أتينا على خبر هذه الوقعة التى أسر فيها مؤنس الخادم ابن أبى الساج بناحية اردبيل ومن حضرها من الامراء مثل ابن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلى بن حسان وأبى الفضل المروى وأحمد بن على بن صعلوك وغيرهم من الامراء والقواد وذكرنا تقليد المقتدر لابن أبى الساج وخروجه من ديار ربيعة ومضر الى بلاد اذربيجان التى هى من أعماله وأرمينية وما كان من غلامه سبك واستيلائه على عمل مولاه ومفارقته الفارقى وما كان من سائر أخبار ابن أبى الساج ومسيره الى واسط ثم مسيره الى الكوفة وما كان من خبره فى حربه لابى طاهر سليمان بن الحسن الجنابى وأسره اياه وقتله له نحو الانبار وهزيمته أشرف على سواده بليق ونظيف غلام ابن أبى الساج وما كان فى هذه الوقعة وهزمه لبليق ونظيف

للمسلمين ونصفه للروم وأقام … وهذا انه فى هذه الجزيرة أربعة أنهر يسمى وتعرف ونحو مواضع قد تحصن فيها وقد أتينا

(رأى فى الحرب وأما وزيره الصفى فانه اختفى ثم أخذ وحمل الى دار الوزير سعد الملك ثم قتل فى رمضان وعمره ست وثلاثون سنة وكان من بيت رياسة بهمذان

﴿ذكر وفاة سقمان بن أرتق﴾

كان فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه الى نصرته على الفرنج وبذل له المعونة بالمال والرجال فبينما هو يتجهز للمسير أتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره انه مريض قد أشفى على الموت وانه يخاف ان مات وليس بدمشق من يحميها أن يملكها الفرنج ويستدعيه ليوصى اليه وبما يعتمده فى حفظ البلد فلما رأى ذلك أسرع فى السير عازما على أخذ دمشق وقصد الفرنج طرابلس وابعادهم عنها فوصل الى القريتين واتصل خبره بطغتكين فخاف عاقبة ما صنع ولقوة فكره زاد مرضه ولامه أصحابه على ما فرط فى تدبيره وخوفوه عاقبة ما فعل وقالوا والله قد رأيت سيدك تاج الدولة لما استدعاه الى دمشق ليمنعه كيف قتله حين وقعت عينه عليه فبينما هم يدبرون الرأى باى حيلة يردونه أتاهم الخبر بانه وصل القريتين ومات وحمله أصحابه وعادوا به فأتاهم فرج لم يحتسبوه وكان مرضه الذى مات به الخوانيق يعتريه دائما فأشار عليه أصحابه بالعود الى حصن كيفا فامتنع وقال بل أسير فان عوفيت تممت ما عزمت عليه ولا يرانى الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفا من الموت وان أدركنى أجلى كنت شهيدا سائرا فى جهاد فساروا فاعتقل لسانه يومين ومات فى صفر وبقى ابنه ابراهيم فى أصحابه وجعل فى تابوت وحمل الى الحصن وكان حازما داهيا ذا رأى كثير الخير وقد ذكرنا سبب أخذه حصن كيفا وأما ملكه ماردين فان كربوقا خرج من الموصل فقصد آمد وحارب صاحبها فاستنجد صاحبها وهو تركمانى بسقمان فحضر عنده وصاف كربوقا وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر حينئذ صبيا قد حضر مع كربوقا ومعه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه فلما اشتد القتال ظهر سقمان فالقى أصحاب آقسنقر زنكى ولد صاحبهم بين أرجل الخيل وقالوا قاتلوا عن ابن صاحبكم فقاتلوا حينئذ قتالا شديدا فانهزم سقمان وأسروا ابن أخيه ياقوتى بن ارتق فحبسه كربوقا بقلعة ماردين وكان صاحبها انسانا مغنيا للسلطان بركيارق فطلب منه ماردين وأعمالها فأقطعه اياها فبقى ياقوتى فى حبسه مدة فمضت زوجة ارتق الى كربوقا وسألته اطلاقه فأطلقه فنزل عند ماردين وكانت قد أعجبته فأقام ليعمل فى تملكها والاستيلاء عليها وكان من عند ماردين من الاكراد قد طمعوا فى صاحبها المغنى وأغاروا على أعمال ماردين عدة دفعات فراسله ياقوتى يقول قد صار بيننا مودة وصداقة وأريد أن أعمر بلدك بان أمنع عنه الاكراد وأغير على الاماكن وآخذ الاموال أنفقها فى بلدك وأقيم فى الربض فأذن له فى ذلك فجعل يغير من باب خلاط الى بغداد فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة طلبا للكسب وهو يكرمهم ولا يعترضهم فامنوا اليه فاتفق ان فى بعض الاوقات نزل معه أكثرهم فلما عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم وسبقهم الى القلعة ونادى من بها من أهليهم ان فتحتم الباب والا ضربت أعناقكم فامتنعوا فقتل انسانا منهم فسلم القلعة من بها اليه وبقى بها ثم انه جمع جمعا وسار الى نصيبين وأغار على بلد جزيرة ابن عمر وهى لجكرمش فلما عاد أصحابه بالغنيمة أتاهم جكرمش وكان ياقوتى قد أصابه مرض يعجزه عن لبس السلاح وركوب الخيل فحمل الى فرسه فركبه وأصابه سهم فسقط منه فأتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له ما حملك على ما صنعت يا ياقوتى فلم يجبه فمات ومضت زوجة ارتق الى ابنها سقمان وجمعت التركمان وطلبت بثار ابن ابنها وحصر سقمان نصيبين وهى لجكرمش

على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند اخبارنا عن جبل الصاد ومبادى الانهار ومطارحها فمنع ذلك من اعادة وصفها (وفى سنة) احدى وثلثمائة مات عبد الله بن ناجية المحدث بمدينة السلام وكان مولده فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وكان القبض على ابن الجصاص الجوهرى بمدينة السلام فى سنة اثنتين وثلثمائة والذى صح مما قبض من ماله من العين والورق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار (وفيها) مات القاسم ابن الحسن بن الاشيب ويكنى أبا محمد يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى وكان من كبار العلماء والمحدثين ودفن فى الجانب الغربى فى الشارع المعروف بشارع الجاليق وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضى وأبو جعفر محمد بن اسحق بن البهلول القاضى وغيرهم من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة وهو أبو أبى عمران موسى بن القاسم بن الحسن المعروف بابن الاشيب وهو كبير من فقهاء الشافعيين فى هذا الوقت (وفى هذه السنة) وهى سنة اثنتين وثلثمائة ورد الجيش من الغرب فكان لاهل مصر من أصحاب السلطان معهم حروب عظيمة وقتل فيها خلق

فسير

في هذه السنة في المحرم أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس بن الب ارسلان وهو ابن عم السلطان محمد العصيان على السلطان محمد والخلاف عليه وسبب ذلك انه كان مقيما باصبهان فلحقته ضائقة شديدة وانقطعت المواد عنه فخرج منها وسار الى نهاوند فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر وظاهره على أمره جماعة من الامراء وتغلب على نهاوند وخطب لنفسه بها وكاتب الامراء بني برسق يدعوهم الى طاعته ونصرته وكان السلطان محمد قد قبض على زنكي بن برسق فكاتب زنكي اخوته وحذرهم من طاعة منكبرس وما فيها من الاذى والخطر وأمرهم بتدبير الامر في القبض عليه فلما أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا الى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار اليهم وساروا اليه فاجتمعوا به وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم وهي بلد خوزستان وتفرق أصحابه وأخذوا منكبرس الى أصبهان فاعتقله السلطان مع ابني عمه تكش وأخرج زنكي بن برسق وأعاده الى مرتبته واستنزله واخوته عن اقطاعهم وهي ليشتر وسابور خواست وغيرها ما بين الاهواز وهمذان واقطعهم عوضها الدينور وغيرها واتفق أن ظهر بنهاوند أيضا في هذه السنة رجل من السواد ادعى النبوة فاطاعه خلق كثير من السوادية واتبعوه وباعوا أملاكهم ودفعوا اليه أثمانها فكان يخرج ذلك جميعه وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وقتل بنهاوند فكان أهلها يقولون ظهر عندنا في مدة شهرين اثنان ادعى أحدهما النبوة والآخر الملكة فلم يتم لواحد منهما أمره

﴿ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج﴾

في هذه السنة في صفر كانت وقعة بين طغتكين اتابك صاحب دمشق وبين قمص كبير من قمامصة الفرنج وسبب ذلك انه تكررت الحروب والغارات بين عسكر دمشق وبغدوين فتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ففي آخر الامر بنى بغدوين حصنا بينه وبين دمشق نحو يومين فخاف طغتكين من عاقبة ذلك وما يحدث به من الضرر فجمع عسكره وخرج الى مقاتلتهم فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرهما الى هذا القمص ليعاضده ويساعده على المسلمين فعرفه القمص غناه عنه وانه قادر على مقارعة المسلمين ان قاتلوه فعاد بغدوين الى عكا وتقدم طغتكين الى الفرنج واقتتلوا واشتد القتال فانهزم أميران من عسكر دمشق فتبعهما طغتكين وقتلهما وانهزم الفرنج الى حصنهم فاحتموا به فقال طغتكين من احسن قتالهم وطلب مني أمرا فلته معه ومن اتاني بحجر من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير فبذل الرجالة نفوسهم وصعدوا الى الحصن وخربوه وحملوا الحجارة الى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم وأمر بالقاء الحجارة في الوادي واسروا من بالحصن فامر بهم فقتلوا كلهم واستبقى الفرسان أسراء وكانوا مائتي فارس ولم ينج ممن كان في الحصن الا القليل وعاد طغتكين الى دمشق منصورا فزين البلد أربعة أيام وخرج منها الى رفنية وهو من حصون الشام وقد تغلب عليه الفرنج وصاحبه ابن اخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج

﴿ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة﴾

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة وخفاجة وسببها ان رجلا من عبادة أخذ منه جماعة خفاجة جملا بن خفاء اليهم وطالبهم به فلم يعطوه شيئا فاخذ منهم غارة أحد عشر بعيرا فلحقته خفاجة وقتلوا من أصحابه رجلا وقطعوا يد آخر وكان ذلك بالموقف من الحلة السيفية فتفرق بينهم أهلها فجمعت عبادة الخبر فتواعدت وانحدرت الى العراق للأخذ بثأرها وساروا

عليهم وكان قليل التثبت في أمره مخوف السطوة فاذا ما وصفنا من فعله الى أن احتيل عليه في داره فقبض عليه وسملت كلتا عينيه وهو حي هذا في الجانب الغربي في دار ابن طاهر على ما نمى الينا من خبره واتصل بنا من أمره وذلك أن الراضي بالله غيب خبره وقطع ذكره فلما بويع ابراهيم المتقي لله أصيب القاهر معتقلا في بعض المقاصير فأمر به الى دار ابن طاهر فاعتقل بها الى هذه الغاية التي وصفنا (وذكر) محمد بن علي العبدي الخراساني الاخباري وكان القاهر به آنسا قال خلا بي القاهر فقال أصدقني أو هذه وأشار الى بالحربة فرأيت والله الموت عيانا بيني وبينه فقلت أصدقك يا أمير المؤمنين فقال لي انظر بقولها الا ثلاثا فقلت نعم يا أمير المؤمنين قال عما أسألك عنه ولا تغيب عني شيئا ولا تحسن القصة ولا تسجع فيها ولا تسقط منها شيأ قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أنت علامة بأخبار بني العباس من أخلاقهم وشيمهم من أبي العباس فمن دونه فقلت على أن لي الامان يا أمير المؤمنين قال ذلك لك قال قلت اما أبو العباس السفاح فكان سريعا الى سفك الدماء واتبعه عماله في الشرق والغرب من فعله واستنوا بسيرته مثل محمد بن الاشعث بالمغرب وصالح بن علي بمصر وحازم بن خزيمة وحميد بن قحطبة وكان مع ذلك

فارسل اليهم اصبهبذ صباوو ومعه ألف وثلثمائة فارس وكان المصريون في خمسة آلاف وقصدهم بغدوين الفرنجي صاحب القدس وعكة ويافا في ألف وثلثمائة فارس وثمانية آلاف راجل ووقع المصاف بينهم بين عسقلان ويافا فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى فقتل من المسلمين ألف ومائتان ومن الفرنج مثلهم وقتل جمال الملك أمير عسقلان فلما رأى المسلمون انهم قد تكافؤا في النكاية قطعوا الحرب وعادوا الى عسقلان وعاد صباوو الى دمشق وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش وكان طغتكين قد عدل في الملك الى ولد أخيه دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك الى قصد الفرنج والكون معهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من اعمال العراق وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الاموال ويقطعون الطريق الا انهم عندهم مراقبة فلما كان هذه السنة اطرحوا المراقبة وعملوا الاعمال الشنيعة فاستعمل ايلغازي بن ارتق وهو شحنة العراق على ذلك البلد ابن أخيه بلك بن بهرام بن ارتق وأمره بحفظه وحياطته ومنع الفساد عنه فقام في ذلك القيام المرضي وحمى البلاد وكف الايدي المتطاولة وسار بلك الى حصن خانيجار وهو من اعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه وفيها في شعبان جعل السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقي شحنة بالعراق وكان موصوفا بالخير والدين وحسن العهد لم يفارق محمدا في حروبه كلها وفيها اقطع السلطان محمد الكوفة للامير قايماز وأوصى صدقة ان يحمي أصحابه من خفاجة فاجاب الى ذلك وفيها في شهر رمضان وصل السلطان محمد الى اصبهان فامن أهلها وثقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط والعسف والمصادرة وشتان بين خروجه منها هاربا متخفيا وعوده اليها سلطانا متمكنا وعدل في أهلها وازال عنهم ما يكرهون وكف الايدي المتطرقة اليهم من الجند وغيرهم فصار كلمة العامي أقوى من كلمة الجندي ويد الجندي قاصرة عن العامي من هيبة السلطان وعدله وفيها كثر الجدري في كثير من البلدان لا سيما العراق فانه كان به كله ومات به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت عظيم وتوفي في هذه السنة في شوال أحمد بن محمد بن أحمد أبو علي البرداني الحافظ ومولده سنة ست وعشرين وأربعمائة سمع ابن غيلان والبرمكي والعشاري وغيرهم وتوفي أبو المعالي ثابت بن بندار بن ابراهيم البقال ومولده سنة ست عشرة وأربعمائة سمع أبا بكر البرقاني وأبا علي بن شاذان وكانت وفاته في جمادي الآخرة من هذه السنة وفي رابع جمادي الاولى توفي أبو الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الفقيه الشافعي ومولده سنة تسع وأربعمائة وكان أديبا شاعرا فمن قوله

من قال لي جاه ولي حشمة * ولي قبول عند مولانا
ولم يعد ذلك بنفع على * صديقه لا كان من كانا

وفيها أيضا توفي أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا وكان كاتبا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره سبعين سنة ولم يخلف وارثا لانه أسلم وأهله نصارى فلم يرثوه وكان يبخل الا انه كان كثير الصدقة وأبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوي كان واعظا شاعرا كاتبا قدم بغداد ووعظ بها ونصر مذهب الاشعري وكان له قبول عظيم وخرج منها فمات باسفراين

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة)

(ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد)

وبمسير القرمطي ونزوله على هيت وغير ذلك وذلك في سنة خمس عشرة وثلثمائة فيما سلف من كتابنا وكذلك ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ومن كان معه من أولياء السلطان من القتال لحبش صاحب المغرب بمصر وذلك في سنة تسع وثلثمائة

(ذكر خلافة القاهر بالله)

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ثم خلع يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادي الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ويكنى بأبي منصور وأمه أم ولد

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

واستوزر القاهر أبا علي محمد بن علي بن مقلة في سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم عزله واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم ابن عبد الله الخصيبي وكانت أخلاقه لا تكاد تحصى لتقلبه وتلونه وكان شهما شديد البطش بأعدائه وأباد جماعة من أهل الدولة منهم مؤنس الخادم وبليق وعلي بن بليق فهابه الناس وخشوا صولته واتخذ حربة عظيمة يحملها في يده اذا سعى في داره ويطرحها بين يديه في حال جلوسه يباشر الحرب بتلك الحربة ان يريد قتله فسكن من كان يستعدي على من قبله من الخلفاء والتشعب والوثب

في

الذين جمعهم اسمعيل خلقا كثيرا وانهزم اسمعيل الى قلعته بالجزيرة فادركه بعض أصحاب سيف الدولة وأراد قتله ففداه أحمد غلمانه بنفسه فوقعت الضربة فيه فقتلته فنهبت البصرة وغنم من معه من عرب البر وغيرهم مافيها ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربدفان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة لاهل البلد سوى من ذكرنا وامتنع اسمعيل بقلعته فاتفق ان المهذب بن أبي الجبر انحدر في سفن كثيرة وأخذ القلعة التي لاسمعيل بمطارا وقتل بها خلقا من أصحاب اسمعيل وحمل الى صدقة كثيرا فاطلقهم فلما علم اسمعيل بذلك ارسل الى صدقة يطلب الامان على نفسه وأهله وأمواله فاجابه الى ذلك وأجله سبعة أيام فأخذ كل ما يمكنه حمله مما يعز عليه وما لم يقدر على حمله أهلكه بالماء وغيره ونزل الى سيف الدولة وأمن سيف الدولة أهل البصرة من كل أذى ورتب عندهم شحنة وعاد الى الحلة ثالث جمادى الآخرة وكان مقامه بالبصرة ستة عشر يوما وأما اسمعيل فانه لما سار صدقة الى الحلة قصد هو الباسيان الى ان وصل له ماله في المراكب وسار نحو فارس وصار شعث أصحابه وزوجته وقبض على جماعة من خواصه وقال لهم أنتم سقيتم ولدي افراسياب السم حتى مات وكان قد مات في صفر من هذه السنة ففارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته وسارت الى بغداد وأخذته الحمى وقويت عليه فلما بلغ رامهرمز انفرد في خيمة ولم يظهر لاصحابه يوما وليلة فظهر لهم موته فنهبوا ماله وتفرقوا فارسل الامير برامهرمز فردهم وأخذ ما معهم من أمواله ودفن بالقرب من ايذج وكان عمره قد جاوز خمسين سنة وكانت سيرته قد حسنت في أهل البصرة اخيرا

﴿ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها﴾

في هذه السنة في شهر رمضان حصر الملك رضوان بن تتش نصيبين وسبب ذلك انه عزم على حرب الفرنج واجتمع معه من الامراء ايلغازي بن ارتق الذي كان شحنة بغداد والاصبهبذ صباو ووالي ابن ارسلان تاش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل فقال ايلغازي الرأي اننا نقصد بلاد جكرمش وما والاها فنملكها ونتكثر بعسكرها والاموال ووافقه الي فسار الى نصيبين في عشرة آلاف فارس مستهل رمضان وكان قد جعل فيها أميرين من أصحابه في عسكر فتحصنوا بالبلد وقاتلوا من وراء السور فرمي الي بن ارسلان تاش بنشابة فجرح جرحا شديدا فعاد الى سنجار وأما جكرمش فانه بلغه الخبر بنزولهم على نصيبين وهو بالخامسة التي بالقرب من طنزة يتداوى بمائها من مرضه فرحل الى الموصل وقد اجتمع اليها أهل السواد فخيم على باب البلد عازما على حرب رضوان واستعمل المخادعة فكاتب اعيان عسكر رضوان ورغبهم حتى افسد نياتهم وتقدم الى أصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان وباخراج الاقامة اليه مع الاحتراز منه وارسل الى رضوان يبذل له خدمته والدخول في طاعته ويقول له ان السلطان محمدا قد حصرني ولم يبلغ مني غرضا فترحل عن صلح وان قبضت على ايلغازي الذي قد عرفت أنت وغيرك فساده وشره فانا معك ومعينك بالرجال والاموال والسلاح فاتفق هذا ورضوان قد تغيرت نيته مع ايلغازي فازداد تغيرا وعزم على قبضه فاستدعاه يوما وقال له هذه بلاد ممتنعة وربما استولى الفرنج على حلب والمصلحة مصالحة جكرمش واستصحابه معنا فانه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمل ونعود الى قتال الفرنج فان ذلك نعماه ود باجتماع شمل المسلمين فقال له ايلغازي انك جئت بحكمك وأنت الآن بحكمي لا أمكنك من المسير بدون اخذ هذه البلاد فان أقمت والا بدأت بقتالك وكان

ومقدم من ولده فسقطت وبادت العرب وزال بأسها وذهبت مراتبها وأفضت الخلافة اليهم فتطرق في العلوم ونزا المذاهب وارتاضوا في الآراء ووثب على الحل وكتب الحديث وكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم قال القاهر وقد قلت فأحسنت وعبرت فبينت فأخبرني عن المهدي كيف كانت خلافته قلت كان سمحا سخيا كريما جوادا فسلك الناس في عصره سبيله وذهبوا في أمرهم مذهبه واتسعوا في معاشهم وكان من فعله في ركوبه أن يحمل معه بدر الدنانير والدراهم فلا يسأله أحد الا أعطاه وان سكت ابتدأه فرق بين يديه وقد تقدم بذلك اليه وامعن في قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم في أيامه واعلانهم باعتقاداتهم في خلافته لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية وما صنف من ذلك ابن أبي العوجاء وحماد عجرد ويحيى ابن زياد ومطيع بن اياس من تأييد المذاهب المانية والديصانية والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم في الناس وكان المهدي أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم وأقاموا البراهين على المعاندين وأزالوا شبه

مع جماعة من أمرائهم فبلغت عدتهم سبعمائة فارس وكانت خفاجة دون هذه العدة فراسلهم خفاجة يبذلون الدية ويصطلحون فلم تجبهم الى ذلك عبادة وأشار به سيف الدولة صدقة فلم تقبل عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة ومع عبادة الابل والغنم والبيوت فكمنت لهم خفاجة ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد في القتال فداموا كذلك ثلاثة أيام ثم انهم اشتد بينهم القتال واختلطوا حتى تركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبينماهم كذلك وقد أعيا الفريقان من القتال اذ طلع كمين خفاجة وهم مستريحون فانهزمت عبادة وانتصرت عليهم خفاجة وقتل من وجوه عبادة اثنا عشر رجلا ومن خفاجة جماعة وغنمت خفاجة الاموال من الخيل والابل والغنم والعبيد والاماء وكان الامير صدقة بن مزيد قد أعان خفاجة سرا فلما وصل المنهزمون اليه هنأهم صدقة بالسلامة فقال له بعضهم مازلت أقاتل وأضارب وأنا طامع في الظفر بهم حتى رأيت فرسك الشقراء تحت أحدهم فعلمت انهم أجلبوا علينا بخيلك ورجالك وانا لا طاقة لنا بهم فنصر واعلينا بعونتك وفاوبا بعد ذلك فلم يجبه صدقة

﴿ذكر ملك صدقة البصرة﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى انحدر سيف الدولة من الحلة الى البصرة فملكها وقد ذكرنا فيما تقدم تمكن اسمعيل بن ارسلانجق من البصرة ونواحيها وأقام بها عشر سنين نافذ الامر وازداد قوة وتمكنا بالاختلاف الواقع بين السلاطين وأخذ الاموال السلطانية وكان قد راسل صدقة واظهر له انه في طاعته وموافقته فلما استقر الامر للسلطان محمد أراد أن يرسل الى البصرة مقطعا يأخذها من اسمعيل فخاطب صدقة في معناه حتى أقرت البصرة عليه فانفذ السلطان عميدا اليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان هنالك فمنعه اسمعيل ولم يمكنه من عمله وفعل ما خرج به عن حد المجاملة فامر السلطان صدقة بقصده وأخذ البصرة منه فتحرك لذلك فاتفق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وانه على قصد واسط فسر اسمعيل بذلك وزاد انبساطه وأرسل صدقة حاجبا له وكان قبله قد خدم اباه وجده الى اسمعيل يأمره بتسليم الشرطة وأعمالها الى مهذب الدولة بن أبي الجبر لانها كانت في ضمانه فوصل الى الشرطة وأخذ منها أربعمائة دينار فاحضره اسمعيل وحبسه وأخذ الدنانير منه فلما رأى صدقة مكاشفته سار من حلته وأظهر انه يريد قصد الرحبة ثم جد السير الى البصرة فلم يشعر اسمعيل الا بقربه منه ففرق أصحابه في القلاع التي استجدها بمطارا ونهر معقل وغيرهما واعتقل وجوه العباسيين والعلويين وقاضي البصرة ومدرسها وأعيان أهلها ونازلهم صدقة فجرى قتال بين طائفة من عسكره وطائفة من البصريين قتل فيه أبو النجم ابن أبي القاسم الوراني وهو ابن خال سيف الدولة صدقة فمما مدح به سيف الدولة ورثي به أبو النجم ابن أبي القاسم قول بعضهم

تمن بالخيرون بحمى حريم حتى * فصار غثت به الدنيا مع الدين
ركبت للبصرة الغراء في شذب * غر كجيش على يوم صفين
هوى أبو النجم كالنجم المنير بها * لكنه كان رجما للشياطين

وأقام صدقة محاصرا لاسمعيل بالبصرة فاشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها واعلموه انهم لا يظفرون بطائل فاشار عليهم بالمقام وقالوا ان رحلنا كانت كسرة وكان رأى سيف الدولة المقام وقال ان تعذر على فتح البصرة لم يطعني أحد واستجرئ الناس ثم ان اسمعيل خرج من البلد وقاتل صدقة فسار بعض أصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد ودخلوه وقتلوا من السوادية

عمر ابن شبة وصوا ولا تجوا ذا ابا ال وسالك من ذكرنا من كان في عصره سبيله وذهبوا مذهبه مؤتمين به قال وأخبرني عن المنصور قلت الصدق بأمير المؤمنين قال الصدق قلت كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبي طالب وقد كان قبل ذلك أمرهم واحدا وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسي المنجم وأسلم على يديه وهو أبو هؤلاء النوبختية وابراهيم الفزاري المنجم صاحب القصيدة في النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الارثماطيقي وكتاب اقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها وفي أيامه وضع محمد بن اسحق كتاب المغازي والسير وأخبار المبتدا ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم في مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك الخلفاء من

الذين

المعروف بابن الصائغ وهو من أعيان أصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم وواقفهم على الفتك بابن ملاعب وان يسلم افامية الى الملك رضوان فظهر شيء من هذا فأتى الى ابن ملاعب أولاده وكانوا قد نسلوا اليه من مصر وقالوا له قد بلغنا عن هذا القاضي كذا وكذا والرأي ان تعاجله وتحتاط لنفسك فان الامر قد اشتهر وظهر فأحضره ابن ملاعب فأتاه في كمه مصحف لانه رأى امارات الشر فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه فقال له أيها الامير قد علم كل أحد اني أتيتك خائفا جائعا فامنتني وأغنيتني وعززتني فصرت ذا مال وجاه فان كان بعض من حسدني على منزلتي منك وما غمرني من نعمتك سعى بي اليك فأسألك ان تأخذ جميع ما معي وأخرج كما جئت وحلف له على الوفاء والنصح فقبل عذره وأمنه وعاود القاضي مكاتبة أبي طاهر بن الصائغ وأشار عليه ان يوافق رضوانا على انفاذ ثلثمائة رجل من أهل سرمين وينفذ معهم خيلا من خيول الفرنج وسلاحا من أسلحتهم ورؤسا من رؤس الفرنج ويأتون الى ابن ملاعب ويظهرون انهم غزاة ويشكون من سوء معاملة الملك رضوان وأصحابه لهم وانهم فارقوه فلقيهم طائفة من الفرنج فظفروا بهم ويحملون جميع ما معهم اليه فاذا أذن لهم في المقام اتفقت آراؤهم على اعمال الحيلة عليه ففعل ابن الصائغ ذلك ووصل القوم الى افامية وقدموا الى ابن ملاعب ما معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم وأمرهم بالمقام عنده وأنزلهم في ربض افامية فلما كان في بعض الليالي نام الحراس بالقلعة فقام القاضي ومن بالحصن من أهل سرمين ودلوا الحبال وأصعدوا أولئك القادمين جميعهم وقصدوا أولاد ابن ملاعب وبني عمه وأصحابه فقتلوهم وأتى القاضي وجماعة معه الى ابن ملاعب وهو مع امرأته فأحس بهم فقال من أنت فقال ملك الموت جئت لقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل أصحابه وهرب ابناه فقتل أحدهما والتحق الآخر بأبي الحسن بن منقذ صاحب شيزر فقتله لعهد كان بينهما ولما سمع ابن الصائغ خبر افامية سار اليها وهو لا يشك انها له فقال له القاضي ان وافقتني وأقمت معي فبالرحب والسعة وانت بحكمك والا فارجع من حيث جئت فايس ابن الصائغ منه وكان أحد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين غضبان على أبيه فولاه طغتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ الطريق فلم يفعل وقطع الطريق وأخذ القوافل فاستغاثوا الى طغتكين منه فأرسل اليه من طلبه فهرب الى الفرنج واستدعاهم الى حصن افامية وقال ليس فيه غير قوت شهر فأقاموا عليه يحاصرونه فجاع أهله وملكه الفرنج وقتلوا القاضي المتغلب عليه وأخذوا ابن الصائغ فقتلوه وكان هو الذي أظهر مذهب الباطنية بالشام هكذا ذكر بعضهم ان أبا طاهر بن الصائغ قتله الفرنج بافامية وقد قيل ان ابن بديع رئيس حلب قتله سنة سبع وخمسمائة بعد وفاة رضوان وقد ذكرناه هنالك والله أعلم

﴿ذكر نهب العرب البصرة﴾

قد ذكرنا استيلاء الامير صدقة على البصرة وانه استناب بها مملوكا كان لجده دبيس بن مزيد اسمه التونتاش وجعل معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم اليها من العرب وقصدوا البصرة في جمع كثير فقاتلهم التونتاش فأسر وانهزم أصحابه ولم يقدر من بها على حفظها فدخلوها بالسيف وأحرقوا الاسواق والدور الحسان ونهبوا ما قدروا عليه وأقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوما وتشرد أهله في السواد ونهبت خزانة كتب

والبرك والآثار بركة وطريقها المعروف الى هذه الغاية وما أحدثه من الدور والتسبيل بالثغر الشامي وطرسوس وما أوقف على ذلك من الوقوف وما طرق أيامه من قتل البرامكة ووجوههم وأفاضلهم وما اشتهر عنهم من أفعالهم وكان الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان في الميدان ورمى بالنشاب في البرجاس ولعب بالاكرة والطبطاب وقرب الحذاق في ذلك فعم الناس ذلك الفعل وكان أول من لعب بالشطرنج من خلفاء بني العباس والنرد وقدم اللعاب وأجرى عليهم الرزق فسمى الناس أيامه لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها أيام العروس وكثير ممن يجاوز النعت ويتفاوت فيه الوصف قال الشاهر فأراك قد قصرت في تفضيل أم جعفر فلم ذلك قالت يا أمير المؤمنين ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز قال فتناول الحربة وهزها فرأيت الموت الاحمر في طرفها ثم برق عينيه مع ذلك فاستسلمت وقلت هذا ملك الموت ولم أشك انه يقبض روحي فأهوى بها نحوي فزغت عنها فاسترجع وقد أخطأتني فقال ويلك أنقضت ما فيه عيناك وملت الحياة قلت هو يا أمير المؤمنين قال أخبار أم جعفر زدني منها قالت نعم يا أمير المؤمنين كان من فعلها وحسن سيرتها في الجد والهزل ما برزت فيه على غيرها فأما الجد والآثار الجليلة التي لم يكن في الاسلام

الغازي قد قويت نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان وكان الملك رضوان قد واعد قوما من أصحابه ليقبضوا عليه فلما جرى ما ذكرناه أمرهم رضوان فقبضوا عليه وقيدوه فلما سمع التركمان الحال أظهروا الخلاف والامتعاض ففارقوا رضوان والتجؤا الى سور المدينة وأصعدوا الغازي الى قلعتها وخرج من نصيبين من العسكر فأمنوه فلما رأى التركمان ذلك تفرقوا ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها ورحل رضوان من وقته وسار الى حلب وكان جكرمش قد رحل من الموصل قاصدا لحرب القوم فلما بلغ تل يعفر أتاه المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق فرحل عند ذلك الى سنجار ووصلت اليه رسل رضوان يستدعي منه النجدة ويعده عليه ما فعل بالغازي فأجابه مغالطة ولم يف له بما وعده ونازل سنجار ليشفي غيظه من صهره ألبي بن ارسلان تاش بما اعتمده من معاداته ومظاهرة أعدائه وكان ألبي على شدة من المرض بالسهم الذي أصابه على نصيبين فلما نازل جكرمش علم بالأمر ألبي أصحابه ان يحملوه اليه فحملوه في محفة فحضر عنده وأخذ يعتذر مما كان منه وقال جئت مذنبا فافعل بي ما تراه فرق له وأعاده الى بلده فلما عاد قضى نحبه فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار وتمسكوا بالبلد فقاتله بقية رمضان وشوال ولم يظفر منهم بشيء فجاء تميرك أخو ارسلان تاش عم ألبي فأصلح حاله مع جكرمش وبذل له الخدمة فعاد الى الموصل

(ذكر ملك طغتكين بصرى)

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين حال بكتاش بن تتش وخروجه من دمشق واتصاله بالفرنج ومعه آيتكين الحلبي صاحب بصرى وسيرهما الى الرحبة وعودهما فلما ضعفت أحوالهم سار طغتكين الى بصرى فحصرها وبها أصحاب آيتكين فراسلوا طغتكين وبذلوا له التسليم اليه بعد أجل قرروه بينهم فأجابهم الى ذلك فرحل عنهم الى دمشق فلما انقضى الاجل هذه السنة تسلمها وأحسن الى من بها ووفى لهم بما وعدهم وبالغ في اكرامهم وكثر الثناء عليه والدعاء له ومالت النفوس اليه وأحبوه

(ذكر ملك الفرنج حصن افامية)

في هذه السنة ملك الفرنج حصن افامية من بلد الشام وسبب ذلك ان خلف بن ملاعب الكلابي كان متغلبا على حمص وكان الضرر به عظيما ورجاله يقطعون الطريق فكثر الحرامية عنده فأخذها منه تتش بن ألب أرسلان وأبعده عنها فتقلبت به الاحوال الى ان دخل الى مصر فلم يلتفت اليه من بها فأقام بها واتفق ان المتولي لافامية من جهة الملك رضوان أرسل الى صاحب مصر وكان يميل الى مذهبهم يستدعي منهم من يسلم اليه الحصن وهو من أمنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به وقال انني أرغب في قتال الفرنج وأوثر الجهاد فسلموه اليه وأخذوا رهائنه فلما ملكه خلع طاعتهم ولم يرع حقهم فراسلوا اليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم فأعاد الجواب انني لا انزل من مكاني وابعثوا الي ببعض اعضاء ولدي حتى آكله فأيسوا من رجوعه الى الطاعة وأقام بافامية يخيف السبيل ويقطع الطريق واجتمع عنده كثير من المفسدين فكثرت أمواله ثم ان الفرنج ملكوا سرمين وهي من أعمال حلب وأهلها غلاة في التشيع فلما ملكه الفرنج تفرق أهله فتوجه القاضي الذي به الى ابن ملاعب وأقام عنده فأكرمه وأحبه ووثق به فأعمل القاضي الحيلة عليه وكتب الى أبي طاهر

الغدير فارجعوا الحق الشاكين وشرع في بناء المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم على ما هما عليه الى هذه الغاية وبنى بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل قال فاخبرني عن الهادي على قصر أيامه كيف كانت أخلاقه وشيمه قلت كان جبارا عظيما وأول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة المشهورة والقسي الموتورة فسلكت عماله طريقته وعموا منهجه وكثر السلاح في عصره قال لقد أجدت في وصفك وبالغت فيما ذكرت من قولك فأخبرني عن الرشيد كيف كانت طريقته قلت كان مواظبا على الحج والغزو واتخاذ المصانع والآبار والبرك والقصور في طريق مكة وأظهر ذلك بها وبمنى وعرفات ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم فعم الناس احسانه مع ما قرن به من عدله ثم بنى الثغور ومدن المدن وحصن فيها الحصون مثل طرسوس وأذنة وعمر المصيصة ومرعش وأحكم بناء الحرب وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين واتبعه عماله وسلكوا طريقته وقفته رعيته مقتدية بعمله مستنة بامامته فقمع الباطل وأظهر الحق وأنار الاسلام وبرز على سائر الامم وكان أحسن الناس في أيامه فعلا أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما أحدثته من بناء دور السبيل بمكة واتخاذ المصانع

المعروف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ورد الى بغداد انسان من الملثمين ملوك الغرب قاصدا الى دار الخلافة فأكرم وكان معه انسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا فوعظ الفقيه في جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو متلثم لا يظهر منه غير عينيه وكان هذا الملثم قد حضر مع ابن الافضل أمير الجيوش بمصر وقعته مع الفرنج وأبلى بلاء حسنا وكان سبب مجيئه الى بغداد ان المغاربة كانوا يعتقدون في العلويين أصحاب مصر الاعتقاد القبيح فكانوا اذا أرادوا الحج يعدلون عن مصر وكان أمير الجيوش بدر والد الافضل أراد اصلاحهم فلم يميلوا اليه ولا قاربوه فأمر بقتل من ظفر به منهم فلما ولي ابنه الافضل أحسن اليهم واستمال من قاربه منهم على حرب الفرنج وكان هذا من جملة من قاتل معه فلما خالط المصريين خاف العود الى بلاده فقدم بغداد ثم عاد الى دمشق ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج الا وشهدها فقتل في بعضها شهيدا وكان شجاعا فتاكا مقداما وفيها في ربيع الآخر ظهر كوكب في السماء له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب الى وسط السماء وكان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا وبقي يظهر عدة ليال ثم غاب وفيها وصل الملك قلج ارسلان ابن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم الى الرها يحصرها وبها الفرنج فراسله أصحاب جكرمش المقيمون بحران ليسلموها اليه فسار اليهم وتسلم البلد وفرح به الناس لاجل جهاد الفرنج فأقام بحران اياما ومرض مرضا شديدا أوجب عوده الى ملطية فعاد مريضا وبقي أصحابه بحران وفي هذه السنة توفي الشيخ أبو منصور الخياط المقرى امام مسجد ابن جردة وكان خيرا صالحا وفيها قتل القاضي أبو العلاء صاعد بن أبي محمد النيسابوري الحنفي بجامع اصبهان قتله باطني وفيها توفي أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين بن الخازن صاحب الخط الجيد وعمره سبعون سنة قيل انه كتب خمسمائة ختمة وفيها في المحرم توفي القاضي أبو الفرج عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وله ثلاث وثمانون سنة وكان من الفقهاء الشافعية المشهورين تفقه على الماوردي وأبي اسحق وأخذ النحو عن الرقي والدهان وابن برهان وكان عفيفا مقدما عند الخلفاء والسلاطين وفيها في المحرم توفي سهل بن أحمد بن علي الارغياني أبو الفتح الحاكم تفقه على الجويني وبرز ثم ترك المناظرة وبنى رباطا واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن وفيها في صفر توفي الامير مهارش بن مجلي وله نحو ثمانين سنة وهو الذي كان الخليفة القائم عنده بالحديثة وكان كثير الصلاة والصوم يحب الخير وأهله ولما توفي ملك الحديثة بعده ابنه سليمان

﴿ثم دخلت سنة خمسمائة﴾

﴿ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه علي﴾

في هذه السنة توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم ولما ملك الاندلس على ما ذكرناه جمع الفقهاء وأحسن اليهم فقالوا له ينبغي ان تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة فارسل الى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولا ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتابا يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام ويطلب تقليدا بولاية البلاد فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد ولقب أمير المسلمين وسيرت اليه الخلع فسر بذلك سرورا كثيرا وهو الذي بنى مدينة مراكش للرابطين وبقي على ملكه الى خمسمائة فتوفي وملك بعده البلاد

وآثارهم ورفع منازلهم كذكره وغيره من خدمه الفاضل أم جعفر رشيقة تشفعه بالقدم واشتغالهم اتخذت الجواري المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فماتت قدودهن وبرزت أردافهن وبعثت بهن اليه فاختلفن في يديه فاستحسنهن واجتذبن قلبه اليهن وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجواري المطمومات وألبسوهن الاقبية والمناطق وسموهن الغلاميات فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ونادى بأعلى صوته يا غلام قدح على وصف الغلاميات فبادر اليه جوار كثيرة قدهن واستدقهن غلمانا بالقراطق والاقبية والطرر والاقفية ومناطق الذهب والفضة فأخذ الكأس بيده فأقبلت أتأمل صفاء جوهر الكأس ونورية الشراب وشعاعه وحسن أولئك الجواري والطربة بين يديه وأسرع في شربه فقال هيه فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم أفضى الامر الى المأمون فكان في بدء أمره لما غلب عليه الفضل ابن سهل وغيره يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كاردشير بن بابك

كانت موقوفة وقفها القاضي أبو الفرج بن أبي البقاء وبلغ الخبر صدقة فأرسل عسكرا فوصلوا وقد فارقها العرب ثم ان السلطان محمدا أرسل شحنة وعميدا الى البصرة وأخذها من صدقة وعاد أهلها اليها وشرعوا في عمارتها

(ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج)

كان صنجيل الفرنجي لعنه الله قد ملك مدينة جبلة وأقام على طرابلس يحصرها فحيث لم يقدر ان يملكها بنى بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا وأقام مراصدا لها ومنتظرا وجود فرصة فيها فخرج فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس فأحرق ربضه ووقف صنجيل على بعض سقوفه المحترقة ومعه جماعة من القمامصة والفرسان فانخسف بهم فمرض صنجيل من ذلك عشرة أيام ومات وحمل الى القدس فدفن فيه ثم ان ملك الروم أمر أصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها في البحر فأخرج اليها فخر الملك بن عمار اسطولا فجرى بينهم وبين الروم قتال شديد فظفر المسلمون بقطعة من الروم فأخذوها وأسروا من كان بها وعادوا ولم تزل الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين الى هذا الوقت فعدمت الاقوات به وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحرمهم فجلا الفقراء وافتقر الاغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأي سديد ومما أضر بالمسلمين فيها ان صاحبها استنجد سقمان بن ارتق فجمع العساكر وسار اليه فمات في الطريق على ما ذكرناه واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وأجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء فلما قلت الاموال عنده شرع يقسط على الناس ما يخرجه في باب الجهاد فأخذ من رجلين من الاغنياء مالا مع غيرهما فخرج الرجلان الى الفرنج وقالا ان صاحبنا صادرنا فخرجنا اليكم لنكون معكم وذكرا انه تأتيه الميرة من عرقة والجبل فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شيء الى البلد فأرسل ابن عمار وبذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين اليه فلم يفعلوا فوضع عليهما من قتلهما غيلة وكانت طرابلس من أعظم بلاد الاسلام وأكثرها تجملا وثروة فباع أهلها من الحلي والاواني الغريبة ما لا حد عليه حتى بيع كل مائة درهم نقرة بدينار وشتان بين هذه الحالة وبين حال الروم أيام السلطان الب ارسلان وقد ذكرت ظفره بهم سنة ثلاث وستين وأربعمائة وقد كان بعض أصحابه وهو كمشتكين دواتي عميد الملك هرب منه خوفا لما قبض على صاحبه عميد الملك وسار الى الرقة فملكها وصار معه كثير من التركمان فيهم الافشين وأحمد شاه فقتلاه وأرسلا أمواله الى الب ارسلان ودخل الافشين بلاد الروم وقاتل الفردوس صاحب انطاكية فهزمه وقتل من الروم خلقا كثيرا وسار ملك الروم من القسطنطينية الى ملطية فدخل الافشين بلاده ووصل الى عمورية وقتل في غزاته مائة ألف آدمي ولما عاد الى بلاد الاسلام وتفرق من معه خرج عليه عسكر الرها وهي حينئذ للروم ومعهم بنو نمير من العرب فقاتلهم ومعه مائتا فارس فهزمهم ونهبهم ونهب بلاد الروم فأرسل ملك الروم رسولا الى القائم بأمر الله يسأله الصلح فأرسل الى الب ارسلان في ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار وأربعة آلاف ثوب أصنافا وثلثمائة رأس بغالا فشتان بين الحالتين وأقول شتان بين حال أولئك المرذولين الذين استنجزهم وبين حال الناس في زماننا هذا وهو سنة ست عشرة وستمائة مع الفرنج أيضا والتتر وسترى ذلك مشروحا ان شاء الله تعالى لتعلم الفرق نسأل الله تعالى ان ينصر الاسلام وأهله فانما يقوم بنصرهم وان يدفع عنهم من أحب من خلقه وما ذلك على الله بعزيز

ذكر

امثل جعفرها العين المعروفه بعين الشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل
وعر حتى أخرجتها من
اثني عشر ميلا الى
وكان جملة ما أنفق
عما ذكر وأحصى
ألف وسبعمائة ألف
وما قدمت ذكره
المصانع والدور والبرك
بار بالحجاز والثغور
فاقوا الالوف على ذلك
ما كان في وقتها من
بذل وما عم أهل الفاقة
المعروف والنصب
أما الوجه الثاني مما
يباهي به الملوك في أعمالهم
ينعمون به في أيامهم
يصونون به دولهم ويدونون
في أفعالهم وسيرهم فهو
أنها أول من اتخذ الآلة
من الذهب والفضة المكللة
بالجوهر وصنع لها الرفيع
من الوشي حتى بلغ الثوب
من الوشي الذي اتخذ لها
خمسين ألف دينار وهي
أول من اتخذ الشاكرية
من الخدم والجواري
يختلفون على الدواب في
جهاتها ويذهبون في
حوائجها برسائلها وكتبها
وأول من اتخذ القباب
الفضة والابنوس والصندل
وكلاليبها من الذهب
والفضة ملبسة بالوشي
والسمور والديباج وأنواع
الحرير من الاحمر والاصفر
والاخضر والازرق واتخذت
الخفاف المرصعة بالجوهر
وشمع العنبر وتشبه الناس في سائر أفعالهم بأم جعفر ولما أفضى الامر الى ولدها أمير المؤمنين قدم الخدم

الامان البلاد التي فولي فيها كيقباذ بن هزارسب الديلمي فاقام بها اثنتي عشرة سنة فظلم أهلها وأساء السيرة فلما اجتاز به سقمان بن ارتق سنة ست وتسعين وبينهما كان كيقباذ بين الاسلام وسقمان بينهما سارا فلما استقر السلطان محمد بعد موت أخيه بركيارق اقطعها للامير آقسنقر البرسقي شحنة بغداد فسار اليها وحصرها مدة تزيد على سبعة أشهر حتى ضاق على كيقباذ الامر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها اليه فسار اليها في صفر هذه السنة وتسلمها منه وانحدر البرسقي ولم يملكها ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام وكان عمره ستين سنة واستناب صدقة بها ساورام بن أبي فراس بن ورام وكان كيقباذ ينسب الى الباطنية وكان موته من سعادة صدقة فانه لو أقام عنده لمرض صدقة لظنون الناس في اعتقاده ومذهبه

(ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة)

في هذه السنة في ربيع الاول كانت حرب بين عبادة وخفاجة ظفرت عبادة وأخذت بثارها من خفاجة وكان سبب ذلك ان سيف الدولة صدقة أرسل ولده بدران في جيش الى طرف بلاده مما يلي البطيحة ليحميها من خفاجة لانهم يؤذون أهل تلك النواحي فقربوا منه وتهددوا أهل البلاد فكتب الى أبيه يشكو منهم ويعرفه حالهم فاحضر عبادة وكانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضي ما ذكرناه فلما حضروا عنده قال لهم ليتجهز وامع عسكره ليأخذوا بثارهم من خفاجة فسار وافي مقدم عسكره فادركوا حلة من خفاجة من بني كليب ليلا وهم غارون لم يشعروا به فقالوا من أنتم فقالت عبادة نحن أصحاب الديون فعلموا أنهم عبادة فقاتلوهم وصبرت خفاجة فبينما هم في القتال اذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت منهم عبادة جماعة وكان فيهم عشرة من وجوههم وتركوا حريمهم فامر صدقة بحراستهن وحمايتهن وأمر العسكر ان يؤثروا عبادة بما غنموه من أموال خفاجة خلفا لهم عما أخذ منهم في العام الماضي وأصاب خفاجة من مفارقة بلادها ونهب أموالها وقتل رجالها أمر عظيم وانتزحت الى نواحي البصرة وأقامت عبادة في بلاد خفاجة ولما انهزمت خفاجة وتشرقت ونهبت أموالها جاءت امرأة منهم الى الامير صدقة فقالت له انك سبيتنا وسلبتنا وقتلتنا وغربتنا وأضعت حرمتنا فالله الله في نفسك وجمل صورة أهلك كصورتنا فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك وأعطاها أربعين جملا ولم يمض غير قليل حتى قابل الله صدقة في نفسه وأولاده فان دعاء الملهوف عند الله بمكان

(ذكر مسير جاولي سقاوو الى الموصل وأسر صاحبها جكرمش)

في هذه السنة في المحرم اقطع السلطان محمد جاولي سقاوو الموصل والاعمال التي بيد جكرمش وكان جاولي قبل هذا قد استولى على البلاد التي بين خوزستان وفارس وأقام بها سنين وعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة في أهلها وقطع أيديهم وجدع أنوفهم وسمل أعينهم فلما تمكن السلطان محمد من السلطنة خافه جاولي وأرسل السلطان اليه الامير مودود بن التونتكين فتحصن منه جاولي وحصره مودود ثمانية أشهر فارسل جاولي الى السلطان انني لا أنزل الى مودود فان أرسلت غيره نزلت فارسل اليه خاتمه مع أمير آخر فنزل جاولي وحضر الخدمة باصبهان فرأى من السلطان ما يحب وأمره السلطان بالمسير الى الفرنج ليأخذ البلاد منهم واقطعه الموصل وديار بكر والجزيرة كلها وكان جكرمش لما عاد من عند السلطان الى بلاده كما ذكرناه وعد من نفسه الخدمة وحمل المال فلما استقر ببلاده لم يف بما قال وتثاقل في الخدمة وحمل المال فاقطع بلاده لجاولي فجاء الى بغداد وأقام بها الى أول ربيع الاول وسار الى الموصل وحمل

سار الامصار أن لا يغتابوا شهادة من خالفه وكان كثير الاكل واسع العطاء سهل الانقياد مضيا الى رعيته ثم المتوكل بالامر المؤمنين فانه خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ونهى عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه وأمر بالتقليد واظهر الرواية للحديث فحسنت أيامه وانتظمت دولته ودام ملكه وغير ذلك بأمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه قال القاهر قد سمعت كلامك وكأني مشاهد للقوم على ما وصفت معاين لهم فيما ذكرت ولقد سرني ما سمعت منك ولقد فتحت أبواب السياسة وأخبرت عن طرق الرياسة ثم أمر لي بجائزة عجل لي عطاءها في وقتها ثم قال لي اذا شئت فقم فقمت وقام على أثري بحربته فقيل والله لي أن يرميني بها من ورائي ثم عطف نحو دار الحرم فما مضت الايام يسيرة حتى كان من أمره ما ظهر (قال المسعودي) وهذا الرجل الذي أخبرت عنه بهذا الحديث له أخبار حسان وهو حي يرزق الى هذه الغاية وهي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة مديما للملوك شاعر الاهل الرياسات حسن الفهم جيد الرأي (وفي خلافة القاهر بالله) وهي سنة احدى وعشرين وثلثمائة كانت وفاة أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ببغداد وكان ممن قد برع في زماننا هذا في الشعر وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها

ولده علي بن يوسف وتلقب أيضا أمير المسلمين فازداد في اكرام العلماء والوقوف عند اشارتهم وكان اذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينا خيرا يحب أهل العلم والدين ويحكمهم في بلاده وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الآخر زوجته النفزاوية وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم وأعطى متمني المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل اليه ثم أرسله اليها فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل اليه كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ما أكلت هذه الايام قال طعاما واحدا فقالت كل النساء شيء واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته

﴿ ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك ﴾

في هذه السنة قتل فخر الملك أبو المظفر علي بن نظام الملك يوم عاشوراء وكان أكبر أولاده وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وزارته للسلطان بركيارق فلما فارق وزارته قصد نيسابور وأقام عند الملك سنجر بن ملكشاه ووزر له وأصبح يوم عاشوراء صائما وقال لاصحابه رأيت الليلة في المنام الحسين بن علي عليه السلام وهو يقول عجل الينا وليكن افطارك عندنا وقد اشتغل فكري به ولا محيد عن قضاء الله وقدره وقالوا له يحميك الله والصواب ان لا تخرج اليوم والليلة من دارك فأقام يومه يصلي ويقرأ القرآن وتصدق بشيء كثير فلما كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء فسمع صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون فلم يبق من يكشف مظلمة ولا يأخذ بيد ملهوف فأحضره عنده رحمة له فحضر فقال ما حالك فدفع اليه رقعة فبينما فخر الملك يتأملها اذ ضربه بسكين فقضى عليه فمات فحمل الباطني الى سنجر فقرره فأقر على جماعة من أصحاب السلطان كذبا وقال انهم وضعوني على قتله وأراد ان يقتل بيده وسعايته فقتل من ذكر وكان مكذوبا عليهم ثم قتل الباطني بعدهم وكان عمر فخر الملك ستا وستين سنة

﴿ ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت ﴾

في هذه السنة في صفر تسلم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد قلعة تكريت وقد ذكرنا فيما تقدم انها كانت لبني معن العقيليين وكانت الى آخر سنة سبع وعشرين وأربعمائة بيد رافع ابن الحسين بن معن فمات وولها ابن أخيه أبو منعة خميس بن تغلب بن حماد ووجد بها خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ووليها ولده أبو غشام فلما كان سنة أربع وأربعين وثب عليه عيسى فحبسه وملك القلعة والاموال فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان وأربعين صالحه على بعض المال فرحل عنه وخافت زوجته أميرة بعد موته ان يعود أبو غشام يملك القلعة فقتلته وكان قد بقي في الحبس أربع سنين واستنابت في القلعة أبا الغنائم بن المحلبان فسلمها الى أصحاب السلطان طغرلبك فسارت الى الموصل فقتلها ابن أبي غشام بابيه وأخذ شرف الدولة مسلم بن قريش مالها ورد طغرلبك أمر القلعة الى انسان يعرف بابي العباس الرازي فمات بها بعد ستة أشهر فملكها المهرباط وهو أبو جعفر محمد بن أحمد بن خشنام من بلد الثغر فأقام بها احدى وعشرين سنة ومات ووليها ابنه سنتين وأخذتها منه تركان خاتون ووليها لها كوهرآيين ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب فلما قتل صارت للامير كمشتكين الجاندار فجعل فيها رجلا يعرف بابي المصارع ثم عادت الى كوهرآيين اقطاعا ثم أخذها منه مجد

واجتهد في قراءة الكتب القديمة وأمعن في درسها وواظب على قراءتها فافتتن في فهمها وبلغ درايتها فلما كان من الفضل بن سهل ذي الرياستين ما اشتهر وقدم العراق فانصرف عن ذلك كله وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيرا من الجدليين والنظارين كأبي الهذيل وأبي اسحق ابراهيم بن سيار النظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم وألزم مجالسه الفقهاء وأهل المعرفة من الادباء وأقدمهم من الامصار وأجرى عليهم الارزاق فرغب الناس في صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله وكان أكثر الناس عفوا وأشدهم احتمالا وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال الرغيب وأبذلهم للعطايا وأبعدهم من التسافه واتبعه وزراؤه وأصحابه في فعله وسلكوا سبيله وذهبوا مذهبه ثم المعتصم فانه يا أمير المؤمنين سلك في النحلة رأي أخيه المأمون وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بالملوك الاعاجم في الآلة ولبس القلانس والشاشيات فلبسها الناس اقتداء بفعله وائتماما به فسميت المعتصميات وعم الناس افضاله وأمنت به السبل في أيامه وشمل احسانه ثم هرون بن محمد الواثق فانه اتبع ديانة أبيه وعمه وعاقب المخالف وامتحن الناس وكثر معروفه وأمر القضاة

ملا الاعصية من قرب وفاة أحد المتمادين بعد صاحبه

﴿ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج﴾

في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين بيمند الفرنجي فسار بيمند الى بلد ملك الروم ونهبه وعزم على قصده فأرسل ملك الروم الى الملك قلج ارسلان بن سليمان صاحب قونية واقصرا وغيرهما من البلاد يستنجده فامده بجمع من عسكره فقوي بهم وتوجه الى بيمند فالتقوا وتصافوا واقتتلوا وصبر الفرنج لشجاعتهم وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ودامت الحرب ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج وأتى القتل على أكثرهم وأسر كثير منهم والذين سلموا عادوا الى بلادهم بالشام وعاد عسكر قلج ارسلان الى بلادهم عازمين على المسير الى صاحبهم بديار الجزيرة فأتاهم خبر قتله على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتركوا الحركة وأقاموا

﴿ذكر ملك قلج ارسلان الموصل﴾

قد ذكرنا ان أصحاب جكرمش كتبوا الى الامير صدقة وقسيم الدولة البرسقي والملك قلج ارسلان ابن سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب بلاد الروم يستدعون كلا منهم اليهم ليسلموا البلد اليه فاما صدقة فامتنع ورأى طاعة السلطان وأما قلج أرسلان فانه سار في عساكره فلما سمع جاولي سقاو بوصوله الى نصيبين رحل عن الموصل وأما البرسقي فانه كان شحنة بغداد فسار منها الى الموصل فوصلها بعد رحيل جاولي عنها فنزل بالجانب الشرقي فلم يلتفت أحد اليه ولا أرسلوا اليه كلمة واحدة فعاد في باقي يومه ثم ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين أقام بها حتى كثر جمعه فلما سمع جاولي بقربه رحل من الموصل الى سنجار وأودع رحله بها واتصل به الامير ابالغازي بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمش فصار معه أربعة آلاف فارس فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه الى الشام ويقول له ان الفرنج قد عجز من بالشام عن منعهم فسار الى الرحبة وأرسل أهل الموصل وعسكر جكرمش الى قلج ارسلان وهو بنصيبين استحلفوه لهم فحلف واستحلفهم على الطاعة له والمناصحة وسار معهم الى الموصل فملكها في الخامس والعشرين من رجب ونزل بالمعروفة وخرج اليه ولد جكرمش وأصحابه فخلع عليهم وجلس على التخت وأسقط السلطان محمدا وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن الى العسكر وأخذ القلعة من غزغلي مملوك جكرمش وجعل له فيها دزدارا ورفع الرسوم المحدثة في الظلم وعدل في الناس وتألفهم وقال من سعى الى بأحد قتلته فلم يسع أحد بأحد وأقر القاضي أبا محمد عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري على القضاء بالموصل وجعل الرياسة لابي البركات محمد بن محمد بن خميس وهو ولد شيخنا أبي الربيع سليمان وكان في جملة قلج ارسلان الامير ابراهيم بن ينال التركماني صاحب آمد ومحمد بن جبق التركماني صاحب حصن زياد وهو خرتبرت فاما ابراهيم بن ينال فكان سبب ملكه لمدينة آمد ان تاج الدولة تتش حين ملك ديار بكر سلمها اليه فبقيت بيده وأما محمد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد ان هذا الحصن كان بيد الفلادروس الرومي ترجمان ملك الروم وكانت الرها وانطاكية من أعماله فلما ملك سليمان بن قتلمش والد هذا قلج ارسلان انطاكية وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف الفلادروس عن اقامة ما يحتاج اليه حصن زياد من الميرة والاقامة فأخذه جبق وأسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه وأمره على الرها فلم يزل عليها حتى مات وأخذها الامير بزان بعده وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد انسان من الروم اسمه افرنجي وكان يقطع

وقد سبق الى المقصورة أبو القاسم نصر بن نصر الحلواني ابن محمد بن زيد الداعي بطبرستان بقوله

قد ماسلهى على تلك الربى * وسائلاها أين هاتيك الدمى
أين اللواتي بعثت زورتها * عليك باستشهادها ما شفى الجوى

(ولابن ورقاء في المقصورة أيضا)

ماشئت قل هي المها هي القنا * جواهر يكن أطراف الدمى

وممن تأخر بعد موت ابن دريد العماني أبو عبد الله المفجع وكان كاتبا شاعرا بصيرا بالغريب وهو صاحب الباهلي المصري الذي كان يناقض ابن دريد فمما جود فيه المفجع قوله

ألا طرب الفؤاد الحردين * ودون مزارها ذو الحلتين
ألم خيالها وهنا برحلى * فولى رعيه الشرطين عيني

وقد أتينا على ما كان في أيام القاهر مع قصر مدته من الكوائن في الكتاب الاوسط فمنع ذلك من ذكره في هذا الكتاب

(ذكر خلافة الراضي بالله)

وبويع الراضي بالله محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس يوم الخميس لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فاقام في الخلافة الى ان مضى من ربيع الاول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة ومات حتف أنفه بمدينة السلام

طريقه على البوازيج فملكها ونهبها بعد أربعة أيام بعد ان أمن أهلها وحلف لهم انه يحميهم فلما ملكها سار الى اربل واما جكرمش فانه لما بلغه مسيره الى بلاده كتب في جمع العساكر فأتاه كتاب أبي الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني صاحب اربل يذكر استيلاء جاولي على البوازيج ويقول له ان لم تعجل المجيء لنجتمع عليه وندفعه والا اضطررت الى موافقته والمصير معه فبادر جكرمش وعبر الى شرقي دجلة وسار في عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره وأرسل اليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده فاجتمعوا بقرية باكلبا من اعمال اربل ووافاهم جاولي وهو في ألف فارس وكان جكرمش في ألفي فارس ولا يشك انه يأخذ جاولي باليد فلما اصطفوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه وبقي جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لا يقدر يركب وانما يحمل في محفة فلما انهزم أصحابه قاتل عنه ركابي أسود قتالا عظيما فقتل وقاتل معه واحد من أولاد الملك قاورت بك بن داود اسمه أحمد فقاتل بين يديه فطعن فجرح وانهزم فمات بالموصل ولم يقدر أصحاب جاولي على الوصول الى جكرمش حتى قتل الركابي الاسود فحينئذ أخذوه أسيرا وأحضروه عند جاولي فامر بحفظه وحراسته وكانت عساكر جكرمش التي استدعاها قد وصلت الى الموصل بعد مسيره بيوم من فسار واجرائد ليدركوا الحرب فلقيهم المنهزمون ليقضي الله أمرا كان مفعولا

﴿ذكر حصر جاولي سقاوو الموصل وموت جكرمش﴾

لما انهزم العسكر وأسر جكرمش وصل الخبر الى الموصل فاقعدوا في الامر زنكي بن جكرمش وهو صبي عمره احدى عشرة سنة وخطبوا له واحضروا اعيان البلد والتمسوا منهم المساعدة فاجابوا الى ذلك وكان مستحفظ القلعة غلاما لجكرمش اسمه غزغلي فقام في ذلك المقام المرضي وفرق الاموال التي جمعها جكرمش والخيول وغير ذلك على الجند وكتب الى سيف الدولة صدقة وقلج ارسلان والبرسقي شحنة بغداد بالمبادرة اليهم ومنع جاولي عنهم ووعدوا كلا منهم ان يسلموا البلد اليه فاما صدقة فلم يجبهم الى ذلك ورأى طاعة السلطان واما البرسقي وقلج ارسلان فنذكر حالهما ثم ان جاولي حصر الموصل ومعه كرماوي بن خراسان التركماني وغيره من الامراء وكثر جمعه وأمر ان يحمل جكرمش كل يوم على بغل وينادي أصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم مما هو فيه ويأمرهم بذلك فلا يسمعون منه وكان يسجنه في جب ويوكل به من يحفظه لئلا يسرق فاخرج في بعض الايام ميتا وعمره نحو ستين سنة وكان شأنه قد علا ومنزلته قد عظمت وكان قد شيد سور الموصل وقواه وبنى عليها فصيلا وحفر خندقها وحصنها غاية ما يقدر عليه وكان مع جكرمش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب بن كسيرات وبنو كسيرات الى الآن بالموصل من أعيان أهلها وكان أبو طالب قد تقدم عند جكرمش وارتفعت منزلته واستولى على أموره وحضر معه الحرب فلما أسر جكرمش هرب أبو طالب الى اربل وكان أولاد أبي الهيجاء صاحب اربل قد حضروا الحرب مع جكرمش واسرهم جاولي فارسل الى أبي الهيجاء يطلب ابن كسيرات فاطلقه وسيره اليه فاطلق جاولي ابن أبي الهيجاء فلما حضر ابن كسيرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل وبلاد جكرمش وتحصيل الاموال فاعتقله اعتقالا جميلا وكان قاضي الموصل أبو القاسم بن ودعان عدوا لابي طالب فارسل الى جاولي يقول له ان قتلت أبا طالب سلمت الموصل اليك فقتله وأرسل رأسه اليه فاظهر الشماتة به وأخذ كثيرا من أمواله وودائعه فثار به الاتراك غضبا لابي طالب ولتفرده بما أخذ من أمواله فقتلوه وكان بينهما شهر واحد وقد رأينا كثيرا وسمعنا

وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين وكان يذهب في الشعر كل مذهب فطورا يجزل وطورا يرق وشعره أكثر من أن نحصيه أو يأتي عليه كتابنا هذا فمن جيد شعره قصيدته المقصورة وأولها

أما ترى رأسي حاكى لونه
طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض في مسوده
مثل اشتعال النار في جزل الغضى

(ومنها)

ان الجديدين اذا ما استوليا
على جديد أدنياه للبلى
لست اذا ما انهضتني غمرة
ممن يقول بلغ السيل الربى

(ومنها)

وان ثوت بين ضلوعي زفرة
تملأ ما بين الرحا الى الرحا

وقد عارضه في هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء منهم أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن الفهم التنوخي الانطاكي وهو في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالبصرة في جملة اليزيديين وأول قصيدته المقصورة التي يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة

لولا انتهائي لم أطع نهي الهوى
مدى الصبا أطلب من حاز المدى
ان كنت أقصرت فما أقصر قلـ
ـب داميا ترميه ألحاظ الدمى
ومقلة ان مقلت أهل الغضا
أغضت وفي أجفانها جمر الغضى

(وفيها يقول) وكم ظباء رعيها ألحاظها * أسرع في الأنفس من حد الظبى

ارسلان من منعهم ونزل بظاهر البلد وأخذ كل واحد من أصحاب جكرمش الذي حضر الوقعة مع قلج ارسلان الى جهة فلما ملك جاولى الموصل أعاد خطبة السلطان محمد وصادر جماعة من أصحاب جكرمش وسار الى جزيرة ابن عمر وبها حبشي بن جكرمش ومعه أمير من غلمان أبيه اسمه غزغلي فحصره مدة ثم انهم صالحوه وحملوا اليه ستة آلاف دينار وغيرها من الدواب والثياب ورحل عنهم الى الموصل وأرسل ملكشاه بن قلج ارسلان الى السلطان محمد

(ذكر أحوال الباطنية باصبهان وقتل ابن عطاش)

في هذه السنة ملك السلطان محمد القلعة التي كان الباطنية ملكوها بالقرب من أصبهان واسمها شاهدز وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش وولده وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطاش وسبب ذلك انه اتصل بدزدار كان لها فلما مات استولى أحمد عليها وكان الباطنية باصبهان قد ألبسوه تاجا وجمعوا له أموالا وانما فعلوا ذلك به لتقدم أبيه عبد الملك في مذهبهم فانه كان أديبا بليغا حسن الخط سريع البديهة عفيفا وابتلى بحب هذا المذهب وكان هذا ابنه أحمد جاهلا لا يعرف شيأ وقيل لابن الصباح صاحب قلعة الموت لماذا تعظم ابن عطاش مع جهله قال لمكان أبيه لانه كان أستاذي وصار لابن عطاش عدد كثير وبأس شديد واستفحل أمره بالقلعة فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق وأخذ الاموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن احصاؤهم وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الاذى فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه والناس باملاكهم وتمشى لهم الامر بالخلف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده أمر أهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم فرأى البداية بقلعة اصبهان التي بأيديهم لان الاذى بها أكثر وهي متسلطة على سرير ملكه فخرج بنفسه فحاصرهم في سادس شعبان وكان قد عزم على الخروج أول رجب فساء ذلك من يتعصب لهم من العسكر فارجفوا ان قلج ارسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها وافتعلوا في ذلك مكاتبات ثم أظهروا ان خللا قد تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقق الامر فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثله وقصد حربهم وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها ونصب له التخت في أعلاه واجتمع له من أصبهان وسوادها لحربهم الامم العظيمة للذحول التي يطالبونهم بها وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ ورتب الامراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير فضاق الامر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عندهم الاقوات فلما اشتد الامر عليهم كتبوا فتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين في قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وانما يخالفون في الامام هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم وان يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل اذى فاجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم فجمعوا للمناظرة ومعهم أبو الحسن علي بن عبد الرحمن السمنجاني وهو من شيوخ الشافعية فقال بمحضر من الناس يجب قتالهم ولا يجوز اقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين فانهم يقال لهم أخبرونا عن امامكم اذا أباح لكم ما حظره الشرع أو حظر عليكم ما أباحه الشرع اتقبلون أمره فانهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالاجماع وطالت المناظرة في ذلك ثم ان الباطنية سألوا السلطان ان يرسل اليهم من يناظرهم وعينوا على أشخاص من العلماء منهم القاضي أبو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية باصبهان وقاضيها وغيره فصعدوا اليهم

الآداب وإشرافه على علوم المتقدمين وخوضه في بحار المجادلين من أهل الدراية والمتفلسفين (وذكر) أن الراضي رأى في بعض متنزهاته بالعراق بستانا مونقا وزهرا رائقا فقال لمن حضر هل رأيتم أحسن من هذا فكل قال أشياء ذهب فيها الى مدحه ووصف محاسنه وانها لا يفي بها شئ من زهرات الدنيا فقال لعب الصولي بالشطرنج والله أحسن من هذا ومن كل ما تصفون (وذكر) أن الصولي في بدء دخوله الى المكتفي وقد كان ذكر له بجودة لعبه الشطرنج وكان الماوردي اللاعب معجبا بلعبه فلعبا جميعا بحضرة المكتفي فحمل المكتفي حسن رأيه في الماوردي وتقدم الخدمة والانسة على نصرته وتشجيعه حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولي غايته غلبه غلبا لا يكاد يرد عليه شيأ وتبين حسن لعب الصولي المكتفي فعدل عن هواه ونصره للماوردي وقال له صار ماء وردك بولا (قال المسعودي) وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف الى جمل من أخبار الشطرنج وما قيل فيها مع ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار الهند ومبادي اللعب بالشطرنج والنرد واتصال ذلك بالاجسام العلوية والاجرام السماوية ولمعاذكرفي ذلك ما لم يتقدم

الطريق وكثر قتل المسلمين فأرسل اليه جبق هدية وخطب اليه مودته وان يعين كل واحد منهما صاحبه فأجابه الى ذلك فكان جبق يعين افرنجي على قطع الطريق وغيره وكذلك افرنجي يعين جبق فلما وثق كل واحد بصاحبه أرسل اليه جبق انى أريد قصد بعض الاماكن وطلب ان يرسل اليه أصحابه فأرسلهم اليه فلما ساروا معه في الطريق تقدم بكتفهم وحملهم الى قلعة افرنجي وقال لاهليهم والله ان لم تسلموا الى افرنجي لاضربن أعناقهم ولا آخذن الحصن عنوة ولاقتلنكم على دم واحد ففتحوا له الحصن وسلموا اليه افرنجي فسلخه وأخذ أمواله وسلاحه وكان عظيما ومات جبق فولى بعده ابنه محمد

﴿ذكر قتل قلج أرسلان وملك جاولى الموصل﴾

قد ذكرنا ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين سار جاولى عن الموصل الى سنجار ثم الى الرحبة فوصلها في رجب وحصرها الى الرابع والعشرين من شهر رمضان وكان صاحبها حينئذ يعرف بمحمد بن السباق وهو من بنى شيبان رتبه بها الملك دقاق لما فتحها وأخذ ولده رهينة وحمله معه الى دمشق فلما توفى أرسل هذا الشيبانى قوما سرقوا ولده وحملوه اليه فلما وصل اليه خلع الطاعة للدمشقيين وخطب في بعض الاوقات لقلج ارسلان فلما وصل اليها جاولى وحصرها أرسل الى الملك رضوان يعرفه انه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه ويشرط عليه انه اذا تسلم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده فلما استقرت القاعدة بينهما حضر عنده رضوان فاشتد الحصار على أهل البلد وضاقت عليهم الامور واتفق جماعة كانوا بأحد الابراج وأرسلوا الى جاولى واستحلفوه على حفظهم وحراستهم وأمروه ان يقصد البرج الذى هم فيه عند انتصاف الليل ففعل ذلك فرفع من في البرج أصحابه اليهم في الحبال فضربوا بوقاتهم وطبولهم فخذل من في البلد ودخله أصحاب جاولى في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ونهبوه الى الظهر ثم أمر برفع النهب ونزل اليه محمد الشيبانى صاحب البلد وأطاعه وصار معه ثم ان قلج ارسلان لما فرغ من أمر الموصل سار عنها الى جاولى ليقاتله وأجار به وجعل ابنه ملكشاه في دار الامارة وعمره احدى عشرة سنة ومعه أمير يدبره وجماعة من العسكر وكانت عدة عسكره أربعة آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيل الجيدة وسمع العسكر بقوة جاولى فاختلفوا وكان أول من خالف عليه ابراهيم بن ينال صاحب آمد فانه فارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور الى بلده وكذلك غيره وعجل قلج أرسلان على المطاولة لما بلغه من قوة جاولى وكثرة جموعه وأرسل الى بلاده يطلب عساكره لانها كانت عند ملك الروم نجدة له على قتال الفرنج كما ذكرناه فلما وصل الى الخابور بلغت عدته خمسة آلاف وكان مع جاولى أربعة آلاف من جملتهم الملك رضوان وجماعة من عسكره الا ان شجعانه أكثر واغتنم جاولى قلة عسكر قلج ارسلان فقاتله قبل وصول عساكره اليه فالتقوا في العشرين من ذى القعدة فحمل قلج ارسلان على القوم بنفسه حتى خالطهم فضرب يد صاحب العلم فأبانها ووصل الى جاولى بنفسه فضربه بالسيف فقطع الكزاغند ولم يصل الى بدنه وحمل أصحاب جاولى على أصحابه فهزموهم واستباحوا أثقالهم وسوادهم فلما رأى قلج ارسلان انهزام عسكره علم انه ان أسر فعل به فعل من لم يترك للصلح موضعا لاسيما وقد نازع السلطان في بلاده واسم السلطنة فالقى نفسه في الخابور وحمى نفسه من أصحاب جاولى بالنشاب فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق وظهر بعد أيام فدفن بالشمسانية وهى من قرى الخابور وسار جاولى الى الموصل ولما وصل اليها فتح أهلها له بابها ولم يتمكن من بها من أصحاب قلج

وكانت خلافته ست سنين واحد عشر شهرا وثلاثة أيام وأمه أم ولد يقال لها ظلوم ﴿ذكر جمل من أخباره وسيره وقطع مما كان في أيامه﴾ واستوزر الراضى أبا على محمد بن على بن مقلة ثم استوزر أبا على عبد الرحمن ابن عيسى بن داود ابن الجراح ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر ابن الفرات ثم أبا عبد الرحمن ابن محمد اليزيدى وكان الراضى أديبا شاعرا ظريفا وله أشعار حسان في معان مختلفة ان لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما نقص عنه فمن ذلك قوله في حاله وحال معشوقه اذا التقيا

يصفر وجهى اذا تأمله
طرفى ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذى بوجنته
من دم وجهى اليه قد نقلا

(ومن جيد شعره قوله)

يارب ليل قد دنا مزاره
يسترنى ومؤنسى أزراره
ساق مليح القد كدجاره
سراجه ووجهه مناره
يشهد لى ببذله زناره
تاه بخد ظاهر احمراره
ماس مع الحمرة جلناره
أى كثيب قد حوى ازاره
وأى نور ضمنت أزراره
طوع الكؤس غره عذاره
انحفاؤه تعتاده امراؤه
لا كان همه ولم يثر غباره

(وقد كان) أبو بكر الصولى يروى كثيرا من أشعار الراضى ويذكر حسن أخلاقه وجميل أخباره وارتياضه بالعلم وفنون

ارسلان

وجماعة منهم فهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر والد حماد مقامه وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه وصارا يتنازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاتلانه الى ان أخذه مهذب الدولة أيام كوهرائين وسلمه الى كوهرائين فحمله الى أصبهان فهلك في طريقه فانتظم أمر مهذب الدولة وصبر كوهرائين أمير البطيحة فصار ابن عمه وجماعة تحت حكمه وكان حماد شابا فاكرمه مهذب الدولة وزوجه بنتاله وزاد في اقطاعه فكثر ماله فصار يحسد مهذب الدولة ويضمر بغضه وربما ظهر في بعض الاوقات وكان مهذب الدولة يداريه بجهده فلما هلك كوهرائين انتقل حماد عن مهذب الدولة وأظهر ما في نفسه فاجتهد مهذب الدولة في اعادته الى ما كان فلم يفعل فسكت عنه فجمع النفيس بن مهذب الدولة جمعا وقصد حمادا فهرب منه الى سيف الدولة بالحلة فاعاده صدقة ومعه جماعة من الجند فحشد مهذب الدولة فارسل حماد الى صدقة يعرفه ذلك فارسل اليه كثيرا من الجند فقوي عزم مهذب الدولة على المحاربة لئلا ينسب به العجز فاشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته فلم يفعل وسير سفنه وأصحابه في الانهر فجعل حماد وأخوه له الكمناء واندفعوا من بين أيديهم فطمع أصحاب مهذب الدولة وتبعوهم فخرج عليهم الكمناء فلم يسلم منهم الا من لم يحضر أجله فقتل منهم وأسر خلق كثير فقوي طمع حماد وأرسل الى صدقة يستنجده فارسل اليه مقدم جيشه سعيد بن حميد العمري وغيره من المقدمين وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذب الدولة فرأوا أمرا محكما فلم يمكنهم الدخول اليه وكان حماد بخيلا ومهذب الدولة جوادا فارسل الى سعيد بن حميد الاقامات الوافرة والصلات الكثيرة واستماله فمال اليه واجتمع به وتقرر الامر على ان أرسل مهذب الدولة ابنه النفيس الى صدقة فرضي عنه وأصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم وعادوا الى حال حسنة من الاتفاق وكان صلحهم في ذي الحجة سنة خمسمائة

﴿ ذكر قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام الملك ﴾

في شوال من هذه السنة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك أبي المحاسن وأخذ ماله وصلبه على باب أصبهان وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه والمنتمين اليه أما الوزير فنسب الى خيانة السلطان وأما الاربعة فنسبوا الى اعتقاد الباطنية وكانت مدة وزارته سنتين وتسعة أشهر وكان في ابتداء حاله يصحب تاج الملك أبا الغنائم وتعطل بعده ثم استعمله مؤيد الملك بن نظام الملك فجعله على ديوان الاستيفاء وخدم السلطان محمدا لما حصره أخوه السلطان بركيارق باصبهان خدمة حسنة ولما فارقها محمد حفظها الحفظ التام وقام المقام العظيم فاستوزره محمد ووسع له في الاقطاع وحكمه في دولته ثم نكبه وهذا آخر خدمة الملوك وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان أنعم الناس عيشا من له ما يكفيه وزوجة ترضيه ولا يعرف أبوابنا هذه الخبيثة فنؤذيه ولما قبض الوزير استشار السلطان فيمن يجعله وزيرا فذكر له جماعة فقال السلطان ان آبائي أدروا على نظام الملك البركة ولهم عليه الحق الكثير وأولاده أغذياء نعمتنا ولا معدل عنهم فامر لابي نصر أحمد هذا بالوزارة ولقب ألقاب أبيه قوام الدين نظام الملك صدر الاسلام وكان سبب قدومه الى باب السلطان انه لما رأى انقراض دولة أهل بيته لزم داره بهمذان فاتفق ان رئيس همذان وهو الشريف أبو هاشم آذاه فسار الى السلطان شاكيا منه ومتظلما فقبض السلطان على الوزير وأحمد هذا في الطريق فلما وصل اليه ذكره وخلع عليه خلع الوزارة وحكمه ومكنه وقوى أمره وهذا من الفرج بعد الشدة فانه حضر شاكيا فصار حاكما

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

كالوجهين حتى تكون الرقاب منها في صفين والبيادق أيضا أمامها صفين وسيرها كسير أمثلة الصورة الاولى والآلة المربعة وهي عشرة في مثلها والزيادة في أمثلتها قطعتان تسميان الدبابين وسيرهما كسير الشاه الا انهما يأخذان ويؤخذان ثم الآلة المدورة المنسوبة الى الروم ثم الآلة النجومية التي تسمى الفلكية وأبياتها على عدد نجوم الفلك مقسومة نصفين وينقل فيها سبعة أمثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة الانجم والنيرين وعلى ألوانها (وقد بينا) فيما سلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالاجسام السماوية وقد قيل في عشقها الاشخاص السماوية أو تحرك الفلك بعشقه لما فوقه وقولهم في النفس ونزولها في عالم العقل الى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل علمه عندهم بمنصوبات الشطرنج ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية استحدثت في زماننا هذا وهي سبعة أبيات في ثمانية وأمثلتها اثنا عشر في كل جهة متساوية كل واحد من الستة يسمى باسم جارحة من جوارح الانسان التي بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهي سائر الحواس والنفس

وناظروهم وعادوا كما صعدوا وانما كان قصدهم التعلل والمطاولة فلح حينئذ السلطان في
حصرهم فلما رأوا أن لا بد من المحاققة أذعنوا الى تسليم القلعة على أن يعطوا عوضا عنها قلعة خالنجان
وهي على سبعة فراسخ من اصبهان وقالوا انا نخاف على دمائنا وأموالنا من العامة فلا بد من مكان
نحتمي به منهم فأشير على السلطان باجابتهم الى ما طلبوا فسألوا ان يؤخرهم الى النوروز ليرحلوا
الى خالنجان ويسلموا اقامتهم وشرطوا ان لا يسمع قول متنصح فيهم وان قال أحد عنهم شيأ أسلمه
اليهم وان من أتاه منهم رده اليهم فاجابهم اليه وطلبوا ان يحمل اليهم من الاقامة ما يكفيهم يوما
بيوم فأجيبوا اليه في كل هذا وقصدهم المطاولة انتظار الفتق يفتق أو حادث يتجدد ورتب لهم
وزير السلطان سعد الملك ما يحمل اليهم كل يوم من الطعام والفاكهة وجميع ما يحتاجون اليه
فجعلوا هم يرسلون ويبتاعون من الاطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا في قلعتهم ثم انهم وضعوا من
أصحابهم من يقتل أميرا كان يبالغ في قتالهم فوثبوا عليه وجرحوه وسلم منهم فحينئذ أمر
السلطان باخراب قلعة خالنجان وجدد الحصار عليهم فطلبوا ان ينزل بعضهم ويرسل السلطان
معهم من يحميهم الى ان يصلوا الى قلعة الناظر بارجان وهي لهم وينزل بعضهم ويرسل معهم من
يوصلهم الى طبس وان يقيم البقية منهم في ضرس من القلعة الى ان يصل اليهم من يخبرهم بوصول
أصحابهم فينزلون حينئذ ويرسل معهم من يوصلهم الى ابن الصباح بقلعة ألموت فأجيبوا الى ذلك
فنزل منهم الى الناظر والى طبس وساروا وتسلم السلطان القلعة وخربها ثم ان الذين ساروا الى
قلعة الناظر وطبس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم فلم يسلم السن الذي بقي بيده ورأى
السلطان منه الغدر والعود عن الذي قرره فأمر بالزحف اليه فزحف الناس عامة ثاني ذي
القعدة وكان قد قل عنده من يمنع ويقاتل فظهر منهم صبر عظيم وشجاعة زائدة وكان قد استأمن الى
السلطان انسان من أعيانهم فقال لهم اني أدلكم على عورة لهم فأتى بهم الى جانب لذلك السن لهم
لا يرام فقال لهم اصعدوا من ههنا فقيل انهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال فقال ان الذي
ترون اسلحة وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلتهم عندهم وكان جميع من بقي ثمانين رجلا
فزحف الناس من هناك فصعدوا منه وملكوا الموضع وقتل أكثر الباطنية واختلط جماعة منهم
مع من دخل فخرجوا معهم وأما ابن عطاش فانه أخذ أسيرا فترك أسبوعا ثم انه أمر به فشهر في
جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشي جلده تبنا وقتل ولده وحمل رأساهما الى بغداد
وألقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها فهلكت
أيضا وضاعت وكانت مدة البلوى بابن عطاش اثنتي عشرة سنة

(ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة ومهذب الدولة صاحب البطيحة)

في هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مزيد ومهذب الدولة السعيد بن أبي الجبر صاحب
البطيحة وانضاف حماد بن أبي الجبر الى صدقة وأظهر معاداة ابن عمه مهذب الدولة ثم اتفقوا
وكان سبب ذلك ان صدقة لما أقطعه السلطان محمد مدينة واسط ضمنها منه مهذب الدولة
واستناب في الاعمال أولاده وأصحابه فمدوا أيديهم في الاموال وفرطوا فيها وفرقوها فلما
انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى في خلاصه بدران بن صدقة وهو صهر مهذب
الدولة فأخرجه من الحبس وأعاده الى بلده البطيحة وضمن حماد بن أبي الجبر واسط فانفصل على
مهذب الدولة كثير من أمره فآل الامر الى الاختلاف بعد الاتفاق فان المصطنع اسمعيل جد
حماد والمختص محمدا والد مهذب الدولة أخوان وهما ابنا أبي الجبر وكانت اليهما رياسة أهلهما

له ذكر فيما سلف من هذا
وهي الرسالة المعروفة
بالهاشمية أن الخليل بن
أحمد من أجل أحسابه في
النحو والعروض وضع
كتابا في الايقاع وتراكيب
الاصوات وهو لم يعالج وترا
قط ولا مس بيده قضيبا
قط ولا كثرت مشاهدته
للمغنين وكتب كتابا في
الكلام ولو جهد كل
بليغ في الارض أن يتعمد
ذلك الخطأ والتعقيد لما
وقع له ولو أن ممرورا استغرق
قواه في الهذيان لما
تهيأ له مثل ذلك منه ولا
يتأتى مثل ذلك لاحد الا
بخذلان الله الذي لا يبقى
منه شئ قال الجاحظ ولولا
أن أسخف الكتاب وأهجر
الرسالة وأخرجها من حد
الجد الى الهزل حكيت
صدر كتابه في التوحيد
وبعض ما وصفه في العدل
قال ولم يرض بذلك حتى
عمد الى الشطرنج فزاده
في الدولاب جملا فلعبت
به أناس من حاشية
الشطرنجيين ثم رموا به
وقد ذكر الناس ممن سلف
وخلف أن جميع الآلات
على هيآتها ستصور لم
يظهر في اللعب غيرها
فأولها آلة المربع المشهورة
وهي ثمانية في مثلها
ونسبت الى قدماء الهند ثم
الآلة المستطيلة وأبياتها أربعة في ستة عشر والامثلة تنصب فيها في أول وهلة في أربعة صفوف من وجماعتها

منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونسله حتى اصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وظهر منه أمور أنكرها السلطان فتوجه الى العراق ليتلافى هذا الامر فلما سمع صدقة استشار أصحابه فى الذى يفعله فاشار عليه ابنه دبيس بان ينفذه الى السلطان ومعه الاموال والخيل والتحف ليستعطف له السلطان وأشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالمحاربة وجمع الجند وتفريق المال فيهم واستطال فى القول فمال صدقة الى قوله وجمع العساكر واجتمع اليه عشرون ألف فارس وثلاثون ألف راجل فارسل اليه المستظهر بالله يحذره عاقبة أمره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ويعرض له توسط الحال فاجاب صدقة انى على طاعة السلطان لكن لا آمن على نفسى فى الاجتماع به وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبى ثم أرسل السلطان أقضى القضاة أبا سعيد الهروى الى صدقة يطيب قلبه ويزيل خوفه ويأمره بالانبساط على عادته ويعرفه عزمه على قصد الفرنج ويأمره بالتجهز للغزاة معه فاجاب ان السلطان قد أفسد أصحابه قلبه على وغيروا حالى معه وزال ما كان عليه فى حقى من الانعام وذكر سالف خدمته ومناصحته وقال سعيد بن حميد صاحب جيشه لم يبق لنا فى صلح السلطان مطمع ولترين خيولنا بحلوان وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ربيع الآخر ومعه وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك وسير البرسق شحنة بغداد فى جماعة من الامراء الى صرصر فنزلوا عليها وكان وصول السلطان جريدة لا يبلغ عسكره ألفى فارس فلما تيقن ببغداد مكاشفة صدقة أرسل الى الامراء يأمرهم بالوصول اليه والجد فى السير وتعجيل ذلك فوردوا اليه من كل جانب ثم وصل كتاب صدقة الى الخليفة فى جمادى الاولى يذكر أنه واقف عندما رسم له ويقرر من حاله مع السلطان ومهما أمرته من ذلك امتثله فانفذ الخليفة الكتاب الى السلطان فقال السلطان أنا ممتثل ما يأمر به الخليفة ولا مخالفة عندى فارسل الخليفة الى صدقة يعرفه اجابة السلطان الى ما طلب منه ويأمره بانفاذ ثقته ليستوثق له ويحلف السلطان على ما يقع الاتفاق عليه فعاد صدقة عن ذلك الرأى وقال اذا رحل السلطان عن بغداد أمددته بالمال والرجال وما يحتاج اليه فى الجهاد وأما الآن وهو ببغداد وعسكره بنهر الملك فما عندى مال ولا غيره وان جاولى سقاوو وايلغازى بن ارتق قد أرسلا الى بالطاعة لى والموافقة معى على محاربة السلطان وغيره ومتى أردتهما وصلا الى فى عساكرهما وورد الى السلطان قرواش بن شرف الدولة وكرماوى بن خرسان التركمانى وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائى وآباؤه كانوا أصحاب البلقاء والبيت المقدس منهم حسان بن المفرج الذى مدحه التهامى وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع المصريين فلما رآه طغتكين اتابك على هذه الحال طرده من الشام فلما طرده التجأ الى صدقة وعاقده فاكرمه صدقة وأهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار فى الطلائع ثم هرب الى السلطان فلما وصل خلع عليه وعلى أصحابه وأنزله بدار صدقة ببغداد فلما سار السلطان الى قتال صدقة استأذنه فضل فى اتيان البرية ليمنع صدقة من الهرب ان أراد ذلك فاذن له فعبر بالانبار وكان آخر العهد به وأنفذ السلطان فى جمادى الاولى الى واسط الامير محمد بن بوقا التركمانى فاخرج عنها نائب صدقة وأمن الناس كلهم الا أصحاب صدقة فتفرقوا ولم ينهب أحد وأنفذ خيله الى بادقوسان وهو من أعمال صدقة فنهبه أفحش نهب وأقام عدة أيام

فى وصفها واستوعب النظر لاكثرها لم اما قاله أبو الحسن بن أبى البغل الكاتب وكان من جملة الكتاب وكبار العمال وممن اشتهر بمعرفتها واللعب بها وهو

فى نصب الشطرنج كيما يرى بها
عواقب لا يسمو بها غير جاهل
وأبصر اعقاب الاحاديث فى غد
بعينى مجد فى مخيلة هازل
ليجرى على السلطان فى ذاك أنه
أراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته
شبيه بتصريف القنا والقنابل

(قال المسعودى) فأما ما قيل فى النرد وأوصافها فقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كيفية نصبها والحادث للعبها على ما حكى من التنازع فى ذلك عند ذكرنا أخبار الهند وفيها عند ذوى المعرفة بها ضروب من اللعب وفنون من الترتيب ووجوه من النصب الا ان عدد البيوت واحد لا زيادة فيها ولا نقصان على ما تقدم فى ذلك من عملها والمعهود فى أصولها وان الفصين فيها حكمان واللاعب بهما وان لم يكن مختارا ولا خارجا عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج الى أن يكون صحيح النقل وسابقه صحيح الحساب حسن الترتيب جيده (وقد قيل) فى لعبها ووصفها واحكام الفصين فيها وقضائهما على لاعبها أشعار

فى هذه السنة فى صفر عزل الوزير أبو القاسم على بن جهير وزير الخليفة فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئا اليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فارسل اليه صدقة من أخذه اليه الى الحلة وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأياما وأمر الخليفة بنقض داره التى بباب العامة وفيها عبرة فان أباه أبا نصر بن جهير بناها بانقاض أملاك الناس وأخذ بسببها أكثر ما دخل فيها فخربت عن قريب ولما عزل استنيب قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى ثم تقررت الوزارة فى المحرم من سنة احدى وخمسمائة لابى المعالى هبة الله بن محمد بن المطلب وخلع عليه فيه وفيها فى شوال توفى الامير أبو الفوارس سرخاب بن بدر بن مهلهل المعروف بابن أبى الشوك الكردى وكانت له أموال كثيرة وخيول لا تحصى وولى الامرة بعده أبو منصور بن بدر وقام مقامه وبقيت الامارة فى بيته مائة وثلاثين سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية وفى هذه السنة توفى أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحداد الاصبهانى ابن أخت عبد الرحمن بن أبى عبد الله بن منده ومولده سنة ثمان وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث مشهورا بالرواية وفيها توفى أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادى فى صفر وهو مكثر من الرواية وله تصانيف حسنة وأشعار لطيفة وهو من أعيان الزمان وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو محمد الشيرازى الفقيه ولى التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وكان يروى الحديث أيضا وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى المعروف بابن الطيورى البغدادى ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا وأبو الكرم المبارك ابن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوى سمع الحديث من أبى الطيب الطبرى والجوهرى وغيرهما وكان اماما فى النحو واللغة

﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسمائة﴾

﴿ذكر قتل صدقة بن مزيد﴾

فى هذه السنة فى رجب قتل الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدى أمير العرب وهو الذى بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شأنه وعلا قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فاجارهم وكان كثير العناية بامور السلطان محمد والتقوية ليده والشد منه على أخيه بركيارق حتى انه جاهر بركيارق بالعداوة ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد وزاده محمد اقطاعا من جملته مدينة واسط وأذن له فى أخذ البصرة ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمد بن الحسين البلخى وقال فى جملة ما قال عنه ان صدقة قد عظم أمره وزاد حاله وكثر ادلاله ويبسط فى الدولة وحمايته كل من يفر اليه من عند السلطان وهذا لا يحتمله الملوك لاولادهم ولو أرسلت بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله ثم انه تعدى ذلك حتى طعن فى اعتقاده ونسبه وأهل بلاده الى مذهب الباطنية وكذب وانما كان مذهبه التشيع لا غير ووافق أرغون السعدى أبا جعفر العميد وانتهى ذلك الى صدقة وكانت زوجة أرغون بالحلة وأهلها يؤاخذهم بشئ مما كان له أيضا هناك من بقايا الخراج ببلاده فامر صدقة أن يخلص ذلك المال بأجمعه ويسلم الى زوجته واما سبب قتله فان صدقة كان كما ذكرنا يستجير به كل خائف من خليفة وسلطان وغيرهما وكان السلطان محمد قد سخط على أبى دلف سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوه وآبه فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به فاجاره فارسل السلطان يطلب من صدقة ان يسلمه على نوابه فلم يفعل وأجاب انى لا أمكن منه بل أحامى عنه وأقول ما قاله أبو طالب لقريش لما

المشترك وهو الذى من القلب (وقد ذكرت) الهند وغيرها من اليونانيين والفرس والروم وغيرهم ممن
اعتنى بها كيفية صورها ومبانيها ووجوه عللها والغرائب فيها وتصنيف القوائم والمفردات وأنواع طرائف المنصوبات (وقد استعمل) أصحاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانتساب المواد وتحريك الافكار اليها وان ذلك بمنزلة الارتجاز الذى يستعمله أهل القتال عند اللقاء والحادى عند الاعياء والمائح للغرب عند الاستقاء وأن ذلك عدة للاعب كما ان الشعر والارتجاز من عدة المحارب (وقد قيل) فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللعاب فى ذلك

نوادر الشطرنج فى وقتها
أحر من ملتهب الجمر
كم من ضعيف اللعب كانت له
عونا على مستحسن القمر

(ومما قيل فيها) وبالغ فى وصف اللعب بها المأمون

أرض مربعة حمراء من أدم
ما بين الفين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها
من غير أن يسعيا فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على
هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر الى الخيل قد جاشت بمعركة
فى عسكرين بلا طبل ولا علم

ومما قيل فيها وبولغ

السلطان موقوف على اطلاق الاسرى ورد جميع ما أخذ من العسكر المنهزم فاجاب اولا بالخضوع والطاعة ثم قال لو قدرت على الرحيل من بين يدى السلطان لفعلت لكن ورائى من ظهرى وظهر ابى وجدى ثلثمائة امرأة ولا يحملهن مكان ولو علمت انى اذا جئت السلطان مستسلما قبلنى واستخدمنى لفعلت لكننى أخاف انه لا يقيل عثرتى ولا يعفو عن زلتى وأما ما نهب فان الخلق كثير وعندى من لا أعرفه وقد نهبوا ودخلوا البر فلا طاقة لى عليهم ولكن ان كان السلطان لا يعارضنى فيما فى يدى ولا فى من أجرته وان يقر سرخاب بن كيخسرو على اقطاعه بساوة وان يتقدم الى ابن بوقا باعادة ما نهب من بلادى وان يخرج وزير الخليفة بحلفه بما اثق اليه من الايمان على المحافظة فيما بينى وبينه فحينئذ اخدم بالمال وادوس بساطه بعد ذلك فعاد وابن ذا ومعهم أبو منصور بن معروف رسول صدقة فردهم الخليفة وأرسل السلطان معهم قاضى اصبهان ابا اسمعيل فاما أبو اسمعيل فلم يصل اليه وعاد من الطريق وأصر صدقة على القول الاول فحينئذ سار السلطان ثامن رجب من الزعفرانية وسار صدقة فى عساكره الى قرية مطر وأمر جنده بلبس السلاح واستأمن ثابت بن سلطان بن دبيس بن على بن مزيد وهو ابن عم صدقة الى السلطان محمد وكان يحسد صدقة وهو الذى تقدم ذكره انه كان بواسط فاكرمه السلطان وأحسن اليه ووعده الاقطاع ووردت العساكر الى السلطان منهم بنو برسق وعلاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن على بن فرامرز أبى جعفر بن كاكويه وآباؤه كانوا أصحاب اصبهان وفرامرز هو الذى سلمها الى طغرلبك وقتل أبوه مع تتش وعبر عسكر السلطان دجلة ولم يعبرها وصار وامع صدقة على أرض واحدة بينهما نهر والتقوا تاسع عشر رجب وكانت الريح فى وجوه أصحاب السلطان فلما التقوا صارت فى ظهورهم وفى وجوه أصحاب صدقة ثم ان الاتراك رموا بالنشاب فكان يخرج فى كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يقع سهم الا فى فرس أو فارس وكان أصحاب صدقة كلما حملوا منعهم النهر من الوصول الى الاتراك والنشاب ومن عبر منهم لم يرجع وتقاعدت عبادة وخفاجة وجعل صدقة ينادى يا آل خزيمة يا آل ناشرة يا آل عوف ووعد الاكراد بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم وكان راكبا على فرسه المهلوب ولم يكن لاحد مثله فجرح الفرس ثلاث جراحات وأخذه الامير أحمديل بعد قتل صدقة فسيره الى بغداد فى سفينة فمات فى الطريق وكان لصدقة فرس آخر قد ركبه حاجبه أبو نصر بن تفاحة فلما رأى الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه فناداه صدقة فلم يجبه وحمل صدقة على الاتراك فضربه غلام منهم على وجهه فشوهه وجعل يقول أنا ملك العرب أنا صدقة فاصابه سهم فى ظهره وأدركه غلام اسمه برغش كان أشل فتعلق به وهو لا يعرفه وجذبه عن فرسه فسقط الى الارض هو والغلام فعرفه صدقة فقال يا برغش ارفق فضربه بالسيف فقتله وأخذ رأسه وحمله الى البرسق فحمله الى السلطان فلما رآه عانقه وأمر لبرغش بصلة وبقى صدقة طريحا الى ان سار السلطان فدفنه انسان من المدائن وكان عمره تسعا وخمسين سنة وكانت امارته احدى وعشرين سنة وحمل رأسه الى بغداد وقتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس فيهم جماعة من أهل بيته وقتل من بنى شيبان خمس وتسعون رجلا وأسر ابنه دبيس بن صدقة وسرخاب بن كيخسرو الديلمى الذى كانت هذه الحرب بسببه فاحضر بين يدى السلطان فطلب الامان فقال قد عاهدت الله انى لا أقتل أسيرا فان ثبت عليك انك باطنى قتلتك وأسر سعيد بن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وهرب بدران بن صدقة الى الحلة فاخذ من المال وغيره ما أمكنه وسير أمه ونساءه الى البطيحة الى مهذب الدولة أبى العباس أحمد بن أبى الجبر وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته ونهب

في الرد والفصين انها جعلت مثلا للمكاسب وانها لاتنال بالكيس ولا بالحيل وماذكر عن أردشير بن بابك فى ذلك أنه أول من لعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها وجعله لبيوتها اثنى عشر على ترتيب عدد الشهور وان كلابها ثلاثون كلبا بعدد أيام الشهور وان الفصين مثال القدر وتلعبه باهل هذا العالم وغير ذلك مما وصفنا من أحوالها وماقدمنا من ذكرها فى هذا الكتاب وغيره مما سلف من كتبنا (وذكر) بعض أهل النظر من الاسلاميين أن واضع الشطرنج كان عدليا مستطيعا فيما يفعل وان واضع النرد كان مجبرا فبين باللعب بها انه لاصنع له فيها بل تصرفه فيها على مايوجبه القدر عليه بها (وذكر) العروضى وهو ممن كان له أدب الراضى وغيره من الخلفاء وأبنائهم قال حدثت الراضى ذات يوم خبرا ألفيته عن مسلم الباهلى فى الكبر وغيره من الخصال التى توجد فى أهل الرياسات مما يحمد فيهم ويكره منهم من الاخلاق فكتب ذلك منى فى حال صباه وعنفوان حداثته ولقد رأيته مواظبا على درسه الى أن استكمل اتقانه فى مجلسه فداخله عند ذلك طرب وفرح وأريحية لم أعهدها منه ثم قال لى وقد أقبل على لعل الزمان أن يبلغ بى أن أتأدب بهذه الخصال وأكون فى مرتبة من يرتاض بهذه الآداب وهو أنه

فارسل صدقة اليه ثابت بن سلطان وهو ابن عم صدقة ومعه عسكر فلما وصلوا اليها خرج منها الاتراك وأقام ثابت بها وبينه وبينهم دجلة ثم ان ابن بوقا عبر جماعة من اجناد رصاهم وعرف شجاعتهم فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعا فقصدهم ثابت وعسكره لم يقدروا يقربون الترك من النشاب والمدد يأتيهم من ابن بوقا وجرح ثابت في وجهه وكثر الجراح في أصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعهم الاتراك فقتلوا منهم وأسروا ونهب طائفة من الترك مدينة واسط واختلط بهم رجالة ثابت فنهبت معهم فسمع ابن بوقا الخبر فركب اليهم ومنعهم وقتلهم وابعض البلد ونادى في الناس بالامان واقطع السلطان اواخر جمادى الاولى مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقي وأمر ابن بوقا بقصد بلد صدقة ونهبه فنهبوا فيه مالا يحد وأما السلطان محمد فانه سار عن بغداد الى الزعفرانية ثاني جمادى الآخرة فارسل اليه الخليفة وزيره مجد الدين ابن المطلب يأمره بالتوقف وترك العجلة خوفا على الرعية من القتل والنهب وأشار قاضي أصبهان بذلك واتباع أمر الخليفة فأجاب السلطان الى ذلك فارسل الخليفة الى صدقة نقيب النقباء علي ابن طراد وجمال الدولة مختصا الخادم فسارا الى صدقة فابلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة السلطان وينهاه عن المخالفة فاعتذر صدقة وقال ما خالفت الطاعة ولا قطعت الخطبة في بلدي وجهز ابنه دبيسا ليسير معهما الى السلطان فبينما الرسل وصدقة في هذا الحديث اذ ورد الخبران طائفة من عسكر السلطان قد عبروا من مطير اباذوان الحرب بينهم وبين أصحاب صدقة قائمة على ساق فتجلد صدقة لاجل الرسل وهو يشتهي الركوب الى أصحابه خوفا عليهم وكان الرسل اذا سمعوا ذلك ينكرونه لانهم قد تقدموا الى العسكر عند عبورهم عليهم انه لا يتعرض أحد منهم الى حرب حتى نعود فان الصلح قد قارب فقال صدقة للرسول كيف أثق ارسل ولدي الآن وكيف آمن عليه وقد جرى ما ترون فان تكفلتم برده الي أنفذته فلم يتجاسروا على كفالته فكتب الى الخليفة يعتذر عن انفاذ ولده بما جرى وكان سبب هذه الوقعة ان عسكر السلطان لما رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح فقال بعضهم الرأي اننا ننهب شيأ قبل الصلح فاجاب البعض وامتنع البعض فعبر من أجاب النهر ولم يتأخر من لم يجب لئلا ينسب الى خور وجبن ولئلا يتم على من عبر وهن فيكون عاره واذاه عليهم فعبروا وابعدهم أيضا فاتاهم أصحاب صدقة وقاتلوهم فكانت الهزيمة على الاتراك وقتل منهم جماعة كثيرة وأسر جماعة من أعيانهم وكثير من غيرهم وغرق جماعة منهم الامير محمد بن باغيسيان الذي كان أبوه صاحب انطاكية وكان عمره نيفا وعشرين سنة وكان محبا للعلماء وأهل الدين وبنى باقطاعه من اذربيجان عدة مدارس ولم يجسر الاتراك يعرفون السلطان بما أخذ منهم من الاموال والدواب خوفا منه حيث فعلوا ذلك بغير أمره وطمع العرب بهذه الهزيمة وظهر منهم الفخر والتيه والطمع وأظهروا انهم باعوا كل أسير بدينار وان ثلاثة باعوا أسيرا بخمسة قراريط وأكلوا بها خبزا وهريسة وجعلوا ينادون من يتغدى باسير ويتعشى بآخر وظهر من الاتراك اضطراب عظيم وأعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحرير أمر الصلح فاجاب انه لا يخالف ما يؤمر به وكتب صدقة أيضا الى السلطان يعتذر مما نقل عنه ومن الحرب التي كانت بين أصحابه وبين الاتراك وان جند السلطان عبرت الى أصحابه فنعوا عن أنفسهم بغير علمه وانه لم يحضر الحرب ولم ينزع يدا من طاعة ولا قطع خطبته من بلده ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب فارسل الخليفة نقيب النقباء واباسعد الهروي الى صدقة فقصدا السلطان اولا وأخذا يده بالامان لمن يقصده من اقارب صدقة فلما وصلا الى صدقة وقالا له عن الخليفة ان اصلاح قلب

كثيرة بالغوا بالقول فيها وأعرقوا في استيعاب معانيها (ومن ذلك) قول بعضهم لاخير في النرد لا يزال يمارسها حسن

الذكاء اذا ما كان محروما
تريك أفعال فصيها
بحكمهما
ضدين في الحال ميمونا
ومشؤما
فما تكاد ترى فيها أخا ادب
يقوته القمر الا كان
مظلوما

(وأخبرني) أبو الفتح محمد ابن الحسين السندي بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم وكان من أهل العلم والرواية والمعرفة والادب انه كتب الى صديق له يذم النرد وكان بها مشتهرا أبياتا وهي

أيها المعجب المفاخر بالنر
د ليزهو بها على الاخوان
فلعمري حرمت جهدا
على قد...
ولئن لم تواتك الفصان
غير ان الاديب يكذبه
الظن
ويبكي لشدة الحرمان
واذا ما القضاة جاءت بحكم
لم يحد عن قضائها الخصمان
ولعمري ما كنت أول
انسا
ن ثني فأخلفته الاماني

وأنشدني أبو الفتح أيضا لابي نواس

ومأمورة بالامر تأتي بغيره
ولم تتبع في ذاك غيا ولا
رشدا
اذا قلت لم تفعل وليست
مطيعة
وأفعل ما قالت فصيرت لها عبدا

(وقد قدمنا) في أخبار ملوك الهند فيما سلف من هذا الكتاب قول من قال

ولى فرق أموالا جزيلة وأحسن السيرة فى الرعية

(ذكر ملك يحيى قلعة قليبية)

لما ملك يحيى بن تميم بعد أبيه جرد عسكرا كثيفا الى قلعة قليبية وهى من أحصن قلاع افريقية فنزل عليها وحصرها حصارا شديدا ولم يبرح حتى فتحها وحصنها وكان أبوه تميم قد رام فتحها فلم يقدر على ذلك ولم يزل مظفرا منصورا لم يهزم له جيش

(ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا)

فى هذه السنة فى شهر رمضان ورد القاضى فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس الشام الى بغداد قاصدا باب السلطان محمد مستنفرا على الفرنج طالبا تسيير العساكر لازاحتهم والذى حثه على ذلك انه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس على ما ذكرناه ضاقت عليه الاقوات وقلت واشتد الامر عليه وعلى أهل البلد فمنّ الله عليهم سنة خمسمائة بميرة فى البحر من جزيرة قبرس وانطاكية وجزائر البنادقة فاشتدت قلوبهم وقووا على حفظ البلد بعد أن كانوا استسلموا فلما بلغ فخر الملك انتظام الامور للسلطان محمد وزوال كل مخالف رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار به فاستناب بطرابلس ابن عمه ذا المناقب وأمره بالمقام بها ورتب معه الاجناد برا وبحرا وأعطاهم جامكية ستة أشهر سلفا وجعل كل موضع الى من يقوم بحفظه بحيث ان ابن عمه لا يحتاج الى فعل شئ من ذلك وسار الى دمشق فاظهر ابن عمه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار المصريين فلما عرف فخر الملك ذلك كتب الى أصحابه يأمرهم بالقبض عليه وحمله الى حصن الخوابى ففعلوا ما أمرهم وكان ابن عمار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة والخيل الرائقة فلما وصلها القيه عسكرها وطغتكين اتابك وخيم على ظاهر البلد وسأله طغتكين الدخول اليه فدخل يوما واحدا الى الطعام وادخله حمامه وسار عنها ومعه ولد طغتكين يشيعه فلما وصل الى بغداد أمر السلطان كافة الامراء بتلقيه واكرامه وأرسل اليه شبارته وفيها دسته الذى يجلس عليه اذا ركب فيها فلما نزل اليها قعد بين يدى موضع السلطان فقال له من بها من خواص السلطان قد أمرنا ان يكون جلوسك فى دست السلطان فلما دخل على السلطان أجلسه وأكرمه وأقبل عليه بحديثه وسير الخليفة خواصه وجماعة أرباب المناصب فلقوه وأنزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة وكذلك أيضا فعل السلطان وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله وهذا جميعه ثمرة الجهاد فى الدنيا ولاجر الآخرة أكبر ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته وسأله السلطان عن حاله وما يعانيه فى مجاهدة الكفار ويقاسيه من ركوب الخطوب فى قتالهم فذكر له حاله وقوة عدوه وطول حصره وطلب النجدة وضمن أنه اذا سيرت العساكر معه أوصل اليهم جميع ما يلتمسونه فوعده السلطان بذلك وحضر دار الخلافة وذكر أيضا نحوا مما ذكره عند السلطان وحمل هدية جميلة نفيسة وأقام الى ان رحل السلطان عن بغداد فى شوّال فاحضره عنده بالنهروان وقد تقدم الى الامير حسين بن أتابك قتلغتكين ليسير معه العساكر التى سيرها الى الموصل مع الامير مودود لقتال جاولى سقاو وليمضوا معه الى الشام وخلع عليه السلطان خلعا نفيسة وأعطاه شيأ كثيرا وودعه وسار ومعه الامير حسين فلم يجد ذلك نفعا وكان ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ثم ان فخر الملك بن عمار عاد الى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة فاقام بها أياما وتوجه منها مع العسكر من دمشق الى جبلة فدخلها وأطاعه أهلها واما أهل طرابلس فانهم راسلوا الافضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم

العلم والمعرفة بأخبار الناس ممن غبر فانتهى هذا الامر الى حرمة معاوية بن أبى سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم أن يرسل اليه سراويل أجسم رجل عنده فقال معاوية لا أعلمه الا قيس بن سعد فقال لقيس اذا انصرفت فابعث الى بسراويلك فخلعها ورمى بها فقال معاوية هلا بعثت بها من منزلك فقال قيس

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاد قد نمته ثمود

فقال قائل ممن حضر قد كان جبلة بن الايهم أحد ملوك بنى غسان طوله اثنا عشر شبرا فاذا ركب مسحت قدماه الارض فقال له الراضى بالله قد كان قيس بن سعد هذا المذكور تخط قدماه الارض واذا مشى بين الناس يتوهمون أنه راكب وقد كان جدى على بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا يتعجب الناس من طوله وكان يقول كنت الى منكب عبد الله بن عباس وكان عبد الله الى منكب جدى العباس وكان العباس بن عبد المطلب اذا طاف بالبيت يرى كأنه فسطاط أبيض قال فتعجب والله من حضر من ايراده هذا الخبر مع صغر سنه ثم تذاكرنا عجائب البلدان وما خص به كل صقع من الارض من أنواع النبات والحيوان والجماد من أحجار أنواع الجواهر وغيرها فقال لى قائل ممن حضر ان أعجب ما فى الدنيا

من الامر وال بالاجدله وكان له من الكتب المنسوبة الخط شيء كثير أوف مجلدات وكان يحسن نثرا ولا يكتب وكان جوادا حليما صدوقا كثير البر والاحسان ما برح ملجأ لكل ملهوف يأتي من يقصده بالبر والتفضل ويبسط قاصديه ويزورهم وكان عادلا والرعايا معه في أمن ودعة وكان عفيفا لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها فاظنك بغير هذا ولم يصادر أحدا من نوابه ولا أخذهم باساءة قديمة وكان أصحابه يودعون أموالهم في خزانته ويدلون عليه ادلال الولد على الوالد ولم يسمع برعية أحبت أميرها كحب رعيته له وكان متواضعا محتملا يحفظ الاشعار ويبادر الى النادرة رحمه الله لقد كان من محاسن الدنيا وعاد السلطان الى بغداد ولم يصل الى الحلة وأرسل الى البطيحة أمانا لزوجة صدقة وأمرها بالظهور فاصعدت الى بغداد فاطلق السلطان ابنها دبيسا وأنفذ معه جماعة من الامراء الى لقائها فلما لقيها ابنها بكيا بكاء شديدا ولما وصلت الى بغداد أحضرها السلطان واعتذر من قتل زوجها وقال وددت انه حمل الي حتى كنت أفعل معه ما يعجب الناس به من الجميل والاحسان لكن الاقدار غلبتني واستحلف ابنها دبيسا انه لا يسعى بفساد

﴿ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وولاية ابنه يحيى﴾

في هذه السنة في رجب توفي تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية وكان شهما شجاعا ذكيا له معرفة حسنة وكان حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة وله شعر حسن فمنه انه وقع حرب بين طائفتين من العرب وهم عدي ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا وأهدروا دمه وكان صلحهم مما يضر به وببلاده فقال أبياتا يحرض على الطلب بدمه وهي

متى كانت دماؤكم تطل * أما فيكم بثار مستقل
أغانم ثم سالم ان فشلتم * فما كانت أوائلكم تذل
ونمتم عن طلاب الثار حتى * كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالي * ولا بيض تفل ولا تسل

فعمد اخوة المقتول فقتلوا أميرا من عدي واشتد بينهم القتال وكثرت القتلى حتى أخرجوا بني عدي من افريقية قيل انه اشترى جارية بثمن كثير فبلغه ان مولاها الذي باعها ذهب عقله وأسف على فراقها فأحضره تميم بين يديه وأرسل الجارية الى داره ومعها من الكسوات والاواني الفضة وغيرها ومن الطيب وغيره شيء كثير ثم أمر مولاها بالانصراف وهو لا يعلم بذلك فلما وصل الى داره ورآها على تلك الحال وقع مغشيا عليه لكثرة سروره ثم أفاق فلما كان الغد أخذ الثمن وجميع ما كان معها وحمله الى دار تميم فانتهره وأمره باعادة جميع ذلك الى داره وكان له في البلاد أصحاب أخبار يجري عليهم أرزاقا سنية ليطالعوه باحوال أصحابه لئلا يظلموا الناس فكان بالقيروان تاجر له مال وثروة فذكر في بعض الايام أخبار تميما ودعوا له وذلك التاجر حاضر فترحم على أبيه المعز ولم يذكره فرفع ذلك الى تميم فأحضره الى قصره وسأله هل ظلمتك فقال لا قال فهل ظلمك بعض أصحابي قال لا قال فلم أطلقت لسانك أمس بذمي فسكت فقال لولا ان يقال شره في ماله لقتلتك ثم أمر به فصفع في حضرته قليلا ثم أطلقه فخرج وأصحابه ينتظرونه فسألوه عن خبره فقال اسرار الملوك لا تذاع فصارت بافريقية مثلا ولما توفي كان عمره تسعا وسبعين سنة وكانت ولايته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وخلف من الذكور ما يزيد على مائة ومن البنات ستين بنتا ولما توفي ملك بعده ابنه يحيى بن تميم وكانت ولادته بالمهدية لاربع بقين من ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة وكان عمره حين ولي ثلاثا وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما ولما

ولي

قيل لقتيبة بن مسلم وهو وال على خراسان للحجاج محارب للترك لو وجهت فلانا الرجل من أصحابه الى حرب بعض الملوك على الجيش فقال قتيبة انه رجل عظيم الكبر ومن عظم كبره اشتد عجبه ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالاعجاب وتفخر بالاستبداد كان من الصنع بعيدا ومن الخذلان قريبا والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ومن تكبر على عدوه حقره واذا حقره تهاون بامره ومن تهاون بامر عدوه وثق بامر قوته وسكن الى جميع عدته ومن سكن الى جميع عدته قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر عثاره وما رأيت عظيما تكبر على صاحب حرب قط الا كان منكوبا ومهزوما ولا ومخذولا لا والله حتى يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق وأشد اقداما من أسد وأوثب من فهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأسخى من ديك وأشح من ظبي وأحرس من كركي وأحفظ من كلب وأصبر من ضب وأجمع من النمل وان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطمع على قدر السبب وقد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب رأي ولا لمتكبر صديق ومن أحب أن يحب تحبب (قال العروضي) وتذاكرنا يوما بحضرة الراضي بالله في حال صباه وقد حضر جماعة من ذوي

كثيرمن البلاد والاموال وكان سبب أخذ البلاد منه انه لما استولى عليها وعلى الاموال الكثيره
منها لم يحمل الى السلطان منها شيأ فلما وصل السلطان الى بغداد لقصد بلاد سيف الدولة صدقة
أرسل الى جاولي يستدعيه اليه بالعساكر وكرر الرسل اليه فلم يحضر وغالط في الانحدار اليه
وأظهر انه يخاف ان يجتمع به ولم يقنع بذلك حتى كاتب صدقة واظهر له انه معه ومساعده على
حرب السلطان وأطمعه في الخلاف والعصيان فلما فرغ السلطان من أمر صدقة وقتله كما
ذكرناه تقدم الى الامراء بني برسق وسكمان القطبي ومودود بن التونتكين وآقسنقر البرسقي
ونصر بن مهلهل بن أبي الشوك الكردي وأبي الهيجاء صاحب اربل بالمسير الى الموصل وبلاد
جاولي وأخذها منه فتوجهوا نحو الموصل فوجدوا جاولي عاصيا قد شيد سور الموصل وأحكم
ما بناه جكرمش وأعد الميرة والاقوات والآلات واستظهر على الاعيان بالموصل فحبسهم
وأخرج من احداثها ما يزيد على عشرين ألفا ونادى متى اجتمع عاميان على الحديث في هذا
الامر قتلتهما وخرج عن البلد ونهب السواد وترك بالبلد زوجته ابنة برسق وأسكنها القلعة
ومعها ألف وخمسمائة فارس من الاتراك سوى غيرهم وسوى الرجالة ونزل العسكر عليها في شهر
رمضان سنة احدى وخمسمائة وصادرت زوجته من بقي بالبلد وعسفت نساء الخارجين عنه
وبالغت في الاحتراز عليهم فاوحشهم ذلك ودعاهم الى الانحراف عنها وقوتل أهل البلد قتالا
متتابعا فتمادى الحصار باهلها من خارج والظلم من داخل الى آخر المحرم والجند بها يمنعون عاميا
من القرب من السور فلما طال الامر على الناس اتفق نفر من الجصاصين ومقدمهم جصاص
يعرف بسعدي على تسليم البلد وتحالفوا على التساعد وأتوا وقت صلاة الجمعة والناس بالجامع
وصعدوا برجا وأغلقوا أبوابه وقتلوا من به من الجند وكانوا نياما فلم يشعروا بشئ حتى قتلوا وأخذوا
سلاحهم وألقوهم الى الارض وملكوا برجا آخر ووقعت الصيحة وقصدهم مائتا فارس من
العسكر ورموهم بالنشاب وهم يقاتلون وينادون بشعار السلطان فزحف عسكر السلطان اليهم
ودخلوا البلد من ناحيتهم وملكوه ودخله الامير مودود ونودي بالسكون والامن وان يعود
الناس الى دورهم واملاكهم واقامت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية أيام وراسلت الامير مودود في
ان يفرج لها عن طريقها وان يحلف لها على الصيانة والحراسة فحلف وخرجت الى أخيها برسق بن
برسق ومعها أموالها وما استولت عليه وولي مودود الموصل وما ينضاف اليها

﴿ذكر حال جاولي مدة الحصار﴾

واما جاولي فانه لما وصل عسكر السلطان الى الموصل وحصرها سار عنها وأخذ معه القمص
صاحب الرها الذي كان قد أسره سقمان واخذه منه جكرمش وقد ذكرنا ذلك وسار الى نصيبين
وهي حينئذ للامير ايلغازي بن ارتق وراسله وسأله الاجتماع به واستدعاه الى معاضدته وان يكونا
يدا واحدة واعلمه ان خوفهما من السلطان ينبغي أن يجمعهما على الاحتماء منه فلم يجبه ايلغازي
الى ذلك ورحل عن نصيبين ورتب بها ولده وأمره بحفظها من جاولي وان يقاتله ان قصدهم وسار
الى ماردين فلما سمع جاولي ذلك عدل عن نصيبين وقصد دارا وأرسل الى ايلغازي ثانيا في المعاني
وسار بعد الرسول فبينما رسوله عند ايلغازي بماردين لم يشعر الا وجاولي معه في القلعة وحده
وقصد ان يتألفه ويستميله فلما رآه ايلغازي قام اليه وخدمه ولما رأى جاولي محسنا الظن فيه غير
مستشعر منه لم يجد الى دفعه سبيلا فنزل معه وعسكرا بظاهر نصيبين وسارا منها الى سنجار
وحاصراها مدة فلم يجبهما صاحبها الى صلح فتركاه وسارا نحو الرحبة وايلغازي يظهر لجاولي

الثالث أعجب من الطير والدودة من يكرى نفسه للقتل يعني المرتزقة من الجند فاستحسن هذا الخبر
من حضر فقال أبو العباس
الراضي معارضا لهذا الخبر
الذي أخبر بالخبر الاول قد
ذكر عمرو بن بحر الجاحظ
أن أعجب ما في الدنيا ثلاث
البوم لا تظهر بالنهار خوفا
أن تصيبها العين لحسنها
وجمالها ولما قد تصور في
نفسها أنها أحسن الحيوان
فتظهر بالليل والعجب
الثاني الكركي لا يطأ
بقدميه الارض بل باحداهما
فاذا وطئ باحداهما لا يعتمد
عليها اعتمادا قويا ومشى
بالتأني خوفا من أن تخسف
الارض من تحته لثقله
والعجب الثالث الطائر الذي
يقعد على سوق الماء من
الانهار اذا انخزنت الذي
يعرف بمالك الحزين على
شبه الكركي خوفا من
الماء أن يفنى من الارض
فيموت عطشا قال العروضي
فافترق من حضره وكل
متعجب من الراضي مع صباه
وصغر سنه كيف تتأتى منه
هذه المذاكرات مع أن
من حضره من أهل الرأي
والسن والمعرفة (قال
المسعودي) وقد أتينا فيما
سلف من كتبنا على عجائب
الارض والبحار وما فيها
من عجائب البنيان والحيوان
والجماد والمائع والرجراج
فأغنى ذلك عن ايرادها في
هذا الموضع وانما ذكرنا

أخبار الراضي وما كان من أمره في صباه وما أخبره عنه مؤدبه ونقلمنا من أخباره ما تأتى لنا

ومعه الميرة في البحر فسير اليهم شرف الدولة بن أبي الطيب والياومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد في الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمار وأصحابه وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر في البحر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في شعبان أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغير ذلك مما يناسبه بالعراق وكتبت به الالواح وجعلت في الاسواق وفيها في شهر رمضان ولي القاضي أبو العباس بن الرطبي الحسبة ببغداد وفيه أيضا عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك ثم أعيد الى الوزارة باذن السلطان وشرط عليه شروطا منها العدل وحسن السيرة وان لا يستعمل أحدا من أهل الذمة وفيها عاد الاصبهبذ صباو من دمشق وكان هرب عند قتل اياز فلما قدم أكرمه السلطان وأقطعه رحبة مالك بن طوق وفيها سابع شوال خرج السلطان الى ظاهر بغداد عازما على العود الى أصبهان وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر وسبعة عشر يوما وفيها في ذي الحجة احترقت خرابة ابن جردة فهلك فيها كثير من الناس واما الامتعة والاموال واثاث البيوت فهلك منها ما لا حد له وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المحلة الى مقبرة باب ابرز وكان بها جماعة من اليهود فلم ينقلوا شيأ لتمسكهم بسبتهم وكان بعض أهله قد عبروا الى الجانب الغربي للفرجة على عادتهم في السبت الذي يلي العيد فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت وأهلهم قد احترقوا وأموالهم قد هلكت ثم تبع ذلك حريق في عدة أماكن منها درب القيار وقراح بن زرين فارتاع الناس لذلك وأبطلوا معايشهم وأقاموا ليلا ونهارا يحرسون بيوتهم في الدروب وعلى السطوح وجعلوا عندهم الماء المعد لاطفاء النار فظهر أن سبب هذا الحريق ان جارية أحبت رجلا فوافقته على المبيت عندها في دار مولاها سرا وأعدت له ما يسرقه اذا خرج ويأخذها هي أيضا معه فلما أخذها طرحا النار في الدار وخرجا فاظهر الله عليهما وعجل الفضيحة لهما فأخذا وحبسا وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها وأمر ببناء حصن عندها على تل المعشوقة وأقام شهرا محاصرا لها فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار فأخذها ورحل عن المدينة وقصد مدينة صيدا فحصرها برا وبحرا ونصب عليها البرج الخشب ووصل الاسطول المصري في الدفع عنها والحماية لمن فيها فقاتلهم أسطول الفرنج فظهر المسلمون عليهم فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لاهل صيدا فرحلوا عنها بغير فائدة وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب فبقي ليالي كثيرة ثم غاب * وتوفي في هذه السنة في شعبان ابراهيم بن مياس بن مهدي أبو اسحق القشيري الدمشقي سمع الحديث الكثير من الخطيب البغدادي وغيره وتوفي في ذي القعدة أبو سعيد اسمعيل بن عمرو بن محمد النيسابوري المحدث كان يقرأ الحديث للغرباء قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسي عشرين مرة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة﴾

﴿ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود﴾

في هذه السنة في صفر استولى مودود والعسكر الذي أرسله السلطان معه على مدينة الموصل وأخذوها من أصحاب جاولي سقاوو وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولي عليها وما جرى بينه وبين جكرمش والملك قلج ارسلان وهلاكهما على يده وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير والعدة التامة والاموال الكثيرة وكان السلطان محمد قد جعل اليه ولاية كل بلد يفتحه فاستولى على

طير يكون بارض طبرستان على شاطئ الانهار شبيه بالباشق وأهل طبرستان يسمونه بالكيكم وهو صياحه الذي يصيح به ولا يصيح في السنة الا في هذا الفصل فاذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون في المياه وغيرها فتزقه من أول النهار حتى اذا كان في آخره أخذ واحدا مما قرب من الطير فأكله وكذلك يفعل في كل يوم الى أن ينقضي هذا الفصل الربيعي فاذا انقضى ذلك انعكست عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطارده وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت الى الفصل الربيعي وهو طير حسن موشى حسن العينين قال وذكر علي بن زيد الطبيب الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة أن هذا الطائر ليس يكاد يرى ولم ترقط قدماه على الارض مع انه بل يطأ على الارض باحدى قدميه على البدل لا يطأ الارض بهما في حالة واحدة قال وقد ذكر الجاحظ ان هذا الطير من احدى عجائب الدنيا وذلك أنه لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما خوفا على الارض أن تخسف به من تحته قال والعجب الثاني دودة تكون من المثقال الى الثلاثة تضيء بالليل كضوء الشمع وتطير بالنهار ويرى لها أجنحة خضراء ملساء لا جناحين لها غذاؤها التراب لا تشبع منه قط خوفا أن يفنى تراب الارض فتهلك جوعا وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة قال والعجب كثير

سيف الدولة صدقة وكانا قد قتل أبيهما فلما اجتمعا عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ووعدهما انه يسير معهما الى الحلة وعزموا ان يقدموا عليهم بكتاش بن تكش بن الب ارسلان فوصل اليهم وهم على هذا العزم الاصبهبذ صباوو وكان قد قصد السلطان فاقطعه الرحبة وقد ذكرناه فاجتمع بجاولي وأشار عليه ان يقصد الشام فان بلاده خالية من الاجناد والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه انه متى قصد العراق والسلطان بها أو قريبا منها لم يامن شرا يصل اليه فقبل قوله وأصعد عن الرحبة فوصل اليه رسل سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر يستغيث به من بني نمير وكانت الرقة بيد ولده علي بن سالم فوثب جوشن النميري ومعه جماعة من بني نمير فقتل عليا وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين فصادف تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها فسيره الى جاولي فاخذه وأسر عددا منهم وأتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم الى حلب فاستنجد سالم بن مالك جاولي وسأله ان يرحل الى الرقة ويأخذها ووعده بما يحتاج اليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوما فضمن له بنو نمير مالا وخيلا فارسل الى سالم انني في أمر أهم من هذا وأنا بازاء عدو ويجب التشاغل به دون غيره وأنا عازم على الانحدار الى العراق فان تم أمري فالرقة وغيرها لك ولا أشتغل عن هذا المهم بحصار خمسة نفر من بني نمير ووصل الى جاولي الامير حسين بن اتابك قتلغتكين وكان أبوه اتابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع فخر الملك بن عمار ليصلح الحال مع جاولي ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمار الى جهاد الكفار فحضر عند جاولي وأمره بتسليم البلاد وطيب قلبه عن السلطان وضمن الجميل اذا سلم البلاد وأظهر الطاعة والعبودية فقال جاولي انا مملوك السلطان وفي طاعته وحمل اليه مالا وثيابا لها مقدار جليل وقال له سر الى الموصل ورحل العسكر عنها فاني أرسل معك من يسلم ولدي اليك رهينة وينفذ السلطان اليها من يتولى أمرها وجباية أموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاولي فلما وصلا الى العسكر الذي على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد فامرهم حسين بالرحيل فكلهم أجاب الا الامير مودود فانه قال لا أرحل الا بامر السلطان وقبض على صاحب جاولي وأقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قتلغتكين الى السلطان فاحسن النيابة عن جاولي عنده وسار جاولي الى مدينة بالس فوصلها ثالث عشر صفر فاحتمى أهلها منه وهرب من بها من أصحاب الملك رضوان صاحب حلب فحصرها خمسة أيام وملكها بعد ان نقب برجا من ابراجها فوقع على النقابين فقتل منهم جماعة وملك البلد وصلب جماعة من أعيانه عند النقب وأحضر القاضي محمد بن عبد العزيز بن الياس فقتله وكان فقيها صالحا ونهب البلد وأخذ منه مالا كثيرا

(ذكر الحرب بين جاولي والفرنج)

وفي هذه السنة في صفر كان المصاف بين جاولي سقاوو وبين طنكري الفرنجي صاحب انطاكية وسبب ذلك ان الملك رضوان كتب الى طنكري صاحب انطاكية يعرفه ما عليه جاولي من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه انه على قصد حلب وانه ان ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فاجابه طنكري الى منعه وبرز من انطاكية فارسل اليه رضوان ستمائة فارس فلما سمع جاولي الخبر أرسل الى القمص صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته وأطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة فسار الى جاولي فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر اليه وهو على هذه الحال بان الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه

يسألك أن تغنيه

أوحش الدفرات والدير منزاه فغناهما نابل المعمور

فغنته فقال الفتى أظنهما عراقيتين وما فهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها أعزك الله أين المتوضأ فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

توضأ للصلاة وصل خمسا
وأذن بالصلاة على النبي

فغنته فقال أظنهما حجازيتين وما فهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها يا سيدتي أين الكنيف قالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك ان تغنيه

تكنفني الواشون من كل جانب
ولو كان واش واحد لكفانيا

فغنته فقال أظنهما شاميتين وما فهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها يا هذه أين المستراح فقالت لها صاحبتها ما قال لك قالت يسألك أن تغنيه

ترك الفكاهة والمزاحا
وقلا الصبابة واستراحا

فغنته والمولى يسمع ذلك وهو متناوم فلما اشتد به الامر أنشأ يقول

تكنفني السلاح وأضجروني
على ما بي بتكرير الاغاني
فلما ضاق عن ذلك اصطباري
ذرقت به على وجه الزواني

ثم انه حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية للناظرين وانتبه المولى في أثر ذلك فلما رأى ما نزل بجواريه قال يا أخي ما حملك على هذا الفعل قال يا ابن الفاعلة للشجوار برون الخروج سراطا مستقيما لا يدلني عليه فلم أجد جزاء غير هذا ثم رحل عنه قال فذهب بالراضي الضحك

المساعدة وبطن الخلاف وينتظر فرصة لينصرف عنه فلما وصلا الى عرابان من الخابور هرب ايلغازي ليلا وقصد نصيبين

(ذكر اطلاق جاولي للقمص الفرنجي)

لما هرب ايلغازي من جاولي سار جاولي الى الرحبة فلما وصل الى ماكسين اطلق القمص الفرنجي الذي كان أسيرا بالموصل وأخذه معه واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقي في الحبس الى الآن وبذل الاموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن أطلقه جاولي وخلع عليه وكان مقامه في السجن ما يقارب خمس سنين وقرر عليه ان يفدي نفسه بمال وان يطلق أسرى المسلمين الذين في سجنه وان ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله فلما اتفقا على ذلك سير القمص الى قلعة جعبر وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجعانهم وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان أسر مع القمص في تلك الوقعة ففدى نفسه بعشرين ألف دينار فلما وصل جوسلين الى قلعة جعبر أقام رهينة عوض القمص وأطلق القمص وسار الى انطاكية وأخذ جاولي جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه وأخذ عوضه أخا زوجته وأخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوي به وليحثه على اطلاق الاسرى وانفاذ المال وما ضمنه فلما وصل جوسلين الى منبج أغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من أصحاب جاولي فانكروا عليه ذلك ونسبوه الى الغدر فقال ان هذه المدينة ليست لكم

(ذكر ما جرى بين هذا القمص وبين صاحب انطاكية)

لما أطلق القمص وسار الى انطاكية أعطاه طنكري صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك وكان طنكري قد أخذ الرها من أصحاب القمص حين أسر فخاطبه الآن في ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده الى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد أطلقه جاولي سره ذلك وفرح به وسار اليهما طنكري صاحب انطاكية بعسكره ليحاربهما قبل ان يقوى أمرهما ويجمعا عسكرا ويلحق بهما جاولي وينجدهما فكانوا يقتتلون فاذا فرغوا من القتال اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا وأطلق القمص من الاسرى المسلمين مائة وستين أسيرا كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم وعاد طنكري الى انطاكية من غير فصل حال في معنى الرها فسار القمص وجوسلين وأغارا على حصون طنكري صاحب انطاكية والتجآ الى ولاية كواسيل وهو رجل أرمني ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالي حلب فانجد القمص بالف فارس من المرتدين وألفي راجل فقصدهم طنكري فتنازعوا في أمر الرها فتوسط بينهم البطرك الذي لهم وهو عندهم كالامام الذي للمسلمين لا يخالف أمره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيمند خال طنكري قال له لما أراد ركوب البحر والعود الى بلاده أن يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فاعادها عليه طنكري تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم الى أصحاب جاولي المال والاسرى فاطلق في طريقه خلقا كثيرا من الاسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعفى فعمر أصحاب جاولي مساجدهم وكان رئيس سروج مسلما قد ارتد فسمعه أصحاب جاولي يقول في الاسلام قولا شنيعا فضربوه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع فذكر ذلك للقمص فقال هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله

(ذكر حال جاولي بعد اطلاق القمص)

لما أطلق جاولي القمص بماكسين سار الى الرحبة فاتاه أبو النجم بدران وأبو كامل منصور ابنا

ذكره في هذا الكتاب (وأخبرنا) العروضي قال سمرت عند الراضي في ليلة شاتية صها كيه فرأيته قلقا متململا فقلت له يا أمير المؤمنين أرى منك خصالا لم أعهدها وضيق صدر لم أعرفه فقال له دع عنك هذا وحدثني بحديث فان أنت أزلت بحديثك ما أجده من الهم فلك ما علي وما تحتي على أن أشترط عليك ازالة الهم بالفصل قلت يا أمير المؤمنين رحل رجل من بني هاشم الى ابن عمه بالمدينة فأقام عنده حولا لم يدخل مستراحا فلما كان بعد الحول أراد الرجوع الى الكوفة فخاف عليه أن يقيم عنده أياما أخر فأقام وكان للرجل قينتان فقال لهما أما رأيتما ابن عمي وظرفه أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء فقالتا له فعلينا أن نصنع له شيئا لا يجد معه بدا من الخلاء قال شأنكما وذلك فعمدتا الى حشيش العشر فدقتاه وهو مسهل وطرحتاه في شرابه فلما حضر وقت شرابهما قدمتاه اليه وسقيا مولاهما من غيره فلما أخذ الشراب منهما تناوم المولى وتغمص الفتى فقال للتي تليه يا سيدتي أين الخلاء فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

خلا من آل فاطمة الديار
فنزل أهلها منه اقفار

فغنته فقال الفتى أظنهما كوفيتين وما فهمتا ثم التفت الى الاخرى فقال لها يا سيدتي أين الحش فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت

سيف

أخذ منهم الاولاء فكانت هذه في أعمالها حتى كأنه في ولده بمكافآت ولا يكون بعد هذا الامام من ثم

﴿ذكر انهزام طغتكين من الفرنج﴾

في هذه السنة في شعبان انهزم أتابك طغتكين من الفرنج وسبب ذلك ان حصن عرقة وهو من أعمال طرابلس كان بيد غلام للقاضي فخر الملك أبي علي بن عمار صاحب طرابلس وهو من الحصون المنيعة فعصى على مولاه فضاق به القوت وانقطعت عنه الميرة لطول مكث الفرنج في نواحيه فأرسل الى أتابك طغتكين صاحب دمشق وقال له أرسل من يتسلم هذا الحصن مني قد عجزت عن حفظه ولان يأخذه المسلمون خير لي دنيا وآخرة من أن يأخذه الفرنج فبعث اليه طغتكين صاحبا له اسمه اسرائيل في ثلثمائة رجل فتسلم الحصن فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه اسرائيل في الاختلاط بسهم فقتله وكان قصده بذلك ان لا يطلع أتابك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال وأراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بالعساكر والاقوات وآلات الحرب فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلا ونهارا فمنعه فلما زال ذلك سار في أربعة آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الاكمة فلما سمع السرداني الفرنجي بمجيء طغتكين وهو على حصار طرابلس توجه في ثلثمائة فارس فلما أشرف أوائل أصحابه على عسكر طغتكين انهزموا وخلوا أثقالهم ورحالهم ودوابهم للفرنج فغنموها وقووا به وزاد في تجملهم ووصل المسلمون الى حمص على أقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم أحد لانه لم تجر حرب وقصد السرداني الى عرقة فلما نازلها طلب من كان بها الامان فأمنهم على نفوسهم وتسلم الحصن فلما خرج من فيه قبض على اسرائيل وقال لا أطلقه الا باطلاق فلان وهو أسير كان بدمشق من الفرنج منذ سبع سنين ففودي به وأطلقاهما ولما وصل طغتكين الى دمشق بعد الهزيمة أرسل اليه ملك القدس يقول له لا تظن انني أنقض الهدنة للذي تم عليك من الهزيمة فالملوك ينالهم أكثر مما نالك ثم تعود أمورهم الى الانتظام والاستقامة وكان طغتكين خائفا ان يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد

﴿ذكر صلح السنة والشيعة ببغداد﴾

في هذه السنة في شعبان اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة وكان الشر منهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن في اصلاح الحال فتعذر عليهم ذلك الى ان أذن الله تعالى فيه وكان بغير واسطة وكان السبب في ذلك ان السلطان محمدا لما قتل ملك العرب صدقة كما ذكرناه خاف الشيعة ببغداد أهل الكرخ وغيرهم لان صدقة كان يتشيع هو وأهل بيته فشنع أهل السنة عليهم بانهم نالهم غم وهم لقتله فخاف الشيعة وأغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين الى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزيارة قبر مصعب بن الزبير وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتنقطع الفتن الحادثة بسببه فلما تجهزوا للسير اتفقوا على ان يجعلوا طريقهم في الكرخ فأظهروا ذلك فاتفق رأي أهل الكرخ على ترك معارضتهم وانهم يمنعونهم فصار السنة تسير أهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شيء كثير وجاء أهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه فاستقبلهم أهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير واظهروا بهم السرور وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة وخرج الشيعة ليلة النصف منه الى مشهد موسى بن جعفر وغيره فلم يعترضهم أحد من السنة فعجب الناس لذلك ولما عادوا من زيارة مصعب لقيهم أهل الكرخ بالفرح والسرور فاتفق ان أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب

رجع الى لبس السواد
وللمأمون يا أمير المؤمنين
شعر يشاكل معنى
ما ذكرت من هذا الخبر
وهو قوله
ألام على شكر الوصي أبي
الحسن
وذلك عندي من عجائب
ذا الزمن
خليفة خير الناس والاول
الذي
أعان رسول الله في السر
والعلن
ولولاه ما عدت لهاشم
امرة
وكانت على الايام تقضي
وتمتهن
فولى بني العباس ما اختص
غيرهم
ومن فيه أولى بالتكرم والمنن
فأوضح عبد الله بالبصرة
الهدى
وفاض عبيد الله جودا على
اليمن
وقسم أعمال الخلافة بينهم
فلا زلت مربوطا بذا الشكر
مرتهن
وكان القاهر قد عمد الى
كثير من الاموال عند قتله
لمؤنس وبليق وابنه علي
وغيرهم فغيبها فلما قبض
عليه وسملت عيناه وأفضت
الخلافة الى الراضي طولب
القاهر بالاموال فانكر
أن يكون عنده شيء من
ذلك فأوذي وعذب بأنواع
من العذاب وكل ذلك لا يزيده الا انكارا فأخذه الراضي وقربه وأدناه وطالت مجالسته اياه واكرامه له واعطاه

وأمواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكي بن آقسنقر وبكتاش النهاوندي وبقي جاولي في ألف فارس وانضم اليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقاتلهم طغتكين وهو في ألف وخمسمائة فارس من الفرنج وستمائة من أصحاب الملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولي في ميمنته الامير اقسيان والامير التونتاش الابري وغيرهما وفي الميسرة الامير بدران ابن صدقة والاصبهبذ صباوو وسنقر دراز وفي القلب القمص بغدوين وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل أصحاب انطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فأزاح طغتكين القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولي على رجالة صاحب انطاكية فقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب انطاكية فحينئذ عمد أصحاب جاولي الى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولي وراءهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أخذت الموصل منه فلما رأى انهم لا يعودون معه أهمه نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقي عسكره فاما الاصبهبذ صباوو فسار نحو الشام واما بدران بن صدقة فسار الى قلعة جعبر واما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر واما جاولي فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب انطاكية أموالهم وأثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين الى تل باشر والتجأ اليهما خلق كثير من المسلمين فعملا معهم الجميل وداويا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم الى بلادهم

﴿ذكر عود جاولي الى السلطان﴾

لما انهزم جاولي سقاوو قصد الرحبة فلما قاربها بات دونها في عدة فوارس فاتفق ان طائفة من عسكر الامير مودود الذين أخذوا الموصل منه أغاروا على قوم من العرب مجاورون الرحبة فقاربوا جاولي وهم لا يشعرون به ولو علموا الاخذوه فلما رأى الحال كذلك علم انه لا يقدر أن يقيم في الجزيرة ولا بالشام ولا يقدر على شئ يحفظ به نفسه ويرجع اليه ويداوي به مرضه غير قصد باب السلطان محمد عن رغبة واختيار وكان واثقا بالامير حسين بن قتلغتكين فرحل من مكانه وهو خائف حذر قد أخفى شخصه وكتم أمره وسار الى عسكر السلطان وكان بالقرب من أصبهان فوصل اليه في سبعة عشر يوما من مكانه لجده في السير فلما وصل المعسكر قصد الامير حسين فحمله الى السلطان فدخل اليه وكفنه تحت يده فأمنه وأتاه الامراء يهنئونه بذلك وطلب منه السلطان الملك بكتاش بن تكش فسلمه اليه فاعتقله بأصبهان

﴿ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بعدها﴾

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين أتابك والفرنج وسببها ان طغتكين سار الى طبرية وقد وصل اليها ابن أخت بغدوين الفرنجي ملك القدس فتحاربا واقتتلا وكان طغتكين في ألفي فارس وكثير من الرجالة وكان ابن أخت ملك الفرنج في أربعمائة فارس وألفي راجل فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طغتكين ونادى بالمسلمين وشجعهم فعاودوا الحرب وكسروا الفرنج وأسروا ابن أخت الملك وحمل الى طغتكين فعرض طغتكين عليه الاسلام فامتنع منه وبذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار واطلاق خمسمائة أسير فلم يقنع طغتكين منه بغير الاسلام فلما لم يجب قتله بيده وأرسل الى الخليفة والسلطان الاسرى ثم اصطلح طغتكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الآتي ذكرها أمرا عظيما

كل مذهب وسلم اليه كل ما كان عليه وتحته من لباس وفرش فكان مبلغ ثمن ذلك نحوا من ألف دينار (وذكر) الصولي قال قال الراضي ما كان السبب في لبس المأمون الخضرة ورفعه السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك قلت هو ما أخبرنا به محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال لما قدم المأمون بغداد اجتمع الهاشميون الى زينب بنت سليمان بن علي وكانت أقعد ولد العباس نسبا وأكبرهم بيتا فسألوها أن تكلم أمير المؤمنين في تغييره الخضرة فضمنت لهم ذلك وجاءت الى المأمون فقالت يا أمير المؤمنين انك على بر أهلك من ولد علي ابن أبي طالب أقدر منك على برهم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك فدع لباسك الخضرة ولا تطمعن أحدا فيما كان منك قال لها يا عمة ما كلمني أحد في هذا المعنى بكلام أوقع من كلامك ولا أقصد لما أردت لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي فولي الامرة أبو بكر فقد عرفت ما كان من أمره فينا أهل البيت ثم وليها عمر فلم يتعد فيها فعل من تقدمه ثم وليها عثمان فأقبل على بني أمية وأعرض عن غيرهم ثم آل الامر الى علي بن أبي طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالاكدار فولي مع ذلك عبد الله بن العباس البصرة وولي عبيد الله بن العباس اليمن وولي قثم البحرين وما

ذكر

يختصان به فلما رأى الكماوية المكان خاليا من جمع ثاروا بهم فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين فى عمامته فلم تصنع شيأ ورفسه يحيى فألقاه على ظهره ودخل يحيى بابا وأغلقه على نفسه فضرب الثانى الشريف فقتله وأخذ القائد ابراهيم السيف فقاتل الكماوية ووقع الصوت فدخل أصحاب الامير يحيى فقتلوا الكماوية وكان زيهم زى أهل الاندلس فقتل جماعة من أهل البلد على مثل زيهم وقيل للامير يحيى ان هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة واتفق ان الامير أبا الفتوح بن تميم أخا يحيى وصل تلك الساعة الى القصر فى أصحابه قد لبسوا السلاح فمنع من الدخول فثبت عند الامير يحيى ان ذلك بوضع منهما فأحضر المقدم بن خليفة وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصا لانه قتل أباهم وأخرج الامير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم وهى ابنة عمه ووكل بهما فى قصر زياد بين المهدية وسفاقس فبقى هنالك الى ان مات يحيى وملك بعده ابنه على سنة تسع وخمسمائة فسير أبا الفتوح وزوجته بلارة الى ديار مصر فى البحر فوصلا الى اسكندرية على ما نذكره ان شاء الله وفيها فى المحرم قتل عبد الواحد بن اسمعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الرويانى الطبرى الفقيه الشافعى مولده سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان حافظا للمذهب ويقول لو احترقت كتب الشافعى لامليتها من قلبى وفيها فى جمادى الآخرة توفى الخطيب أبو زكريا يحيى بن على التبريزى الشيبانى اللغوى صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد وفيها فى رجب توفى السيد أبو هاشم زيد الحسنى العلوى رئيس همذان وكان نافذ الحكم ماضى الامر وكانت مدة رياسته همذان سبعا وأربعين سنة وجده لامه الصاحب أبو القاسم ابن عباد وكان عظيم المال جدا فمن ذلك انه أخذ منه السلطان محمد فى دفعة واحدة سبعمائة ألف دينار لم يبع لاجلها أملاكا ولا استدان دينارا وأقام بعد ذلك بالسلطان محمد عدة شهور فى جميع ما يريده وكان قليل المعروف وفيها فى ذى الحجة توفى أبو الفوارس الحسن بن على الخازن الكاتب المشهور بجودة الخط وله شعر منه

عنت الدنيا لطالبها * واستراح الزاهد الفطن
عرف الدنيا فلم يرها * وسواه حظه الفتن
كل ملك نال زخرفها * حظه مما حوى كفن
يقتنى مالا ويتركه * فى كلا الحالين مفتتن
املى كونى على ثقة * من لقاء الله مرتهن
أكره الدنيا وكيف بها * والذى تسخو به وسن
لم تدم قبلى على أحد * فلماذا الهم والحزن

وقيل توفى سنة تسع وتسعين وأربعمائة وقد ذكر هنالك

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة﴾

﴿ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام﴾

فى هذه السنة حادى عشر ذى الحجة ملك الفرنج طرابلس وسبب ذلك ان طرابلس كانت قد صارت فى حكم صاحب مصر ونائبه فيها والمدد يأتى اليها منه وقد ذكرنا ذلك سنة احدى وخمسمائة فلما كان هذه السنة أول شعبان وصل اسطول كبير من بلد الفرنج فى البحر ومقدمهم قمص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلا عليها قبله السردانى ابن أخت صنجيل وليس بابن أخت ريمند هذا بل هو

وكان ذلك بحضرة البستان وقلع تلك الاشجار والغروس والازهار حتى لم يبق منه موضع الاخضرة ووقع فى حجره ولم يجد شيأ فقال له الراضى فهاهنا أنى عما ذكرت فما الذى حملك على ما صنعت فقال له القاهر وهل عندى من المال شئ انما كانت حسرتى جلوسك فى هذا الموضع وتمتعك به وكان اذنى من الدنيا فتأسفت على أن يتمتع به بعدى غيرى فتأسف الراضى على ما توجه عليه من الحيلة فى أمر ذلك البستان وندم على قبوله منه وأبعد القاهر فلم يكن يدنو منه خوفا على نفسه أن يتناول بعض أطرافه وكان الراضى كثير الاستعمال للطيب حسن الهيئة سخيا جوادا حسن المذاكرة بأخبار الناس وأيامهم مقربا لاهل العلم والادب والمعرفة كثير الدنو منهم فائضا بجوده عليهم ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه فى كل يوم الا بصلة أو خلعة أو طيب وكانوا عدة ندماء منهم محمد بن يحيى الصولى وابن حمدون النديم وغيرهما فنوتيه على كثرة افضاله على من يحضره من الجلساء فقال أنا استحسن فعل أمير المؤمنين أبى العباس لانه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع فى أحد لا يحضره نديم ولا مغن ولا فئة

فينصرف الا بصلة أو كسوة قلت أو كثرت وكان لا يؤخر احسان محسن لغد ويقول العجب من انسان يفرح انسانا فيتعجل

ون المعروفة والسن والتقدم في الخلافة ولاطفه وأحسن اليه غاية الاحسان وكان القاهر في بعض

فقرأ لهم قوم ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مزيد الى باب السلطان فقتله وأكرمه وكان قد هرب بعد قتل والده الى الآن والتحق أخوه بدران بن صدقة بالامير مودود الذى اقطعه السلطان الموصل فأكرمه وأحسن صحبته وفيها في نيسان زادت دجلة زيادة عظيمة وتقطعت الطرق وغرقت الغلات الشتوية والصيفية وحدث غلاء عظيم بالعراق بلغت الكارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير امامية وعدم الخبز رأسا وأكل الناس التمر والباقلاء الاخضر وأما أهل السواد فانهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش والتوت وفيها في رجب عزل وزير الخليفة أبو المعالى هبة الله بن المطلب ووزر له أبو القاسم على بن أبي نصر بن جهير وفيها في شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه وهي أخت السلطان محمد وكان الذى خطب خطبة النكاح القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد النيسابوري الحنفي وكان المتولي لقبول العقد نظام الملك أحمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة وكان الصداق مائة ألف دينار ونثرت الجواهر والدنانير وكان العقد باصبهان وفيها تولى مجاهد الدين بهروز شحنكية بغداد وكان سبب ذلك ان السلطان محمدا كان قبض على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى أبي الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهم عنده ثم أطلقهم الآن وقرر عليهم مالا يحملونه اليه فأرسل مجاهد الدين بهروز لقبض المال وأمره السلطان بعمارة دار المملكة ففعل ذلك وعمر الدار وأحسن الى الناس فلما قدم السلطان الى بغداد ولاه شحنكية العراق جميعه وخلع على سعيد بن حميد العمري صاحب جيش صدقة وولاه الحلة السيفية وكان صارما حازما ذا رأي وجلد وفيها في شوال ملك الامير سكمان القطبي صاحب خلاط مدينة ميافارقين بالامان بعد ان حصرها وضيق على أهلها عدة شهور وعدمت الاقوات بها واشتد الجوع بأهلها فسلموها وفي هذه السنة في صفر قتل قاضي أصبهان عبيد الله بن على الخطيبي بهمذان وكان قد تجرد في أمر الباطنية تجردا عظيما وصار يلبس درعا حذرا منهم ويحتاط ويحترز فقصده انسان عجمي يوم جمعة ودخل بينه وبين أصحابه فقتله وقتل صاعد بن محمد بن عبد الرحمن أبو العلاء قاضي نيسابور يوم عيد الفطر قتله باطني وقتل الباطني ومولده سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث وكان حنفي المذهب وفي هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فأتى الخبر الى ملك الفرنج فسار اليه وعارضه في البر وأخذ كل من فيه ولم يسلم منهم الا القليل ومن سلم أخذه العرب وفيها في فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية في حصن شيزر على حين غفلة من أهله في مائة رجل فملكوه وأخرجوا من كان فيه وأغلقوا بابه وصعدوا الى القلعة فملكوها وكان أصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى وكانوا قد أحسنوا الى هؤلاء الذين أفسدوا كل الاحسان فبادر أهل المدينة الباشورة فأصعدهم النساء في الحبال من الطاقات وصاروا معهم وأدركهم الامراء بنو منقذ أصحاب الحصن فصعدوا اليهم فكبروا عليهم وقاتلوهم فانخذل الباطنية وأخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم أحد وقتل من كان على مثل رأيهم في البلد وفيها وصل الى المهدية ثلاثة نفر غرباء فكتبوا الى أميرها يحيى بن تميم يقولون انهم يعملون الكيمياء فأحضرهم عنده وأمرهم أن يعملوا شيأ يراه من صناعتهم فقالوا انه مثل النقرة فأحضرهم ما طلبوا من آلة وغيرها وقعد معهم هو والشريف أبو الحسن وقائد جيشه اسمه ابراهيم وكانا

يلحدون بستان من ريحان وغرس من النارنج قد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل الى أرض الهند قد اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزهر وقد جعل مع ذلك في الصحن أنواع الاطيار من القماري والدباسي والشحارير والببغاء مما قد جلب اليه من الممالك والامصار وكان في غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس في تلك المجالس فلما أفضت الخلافة الى الراضي اشتد شغفه بذلك الموضع فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ثم ان الراضي رفق بالقاهر وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالاموال والحاجة اليها ولا شيء قبله منها وسأله أن يسعفه بما عنده منها اذ كانت الدولة له وأن يدبر تدبيره ويرجع في كل الامور الى قوله وحلف له بالايمان الوكيدة أن لا يسعى في قتله ولا الاضرار به ولا بأحد من ولده فأنعم له القاهر بذلك وقال ليس لي مال الا في بستان النارنج فسار به الراضي الى البستان وسأله عن الموضع فقال له القاهر قد حجب بصري فلست أعرف موضعه ولكن مر بحفره فانك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك

يختصان

ابن المطلب ووزر بعده الزعيم أبو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستترا هو وأولاده واستجار بدار السلطان وفيها جهز يحيى بن تميم صاحب افريقية خمسة عشر شينيا وسيرها الى بلاد الروم فلقيها اسطول الروم وهو كبير فقاتلوهم وأخذوا ست قطع من شواني المسلمين ولم يهزم بعد ذلك ليحيى جيش في البحر والبر وسير ابنه أبا الفتوح الى مدينة سفاقس واليا عليها فثار به أهلها فنهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم فحبسهم وعفا عن دمائهم وذنوبهم وفيها توفي الامير ابراهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهورا بالظلم فجلا كثير من أهلها الجور وملك بعده ولده وكان أصلح حالا منه وفيها في ثامن ذي القعدة ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة الى القبلة وبقي يطلع الى آخر ذي الحجة ثم غاب

﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة﴾

﴿ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام وسبب ذلك انه وصل في البحر الى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس ويغزو بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم ان يقصدوا بلاد الاسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برا وبحرا وكان الاسطول المصري مقيما على صور فلم يقدر على انجاد صيدا فعمل الفرنج برجا من الخشب وأحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلما عاين أهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم وأشفقوا ان يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها الى الفرنج وطلبوا من ملكهم الامان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم والعسكر الذي عندهم ومن أراد المقام به عندهم أمنوه ومن أراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم على ذلك فخرج الوالي وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد في العشرين من جمادى الاولى الى دمشق وأقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وكانت مدة الحصار سبعة وأربعين يوما ورحل بغدوين عنها الى القدس ثم عاد الى صيدا بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار فافقرهم واستغرق أموالهم

﴿ذكر استيلاء المصريين على عسقلان﴾

كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم ان الخليفة الآمر باحكام الله استعمل عليها انسانا يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه وأهدى اليه مالا وعروضا فامتنع به من أحكام المصريين عليه الا فيما يريده من غير مجاهرة بذلك فوصلت الاخبار بذلك الى الآمر باحكام الله صاحب مصر والى وزيره الافضل أمير الجيوش فعظم الامر عليهما وجهزا عسكرا وسيراه الى عسقلان مع قائد كبير من قواده وأظهرا أنه يريد الغزاة وأنفذا الى القائد سرا ان يقبض على شمس الخلافة اذا حضر عندهم ويقيم هو عوضه بعسقلان أميرا فسار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصري وجاهر بالعصيان وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفا منهم فلما عرف الافضل ذلك خاف أن يسلم عسقلان الى الفرنج فأرسل اليه وطيب قلبه وسكنه وأقره على عمله وأعاد عليه أقطاعه بمصر ثم ان شمس الخلافة خاف أهل عسقلان فأحضر جماعة من الارمن واتخذهم جندا ولم يزل على هذه الحال الى آخر سنة

في أخبار من مضى من ملوك الفرس وغيرها وما كانت تأتي من أنبائها وصبرهم عليهم وحسن سياستهم لذلك حتى تصلح أمورهم وتستقيم أحوالهم فسلا عما عرض لنفسه ثم قلت يتبع الله أمير المؤمنين أن يكون كالمأمون في هذا الوقت حيث يقول

صل الندمان يوم المهرجان
بصاف من معتقة الدنان
بكأس خسروانى عتيق
فان العيد عيد خسروانى
وجنبنى الزبيبين طرا
فشأن ذوى الزبيب خلاف شانى
فأشربها وأزعمها حراما
وأرجو عفو رب ذى امتنان
ويشربها ويزعمها حلالا
وتلك على الشقى خطيئتان

فطرب وأخذته أريحية فقال لي صدقت ترك الفرح في مثل هذا اليوم عجز وأمر باحضار الجلساء وقعد في مجلس التاج على دجلة فلم أر يوما كان أحسن منه في الفرح والسرور وأجاز في ذلك اليوم من حضر من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب وأتته هدايا يحكم والطافه من أرض العجم فسر في ذلك اليوم وجميع من حضره (قال المسعودي) وقد أتينا على ما كان في أيام الراضي من الكوائن والحوادث مجملا ومفصلا في كتابنا أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة وما كان من

فيس آخر فجرت بينهما فتنة أدت الى الشر والقتال فوصل طغتكين صاحب انطاكية اليها معونة للسرداني ووصل الملك بغدوين صاحب القدس فى عسكره فاصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا فى قتالها ومضايقة أهلها من أول شعبان والصقوا أبراجهم بسورها فلما رأى الجند وأهل البلد ذلك سقط فى أيديهم وذلت نفوسهم وزادهم ضعفا تأخر الاسطول المصرى عنهم بالميرة والنجدة وكان سبب تأخره أنهم فرغوا منه ومن الحث عليه واختلفوا فيه أكثر من سنة وسار فردته الريح فتعذر عليهم الوصول الى طرابلس ليقضى الله أمرا كان مفعولا وشدد الفرنج القتال عليها من الابراج والزحف فهجموا على البلد وملكوه عنوة وقهرا يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال وغنموا من أهلها الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة مالا يحد ولا يحصى فان أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة وسلم الوالى الذى كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فوصلوا الى دمشق وعاقب الفرنج أهلها بانواع العقوبات وأخذت دفائنهم وذخائرهم من مكامنهم

(ذكر ملك الفرنج جبيل وبانياس)

لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكرى صاحب انطاكية الى بانياس وحصرها وافتتحها وامن أهلها ونزل مدينة جبيل وفيها فخر الملك بن عمار الذى كان صاحب طرابلس وكان القوت فيها قليلا فقاتلها الى ان ملكها فى الثانى والعشرين من ذى الحجة من السنة بالامان وخرج فخر الملك ابن عمار سالما ووصل عقيب ملك طرابلس الاسطول المصرى بالرجال والمال والغلال وغيرها ما يكفيهم سنة فوصل الى صور بعد أخذها بثمانية أيام للقضاء النازل بأهلها وفرقت الغلال التى فيه والذخائر فى الجهات المنفذة اليها صور وصيدا وبيروت وأما فخر الملك بن عمار فانه قصد شيزر فأكرمه صاحبها الامير سلطان بن على بن منقذ الكنانى واحترمه وسأله ان يقيم عنده فلم يفعل وسار الى دمشق فانزله طغتكين صاحبها واجزل له فى الحمل والعطية وأقطعه اعمال الزبدانى وهو عمل كبير من اعمال دمشق وكان ذلك فى المحرم سنة اثنتين وخمسمائة

(ذكر الحرب بين محمد خان وساغربك)

فى هذه السنة عاد ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الاتراك وغيرهم وقصد اعمال محمد خان بسمرقند وغيرها فأرسل محمد خان الى سنجر يستنجده فسير اليه الجنود واجتمع معه أيضا كثير من العساكر وسار الى ساغربك فالتقوا بنواحى الخشب واقتتلوا فانهزم ساغربك وعساكره وأخذت السيوف منهم مأخذها وكثر الاسر فيهم والنهب فلما فرغوا من حربهم وامن محمد خان من شر ساغربك عاد العسكر السنجرى الى خراسان فعبروا النهر الى بلخ

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم سير السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك الى قلعة ألموت لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الاسماعيلية فحصروهم وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضا وفيها فى ربيع الآخر قدم السلطان الى بغداد وعاد عنها فى شوال من السنة أيضا وفيها فى شعبان توجه الوزير نظام الملك الى الجامع فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرح فى رقبته فبقى مريضا مدة ثم برأ وأخذ الباطنى الذى جرحه فسقى الخمر حتى سكر ثم سئل عن أصحابه فاقر على جماعة بمسجد المأمونية فأخذوا وقتلوا وفيها عزل وزير الخليفة وهو أبو المعالى

من حضرة الامير ورا ونحن وان لم تماثلنا الامور كنا نتمثل بمن سلف فانا وانى جلساء تامل اشرنا ببعض ما حضرنا وكان حسنا على سائر الاشياء لا يستكثر لاحد من ندمائه كثرة ما يصل اليه على طول الايام حتى كان بعضهم ربما يتأخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله وكان الغالب عليه من الخدم راغب الخادم وزيرك ومن الغلمان ذكى وغيره (وحدث) أبو الحسن العروضى مؤدب الراضى قال اجتزت فى يوم مهرجان بدجلة بدار بجكم التركى فرأيت من المسرح والملاهى واللعب والفرح والسرور مالم أر مثله ثم دخلت الى الراضى بالله فوجدته خاليا بنفسه قد اعتراه هم فوقفت بين يديه فقال لى ادن فدنوت فاذا بيده دينار ودرهم فى الدينار نحو من مثاقيل وفى الدرهم كذلك عليه صورة بجكم شاك فى سلاحه وحوله مكتوب
انما العز فاعلم * للامير المعظم
* سيد الناس بجكم *
ومن الجانب الآخر الصورة بعينها جالس فى مجلسه كالمفكر المطرق فقال الراضى أما ترى صنع هذا الانسان وما تسمو اليه همته وما تحدثه به نفسه فلم أجبه بشئ وأخذت به

ابن

تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للاسلام حتى قد أرسل اليك في جهادهم وفيها في رمضان زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة وزينت بغداد وغلقت وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها وفيها هبت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا وأخذت بانفاس الناس ولم يقدر أحد يفتح عينيه ومن فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل ويئس الناس من الحياة وأيقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد الى الصفرة وكان ذلك من أول وقت العصر الى بعد المغرب وفيها في المحرم توفي الكيا الهراس الطبري واسمه أبو الحسن علي بن محمد بن علي وكان من أعيان الفقهاء الشافعية أخذ الفقه عن امام الحرمين الجويني ودرس بعده في النظامية ببغداد وتوفي بها ودفن عند تربة الشيخ أبي اسحق ودرس بعده في النظامية الامام أبو بكر الشاشي وفيها توفي أبو الحسين ادريس بن حمزة بن علي الرملي الفقيه الشافعي من أهل الرملة بفلسطين تفقه على أبي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وعلى الشيخ أبي اسحق الشيرازي ودخل خراسان وولي التدريس بسمرقند فتوفي بها

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة﴾

﴿ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج﴾

في هذه السنة اجتمعت العساكر التي أمرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج فكان الامير مودود صاحب الموصل والامير سكمان القطبي صاحب تبريز وبعض ديار بكر والامير ايلبكي وزنكي ابنا برسق ولهما همذان وما جاورها والامير أحمديل وله مراغة وكوتب الامير أبو الهيجاء صاحب اربل والامير ايلغازي صاحب ماردين والامراء البكجية بالمسير بالعساكر مع الملك مسعود فجاء مسعود ومودود فاجتمعوا ما عدا الامير ايلغازي فانه سير ولده اياز واقام هو فلما اجتمعوا ساروا الى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وقتل من بها منهم وحصروا مدينة الرها مدة ثم رحلوا عنها من غير ان يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها ان الفرنج اجتمعت جميعها فارسها وراجلها وساروا الى الفرات ليعبروها ويمنعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا الى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه وأقاموا على الفرات فلما رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها الى حران ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات اليهم ويقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر الى الرها فجعلوا فيها كل ما يحتاجون اليه بعد ان كانوا قليلي الميرة وقد أشرفوا على ان يؤخذوا وأخذوا كل من فيه عجز وضعف وفقر وعادوا الى الفرات فعبروه الى الجانب الشامي وطرقوا أعمال حلب فافسدوا ما فيها ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وسبوا خلقا كثيرا وكان سبب ذلك ان الفرنج لما عبروا الى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب الى ما أخذه الفرنج من أعمالها فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عادوا وعبروا الفرات فعلوا باعماله ما فعلوا واما العسكر السلطاني فانه لما سمع بعود الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا الى الرها وحصروها فرأوا أمرا محكما قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التي تركت عندهم وبكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة وأربعين يوما ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضا ووصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الامير سكمان القطبي فعاد مريضا فتوفي في بالس فجعله أصحابه في تابوت وحملوه عائدين الى بلاده فقصدهم ايلغازي ليأخذهم وينهب ما معهم فجعلوا تابوته في القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم ايلغازي وغنموا ما معه وساروا الى بلادهم ولما اغلق الملك رضوان أبواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا الى معرة النعمان واجتمع ٢٢ م

جيشان جيش في الماء في السميريات والطيارات والزبازب وهذه انواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار وجيش في البر عظيم واصطنعوا الرجال وبذلوا الرغائب فانضاف اليهم حجرية السلطان وغلمانه وصار جيش السلطان الاتراك والديلم والجبل ونفر من القرامطة وكل ذلك مع تورون وكان تورون من رفقاء بجكم والخواص من أصحابه فانحدر تورون الى واسط لحرب البريديين وكانوا ملكوا واسط وتغلبوا عليها فكانت بينهم سجالا والمتقي لله لا أمر له ولا نهي فكاتب المتقي أبا محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة وأخاه أبا الحسن علي ابن عبد الله سيف الدولة أن ينجدوه ويستنقذوه مما هو فيه ويفوض اليهما الملك والتدبير وقد كان قبل ذلك خرج اليهم تورون في جماعتهم منضاف وغيره من الاتراك والديلم وذلك عند قتلهم محمد بن رائق في سنة ثلاثين وثلثمائة وانحدارهم الى مدينة السلام واستيلائهم على الملك والقيام له وحربهم البريديين وما كان بينهم من الوقائع الى أن توجه عليهم ما ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان من خروج أبي محمد الحسن بن عبد الله من الحضرة الى الموصل ولحوق أخيه أبي الحسن علي بن عبد الله وخلاصه مما دبره عليه تورون وجحجح التركي فخرج المتقي الى الموصل فلما بلغ تورون ذلك رجع

أربع وخمسمائة فأنكر الامر أهل البلد فوثب به قوم من أعيانه وهو راكب فجرحوه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الاموال بهذه الحجة وأرسلوا الى مصر بجلية الحال الى الآمر والافضل فسرا بذلك وأحسنا الى الواصلين بالبشارة وارسلا اليه واليا يقيم به ويستعمل مع أهل البلد الاحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه

﴿ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره﴾

في هذه السنة جمع صاحب انطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الاثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الامر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبا قصدوا أن يخرجوا منه الى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن اليه صبي أرمني فعرفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجد في قتالهم حتى ملك الحصن قهرا وعنوة وقتل من أهله ألفي رجل وسبي وأسر الباقين ثم سار الى حصن زردنا فحصره ففتحه وفعل بأهله مثل الاثارب فلما سمع أهل منبج بذلك فارقوها خوفا من الفرنج وكذلك أهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما أنيس فعادوا عنهما وسار عسكر من الفرنج الى مدينة صيدا فطلب أهلها منهم الامان فامنوهم وتسلموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وأيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامي له والمانع عنه فشرع أصحاب البلاد الاسلامية بالشام في الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الاجابة الا على قطيعة يأخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار وصالحهم علي الكردي صاحب حماه على ألفي دينار وكانت مدة الهدنة الى وقت ادراك الغلة وحصادها ثم ان مراكب أقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الامتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فأخذوها وغنموا ما مع التجار وأسروهم فسار جماعة من أهل حلب الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبرا الى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم أهل بغداد فمنعهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة وهجموا الى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة أيضا فأرسل الخليفة الى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ الى من معه من الامراء بالمسير الى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده الملك مسعودا مع الامير مودود صاحب الموصل وتقدموا الى الموصل ليلحق بهم الامراء ويسيرون الى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا في سنة خمس وخمسمائة وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عزل نظام الملك أحمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمد بن الحسين الميبذي وفيها ورد رسول ملك الروم الى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول أهل حلب وكان أهل حلب يقولون للسلطان أما تتقي الله

تعالى

أمره بحال خروجه مع بحكم الى بلاد الموصل وديار ربيعة وما كان بين بحكم وأبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان المسمى بعد ذلك بناصر الدولة وقصدنا فيما ذكرناه في هذا الكتاب الى الاختصار دون الشرح والاكثار اذ كان في الاكثار من الاخبار ثقل على القلوب وملل للسامع وقليل الاخبار يغني عن كثير الاقتدار

﴿ذكر خلافة المتقي لله﴾

وبويع المتقي لله وهو أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر لعشر خلون من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وكان خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا وثلاثة وعشرين يوما وأمه أم ولد

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾

ولما أفضت الخلافة الى المتقي لله أقر على الوزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر أبا الحسن أحمد ابن محمد بن ميمون وكان كاتبه قبل الخلافة ثم استوزر أبا اسحق محمد بن أحمد القراريطي ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني ثم استوزر أبا الحسن علي بن مقلة وغلب على الامر أبو الوفاء توزون التركي واشتد أمر الزيديين بالبصرة ومنعوا السفن أن تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم

المسلم وحمله الى الملك بغدوين فلما وقف عليه سير مركبا الى المكان الذى ذكره طغتكين وفيه
جماعة من المسلمين الذين استأمنوا اليه من صور فوصل اليهم العسكر فكاموهم بالعربية فلم
ينكروهم وركبوا معهم فأخذوهم أسرى وجاؤهم الى الفرنج فقتلوهم وطمعوا فى أهل صور
فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها وقصد حصن الحبيس فى السواد من
أعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل من فيه وعاد الى الفرنج الذين
على صور وكان يقطع الميرة عنهم فى البر فاحضروها فى البحر وخندقوا عليهم ولم يخرجوا اليه
فسار الى صيدا وأغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية وأحرق نحو عشرين مركبا على
الساحل وهو مع ذلك يواصل أهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم
وقاتل أهل صور قتال من أيس من الحياة فدام القتال الى أوان ادراك الغلات فخاف الفرنج
ان طغتكين يستولى على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال الى عكا وعاد عسكر
طغتكين اليه وأعطاهم أهل صور الاموال وغيرها ثم أصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها
وكان الفرنج قد طموه

﴿ذكر انهزام الفرنج بالاندلس﴾

فى هذه السنة خرج اذفونش الفرنجى صاحب طليطلة بالاندلس الى بلاد الاسلام بها وطلب
ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فأكثر وكان قد قوى طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين
يوسف بن تاشفين فسمع أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الخبر فسار اليه فى عساكرها وجموعه
فلقيه فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج وقتلوا قتلا ذريعا وأسر منهم
بشر كثير وسبى منهم وغنم من أموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من
قصد بلاده وذل اذفونش حينئذ وعلم ان فى البلاد حاميا لها وذابا عنها وفى هذه السنة فى جمادى
الآخرة توفى الامام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الامام المشهور

﴿ثم دخلت سنة ست وخمسمائة﴾

فى هذه السنة فى المحرم سار مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره
زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك وأهل الفرنج ولم يحترزهم فلم يشعر
الا وجوسلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المرعى فأخذ الفرنج
كثيرا منها وقتلوا كثيرا من العسكر فلما تأهب المسلمون للقائه عاد عنهم الى سروج وفيها رحل
السلطان محمد من بغداد وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر فلما وصل الى أصبهان قبض على زين
الملك أبى سعد القمى وسلمه الى الامير كاميار لعداوة بينهما فلما وصل الى الرى أركبه كاميار على
دابة بمركب ذهب وأظهر أن السلطان خلع عليه على مال قرره عليه فحصل بذلك مالا كثيرا من
أهل القمى ثم صلبه وكان سبب قبضه انه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان وفيها كان
ببغداد رجل مغربى يعمل الكيمياء يزعم اسمه أبو على فحمل الى دار الخلافة وكان آخر العهد به
وفيها ورد الى بغداد يوسف بن أيوب الهمدانى الواعظ وكان من الزهاد العابدين فوعظ الناس بها
فقام اليه رجل متفقه يقال له ابن السقاء فآذاه فى مسئلة وعاده فقال له اجلس فانى أجد من
كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الاسلام فاتفق بعد مديدة ان ابن السقاء خرج
الى بلاد الروم وتنصر وفيها فى ذى القعدة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة ولم يكن بالسماء غيم حتى
يظن انه صوت رعد ولم يعلم أحد أى صوت كان وفيها توفى بسيل الارمنى صاحب الدروب ببلاد

عن حلب وبالاخص عند مسير الاخشيد الى بلاد قنسرين والعواصم فانفض جمعه وتفرق جنده عنه
وانضافوا الى الحسن بن
على بن عبد الله واتصلت
كتب تورون بالمتقى وتواترت
رسله يسأله الرجوع الى
الحضرة وأشهد تورون من
حضره من القضاة والفقهاء
والشهود وأعطى العهود
والمواثيق بالسمع والطاعة
للمتقى والتصرف له بين أمره
ونهيه وترك الخلاف عليه
وأنفذ اليه كتب القضاة
والشهود بما يدل من
الايمان وأعطى من العهود
وأشار بنو حمدان على المتقى
أن لا ينحدر وخوفوه من
تورون وحذروه أمره
فانه لا يأمنه على نفسه فأبى
الا مخالفتهم والثقة بما
ورد عليه من تورون وقد
كان بنو حمدان أنفقوا على
المتقى نفقة واسعة عظيمة
طول مقامه عندهم
واجتيازه بهم يكثر وصفها
ويعسر علينا فى التحصيل
ايرادها لا كثار المخبرين انا
بقصديدها وانصرف
الاخشيد عن الفرات
متوجها نحو مصر وانحدر
المتقى فى الفرات فتلقاه أبو
جعفر بن شيرزاد كاتب تورونه
بأحسن لقاء وأقام الانزال
ومضى فى انحداره حتى
دخل النهر المعروف بنهر
عيسى وسار الى الضيعة
المعروفة بالسندية على
شاطئ هذا النهر فتلقاه
تورون هنالك وترجل له ومشى بين يديه فأقسم عليه أن يركب ففعل حتى وافى به الى المضرب الذى كان ضرب له على الشط

طغتكين صاحب دمشق ونزل على الامير مودود قاطع من الامراء على نيات فاسدة في حقه يخاف ان تؤخذ منه دمشق فشرع في مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين فلم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم ان الامير برسق بن برسق الذي هو أكبر الامراء كان به نقرس فهو يحمل في محفة ومات سكمان القطبي كما ذكرنا وأراد الامير أحمد يل صاحب مراغة العود ليطالب من السلطان ان يقطعه ما كان لسكمان من البلاد وأتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الامراء على نفسه فلم ينصحهم الا انه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة وصداقة فتفرقوا لهذه الاسباب وبقي مودود وطغتكين بالمعرة فسار وامنها ونزلوا على نهر العاصي ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الاسلام طمعوا وكانوا قد اجتمعوا كلهم بعد الاختلاف والتباين وساروا الى فامية فسمع بهم السلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار الى مودود وطغتكين وهون عليهما أمر الفرنج وحرضهما على الجهاد فرحلوا الى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ولزوهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافا فلما رأوا قوة المسلمين عادوا الى فامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من أدركوه في ساقتهم وعادوا الى شيزر في ربيع الاول

﴿ذكر حصر الفرنج مدينة صور﴾

لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فساروا ومعهم الملك بغدوين صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها في الخامس والعشرين من جمادى الاولى وعملوا عليها ثلاثة أبراج خشب علو البرج سبعون ذراعا وفي كل برج ألف رجل ونصبوا عليها المجانيق وألصقوا أحدها الى سور البلد وأخلوه من الرجال وكانت صور للآمر بأحكام الله العلوي ونائبه بها عز الملك الاعز فأحضر أهل البلد واستشارهم في حيلة يدفعون بها شر الابراج عنهم فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه احراقها وأخذ معه ألف رجل بالسلاح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج الى أن وصلوا الى البرج الملتصق بالمدينة فألقى الحطب من جهاته وألقى فيه النار ثم خاف ان يشتغل الفرنج الذين في البرج باطفاء النار ويتخلصون فرماهم بجرب كان قد أعدها ملأها من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث فتمكنت النار منه فهلك كل من به الا القليل وأخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب ثم أخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط والزفت والكتان والكبريت ورماهم بسبعين سلة وأحرق البرجين الآخرين ثم ان أهل صور حفروا سراديب تحت الارض ليسقط فيها الفرنج اذا زحفوا اليهم وليخسف برج ان عملوه وسيروه اليهم فاستأمن نفر من المسلمين الى الفرنج وأعلموهم بما عملوه فحذروا منها وأرسل أهل البلد الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدونه ويطلبونه ليسلموا البلد اليه فسار في عساكره الى نواحي بانياس وسير اليهم نجدة مائتي فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففني نشاب الاتراك فقاتلوا بالخشب وفني النفط فظفروا بسرب تحت الارض فيه نفط لا يعلم من خزنه ثم ان عز الملك صاحب صور أرسل الاموال الى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم ليرحل الفرنج فأرسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويأمره ان يتسلم مركبا عينه ذكره لتجيء الرجال اليه فسقط الطائر على مركب الفرنج فأخذه رجلان مسلم وافرنجي فقال الفرنجي نطلقه لعل فيه فرجا لهم فلم يمكنه

المسلم

الى بغداد وقصد بنى حمدان فكان التقاؤهم بعكبرا وكانت بينهم سجالا ثم كانت لتوزون عليهم فرجع الى بغداد ثم جمعوا له أيضا ورجعوا اليه فتركهم حتى قربوا الى بغداد فخرج عليهم فلقيهم فهزمهم بعد مواقعات كانت بينهم وسار هو حتى دخل الموصل وخرج عنها الى مدينة بلد فصالحوه على مال حملوه اليه فرجع الى بغداد وهو مستظهر بمن معه من الاتراك والجيل والديلم وكمال العدة والكراع وسار المتقي الى نصيبين ورجع عنها الى الرقة فنزلها وذلك لايام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكاتب الاخشيد محمد بن طغج فسار الى الرقة وحمل اليه مالا كثيرا وأهدى اليه غلمانا وأثاثا وضم اليه قائدا من قواده وجمل أمره وزاد في حاله وبر جميع من معه من وزيره أبي الحسن علي بن مقلة وقاضي القضاة أحمد بن عبد الله بن اسحق الخرقي وسلام الحاجب المعروف بأخي نجيح الطولوني وجماعة الوجوه والغلمان ثم لم يعبر الاخشيد محمد بن طغج الى الرقة ولا الى شيء من جانب الجزيرة وديار مضر وعبر المتقي وسار الى معسكره من الجانب الشامي فكانت بينهم خطوب وأيمان وعهود وأبو الحسن علي بن عبد الله ابن حمدان مقيم بحران طول مقام المتقي بالرقة وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان سار

بعد قتل مودود كتابا من فضوله ان أمة قد أنت عميدها يوم عيدها في بيت معبودها الفقير على الله ان يبيدها ولما قتل تسلم تبرك صاحب سنجار ما معه من الخزائن والسلاح وحملها الى السلطان ودفن مودود بدمشق في تربة دقاق صاحبها وحمل بعد ذلك الى بغداد فدفن في جوار أبي حنيفة ثم حمل الى أصبهان

﴿ ذكر الخلاف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما ﴾

في هذه السنة كثر الحديث عند سنجر أن محمد خان بن سليمان بن داود قد مد يده الى أموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا وانه خرب البلاد بظلمه وشره وانه قد صار يستخف بأوامر سنجر ولا يلتفت الى شئ منها فتجهز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر فخاف محمد خان فارسل الى الامير قماج وهو أكبر أمير مع سنجر يسأله ان يصلح الحال بينه وبين سنجر وارسل أيضا الى خوارزمشاه بمثل ذلك وسألهما في ارضاء السلطان عنه واعترف بأنه اخطأ فأجاب سنجر الى صلحه على شرط ان يحضر عنده ويطأ بساطه فارسل محمد خان يذكر خوفه اسومضيه ولكنه يحضر الخدمة ويخدم السلطان وبينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول اليه فحسنوا الاجابة الى ذلك والاشتغال بغيره فامتنع ثم أجاب وكان سنجر على شاطئ جيحون من الجانب الغربي وجاء محمد خان الى الجانب الشرقي فترجل وقبل الارض وسنجر راكب وعاد كل واحد منهما الى خيامه ورجعوا الى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى بغدوين ملك الفرنج فسار اليه وعارضه في البر فأخذهم أجمعين ولم ينج منهم الا القليل ومن سلم أخذه العرب وفي هذه السنة توفي الوزير أبو القاسم علي بن محمد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ووزر بعده الربيب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان وفيها توفي الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ست عشرة سنة وكانت أمور رضوان غير محمودة قتل أخويه أبا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في كثير من أموره لقلة دينه ولما ملك الاخرس استولى على الامور لؤلؤ الخادم ولم يكن للاخرس معه الا اسم السلطنة ومعناه للؤلؤ ولم يكن الب ارسلان أخرس وانما في لسانه حبسة وتمتمة وأمه بنت باغيسيان الذي كان صاحب انطاكية وقتل الاخرس أخوين له أحدهما اسمه ملكشاه وهو من أبيه وأمه واسم الآخر مباركشاه وهو من أبيه وكان أبوه فعل مثله فلما توفي قتل ولداه مكافاة لما اعتمده مع أخويه وكان الباطنية قد كثروا بحلب في أيامه حتى خافهم ابن بديع رئيسها واعيان أهلها فلما توفي قال ابن بديع لالب ارسلان في قتلهم والايقاع بهم فامره بذلك فقبض على مقدمهم أبي طاهر الصائغ وعلى جميع أصحابه فقتل أبا طاهر وجماعة من أعيانهم وأخذ أموال الباقين وأطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا في البلاد وفي هذه السنة توفي ببغداد أبو بكر أحمد بن علي بن بدران الحلواني الزاهد منتصف جمادى الاولى روى الحديث عن القاضي أبي الطيب الطبري وأبي محمد الجوهري وأبي طالب العشاري وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن آخرهم أبو الفضل عبد الله بن الطوسي خطيب الموصل واسمعيل بن أحمد بن الحسين بن علي أبو علي بن أبي بكر البيهقي الامام ابن الامام ومولده سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وتوفي بمدينة بيهق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة وشجاع بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن

وصرنا الى المتقي فأعلمته احضاري الرجل الذي طلبه فلما خلا رجعه دعا به واستدناه فوجد عنده ما أراده فكان معه أيام مقامه بالرقة فلما انحدر كان معه في الزورق فلما صار الى نهر سعيد وذلك بين الرقة والرحبة أرق المتقي ذات ليلة فقال للرجل ماتحفظ من أشعار المحدثة واخبارها فاخذ الرجل في أخبار آل أبي طالب الى أن صار الى أخبار الحسن ابن زيد وأخيه محمد بن زيد ابن الحسن وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان وذكر كثيرا من محاسنهما وقصد أهل العلم والادب اياهما وما قالت الشعراء فيهما فقال له المتقي أتحفظ شعر أبي المقاتل نصر بن نصر الحلواني في محمد بن زيد الحسني الداعي قال لا يا أمير المؤمنين لكن معي غلام لي قد حفظ بحداثة سنه وحدة مزاجه وغلبة الهمة لطلب العلم والادب عليه ما لم أحفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم قال أحضره ولم أخفيت عني خبره مثل هذا فيكون حضوره زيادة في أنسنا فأحضر الغلام من زورق آخر فوقف بين يديه فقال له صاحبه أتحفظ قصيدة أبي المقاتل في ابن زيد قال نعم قال المتقي أنشدنيها فابتدأ ينشده اياها

لاتقل بشرى وقل لي بشريان

غرة الداعي ويوم المهرجان * ختلفت كفاه موتا وحياه * وحوت أصلاه لمه الجنان * فهو فصل في زمان بدوي *

ابن لاون فسار طنكرى صاحب انطاكية أول جمادى الآخرة الى بلاده طمعا في ان يملكها فرض في طريقه فعاد الى انطاكية فمات ثامن جمادى الآخرة وملكها بعده ابن أخته سرخالة واستقام الامر فيها بعد ان جرى بين الفرنج خلف بسببه فاصلح بينهم القسوس والرهبان وفيها توفي قراجه صاحب حمص وكان ظالما وقام ولده قرجان مكانه وكان مثله في قبح السيرة وفي هذه السنة توفي المعمر بن علي أبو سعد بن أبي عمامة الواعظ البغدادي ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وكان له خاطر حاد ومجون حسن وكان الغالب على وعظه أخبار الصالحين وتوفي أحمد بن الفرج بن عمر الدينوري والدشهدة وكان يروى عن أبي يعلى بن الفراء وابن المأمون وابن المهتدي وابن النقور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهدا وتوفي أبو العلاء صاعد بن منصور بن اسمعيل بن صاعد الخطيب النيسابوري وكان من أعيان الفقهاء وولى قضاء خوارزم وكان يروى الحديث

❁(ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة)❁

❁(ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود)❁

في هذه السنة في المحرم اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل وتميرك صاحب سنجار والامير اياز بن ايلغازي وطغتكين صاحب دمشق وكان سبب اجتماع المسلمين أن ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخربه أواخر سنة ست وخمسمائة وانقطعت المواد عن دمشق فغلت الاسعار فيها وقلت الاقوات فارسل طغتكين صاحبها الى الامير مودود يشرح له الحال ويستنجده ويحثه على سرعة الوصول اليه فجمع عسكرا وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ست وخمسمائة فخافه الفرنج وسمع طغتكين خبره فسار اليه ولقيه بسلمية واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس فسار والى الاردن فنزل المسلمون عند الاقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم واشتد القتال وصبر الفريقان ثم ان الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وممن أسر ملكهم بغدوين فلم يعرف فأخذ سلاحه وأطلق فنجا وغرق منهم في بحيرة طبرية ونهر الاردن كثير وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ووصل الفرنج الى مضيق دون طبرية فلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فقويت نفوسهم بهم وعاودوا الحرب فاحاط بهم المسلمون من كل ناحية وصعد الفرنج الى جبل غرب طبرية فاقاموا به ستة وعشرين يوما والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرج منهم أحد فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا الى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزل بمرج الصفر الامير مودود وأذن للعساكر في العود والاستراحة ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة وبقي في خواصه ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الاول ليقيم عند طغتكين الى الربيع فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الاول ليصلي فيه وطغتكين فلما فرغوا من الصلاة وخرج الى صحن الجامع ويده في يد طغتكين وثب عليه باطني فضربه فجرحه أربع جراحات وقتل الباطني وأخذ رأسه فلم يعرفه أحد فاحرق وكان صائما فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله الا صائما فمات من يومه رحمه الله فقيل ان الباطنية بالشام خافوه وقتلوه وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله وكان خيرا عادلا كثير الخير (حدثني) والذي قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين

من [illegible] للمتقي وذلك على شروط من مدينة السلام فأقام هنالك وأنفذ رسلا الى دار طاهر احضر المستكفي فلما حصل المستكفي في المضرب قبض على المتقي ونهب جميع ما كان معه وقبض على وزيره أبي الحسين علي بن محمد بن مقلة وعلى قاضيه أحمد بن عبد الله بن اسحق ونهب جميع العسكر وانصرف القائد الذي كان الاخشيد ضمه الى المتقي ومن معه الى صاحبهم وأحضر المستكفي فبويع له وبكى المتقي وصاح النساء والخدم لصياحه فأمر توزون بضرب الدبادب حول المضرب فخفي صراخ الخدم وأدخل الى الحضرة مسمول العينين وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم وسلم الى المستكفي بالله وبلغ ذلك القاهر فقال قد صرنا بحقيق نحتاج الى صدر يعرض بالمستكفي بالله (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقي قال لما نزل المتقي الرقة كنت فيمن يتصرف بين يديه وأقرب منه في الخدمة لطول صحبته فقال لي في بعض الايام في الرقة وهو جالس في داره على الفرات اطلب لي رجلا أخباريا يحفظ أيام الناس أتفسح اليه في خلواتي واستريح به في الاوقات قال فسألت بالرقة عن رجل بهذا الوصف فأرشدت الى رجل بالرقة كهل لازم لمنزله فصرت اليه ورغبته في الدخول الى المتقي لله فقام معي كالمكره

بعد

﴿ذكر الحرب بين البرسقي وايلغازي وأسر ايلغازي﴾

لما قبض البرسقي على اياز بن ايلغازي سار الى حصن كيفا وصاحبها الامير ركن الدولة داود بن أخيه سقمان فاستنجده فسار معه في عسكره وأحضر خلقا كثيرا من التركمان وسار الى البرسقي فلقيه أواخر السنة واقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه فانهزم البرسقي وعسكره وخلص اياز بن ايلغازي من الاسر فارسل السلطان اليه يتهدده فخافه وسار الى الشام الى حمية طغتكين صاحب دمشق فأقام عنده أياما وكان طغتكين أيضا قد استوحش من السلطان لانه نسب اليه قتل مودود فاتفقا على الامتناع والالتجاء الى الفرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجددوا العهود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازي الى الرستن على عزم قصد ديار بكر وجمع التركمان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الامير قيرخان بن قراجة صاحب حمص وقد تفرق عن ايلغازي أصحابه فظفر به قرجان وأسره ومعه جماعة من خواصه وأرسل الى السلطان يعرفه ذلك ويسأله تعجيل انفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على ايلغازي ولما بلغ طغتكين الخبر عاد الى حمص وأسل في اطلاقه فامتنع قرجان وحلف ان لم يعد طغتكين ليقتلن ايلغازي فارسل ايلغازي الى طغتكين ان اللاجة تؤذيني وتسفك دمي والمصلحة عودك الى دمشق فعاد وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانية فتأخرت عنه فخاف ان يخدع أصحابه لطغتكين ويسلموا اليه حمص فعدل الى الصلح مع ايلغازي على أن يطلقه ويأخذ ابنه اياز رهينة ويصاهره ويمنعه من طغتكين وغيره فاجابه الى ذلك فاطلقه وتحالفا وسلم اليه ابنه اياز وسار عن حمص الى حلب وجمع التركمان وعاد الى حمص وطلب ولده اياز وحصر قرجان الى ان وصلت العساكر السلطانية فعاد ايلغازي على ما نذكره

﴿ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر﴾

في هذه السنة في شوال توفي الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبي المظفر ابراهيم بن أبي سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وملك بعده ابنه أرسلانشاه وأمه سلجوقية وهي أخت السلطان ألب ارسلان بن داود فقبض على اخوته وسجنهم وهرب أخ له اسمه بهرام الى خراسان فوصل الى السلطان سنجر بن ملكشاه فارسل الى أرسلانشاه في معناه فلم يسمع منه ولا اصغى الى قوله فتجهز سنجر للسير الى غزنة واقامة بهرامشاه في الملك فارسل ارسلانشاه الى السلطان محمد يشكو من أخيه سنجر فارسل السلطان الى أخيه سنجر يأمره بمصالحة ارسلانشاه وترك التعرض له وقال للرسول ان رأيت أخي وقد قصدهم وسار نحوهم أو قارب ان يسير فلا تمنعه ولا تبلغه الرسالة فان ذلك يفت في عضده ويوهنه ولا يعود ولان يملك أخي الدنيا أحب الي فوصل الرسول الى سنجر وقد جهز العساكر الى غزنة وجعل على مقدمته الامير انز مقدم عسكره ومعه الملك بهرامشاه فسار واجتاز بالقوابست واتصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان وجمع ارسلانشاه الخبر فسير جيشا كثيفا فهزماه ونهباه وعاد من سلم الى غزنة على اسوأ حال فخضع حينئذ أرسلانشاه وأرسل الى الامير انز يضمن له الاموال الكثيرة ليعود عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل وتجهز السلطان سنجر بعد أنز للسير بنفسه فارسل اليه ارسلانشاه امرأة عمه نصر تسأله الصفح والعود عن قصده وهي أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوجها فسيرها

جدنا في النفع والضر بدارا * فهما في كل حال ضرتان
أرخت كمالك في الآفاق حتى

ما تلاقي بسوالك الشفتان
قد منك المدح العروض التي
لك أرضا في أفادتك الهمان
أنت لا تحوي به قول كتاب
لك شأن خارج عن كل شان
لك اثقال أياد مثقلات
عجزت عن حملهن الثقلان
انما مدحك وحي وزبور
والذي ضمت عليه الدفتان
هاكها جوهرة نيرية تو
لي وجوه الموت تكفينه
الطنان
يا امام الدين خذها من امام
ملكت أشعاره سبق الرهان
واستمع للرمل الاول ممن
كشف المحنة من غير امتحان
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
سنة أجزاؤها عز الوزان
كرة الآفاق لا تطلع الا
عارت الريح لها كالصولجان
حليت في صنعة الالفاظ مما
يرتجيه كل ذي عفو وجان
أنت تحكي جنة الخلد طباعا
والقوافي فيك كالحور
الحسان
وابق للشعر بقاء الشعر
والشكر
ومع الدهر فنعم الباقيان
عمر رضوى بل ثبير وشمام
وأرام وشماريخ أبان
شهد الله على ما في ضميري
فاستمع لفظي ترجيع أذان
حسنات ليس فيها سيئات
مدحة الداعي اكتبا
يا كاتبان
فلم يزل المتقي كلما مر به
بيت استعاده ثم أمر الغلام
بالجلوس فلما كان في اليوم الذي لقيه فيه ابن سيرار الكاتب بعمه

فارس أبو غالب الذهلي الحافظ ومولده سنة ثلاثين وأربعمائة وروى عن أبيه وأبي القاسم وابن المهتدي والجوهري وغيرهم والاديب أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد الابيوردي الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره

تنكر لي دهري ولم يدر أنني * أعز وأحداث الزمان تهون
وظل يريني الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

(وله أيضا)

ركبت طرفي فأذرى دمعه أسفا * عند انصرافي منهم مضمر الياس
وقال حتام تؤذيني فان سنحت * حوائج لك فاركبني الى الناس

وكانت وفاته باصبهان وهو من ولد عنبسة بن أبي سفيان بن حرب الاموي وتوفي أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الامام الفقيه الشافعي في شوّال ومولده سنة سبع وعشرين وأربعمائة سمع أبا بكر الخطيب وأبا يعلى بن الفراء وغيرهم وتفقه على أبي عبد الله محمد بن الكازروني بديار بكر وعلى أبي اسحق الشيرازي ببغداد وعلى أبي نصر بن الصباغ وفيها توفي أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجي الحافظ المقدسي ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث وتفقه على أبي اسحق وكان ثقة

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة)

(ذكر مسير آقسنقر البرسقي الى الشام لحرب الفرنج)

في هذه السنة سير السلطان محمد الامير آقسنقر البرسقي الى الموصل وأعمالها والياً عليها لما بلغه قتل مودود وسير معه ولده الملك مسعودا في جيش كثيف وأمره بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها وفيهم عماد الدين زنكي بن آقسنقر الذي ملك هو وأولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة في الغاية واتصل به أيضا تميرك صاحب سنجار وغيرها فسار البرسقي الى جزيرة ابن عمر فسلمها اليه نائب مودود بها وسار منها الى ماردين فنازلها البرسقي حتى أذعن له ايلغازي صاحبها وسير معه عسكرا مع ولده اياز فسار عنه البرسقي الى الرها في خمسة عشر ألف فارس فنازلها في ذي الحجة وقاتلها وصبر له الفرنج وأصابوا من بعض المسلمين غرة فأخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ وحمي المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من أعيانهم وأقام عليها شهرين وأياما وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها الى سميساط بعد أن خربوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط وأطاعه صاحب مرعش على ما نذكره ثم عاد الى شحنان فقبض على اياز بن ايلغازي حيث لم يحضر أبوه ونهب سواد ماردين

(ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقي)

في هذه السنة توفي بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصنت من الفرنج وأحسنت الى الاجناد وراسلت آقسنقر البرسقي وهو على الرها واستدعت منه بعض أصحابه لتطيعه فسير اليها الامير سنقر دزدار صاحب الخابور فلما وصل اليها أكرمته وحملت اليه مالا كثيرا وبينما هو عندها اذ جاءه جمع من الفرنج فواقعوا أصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا قتالا شديدا انتصر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم أكثرهم وعاد سنقر دزدار وقد أصحبته الهدايا للملك مسعود والبرسقي وأذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممن عندها الى انطاكية

وابن يد مالك رق الزمان فهو الكل بكل مستقل * بالعطايا والمنايا والامان أوجد قام بتشييد المباني
فيه استنبط أجناس المعان
مسرف في الجود من غير اعتذار
وعظيم البر من غير امتنان
وهو من أرسى رسول الله فيه
وعلياه المعلي والحسان
سيد غرّق فيه السيدان
والذي يكبر عن ذكر الحصان
مختف فكرته في كل شئ
فهو في كل محل ومكان
يعرف الدهر على ما غاب عنه
فيرى المضمر في شخص العيان
تتناهى الفاظنا عنه ولكن
هو بالاوصاف في الاذهان دان
أخرجت ألفاظه ما في الخفايا
وكفاه الدهر نطق الترجمان
كافر بالله جهرا والمثاني
كل من قال له في الخلق ثان
واذا ما أسبغ الدرع عليه
وانكفت يمناه بالسيف اليمان
بعثت سطوته في الموت رعبا
أيقن الموت بأن الموت فان
يحدق الابطال بالالحاظ حتى
يترك المقدام في شخص الجبان
ملك الموت يناديه أجرني
منك كم تغزو بضرب وطعان
لا تكلفني فوق الوسع وارفق
فلقد ملكك الله عنان
ياشقيق القدر المحتوم كم قد
رضت بالضيم عمادا وحزان
لك يومان فيوم من لبان
يقتفي يوم أرون أوريان
انجزت كفاك وعدا ووعيدا * وأحاطت لك بالدنيا اليدان فاذا ما أروت الهيجا ضبا * همت اليسرى بارواء السنان * ذكر

عسكره قتال المعروف الذى قد باشر قلوب أصحابه ولحق بجبال أوغنان فسار أخوهم براهشاه وعسكر سنجر فى أثره وأخربوا البلاد التى هو فيها وأرسلوا الى أهلها يتهددونهم فسلموه بعد المضايقة فأخذه مقدم جيش الملك سنجر وأراد حمله الى صاحبه فخاف براهشاه من ذلك فبذل له مالا فسلمه اليه فخنقه ودفنه بتربة أبيه بغزنة وكان عمره سبعا وعشرين سنة وكان أحسن اخوته صورة وكان قتله فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وانما ذكرناه ههنا لتتصل الحادثة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها فخربت كثيرا من الرها وحران وسميساط وبالس وغيرها وهلك خلق كثير تحت الهدم وفيها قتل تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان صاحب حلب قتله غلمانه بقلعة حلب وأقاموا بعده أخاه سلطانشاه بن رضوان وكان المستولى عليه لؤلؤ الخادم وفيها توفى الشريف النسيب أبو القاسم على بن ابراهيم بن العباس الحسينى فى ربيع الآخر بدمشق

﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة﴾

﴿ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج﴾

قد ذكرنا ما كان من عصيان ايلغازى وطغتكين على السلطان وقوة الفرنج فلما اتصل ذلك بالسلطان محمد جهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم الامير برسق بن برسق صاحب همذان ومعه الامير جيوش بك والامير كنتغدى وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بالبداءة بقتال ايلغازى وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقاتلوهم وحصروا بلادهم فساروا فى رمضان من سنة ثمان وخمسمائة وكان عسكرا كثير العدة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا حلب راسلوا المتولى لامرها لؤلؤا الخادم ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص يأمرونهما بتسليم حلب وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فغالطا فى الجواب وأرسلا الى ايلغازى وطغتكين يستنجدانهما فسارا اليهم فى ألفى فارس ودخلا حلب فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان وأظهروا العصيان فسار الامير برسق بن برسق الى مدينة حماه وهى فى طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوة ونهبها ثلاثة أيام وسلمها الى الامير قرجان صاحب حمص وكان السلطان قد أمر ان يسلم اليه كل بلد يفتحونه فلما رأى الامراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم فى القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم الى قرجان فلما سلموا حماه الى قرجان سلم اليهم اياز بن ايلغازى وكان قد سار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصاحبها روجيل وسألوه ان يساعدهم على حفظ مدينة حماه فلما بلغهم فتحها وصل اليهم بانطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية وأقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا فعاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادها وكانت افامية وكفرطاب للفرنج فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها فلما اشتد الحصر على الفرنج ورأوا الهلاك قتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة وقهروا وأسروا صاحبه وقتلوا من بقى فيه من الفرنج وساروا الى قلعة افامية فرأوها حصينة فعادوا عنها الى المعرة وهى للفرنج أيضا وفارقهم الامير جيوش بك الى وادى بزاعة فملكه وسارت العساكر عن المعرة الى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على جارى العادة والعساكر فى

رأى ذلك عمر بن الخطاب وكان ذلك عصره قال أنت سلمان الخيل فقال المتنبى فيما عندكا من الاصمعى وغيره من علماء العرب فى صفاتها قال الرقى ذكر الرياشى عن الاصمعى قال اذا كان الفرس طويل أوظفة اليدين قصير أوظفة الرجلين طويل الذراعين قصير الساقين طويل الفخذين طويل العضدين منفرج الكتفين لم يكد يسبق وقال اذا سلم من الفرس شيآن لم يضره عيب سواهما غروز عنقه فى كاهله وغروز عجزه فى صلبه واذا بادت حوافره فهو هو وأنشدنا المبرد

ولقد شهدت الخيل تحمل سكتى
عنه كسرحان القضية منهب
فرس اذا استقبلته فكأنه
فى العين جرع من أوائل مشرب
واذا اعترضت له استوت اقطاره
فكأنه مستدبر المتصوب

وسأل يا أمير المؤمنين معاوية مطر بن دراج أى الخيل أفضل وأوجز فقال الذى اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلت زاخر واذا استعرضته قلت زافر سوطه عنانه وهواه أمامه قال فاى البراذين شر قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرسلنى قال الغلام أحسن ماقيل فى الفرس وصفه قول بعضهم خير ما ركب الشجاع اذا ما قيل يوما ألا اركبوا للغوار كل نهد أقب معتدل الخلق متين الشظى عميق الجبار

ينشد هذا البيت * لاتقل بشرى * وقل لي بشريان * فقال له الغلام وقد كان أنس به يا أمير المؤمنين
* دامت البشرى فقل لي بشريان * وقد كان انشده أولا القصيدة لاتقل بشرى وأنشده هذا الوجه دامت البشرى فقل لي وذكر له خبر أبي المقاتل مع الداعي فوالله مازال المتقي يقول لاتقل بشرى ولايختار في ذلك الوجه غير ذلك فقال له الرقي والغلام والله لنطيرنا للامير المؤمنين من اختياره انشاد هذا البيت على هذا الوجه فكان من أمره ماذكرنا (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقي قال لما انحدرنا مع المتقي من الرحبة وصرنا الى مدينة غانة دعا بالرقي وغلامه فحادثاه وتسلسل بهم القول الى فنون من الاخبار الى أن صاروا الى ذكر الخيل فقال المتقي أيكم يحفظ خبر سليمان بن ربيعة الباهلي فقال الغلام ذكر عمرو بن العلاء بأمير المؤمنين أن سليمان بن ربيعة الباهلي كان يهجن الخيل ويعربها في زمن عمر بن الخطاب فجاءه عمرو ابن معد يكرب بفرس كميت هجينا فاستعدى عليه عمر وشكاه اليه فقال سليمان ادع باناء رجراج قصير الجدر فدعا به فصب فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لاشك في عتقه فأسرع ونزل وشرب ثم أتى بفرس عمرو الذي كان هجن فأسرع سنبكه ومد عنقه كما فعل العتيق ثم ثنى أحد السنبكين قليلا فشرب فلما

الآن ارسلانشاه فلما وصلت الى أخيه أوصلت ما معها من الاموال والهدايا وكان معها مائتا ألف دينار وغير ذلك وطلب من سنجر ان يسلم أخاه بهرام اليه وكانت هي غيرة الصدر من ارسلانشاه فهونت أمره على سنجر واطمعته في البلاد وسهلت الامر عليه وذكرت له ما فعل باخوته وكان قتل بعضا وكحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة فسار الملك سنجر فلما وصل الى بست أرسل خادما من خواصه الى ارسلانشاه في رسالة فقبض عليه في بعض القلاع فسار حينئذ سنجر مجدا فلما سمع بقربه منه أطلق الرسول ووصل سنجر الى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنة بصحراء شهراباذ وكان أرسلانشاه في ثلاثين ألف فارس وخلق كثير من الرجالة ومعه مائة وعشرون فيلا على كل فيل أربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكان من فيه ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الاتراك ارموها بالنشاب فتقدم ثلاثة آلاف غلام فرموا الفيلة رشقا واحدا جميعا فقتلوا منها عدة فعدلت الفيلة عن القلب الى الميسرة وبها أبو الفضل صاحب سجستان وجالت عليهم فضعف من في الميسرة فشجعهم أبو الفضل وخوفهم من الهزيمة مع بعد ديارهم وترجل عن فرسه بنفسه وقصد كبير الفيلة ومتقدمها ودخل تحتها فشق بطنها وقتل فيلين آخرين ورأى الامير أنز وهو في الميمنة ما في الميسرة من الحرب فخاف عليها فحمل من وراء عسكر غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم وأعانهم فكانت الهزيمة على الغزنوية وكان ركاب الفيلة قد شدوا انفسهم عليها بالسلاسل فلما عضهم الحرب وعمل فيهم السيف ألقوا أنفسهم فبقوا معلقين عليها ودخل السلطان سنجر غزنة في العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة ومعه بهرامشاه فاما القلعة الكبيرة المشتملة على الاموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهي عظيمة لامطمع فيها ولا طريق عليها وكان ارسلانشاه قد سجن فيها أخاه طاهر الخازن وهو صاحب بهرامشاه واعتقل بها أيضا زوجة بهرامشاه فلما انهزم ارسلانشاه استمال أخوه طاهر المستحفظ بها فبذل له وللاجناد الزيادات فسلموا القلعة الى الملك سنجر وأما قلعة البلد فان ارسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجر فلما أطلقه بقي غلمانه بها فسلموا القلعة أيضا بغير قتال وكان قد تقرر بين بهرامشاه وبين سنجر ان يجلس بهرام على سرير جده محمود بن سبكتكين وحده وان تكون الخطبة بغزنة للخليفة وللسلطان محمد وللملك سنجر وبعدهم لبهرامشاه فلما دخلوا غزنة كان سنجر راكبا وبهرامشاه بين يديه راجلا حتى جاء السرير فصعد بهرامشاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان يخطب له بالملك ولبهرامشاه بالسلطان على عادة آبائه فكان هذا من أعجب ما سمع به وحصل لاصحاب سنجر من الاموال ما لايحد ولايحصى من السلطان والرعايا وكان في دور رؤساكها عدة دور على حيطانها ألواح الفضة وسواقي المياه الى البساتين من الفضة أيضا فقلع من ذلك أكثره ونهب فلما سمع سنجر ما فعل منع عنه بجهده وصلب جماعة حتى كف الناس وفي جملة ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على ألفي ألف دينار وألف وثلثمائة قطعة مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة أربعين يوما حتى استقر بهرامشاه وعاد نحو خراسان ولم يخطب بغزنة لسلجوقي قبل هذا الوقت حتى ان السلطان ملكشاه مع تمكنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك واما أرسلانشاه فانه لما انهزم قصد هندوستان واجتمع عليه أصحابه فقويت شوكته فلما عاد سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فلما عرف بهرامشاه قصده اياه توجه الى باميان وأرسل الى الملك سنجر يعلمه الحال فارسل اليه عسكرا وأقام ارسلانشاه بغزنة شهرا واحدا وسار يطلب أخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم

قام الدليل ويحيى لاحياء له * أن المنية لا تبقي ولا تذر

وكان يحيى عادلا في رعيته ضابطا لامور دولته مدبرا لجميع أحواله رحيما بالضعفاء والفقراء يكثر الصدقة عليهم ويقرب أهل العلم والفضل وكان عالما بالاخبار وأيام الناس والطب وكان حسن الوجه أشهل العين الى الطول ما هو ولما استقر علي في الملك جهز اسطولا الى جزيرة جربة وسببه ان أهلها كانوا يقطعون الطريق ويأخذون التجار فحصرها وضيق على من فيها فدخلوا تحت طاعته والتزموا ترك الفساد وضمنوا اصلاح الطريق وكف عنهم عند ذلك وصلح أمر البحر وأمن المسافرون

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة في رجب قدم السلطان محمد بغداد ووصل اليه اتابك طغتكين صاحب دمشق في ذي القعدة وسأل الرضا عنه فرضي عنه السلطان وخلع عليه ورده الى دمشق وفيها أمر الامام المستظهر بالله ببيع البدرية وهي منسوبة الى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من أحسن دور الخلفاء وكان يتنزها الراضي بالله ثم دمت وصارت تلا فأمر القادر بالله ان يسور عليها سورا لانها مع الدار الامامية ففعل ذلك فلما كان الآن أمر ببيعها فبيعت وعمرها الناس وفيها في شعبان وقعت الفتنة بين العامة وسببها ان الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل أولا فاقتتلوا وقتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين أهل المحال كما كانت ثم سكنت وفيها أقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقي للامير جيوش بك وسير ولده الملك مسعودا وأقام البرسقي بالرحبة وهي اقطاعه الى ان توفي السلطان محمد وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها توفي اسمعيل بن محمد بن أحمد بن ملة الاصبهاني أبو عثمان بن أبي سعيد الواعظ سمع الكثير وحدث ببغداد وغيرها وعبد الله بن المبارك بن موسى السقطي أبو البركات له رحلة وله تصانيف وكان أديبا

﴿ ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان ﴾

في هذه السنة أول المحرم حضر اتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمد ببغداد وحضر جماعة الامراء ومعهم أحمديل بن ابراهيم بن وهسوذان الروادي الكردي صاحب مراغة وغيرها من أذربيجان وهو جالس الى جانب طغتكين فأتاه رجل متظلم وبيده رقعة وهو يبكي ويسأله ان يوصلها الى السلطان فأخذها من يده فضربه الرجل بسكين فجذبه أحمديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطني وضرب أحمديل سكينا أخرى فأخذتهما السيوف وأقبل رفيق لهما وضرب أحمديل ضربة أخرى فعجب الناس من اقدامه بعد قتل صاحبيه وظن طغتكين والحاضرون ان طغتكين كان المقصود بالقتل وانه بأمر السلطان فلما علموا انهم باطنية زال هذا الوهم

﴿ ذكر وفاة جاولي سقاوو وحال بلاد فارس معه ﴾

في هذه السنة توفي جاولي سقاوو وكان السلطان ببغداد عازما على المقام بها فاضطر الى المسير الى أصبهان ليكون قريبا من فارس لئلا يختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولي بالموصل الى ان ملكت منه وأخذها السلطان فلما قصد السلطان ورضي عنه أقطعه بلاد فارس فسار جاولي اليها ومعه ولد السلطان جغري وهو طفل له من العمر سنتان وأمره باصلاحها وقمع المفسدين بها فسار اليها

في تعاقب كالقائل أو كالسن أو كالطباء أو كالجوال فاذا ما الحابه الجري فالقشان ثم وي كواسر الاعسار فلما كان في الليلة الثانية دعا بهما فقال عودا الى ما كنتما عليه البارحة واشرعا في أخبار الحلائب وهي اناث الخيل فيما قال الفسلام يا أمير المؤمنين أذكر قولا جامعا أخبرني به كلاب بن حمزة العقيلي قال كانت العرب ترسل خيلها عشرة عشرة أو أسقل والقصب تسعة ولا يدخل الحجر المجمع من الخيل الاعمانية وهذه أسماؤها الاول السابق وهو المجلي قال أبو الهندام كلاب انما سمي المجلي لانه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة وقال الفراء انما سمي المجلي لانه يجلي عن وجه صاحبه والثاني المصلي لانه وضع جحفلته على قطاة المجلي وهي صلاة والصلا يجنب الذنب يمينه وشماله والثالث المسلي لانه كان شريكا في السبق وكانت العرب تعد من كل ما يحتاج ثلاثة أولانه سلى عن صاحبه بعض همه بالسبق والرابع التالي سمي بذلك لانه تلا هذا المسلي في حال دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لان في الراحة خمس أصابع لا يعد منها غيرهن واذا أومأت العرب من العدد الى خمس فتح الذي يومئ بها يده وفرق أصابعه الخمس وذلك أيضا ما يومئ به من غير عقد الحساب ثم يكون بعدها الى أنه

أثره ملاحقة وهم آمنون لا يظنون أحدا يقدم على القرب منهم وكان روجيل صاحب انطاكية لما بلغه حصر كفرطاب سار في خمسمائة فارس وألفي راجل للمنع فوصل الى المكان الذي ضربت فيه خيام المسلمين على غير علم بها فرآها خالية من الرجال المقاتلة لانهم لم يصلوا اليها فنهب جميع ما هنالك وقتل كثيرا من السوقية وغلمان العسكر ووصلت العساكر متفرقة فكان الفرنج يقتلون كل من وصل اليهم ووصل الامير برسق في نحو مائة فارس فرأى الحال فصعد تل الاهساك ومعه أخوه زنكي وأحاط بهم السوقية والغلمان واحتموا بهم ومنعوا الامير برسق من النزول فاشار عليه أخوه ومن معه بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا أفعل بل اقتل في سبيل الله واكون فداء المسلمين فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثم عادوا وتمموا الغنيمة والقتل وأحرقوا كثيرا من الناس وتفرق العسكر وأخذ كل واحد جهة ولما سمع الموكلون بالاسرى المأخوذين من كفرطاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكل بايازبن ايلغازي قتله أيضا وخاف أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام فانهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فاتاهم ما لم يكن في الحساب وعادت العساكر عنهم الى بلادها واما برسق وأخوه زنكي فانهما توفيا في سنة عشر وخمسمائة وكان برسق خيرا دينا وقد ندم على الهزيمة وهو يتجهز للعود الى الغزاة فاتاه أجله

(ذكر ملك الفرنج رفنية وأخذها منهم)

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك الفرنج رفنية من أرض الشام وهي لطغتكين صاحب دمشق وقووها بالرجال والذخائر وبالغوا في تحصينها فاهتم طغتكين لذلك وقوي عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب فاتاه الخبر عن رفنية بخلوها عن عسكر يمنع عنها وليس هنالك الا الفرنج الذين رتبوا لحفظها فسار اليها جريدة فلم يشعر من بها الا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوة وقهرا وأخذ كل من فيه من الفرنج أسيرا فقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكراعهم وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم وعادوا الى بلادهم سالمين

(ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه علي)

في هذه السنة توفي يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية يوم عيد الاضحى فجأة وكان منجم قد قال له في منستيره ولده ان عليه قطعا في هذا اليوم فلا تركب فلم يركب وخرج أولاده وأهل دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وأنشد الشعراء وانصرفوا الى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يمش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا وكان ولده علي بمدينة سفاقس فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل الى التربة بالمنستير وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا فقال عبد الجبار بن محمد ابن حمديس الصقلي يرثيه ويهنئ ابنه عليا بالملك

ما أغمد العضب الا جرد الذكر * ولا اختفى قمر حتى بدا قمر
بموت يحيى اميت الناس كلهم * حتى اذا ما علي جاءهم نشروا
ان يسقنوا بسرور من تملكه * فمن منية يحيى بالاسى قبروا
أوفى علي فسن الملك ضاحكة * وعينها من أبيه دمعها ساهر
شقت جيوب المعالي بالاسى فبكت * في كل أفق عليه الانجم الزهر
وقل لابن تميم حزن مادهما * فكل حزن عظيم فيه محتقر

(الهامش)

ولهم اللحي واسع المرحذ الا ذن وافي الدماغ والوجه عار ما جه المراد واشتد ملتهمه فاكدى محدود باليا مو محصر القصر مكرب الرسغ دامي الا
بطساهي الجفون والاشفار
مسرف مقتل نجيب اذا أد
برمستدبر ككر صغار
فهو في خلقه طوال ورحب
وعراض الى سداد قصار
طال زاهيه والذراعان والاضلاع منه ثم في اخفار
ثم طالت وأيدت فخذاه
فهو كفت الوثوب بيت
الخيار
والرحيب الفروج والجلد والمشـ
ـرف قدام محزكالوجار
والعريض الوظيف
والجنب والاو
راك والجبهة العريض
الفقار
والحديد الفؤاد والسمع والعر
قوب والطرف حدة في وقار
فهو صافي الاديم والعين والما
فر ثم بديهة الاحضار
والقصير الكراع والظهر والر
سغ العصيب العسيب
والصلب وار
لم تخن مثله القطاة ولم يسـ
ـله تركيبها الى استغفار
مطمئن النسور بين حزام
كل لام أحم كالمنقار
يكفت المشي كالذي يتخطى
طنبا أو يستل كالمسمار
واذا ما استمر من غير ما أ * س به مانع من استمرار لان فاهتر مقبلا فاذا اد * برأهوى متابع الادبار

قام

عن قصد بلاده والا قصده فاعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولما وصل الرسول الى جاولى أحسن اليه وأجزل له العطاء وأفسده على صاحبه وجعله عينا له عليه وقرر معه اعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارون فلما عاد الرسول وبلغ السيرجان وبها عساكر صاحب كرمان ووزيره مقدم الجيش أعلم الوزير ما عليه جاولى من المقاربة وانه يفارق ما كرهوه وأكثر من هذا النوع وقال لكنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وان اعداء جاولى طمعوا فيه بهذا العسكر والرأى ان تعاد العساكر الى بلادها فعاد الوزير والعساكر وخلت السيرجان وسار جاولى فى أثر الرسول فنزل بفرج وهى الحد بين فارس وكرمان فحاصرها فلما بلغ ذلك ملك كرمان أحضر الرسول وأنكر عليه اعادة العسكر فاعتذر اليه وكان مع الرسول فراش لجاولى ليعود اليه بالاخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فاقر على الرسول فصلب ونهبت أمواله وصلب الفراش وندب العساكر الى المسير الى جاولى فساروا فى ستة آلاف فارس وكانت الولاية التى هى الحد بين فارس وكرمان بيد انسان يسمى موسى وكان ذا رأى ومكر فاجتمع بالعسكر وأشار عليهم بترك الجادة المسلوكة وقال ان جاولى محتاط بها وسلك بهم طريقا غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولى يحاصر فرج وقد ضيق على من بها وهو يدمن الشرب فسير أميرا فى طائفة من عسكره ليلاقى العسكر المنفذ من كرمان فسار الامير فلم ير أحدا فظن انهم قد عادوا فرجع الى جاولى وقال ان العسكر كان قليلا فعادوا خوفا منا فاطمأن حينئذ جاولى وأدمن شرب الخمر ووصل عسكر كرمان اليه ليلا وهو سكران نائم فايقظه بعض أصحابه وأخبره فقطع لسانه فأتاه غيره وأيقظه وعرفه الحال فاستيقظ وركب وانهزم وقد تفرق عسكره منهزمين فقتل منهم وأسر كثير وأدركه خسرو وابن أبى سعد الذى قتل جاولى أباه فسارا معه فى أصحابهما فالتفت فلم ير معه أحدا من أصحابه الاتراك فخاف على نفسه منهم فقالا له انا لا نغدر بك ولن ترى منا الا الخير والسلامة وسارا معه حتى وصل الى مدينة فسا واتصل به المنهزمون من أصحابه وأطلق صاحب كرمان الاسرى وجهزهم وكانت هذه الوقعة فى شوال سنة ثمان وخمسمائة وبينما جاولى يدبر الامر ليعاود كرمان ويأخذ بثاره توفى الملك جغرى بن السلطان محمد وعمره خمس سنين وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة تسع وخمسمائة ففت ذلك فى عضده فارسل ملك كرمان رسولا الى السلطان وهو ببغداد يطلب منه منع جاولى عنه فاجابه السلطان انه لا بد من ارضاء جاولى وتسليم فرج اليه فعاد الرسول فى ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة فتوفى جاولى فامنوا ما كانوا يخافونه فلما سمع السلطان سار عن بغداد الى أصبهان خوفا على فارس من صاحب كرمان

﴿ ذكر فتح جبل وسلات وتونس ﴾

فى هذه السنة حصر عسكر على بن يحيى صاحب افريقية مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان وضيق على من بها فصالحه صاحبها على ما أراد وفيها فتح أيضا جبل وسلات بافريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل أهله طول الدهر يفتكون بالناس ويقطعون الطريق فلما استمر ذلك منهم سير اليهم جيشا فكان أهل الجبل ينزلون الى الجيش ويقاتلون أشد قتال فعمل قائد الجيش الحيلة فى الصعود الى الجبل من شعب لم يكن أحد يظن انه يصعد منه فلما صار فى أعلاه فى طائفة من أصحابه ثار اليه أهل الجبل فصبر لهم وقاتلهم فيمن معه أشد قتال وتتابع الجيش فى الصعود اليه فانهزم أهل الجبل وكثر القتل فيهم ومنهم من رمى نفسه فتكسر ومنهم من أفلت

الجلسة العشرة باعيانها وصفاتها وذكرها على ان انها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان وكان بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسلمة من اقاليم البلخ من كورة الرقة من ديار مضر فانه قال فى ذلك

شهدنا الرهان غداة الرهان
بجمعية ضمها الموسم
نقود اليها مقادا الجميع
ونحن بصنعتها أقوم
غدونا بمودة كالقداح
غدت بالسعود لها الانجم
مقابلة نسبة فى الصريح
فما هن للاكرم الا كرم
كميت اذا ما تباطى يهل
يفوت الخطوط اذا يلجم
فمن أحوى مر أغر
وأجود ذو غرة أرثم
تلالا فى وجهه غرة
كان تلالؤها المرزم
فقيدت المدخور ما عندها
انتظرى أم انجم
علاهن منهم صغار الشخوص
غماهم لهام أتى تبهم
كأنهم فوق أشباحها
زرازير فى نفق حوم
نصفت على الخيل فى مضمر
يلى أمره ثقة مسلم
تراضوا به حكما بينهم
فبالحق بينهم يحكم
وربك بالسيف عن ساعة
من الناس كلهم أعلم
فقامت ونحن على جلة
من الارض نيرها مظلم
لقد فرغ الله مما يكون * ومهما يكن فهو لا يكتم
فاقبل فى أمرنا نافر * كما يقبل الوابل المنجم

فأول ما اعتمده فيها انه لما توسط بلاد الامير بلدجي وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كيل وسرماه وكان متمكنا من تلك البلاد راسله جاولي ليحضر خدمة جعري ولد السلطان وعلم جعري ان يقول بالفارسية خذوه فلما دخل بلدجي قال جعري على عادته خذوه فاخذ وقتل ونهبت أمواله وكان لبلدجي من جملة حصونه قلعة اصطخر وهي من أمنع القلاع وأحصنها وكان بها أهله وذخائره وقد استناب في حفظها وزيراله يعرف بالجهرمي فعصى عليه وأخرج اليه أهله وبعض المال ولم تزل في يد الجهرمي حتى وصل جاولي الى فارس فاخذها منه وجعل فيها أمواله وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة وهم خلق كثير لا يحصون ومقدمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فسا وغيرها فراسله جاولي ليحضر خدمة جعري فاجاب انني عبد السلطان وفي طاعته فاما الحضور فلا سبيل اليه لانني قد عرفت عادتك مع بلدجي وغيره ولكنني أحمل الى السلطان ما يؤثره فلما سمع جاولي جوابه علم أنه لا مقام له بفارس معه فاظهر العود الى السلطان وحمل اثقاله على الدواب وسار كانه يطلب السلطان ورجع الرسول الى خسرو فاخبره فاغتر وقعد للشرب وأمن وأما جاولي فانه عاد من الطريق الى خسرو وجريدة في نفر يسير فوصل اليه وهو مخمور نائم فكبسه فانبهه أخوه فضل فلم يستيقظ فصب عليه الماء البارد فافاق وركب من وقته وانهزم وتفرق أصحابه ونهب جاولي ثقله وأمواله وأكثر القتل في أصحابه ونجا خسرو الى حصنه وهو بين جبلين يقال لاحدهما انج وسار جاولي الى مدينة فسا فتسلمها ونهب كثيرا من بلاد فارس منها جهرم وسار الى خسرو وحصره مدة وضيق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوته وكثرة ذخائره ما علم أن المدة تطول عليه فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس ورحل عنه الى شيراز فاقام بها ثم توجه الى كازرون فلكها وحصر أبا سعد محمد بن مما في قلعته وأقام عليها سنتين صيفا وشتاء فراسله جاولي في الصلح فقتل الرسول فارسل اليه قوما من الصوفية فاطعمهم الهريسة والقطائف ثم أمر بهم فخيطت أدبارهم والقوا في الشمس فهلكوا ثم نفد ما عند أبي سعد فطلب الامان فامنه وتسلم الحصن ثم ان جاولي أساء معاملته فهرب فقبض على أولاده وبث الرجال في أثره فرأى بعضهم زنجيا يحمل شيأ فقال ما معك فقال زادي ففتشه فرأى دجاجا وحلواء السكر فقال ما هذا من طعامك فضربه فاقر على أبي سعد وانه يحمل ذلك اليه فقصدوه وهو في شعب جبل فاخذه الجندي وحمله الى جاولي فقتله وسار الى دارابجرد وصاحبها اسمه ابراهيم فهرب صاحبها منه الى كرمان خوفا منه وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو ارسلانشاه بن كرمانشاه بن ارسلان بك بن قاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي وطلب منه النجدة وسار جاولي بعد هربه منه الى حصار رتيل رنته يعني مضيق رنته وهو موضع لم يؤخذ قهرا قط لانه واد نحو فرسخين وفي صدره قلعة منيعة على جبل عال وأهل دارابجرد يتحصنون به اذا خافوا فاقاموا به وحفظوا أعلاه فلما رأى جاولي حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان كانما أمره ثم رجع من طريق كرمان الى دارابجرد مظهرا أنه عسكر الملك ارسلانشاه صاحب كرمان فلم يشك أهل الحصن انهم مدد لهم مع صاحبهم فاظهروا السرور وأذنوا له في دخول المضيق فلما دخله وضع السيف فيمن هناك فلم ينج غير القليل ونهب أموال أهل دارابجرد وعاد الى مكانه وراسل خسرو يعلمه انه عازم على التوجه الى كرمان ويدعوه اليه فلم يجد بدا من موافقته فنزل اليه طائعا وسار معه الى كرمان وأرسل الى صاحبها القاضي أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضي شيراز يأمره باعادة الشوانكارة لانهم رعية السلطان ويقول انه متى أعادهم عاد عن

تكون عشرة فينتج الذي يوصي ...م ايه يجيء او يقال الخمس أصابع بالخمس فلما كان الخامس مثل خامسة الاصابع وهي الخنصر سمي مرتاحا وسمي السادس حظيا لان له حظا وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس فضة وهي آخر حظوظ خيل الحلبة فله حظ ويسمى السابع العاطف لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشئ وان قل وحسن اذ كان قد دخل الحجرة ويسمى الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سموا الفلاة مفازة واللديغ سليما وكنوا الحبشي أبا البيضاء ونحو ذلك فكذلك سموا الخائب المؤمل أي انه يؤمل وان كان خائبا لانه قريب من بعض ذوات الحظوظ بعد والتاسع اللطيم لانه لو رام الحجرة للطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن والعاشر السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت حزنا وعيافة كانوا يجعلون في عنق السكيت حبلا ويحملون عليه قردا ويدفعون للقرد سوطا فيركضه القرد ليعير بذلك صاحبه وأنشد في ذلك الوليد بن حصين الكلبي

اذا أنت لم تسبق وكنت مخلفا سبقت اذا لم تدع بالقرد والحبل

وان تك حقا بالسكيت مخلفا فقد ورثت مولاك المذلة بالنبل

أماذكره النبل فان بعضهم كان يفعل ذلك ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل حتى يتحف وقد

لولا انه يوم غير مبارك لدى من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على أبيك واما عليك فبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وفي يوم الخميس الرابع والعشرين احضر الامراء واعلموا بوفاته وقرئت وصيته الى ولده محمود يأمره بالعدل والاحسان وفي الجمعة الخامس والعشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة وكان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين وأربعمائة وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام وأول ما دعى له بالسلطنة ببغداد في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات على ما ذكرناه ولقى من المشاق والاخطار ما لا حد عليه فلما توفي أخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيبته وكثرت جيوشه وأمواله وكان اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة وستة أشهر

﴿ذكر بعض سيرته﴾

كان عادلا حسن السيرة شجاعا فمن عدله انه اشترى مماليك من بعض التجار وأحالهم بالثمن على عامل خوزستان فاعطاهم البعض ومطل بالباقي فحضروا مجلس الحكم وأخذوا معهم غلمان القاضي فلما رآهم السلطان قال لحاجبه انظر ما حال هؤلاء فسألهم عن حالهم فقالوا لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو قالوا السلطان وذكروا قصتهم فاعلمه ذلك فاشتد عليه وأكره وأمر باحضار العامل وأمره بايصال أموالهم والجمل الثقيل ونكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله ثم انه كان يقول بعد ذلك لقد ندمت ندما عظيما حيث لم أحضر معهم مجلس الحكم فيقتدى بي غيري ولا يمتنع أحد عن الحضور فيه وأداء الحق ومن عدله انه كان له خازن يعرف بأبي أحمد القزويني قتله الباطنية فلما قتل أمر بعرض الخزانة فعرض عليه فيها درج فيه جوهر كثير نفيس فقال ان هذا الجوهر عرضته على منذ أيام وهو في ملك أصحابه وسلمه الى خادم ليحفظه وينظر من أصحابه فيسلم اليهم فسأل عنهم وكانوا تجارا غرباء وقد تيقنوا ذهابه وأيسوا منه فسكتوا فاحضرهم وسلمه اليهم ومن عدله انه أطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ولم يعرف منه فعل قبيح وعلم الامراء سيرته فلم يقدم أحد منهم على الظلم وكفوا عنه ومن محاسن أعماله ما فعله مع الباطنية على ما نذكره

﴿ذكر حال الباطنية أيام السلطان محمد﴾

قد تقدم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكرها هنا زيادة اهتمامه بامرهم فانه رحمه الله تعالى لما علم ان مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم واخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان في أيامه المتقدم عليهم والقيم بامرهم الحسن بن الصباح الرازي صاحب قلعة ألموت وكانت أيامه قد طالت وله منذ ملك قلعة ألموت ما يقارب ستا وعشرين سنة وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله وأسره رجالهم وسبي نسائهم فسير اليه السلطان العساكر على ما ذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض فلما اعضل داؤه ندب لقتاله الامير انوشتكين شيركير صاحب آبة وساوة وغيرهما فملك منهم عدة قلاع منها قلعة كلام ملكها في جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة وكان مقدمها يعرف بعلي بن موسى فامنه ومن معه وسيرهم الى ألموت وملك منهم أيضا قلعة بيرة وهي على سبعة فراسخ من قزوين وأمنهم وسيرهم الى ألموت أيضا وسار الى قلعة ألموت فيمن معه من العساكر وأمده السلطان بعدة من الامراء فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم مع جودة رأي وشجاعة فبنى المساكن يسكنها هو ومن معه وعين لكل طائفة من الامراء أشهرا يقيمونها فكانوا يتناوبون

ونزهوا بين خدامها * ونحن لها منهم أخدم وانا المرتبط المرباعث في الاذنات فارزم بعد لها المحض بعد الثلوث كما يصلح الصنيعة المعطاء ويصلحها الصميم الغيال عن لم يحب وهو المحرم بشاربها الصافيات العذاب ومطعمها فهو المطعم فهو بأكناف أبياتنا صوافن بصهوان أوحوم

وقال محمد بن زيد في كتابه هذه الى انه لا حظ للثامن ويجعل للسابع حظا في السبق والهندسة اجراء الخيل وتجربتها فيما دون الغاية وانما سميت الحلبة حلبة لان العرب تحلب اليها خيولها من كل مكان (قال المتقي) أثبتنا ما يجري في هذه الاوقات ودوناه فلم نر الاسمه في ذلك يجدد لهما البرالى أن كان من أمره ما قد اشتهر وقد تناهى بنا الكلام الى هذا الموضع من خلافة المتقي فلنذكر الآن بعض من اشتهر شعره في هذا الوقت واستفاض في الناس وظهر فيهم أبو نصر القاسم ابن أحمد الحروري وهو أحد المطبوعين المجودين في البديع المعروفين بالغزل فمن جيد شعره قوله

أضنى الهوى جسدي وبدائي به
جسدا تكون من هوى متجسد
ما زال ابعاد الهوى عدمي الى
ان صرت لو أعدمته لم أوجد

ومن جيد شعره ما عاتب به ابن المكات الشاعر وهو لم لا ترى لصداقتي تصديقا

من الار

واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل فلما أحاط بهم الجيش طلبوا أن يرسل اليهم من يصالحهم فارسل اليهم جماعة من العرب والجند فثار بهم أولئك بالسلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون الى أعلى القصر ونادوا أصحابهم من الجيش فاتوهم وقاتلوهم بعضهم من أعلى القصر وبعضهم من أسفله فالقى من فيه من أهل الجبل أيديهم فقتلوا كلهم

(ذكر الفتنة بطوس)

في هذه السنة في عاشوراء كانت فتنة عظيمة بطوس في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام وسببها ان علويا تخاصم في المشهد يوم عاشوراء وبعض فقهاء طوس فادى ذلك الى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعانا كل منهما بحزبه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس وأحاطوا بالمشهد وخربوه وقتلوا من وجدوا فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمة وافترقوا وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن علي سورا منيعا يحتمي به من بالمشهد على من يريده بسوء وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الاخشاب التي بها واتصل الحريق الى درب السلسلة وتطاير الشرر الى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلمت الكتب لان الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول أبو محمد الاندلسي السرقسطي وكان فقيها فاضلا ورد نحو العراق سنة خمسمائة وسار الى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن فمنه

ومهفهف يختال في أبراده * مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت في مرآة فكري خده * فحكيت فعل جفونه بجوارحي
ما كنت أحسب ان فعل توهمي * يقوى تعديه فيجرح جارحي
لا غرو ان جرح التوهم خده * فالسحر يعمل في البعيد النازح

وفيها في شعبان توفي أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد بن بيان الرزاز ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن مخلد وأبي القاسم بن بشران وفيها توفي أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني رئيس الشافعية بمرو ومولده سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير وصنف وله فيه أمال حسنة وتكلم على الحديث فاحسن ما شاء وفيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني أبو الخطاب الفقيه الحنبلي ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وتفقه على أبي يعلى بن الفراء

(ثم دخلت سنة احدى عشرة وخمسمائة)

(ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)

في هذه السنة في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان وكان ابتداء مرضه في شعبان وانقطع عن الركوب وتزايد مرضه ودام وأرجف عليه بالموت فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على السماط فنهب الناس ثم أذن لهم فدخلوا الى السلطان محمد وقد تكلف القعود لهم وبين يديه سماط كبير فاكلوا وخرجوا فلما انتصف ذو الحجة أيس من نفسه فاحضر ولده محمودا وقبله وبكى كل واحد منهما وأمره ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس وعمره اذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة فـ

فواصل من كل سقط له
كأن عنابيها العندم
وللزهر من فرح ما تستثير
سنا بكهن سنا يضرم
فقلى الاغر وصلى الكميت
وسلى فلم يذم الادهم
وأردفها رابع تاليا
وأين من المجد المتهم
وماذم مرتاحها خامسا
وقد جاء يقدم ما يقدم
وجاء الحظي لها سادسا
فاسهمه حظه المسهم
وسابعها العاطف المستحير
يكاد لحيرته يحرم
وجاء المؤمل فيها يخيب
وغنى له الطائر الاشيم
وجاء اللطيم لها تاسعا
فمن كل ناحية يلطم
يخب السكيت على اثره
وذفراه من قبة أعظم
كأن جوانبه بين ذي
جنانة نيط بها القمقم
اذا قيل من رب ذا المعجز
من الخزي بالصمت يستعصم
ومن لا يعد للطلاب الجواد
وشيك لعمرك ما يندم
وماذو اقتضاب لمحمولها
لكن يتمها ويستلزم
فرحنا بسبق شهرنا به
ونيل به الفخر والمغنم
وأحرزن عن قصبات الرهان
رغائب أمثالها تقسم
برود من القصب موشية
وأكسية الخز والملحم
فراحت عليهن منشورة
كأن حواشيهن الدم
ومن ورق صامت بدرة * ينوه بها الاغلب الاعصم ففضت لهن خواتيمها * وبدرتنا الدهر لا تختم لو الد

الوحشة فأرسل رجار رسالة فيها خشونة فاحترز على منه وأمر بتجديد الاسطول وإعداد الأهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش في الاجتماع معه على الدخول الى صقلية فكف رجار عما كان يعتمده

﴿ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء ايلغازي عليها﴾

في هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولي أتابكية ولده ألب ارسلان فلما مات أقام بعده في الملك سلطانشاه بن رضوان وحكم في دولته أكثر من حكمه في دولة أخيه فلما كان هذه السنة سار عنها الى قلعة جعبر ليجتمع بالأمير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء فقصده جماعة من أصحابه الأتراك وصاحوا ارنب ارنب وأوهموا انهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما هلك نهبوا خزانته فخرج اليهم أهل حلب فاستعادوا ما أخذوه وولي أتابكية سلطانشاه بن رضوان شمس الخواص يارونتاش فبقي شهرا وعزلوه وولي بعده أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ انه أراد قتل سلطانشاه كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله ففطن به أصحاب سلطانشاه فقتلوه وقيل كان قتله سنة عشر وخمسمائة والله أعلم ثم ان أهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ايلغازي فلما تسلمه لم يجد فيه مالا ولا ذخيرة لان الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فأكثر فرزقه الله غير أولاده فلما رأى ايلغازي خلو البلد من الأموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تكون بمقدار مسيره الى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار الى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافا كليا وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا وفيها في يوم عرفة كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربي وفيها مات أحمد العربي ببغداد وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها وفي هذه السنة في شوال توفي أبو علي محمد بن سعد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب وعمره مائة سنة وكان عالي الاسناد روى عن أبي علي بن شاذان وغيره والحسن بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقاق الفرضي الحاسب وكان واحد عصره في علم الفرائض والحساب وسمع الحديث من أبي الحسين بن المهتدي وغيره وفيها مات الكزايكس ملك القسطنطينية وملك بعده ابنه يوحنا وسلك سيرته وفيها مات دوقس انطاكية وكفى الله شره

﴿ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقي شحنكية بغداد﴾

لما توفي السلطان محمد وملك بعده ابنه محمود ودبر دولته الوزير الربيب أبو منصور أرسل الى الخليفة المستظهر بالله يطالب ان يخطب له ببغداد فخطب له في الجمعة ثالث عشر المحرم وكان شحنة بغداد بهروز ثم ان الأمير دبيس بن صدقة كان عند السلطان محمد مذ قتل والده على ما ذكرناه فأحسن اليه وأقطعه اقطاعا كثيرا فلما توفي السلطان محمد خاطب السلطان محمودا في العود الى بلده الحلة فأذن له في ذلك فعاد اليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والأكراد

أخبارهم في هذا الكتاب إذ الاشتراط فيه على أنفسنا الاختصار والإيجاز وكذلك أتينا على خبر مقتل بجكم التركي وكان مقتله في رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة وما كان من أمره مع الأكراد بناحية واسط وما كان من كورتكين الديلمي واستيلائه على جيش بجكم وانحدار محمد بن رائق من الشام ومحاربته كورتكين بعكبرا ومخاتلته إياه ودخوله الحضرة وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة الى أن انهزم كورتكين واستولى محمد بن رائق على الأمر وما كان من البريديين ومواقعتهم الحضرة وخروج المتقي عنها مع محمد ابن رائق الموصلي في كتابنا المترجم بأخبار الزمان فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الكتاب والله الموفق للصواب

﴿ذكر خلافة المستكفي بالله﴾

وبويع المستكفي بالله وهو أبو القاسم عبد الله بن علي المكتفي يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وخلع في شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر إلا أياما وأمه أم ولد

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾

قد قدمنا عندما ذكرنا خلع المتقي لله أن المستكفي بويع له بالسندية على نهر عيسى من أعمال قادور بإزاء القرية المعروفة بالسندية في الوقت الذي سملت فيه عينا المتقي بايع له أبو

وهم يحصرون وهو ملازم الحصار وكان السلطان ينقل اليه الميرة والذخائر والرجال فضاق الامر على الباطنية وعدمت عندهم الاقوات وغيرها فلما اشتد عليهم الامر نزلوا نساءهم وابناءهم مستأمنين ويسألون ان يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا الى ذلك وأعادهم الى القلعة قصدا ليموت الجميع جوعا وكان ابن الصباح يجرى لكل رجل منهم في اليوم رغيفا وثلاث جوزات فلما بلغ بهم الامر الى الحد الذى لا امتناع لهم عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر الى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم وعزموا على الرحيل فقال شيركير ان رحلنا عنهم وشاع الامر نزلوا الينا وأخذوا ما أعددناه من الاقوات والذخائر والرأى أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها وان لم يكن المقام فلابد من مقام ثلاثة أيام حتى ينفذ منا ثقلنا وما أعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو فلما سمعوا قوله علموا صدقه فتعاهدوا على الاتفاق والاجتماع فلما أمسوا رحلوا من غير مشاورة ولم يبق غير شيركير ونزل اليه الباطنية من القلعة فدافعهم وقاتلهم وحمى من تخلف من سوقة العسكر واتباعه ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة غنم الباطنية ما تخلف عندهم

﴿ذكر حصار قابس والمهدية﴾

في هذه السنة جهز على بن يحيى صاحب افريقية أسطولا في البحر الى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك ان صاحبها رافع بن مكن الدهمانى أنشأ مركبا بساحلها ليحمل التجار في البحر وكان ذلك آخر أيام الامير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريا على عادته في المداراة فلما ولى على الامر بعد أبيه أنف من ذلك وقال لا يكون لاحد من أهل افريقية ان يناوينى في اجراء المراكب في البحر بالتجار فلما خاف رافع أن يمنعه على التجأ الى اللعين رجار ملك الفرنج بصقلية واعتضد به فوعده رجار أن ينصره ويعينه على اجراء مركبه في البحر وأنفذ في الحال اسطولا الى قابس فاجتازوا بالمهدية فحينئذ تحقق على اتفاقهما وكان يكذبه فلما جاز اسطول رجار بالمهدية أخرج على اسطوله في أثره فتوافى الجميع الى قابس فلما رأى صاحبا اسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه فعاد اسطول الفرنج وبقى اسطول على يحصر رافعا بقابس مضيقا عليها ثم عادوا الى المهدية وتمادى رافع في المخالفة لعلى وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل على المهدية محاصرا لها وخادع عليا وقال انى انما جئت للدخول في الطاعة وطلب من يسعى في الصلح وافعاله تكذب أقواله فلم يجبه عن ذلك بحرف وأخرج العساكر وحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فالحقوهم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن فغارت العرب وعاودت القتال واشتد حينئذ الامر الى المغرب ثم افترقوا وقد قتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يقتل من جند على غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر على مرة أخرى فاقتتلوا أشد من القتال الاول كان الظهور فيه لعسكر على فلما رأى رافع انه لا طاقة له بهم رحل عن المهدية ليلا الى القيروان فمنعه أهلها من دخولها فقاتلهم أياما قلائل ثم دخلها فأرسل على اليه عسكرا من المهدية فحصروه فيها الى ان خرج عنها وعاد الى قابس ثم ان جماعة من أعيان افريقية من العرب وغيرهم سألوا عليا في الصلح فامتنع ثم أجاب الى ذلك وتعاهد عليه

﴿ذكر الوحشة بين رجار والامير على﴾

كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الامير على صاحب افريقية مودة وكيدة الى ان أعان رافعا كما تقدم قبل فاستوحش كل منهما من صاحبه ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به فتأكدت

وفيما لم تدع الصديق صديقا
ذو العقل لا يرضى بودهم صداقة * حتى يرى لعقوقها تحقيقا فلمن يرجى الحب أن يدعى أخا
وعلى الرفيق بأن يكون رفيقا
ان غاب غاب محافظا أوحل كا
ن مداهنا او قال كان صدوقا
وفي هذا الشعر يقول
ويكاد من علق الهوى بفؤاده
مما تفكر أن يرى زنديقا
وقوله
أعليك أعتب أم على الايام
بدأت وكنت مؤكدا بتمام
قطع التواصل قربنا بتواعد
وقطعت أنت تواصل الاقلام
هلا ألفت اذا الزمان مشتت
الالف للارواح لا الاجسام
وفي هذا الشعر يقول
عذرا أباعيسى عيى لك في القلا
عذرا وذاعلى بلا اعلام
من غابت الاخبار عنه ودينه
دين الامامة قال بالاوهام
خذ من فرائدك الذى أعطيتنى
فالدر درك والنظام نظامى
حكم معانيها معانيك التى
فصلتها لى والكلام كلامى
وشعره في الهزل وغيره أكثر من أن نأتى عليه وأكثر الغناء المحدث في وقتنا هذا من شعره وقد أشيع موته وأن اليزيدى غرقه لانه كان هجاه وقيل بل هرب من البصرة ولحق بهجر ولجأ بأبى طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين

(قال المسعودى) وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان في أيامه من الكوائن والاحداث على الشرح والايضاح في الكتاب الاوسط الذى كتابنا هذا تال له وانما ذكرمن

وكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق في مهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به * من بعد ما قد وفى دهري بما وعدا
ان كنت أنقض عهد الحب في خلدي * من بعد هذا فلا عاينته أبدا

(ذكر خلافة الامام المسترشد بالله)

لما توفي المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس أحمد بن المستظهر بالله وكان ولي عهد قد خطب له ثلاثا وعشرين سنة فبايعه أخواه ابنا المستظهر بالله وهما أبو عبد الله محمد وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي بأمر الله وغيرهم من الامراء والقضاة والائمة والاعيان وكان المتولي لاخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغاني وكان نائبا عن الوزارة فأقره المسترشد بالله عليها ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا وأحمد بن أبي دواد فانه أخذها للواثق بالله والقاضي أبو علي اسمعيل بن اسحق أخذها للمعتضد بالله ثم ان المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الربيب أبي منصور وزير السلطان محمود وكان والده خطب في معنى ولده حتى استوزر وقبض على صاحب المخزن أبي طاهر يوسف بن أحمد الحزي

(ذكر هرب الامير أبي الحسن أخي المسترشد وعوده)

لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب أخوه الامير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن وسار منها الى دبيس بن صدقة بالحلة فأكرمه دبيس وعلم منه وفاة المستظهر بالله وأقام له الاقامات الكثيرة فلما علم المسترشد بالله خبره أهمه ذلك وأقلقه وأرسل الى دبيس يطلب منه اعادته فأجاب بأنني عبد الخليفة وواقف عند أمره ومع هذا فقد استذم بي ودخل منزلي فلا أكرهه على أمر أبدا وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي فقصد الامير أبا الحسن وتحدث معه في عوده وضمن له عن الخليفة كل ما يريده فأجاب الى العود وقال انني لم أفارق أخي لشر أريده وانما الخوف حملني على مفارقته فاذا أمنني قصدته وتكفل دبيس باصلاح الحال بنفسه والمسير معه الى بغداد فعاد النقيب وأعلم الخليفة الحال فأجاب الى ما طلب منه ثم حدث من أمر البرسقي ودبيس ومنكوبرس ما ذكرناه فتأخر الحال وأقام الامير أبو الحسن عند دبيس الى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثم سار عن الحلة الى واسط وكثر جمعه وقوي الارجاف بقوته وملك مدينة واسط وخيف جانبه فتقدم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولي عهده ولده أبي جعفر المنصور وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة فخطب له ثاني ربيع الآخر ببغداد وكتب الى البلاد بالخطبة له وأرسل الى دبيس بن مزيد في معنى الامير أبي الحسن وانه الآن قد فارق جواره ومد يده الى بلاد الخليفة وما يتعلق به وأمره بقصده ومعاجلته قبل قوته فأرسل دبيس العساكر اليه ففارق واسط وقد تحير هو وأصحابه فضلوا الطريق ووصلت عساكر دبيس فصادفوهم عند الصبح فنهبوا أثقاله وهرب الاكراد من أصحابه والاتراك وعاد الباقون الى دبيس وبقي الامير أبو الحسن في عشرة من أصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظا فأيقن بالتلف وتبعه بدويان فأراد الهرب منهما فلم يقدر فأخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه وحملاه الى دبيس فسيره الى بغداد وحمله الى الخليفة بعد ان بذل له عشرين ألف دينار فحمل الى الدار العزيزة وكان بين خروجه عنها وعوده اليها أحد عشر شهرا ولما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه وقبله المسترشد

طاهر وعداوة في اللعب بالحمام وتطييرها واللعب بالكباش والديوك والعميان وهو الذي يسمى بالشام الشيخ فلما حمل المستكفي الى نهر عيسى ليبايع له هرب المطيع من داره وعلم أنه سيأتي عليه فلما استقرت للمستكفي طلب المطيع فلم يقف له على خبر فهدم داره وأتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره (وذكر) أبو الحسن علي بن أحمد الكاتب البغدادي قال لما استخلف المستكفي ضم اليه تورون غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه وكان للمستكفي غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ في خدمته فكان المستكفي يميل الى غلامه وكان تورون يريد من المستكفي أن يقدم المضموم اليه على غلامه الاول فكان المستكفي يبعث بالغلام التركي في حوائجه اتباعا لمرضاة تورون فلا يبلغ له ما يبلغ غلامه (قال) وأقبل المستكفي يوما على محمد بن محمد بن يحيى بن شيرزاد الكاتب فقال له أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشام قال لا يا أمير المؤمنين قال ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجتبى قوما من أهل العراق وجد عندهم من الكفاية ما لم يجد عند مختصيه من الشاميين فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه فبلغ اليه كلامهم فركب في جماعة من الفريقين وأوغل بهم في الصحراء فلاح لهم من بعد قطار ابل فدعا برجل من أهل الشام

وغيرهم وكان آقسنقر البرسقي مقيما بالرحبة وهي اقطاعه وليس بيده من الولايات شئ فاستخلف عليها ابنه عز الدين مسعودا وسار الى السلطان محمد قبل موته عازما على مخاطبته في زيادة اقطاعه فلما وفاة السلطان محمد قبل وصوله الى بغداد وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداد فأرسل اليه يمنعه من دخولها فسار الى السلطان محمود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الامراء عند السلطان يريدون البرسقي ويتعصبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز ويحسدونه لقربه وكان عند السلطان محمد وخافوا ان يزداد تقدما عند السلطان محمود وحكما فلما ولى البرسقي شحنكية بغداد هرب بهروز الى تكريت وكانت له ثم ان السلطان ولى شحنكية بغداد الامير منكوبرس وهو من أكابر الامراء وقد حكم في دولة السلطان محمود فلما أعطى الشحنكية سير اليها ربيبه الامير حسين بن أزبك أحد الامراء الاتراك وهو صاحب اسداباذ لينوب عنه ببغداد والعراق وفارق السلطان من باب همذان واتصل به جماعة الامراء البكجية وغيرهم فلما سمع البرسقي خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقف الى ان يكاتب السلطان ويفعل ما يرد به الامر عليه فأرسل اليه الخليفة فأجاب ان يرسم الخليفة بالعود عدت والا فلا بد من دخول بغداد فجمع البرسقي أصحابه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقتل أخ لحسين وانهزم هو ومن معه وعادوا الى عسكر السلطان فكان ذلك في شهر ربيع الاول قبل وفاة المستظهر بالله بأيام

(ذكر وفاة المستظهر بالله)

في هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله وكان مرضه التراقي وكان عمره احدى وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام وخلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير وسديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الاصبهاني وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جهير ومجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطلب ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمد وناب عن الوزارة أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا وقاضي القضاة أبو الحسن علي بن الدامغاني ومضى في أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم تاج الدولة تتش بن الب ارسلان والسلطان بركيارق ومحمد ابنا ملكشاه ومن غريب الاتفاق انه لما توفي السلطان الب ارسلان توفي بعده القائم بأمر الله ولما توفي السلطان ملكشاه توفي بعده المقتدي بأمر الله ولما توفي السلطان محمد توفي بعده المستظهر بالله

(ذكر بعض أخلاقه وسيرته)

كان رضي الله عنه لين الجانب كريم الاخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع الى أعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يرد مكرمة تطلب منه وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ الى سعاية ساع ولا ملتفت الى قوله ولم يعرف منه تلون وانحلال عزم بأقوال أصحاب الاغراض وكانت أيامه أيام سرور للرعية فكأنها من حسنها أعياد وكان اذا بلغه ذلك فرح به وسره واذا تعرض سلطان أو نائب له الى أذى أحد بالغ في انكار ذلك والزجر عنه وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد يدل على فضل غزير وعلم واسع ولما توفي صلى عليه ابنه المسترشد بالله وكبر أربعا ودفن في حجرة له كان يألفها ومن شعره قوله

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا * لما مددت الى رسم الوداع يدا

الوفاة توزون وسائر من حضره من القواد وأهل الدولة وأهل عصره من القضاة منهم القاضي أبو الحسن محمد بن الحسين ابن أبي الشوارب وجماعة من الهاشميين فصلى بهم في يومهم ذلك المغرب والعشاء وسار حتى نزل في يوم الاحد بالشماسية فلما كان في يوم الاثنين انحدر في الماء راكبا في الطيار الذي يسمى الغزالة وعليه قلنسوة طويلة محدودة ذكر أنها كانت لأبيه المكتفي بالله وعلى رأسه توزون التركي ومحمد بن محمد بن يحيى شيرزاد وجماعة من غلمانه وسلم اليه المتقي ضريرا وأحمد بن يحيى القاضي مقبوضا عليه وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين فبايعوا له واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامري مدة ثم غضب عليه وغلب على أمره محمد بن شيرزاد وجلس للناس وسأل عن القضاة وكشف عن أمر شهود الحضرة فأمر باسقاط بعضهم وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لاشياء كان قد علمها منهم قبل الخلافة فامتثل القضاة ما أمر به من ذلك واستقضى على الجانب الشرقي محمد بن عيسى المعروف بابن أبي موسى الحنفي وعلى الجانب الغربي محمد بن الحسن بن أبي الشوارب الاموي الحنفي فقالت العامة الى ههنا انتهى سلطانه وانتهى في الخلافة أمره ونهيه وقد كان بينه وبين الفضل بن المقتدر الذي يسمى بالمطيع قبل ذلك مجاورة في دار ابن وكيف

وماله وعاد الى بغداد فخيم عند القنطرة العتيقة وأصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيمارستان وأصعد دبيس ومنكبرس فخيما تحت الرقة وأقام عز الدين مسعود بن البرسقي عند منكبرس منفردا عن أبيه وكان سبب هذا الصلح ان جيوش بك كان قد أرسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر انه لقي من السلطان احسانا كثيرا وانه أقطعهم اذربيجان فلما بلغه رحيلكم الى بغداد اعتقد انكم قد عصيتم عليه فعاد عما كان استقر ويقول ان السلطان قد جهز عسكرا الى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس فارسله الى جيوش بك وضمن له اصلاح السلطان له وللملك مسعود وكان منكبرس متزوجا بأم الملك مسعود واسمها سرجهان وكان يؤثر مصلحته لذلك واستقر الصلح وخافا من البرسقي ان يمنع منه فاتفقا على ارسال العسكر الى درزيجان لينفذ في مقابلته البرسقي ليخلو العسكر منه ويقع الاتفاق فكان الامر في مسيره على ما تقدم وكان البرسقي محبوبا الى أهل بغداد لحسن سيرته فيهم فلما استقر الصلح ووصلوا الى بغداد تفرق عن البرسقي أصحابه وجموعه وبطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر السلطان وسار عن العراق الى الملك مسعود فاقام معه واستقر منكبرس في شحنكية بغداد وودعه دبيس بن صدقة وعاد الى الحلة بعد ان طالب بدار أبيه بدرب فيروز وكانت قد دخلت في جامع القصر ببغداد فصولح عنها بمال وأقام منكبرس ببغداد يظلم ويعسف الرعية ويصادرهم فاختفى أرباب الاموال وانتقل جماعة الى حريم دار الخلافة خوفا منه وبطلت معايش الناس وأكثر أصحابه الفساد حتى ان بعض أهل بغداد زفت اليه امرأة تزوجها فعلم بعض أصحاب منكبرس فاتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات واتى بزوجته فكثر الدعاء ليلا ونهارا واستغاث الناس لهذه الحال واغلقوا الاسواق فأخذ الجندي الى دار الخلافة فاعتقل أياما ثم أطلق وسمع السلطان عا يفعله منكبرس ببغداد فارسل اليه يستدعيه ويحثه على اللحوق به وهو يغالط ويدافع وكلما طلبه السلطان لج في جمع الاموال والمصادرات فلما علم أهل بغداد تغير السلطان عليه واستدعاءه اياه طمعوا فيه فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفا ان يثوروا به وكفي الناس شره وظهر من كان مستترا

(ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين)

في ذي الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة توفي بغدوين ملك القدس وكان قد سار الى ديار مصر في جمع الفرنج قاصدا ملكها والتغلب عليها وقوي طمعه في الديار المصرية وبلغ مقابل تنيس وسبح في النيل فانتقض جرح كان به فلما احس بالموت عاد الى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها وهو الذي كان أسره جكرمش وأطلقه جاولي سقاوو واتفق ان هذا القمص كان قد سار الى القدس يزور بيعة قمامة فلما وصى اليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها وكان أتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دير أيوب وكفر بصل باليرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوما وبينهم نحو يومين فأتته رسل ملك الفرنج بطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التي بينهم من جبل عوف والحنانة والصلت والغور فلم يجب الى ذلك وأظهر القوة فسار طغتكين الى طبرية فنهبها وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للمصريين وبها عساكرهم كانوا قد سيروها مساعدة ملك القدس المتوفى عن مصر وكانوا سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين وأعلمه المقدم عليهم ان صاحبهم تقدم اليه بالوقوف عند رأي طغتكين والتصرف على ما يحكم به فاقاموا بعسقلان نحو شهرين

قال لما كان من أمره ما اشتهر ربيت في خدمة أخيه عبد الله بن المكتفي فلما أفضت الخلافة اليه كنت أخص الناس به فرأيته في بعض الايام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة من جيرانه بناحية دار ابن طاهر وقد تذاكروا الخمر وأفعالها وما قال الناس فيها من المنثور والمنظوم وما وصفت به فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين ما رأيت أحدا وصف الخمرة بأحسن من وصف بعض من تأخر فانه ذكر في بعض كتبه في الشراب ووصفه انه ليس في العالم شئ واحد أخذ من أمهاته الاربع فضيلتها وابتزها أكرم خواصها الا الخمرة فان لها لون النار وهو أحسن الالوان ولدونة الهواء وهي ألين المجسات وعذوبة الماء وهي أطيب المذاقات وبرد الارض وهي ألذ المشروبات قال وهذه الاربع وان كن في جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ما وصفنا من الغالب على الخمر قال واصفها قد قلت في اجتماع الصفات التي ذكرناها

است أرى كالراح في جمعها ... لاربع هن قوام الورى
عذوبة الماء ولين الهوا ... وسخنة النار وبرد الثرى

ولما كانت الراح بالموضع الذي وصفناها به من الفضل على سائر ما ينال ويوصف من صنوف اللذات والمدح بها بما ينفع من فنون الشهوات قال فأما شماع الخمر فانه يشبه

وبكوا وأنزله دارا حسنة كان هو يسكنها قبل ان يلي الخلافة وحمل اليه الخلع والتحف الكثيرة وطيب نفسه وأمنه

❁(ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البرسقي ودبيس)❁

في هذه السنة في جمادى الاولى برز البرسقي ونزل باسفل الرقة في عسكره ومن معه وأظهر أنه على قصد الحلة واجلاء دبيس بن صدقة عنها وجمع دبيس جموعا كثيرة من العرب والاكراد وفرق الاموال الكثيرة والسلاح وكان الملك مسعود ابن السلطان محمد بالموصل مع اتابكه أي ابه جيوش بك فأشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فانه لا مانع دونه فسارا في جيوش كثيرة ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكي بن آقسنقر جد ملوكنا الآن بالموصل وكان من الشجاعة في الغاية ومعهم أيضا صاحب سنجار وأبو الهيجاء صاحب اربل وكرباوي بن خراسان التركماني صاحب البوازيج فلما علم البرسقي قربهم خافهم وكان البرسقي قديما قد جعله السلطان محمد أتابك ولده مسعود على ماذكرناه وانما كان خوفه من جيوش بك فلما قاربوا بغداد سار اليهم ليقاتلهم ويصدهم فلما علم مسعود وجيوش بك ذلك أرسلوا اليه الامير كرباوي في الصلح وأعلمه أنهم انما جاؤا نجدة له على دبيس واصطلحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود الى بغداد ونزل بدار المملكة ووصلهم الخبر بوصول الامير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره في جيش كثير فسار البرسقي عن بغداد نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلما علم به منكبرس قصد النعمانية وعبر دجلة هنالك واجتمع هو ودبيس بن صدقة وكان دبيس قد خاف من الملك مسعود والبرسقي فبنى أمره على المحاجزة والملاطفة فاهدى الى مسعود هدية حسنة وللبرسقي وجيوش بك فلما وصله خبر وصول منكبرس راسله واستماله واستحلفه واتفقا على التعاضد والتناصر واجتمعا وكل واحد منهما قوي بصاحبه فلما اجتمعا سار الملك مسعود والبرسقي وجيوش بك ومن معهم الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس فلما وصلوا المدائن أتتهم الاخبار بكثرة الجمع معهما فعاد البرسقي والملك مسعود وعبرا نهر صرصر وحفظا المخاضات عليه ونهب الطائفتان السواد نهبا فاحشا نهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى وبعض دجيل واستباحوا النساء فأرسل المسترشد بالله الى الملك مسعود والبرسقي ينكر هذه الحال ويأمرهم بحقن الدماء وترك الفساد ويأمر بالموادعة والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الانباري والامام الاسعد الميهني مدرس النظامية فانكر البرسقي ان يكون جرى منهم شيء من ذلك وأجاب الى العود الى بغداد فوصل من أخبره ان منكبرس ودبيسا قد جهزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور أخي دبيس والامير حسين بن ازبك ربيب منكبرس وسيراه وعبر عند درزيجان ليقطع والمخاضة عند ديالى الى بغداد ليدخلوها من عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقي الى بغداد وعبر الجسر لئلا يخاف الناس ولم يعلموا الخبر وخلف ابنه عز الدين مسعودا على عسكره بصرصر واستصحب معه عماد الدين زنكي بن آقسنقر فوصل الى ديالى ومنع عسكر منكبرس من العبور فاقام يومين فاتاه كتاب ابنه عز الدين مسعود يخبره ان الصلح قد استقر بين الفريقين فانكسر نشاطه حيث جرى هذا الامر ولم يعلم به وعاد نحو بغداد وعبر الى الجانب الغربي وعبر منصور وحسين فسارا في عسكرهما خلفه فوصلوا بغداد عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقي الى الملك مسعود فاخذ بركه

فقال له امض فاعرف ماهذه الاشباح واستقص أمرها فلم يلبث أن جاء وأخبره أنها ابل فقال أمحملة هي أم غير محملة قال لا أدري ولكني أعود وأتعرف ذلك وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق وأمره بمثل ما كان أمر الشامي فلما رجع العراقي أقبل عليه الحجاج وأهل الشام يسمعون فقال ماهي قال ابل قال وكم عددها قال ثلاثون قال وما تحمل قال زيتا قال ومن أين صدرت قال من موضع كذا قال ومن ربها قال فلان فالتفت الى أهل الشام فقال الام على عمرو ولومات أوناى لقل الذي يغني غناء لشاعر وفقال ابن شيرزاد فقد قال يا أمير المؤمنين بعض أهل الادب في هذا المعنى

شر الرسولين من يحتاج مرسله
منه الى العود والامران سيان

كذلك ما قال أهل العلم في مثل

طريق كل أخي جهل طريقان

قال المستكفي ما أحسن ماوصف البحتري الرسول بالذكاء بقوله

وكأن الذكاء يبعث منه
في سواد الامور شعلة نار

وعلم ابن شيرزاد استثقال المستكفي لغلام تورون فأخبر تورون بذلك فأعفاه منه وأزاله عن خدمته

(وحدث) أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل البغدادي قال كان أبي قديما في خدمة المكتفي وماله

واقبت منزله فسلم أرصاحبا * الالقائي بوجه ضاحك
والبشر في وجه الغلام نتيجة * لمقدمات ضياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

﴿ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود﴾

كان الملك طغرل بن محمد لما توفي والده بقلعة سرجهان وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم واقطعه والده سنة أربع ساوة وآوه وزنجان وجعل أتابكه الامير شيركير الذي تقدم ذكره في حصار قلاع الاسماعيلية فازداد ملك طغرل بما فتحه شيركير من قلاعهم فارسل اليه السلطان محمود الامير كنتغدى ليكون اتابكا له ومدبرا لامره ويحمله اليه فلما وصل اليه حسن له مخالفة أخيه وترك المجيء اليه واتفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فارسل شرف الدين أنوشروان ابن خالد ومعه خلع وتحف وثلاثون ألف دينار ووعد أخاه باقطاع كثير زيادة على ماله اذا قصده واجتمع به فلم تقع الاجابة الى الاجتماع وأجاب كنتغدى باننا في طاعة السلطان وأي جهة أراد قصدناها ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده فبينما الخوض معهم في ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان في عشرة آلاف فارس جريدة في جمادى الاولى وكتم مقصده وعزم على ان يكبس أخاه والامير كنتغدى فرأى احد خواصه تركيا من أصحاب الملك طغرل فاعلم السلطان به فقبض عليه فلم رفيق كان معه الحال فسار عشرين فرسخا في ليلة ووصل الى الامير كنتغدى وهو سكران فايقظه بعد جهد واعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرفه ذلك واخذه مختفيا وقصد قلعة سميران فضلا عن الطريق الى قلعة سرجهان وكانا قد فارقاها وجمعا العساكر وكان ضلالهما هداية لهما الى السلامة فان السلطان محمودا جعل طريقه على سميران وقال انما حصنهما الذي فيه الذخائر والاموال واذا علما بوصوله اليهما سارا الى سرجهان فصادفهما في الطريق فسلما منه بما ظناه عطبا لهما ووصل السلطان الى العسكر فكبسه ونهبه وأخذ من خزانة أخيه ثلثمائة ألف دينار وذلك المال الذي أنفذه له وأقام السلطان محمود بزنجان وتوجه منها الى الري ونزل طغرل من سرجهان ولحق هو وكنتغدى بكنجة وقصده أصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود

﴿ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن اخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك قد ذكرنا سنة ثمان وخمسمائة مسير السلطان سنجر الى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد عنها الى خراسان فلما بلغه وفاة أخيه السلطان محمد وجلوس ولده السلطان محمود في السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت أخيه وأظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله وجلس للعزاء على الرماد وأغلق البلد سبعة أيام وتقدم الى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقب بناصر الدين فلما توفي أخوه محمد تلقب بمعز الدين وهو لقب أبيه ملكشاه وعزم على قصد بلاد الجبل والعراق وما بيد محمود ابن أخيه فندم على قتل وزيره أبي جعفر محمد بن فخر الملك أبي المظفر بن نظام الملك وكان سبب قتله انه أوحش الامراء واستخف بهم فابغضوه وكرهوه وشكوا منه الى السلطان وهو بغزنة فاعلمهم انه يؤثر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد تغير على وزيره لاسباب منها انه

ومالم تكن فيه من البيت مغربا
(وقال أيضا)
وكأن شاربها الفرط شعاعها
في الكأس يكرع في ضيا مقباس
(وقال أيضا)
فقلت له ترفق بي فاني
رأيت الصبح من خلل الديار
فقال تعجبا مني أصبح
ولا صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسد فاها
فعاد الليل مصبوغ الازار
(وقال أيضا)
وحمراء قبل المزج صفراء دونه
كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
(وقال)
كأن نارا بها محرشة
تهابها تارة وتخشاها
(وقال أيضا)
حمراء لولا انكسار الماء لاختطفت
نور النواظر من بين الحماليق
(وقال أيضا)
ينقض منها شعاع كلما مزجت
كالشهب تنقض في اثر العفاريت
(وقال)
عتقت في الدنان حتى استفادت
نور شمس الضحى وبرد الظلام
(وقال)
يجوّدها حتى عيانا يرى لها
الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

 (وقال) قال ابغني المصباح قلت له اتئد * حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا

ولم يؤثروا في الفرنج أثرا فعاد طغتكين الى دمشق فأتاه الصريخ بان مائة وثلاثين فارسا من الفرنج أخذوا حصنا من أعماله يعرف بالحبس ويعرف بحصن جلدك سلمه اليهم المستحفظ به وقصدوا اذرعات فنهبوها فارسل اليهم تاج الملوك بوري بن طغتكين فانحاز واعنه الى جبل هناك فنازلهم فأتاه أبوه ونهاه عنهم فلم يفعل وطمع فيهم فلما آيس الفرنج قاتلوا قتال مستقتل فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها وأسروا وقتلوا خلقا كثيرا وعاد الفل الى دمشق على أسوا حال فسار طغتكين الى حلب وبها ايلغازي فاستنجده وطلب منه التعاضد على الفرنج فوعده المسير معه فبينما هو بحلب أتاه الخبر بان الفرنج قصدوا حوران من أعمال دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتفق رأي طغتكين وايلغازي على عود طغتكين الى دمشق وحماية بلاده وعود ايلغازي الى ماردين وجمع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح ايلغازي من يليه من الفرنج على ما تقدم ذكره وعبر الى ماردين لجمع العساكر وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة انقطع الغيث وعدمت الغلات في كثير من البلاد وكان أشده بالعراق فغلت الاسعار وأجلي أهل السواد وتقوت الناس بالنخالة وعظم الامر على أهل بغداد بما كان يفعله منكبرس بهم وفيها أسقط المسترشد بالله من الاقطاع المختص به كل جور وأمر ان لا يؤخذ الا ما جرت به العادة القديمة وأطلق ضمان غزل الذهب وكان صناع السقلاطون والممزج وغيرهم ممن يعمل منه يلقون شدة من العمال عليها وأذى عظيما وفيها تأخر مسير الحاج تأخرا رجف بسببه بانقطاع الحج من العراق فرتب الخليفة الامير نظر خادم أمير الجيوش يمن وولاه من أمر الحج ما كان يتولاه أمير الجيوش واعطاه من المال ما يحتاج اليه في طريقه وسيره فادركوا الحج وظهرت كفاية نظر وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوة ونجدة للفرنج بالشام فغرقا وكان الناس قد خافوا ممن فيهما وفيها وصل رسول ايلغازي صاحب حلب وماردين الى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزرية وانهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا أميرها ابن عطير فسيرت الكتب بذلك الى السلطان محمود وفيها نقل المستظهر الى الرصافة وجميع من كان مدفونا بدار الخلافة وفيهم جدة المستظهر ام المقتدي وكان وفاتها بعد المستظهر ورأت البطن الرابع من أولادها وفيها كثر أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد فعبر اليهم نائب الشحنة في خمسين غلاما أتراكا فقاتلهم فانهزم منهم ثم عبر اليهم من الغد في مائتي غلام فلم يظفر بهم ونهب العيارون يومئذ قطفتا وفي هذه السنة في شعبان توفي أبو الفضل بكر بن محمد بن علي بن الفضل الانصاري من ولد جابر بن عبد الله وهو من بلد بخارا وكان من أعيان الفقهاء الحنفية حافظا للمذهب وتوفي أبو طالب الحسين بن محمد بن علي بن الحسن الزينبي نقيب النقباء ببغداد في صفر واستقال من النقابة فوليها أخوه طراد وكان من أكابر الحنفية وروى الحديث الكثير وفيها في ذي الحجة توفي أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده الاصبهاني المحدث المشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة وفيها توفي أبو الفضل أحمد بن الخازن وكان أديبا ظريفا له شعر حسن فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فادخله غلمانه الى بستان في الدار وحمام فقال في ذلك

فباتت في البيت إذ مزجت * مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى ساري الظلام بها * كاهتداء السفر بالعلم

وافيت

بكل شيء نوري من شمس وقمر ونجم ونار وغير ذلك من الاشياء النورية فاما لونها فيحتمل أن يشبه بكل أحمر في العالم وأصفر من ياقوت وعقيق وذهب وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلي الفاخرة قال وقد شبهها الاولون بدم الذبيح ودم الجوف وشبهها غيرهم بالزيت والزرق وغيرها وتشبيهها بالجوهر الاكرم أفضل لها وأحسن في مدحها قال فأما صفاؤها فيحتمل أن يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء وقد قال بعض الشعراء المتقدمين في صفائها

تريك القذى من دونها وهي دونه

وهذا أحسن ما قاله الشعراء في وصف الخمر قال وقد أتى أبو نواس في وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعلها في النفس وصفة آلاتها وظروفها وأدنانها وحال المنادمات عليها والاصطباح والاغتباق وغير ذلك من أحوالها بما يكاد يعلو به باب وصفها لولا اتضاع الاوصاف لها واحتمالها اياها وأنها لا تكاد تحصر ولا يبلغ الى غاياتها قال وقد وصف أبو نواس نورها فقال

فكأنه في كفه * شمس وراحته قمر

(وقال)

الكبار الامير علي بن عمر أمير حاجب والامير منكبرس وأتابكه غزغلي وبنو برسق وسنقر البخاري وقراجة الساقي ومعه تسعمائة جمل من السلاح واستهان عسكر محمود بعسكر عمه بكثرتهم وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلما التقوا ضعفت نفوس الخراسانية لما رأوا هذا العسكر من القوة والكثرة فانهزمت ميمنة سنجر وميسرته واختلط أصحابه واضطرب أمرهم وسار واانهزمين لا يلوون على شيء ونهب من أثقالهم شيء كثير وقتل أهل السواد كثيرا منهم ووقف سنجر بين الفيلة في جمع من أصحابه وبازائه السلطان محمود ومعه اتابكه غزغلي فالجأت سنجر الضرورة عند تفاقم الخطب عليه أن يقدم الفيلة للحرب وكان من بقي معه قد أشاروا عليه بالهزيمة فقال اما النصر او القتل وأما الهزيمة فلا فلما تقدمت الفيلة ورآها خيل محمود تراجعت باصحابها على اعقابها فاشفق سنجر على السلطان محمود في تلك الحال وقال لاصحابه لا تفزعوا الصبي بحملات الفيلة فكفوها عنهم وانهزم السلطان محمود ومن معه في القلب وأسر اتابكه غزغلي فكان يكاتب السلطان ويعده أنه يحمل اليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان ظالما قد بالغ في ظلم أهل همذان فعجل الله عقوبته ولما تم النصر والظفر للسلطان سنجر أرسل من أعاد المنهزمين من أصحابه اليه ووصل الخبر الى بغداد في عشرة أيام فارسل الامير دبيس بن صدقة الى المسترشد بالله في الخطبة للسلطان سنجر فخطب له في السادس والعشرين من جمادى الاولى وقطعت خطبة السلطان محمود وأما السلطان محمود فانه سار من الكسرة الى اصبهان ومعه وزيره أبو طالب السميرمي والامير علي بن عمر وقراجة وأما سنجر فانه سار الى همذان فرأى قلة عسكره واجتماع العساكر على ابن أخيه فراسله في الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد استوليت على غزنة واعمالها وما وراء النهر وملكت ما لا حد عليه وقررت الجميع على أصحابه فاجعل ولد أخيك كاحدهم وكانت والدة سنجر هي جدة السلطان محمود فاجاب الى قولها ثم كثرت العساكر عند سنجر منهم البرسقي وكان عند الملك مسعود باذربيجان من حين خروجه عن بغداد الى هذه الغاية فقوي بهم فعاد الرسول وابلغه عن الامراء الذين مع السلطان محمود انهم لا يصالحونه حتى يعود الى خراسان فلم يجب الى ذلك وسار من همذان الى كرج واعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ووعده أن يجعله ولي عهده فاجاب الى ذلك واستقر الامر بينهما وتحالفا عليه وسار السلطان محمود الى عمه سنجر في شعبان فنزل على جدته والدة سنجر وأكرمه عمه وبالغ في ذلك وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهرا وردها باطنا ولم تقبل منه سوى خمسة أفراس عربية وكتب السلطان سنجر الى سائر الاعمال التي بيده بخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بان يخطب للسلطان محمود بعده وكتب الى بغداد مثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الري وقصد بأخذها ان تكون له في هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج

❁(ذكر غزاة ايلغازي بلاد الفرنج)❁

في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم الى نواحي حلب فملكوا بزاعة وغيرها وأخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا وخافهم أهلها خوفا شديدا ولو مكنوا من القتال لم يبق بها أحد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم على أملاكهم التي بباب حلب فارسل أهل البلد الى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان الامير ايلغازي صاحب حلب ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين ألفا وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابي والامير طغان أرسلان بن المكر

أنشد الطالب وأرسل المستكفي في سنة النصارى المعروفة بدرتامن الجانب الغربي

فذكر أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل ومنزلته من خدمة المستكفي ما قدمنا قال كان المستكفي في سائر أوقاته فازعا وجلا من المطيع أن يلي الخلافة ويسلم اليه فيحكم فيه بما يريد فكان صدره يضيق لذلك فيشكو ذلك في بعض الاوقات الى من ذكرنا ممن كان يألفه من ندمائه فيشجعونه ويهونون عليه أمر المطيع الى أن قال لهم في بعض الايام قد اشتهيت أن نجتمع في مكان كذا وكذا فنتذاكر أنواع الاطعمة وما قال الناس في ذلك منظوما فاتفق معهم على ذلك فلما كان في اليوم الذي حضر وأقبل المستكفي فقال هاتوا ما الذي أعده كل واحد منكم فقال واحد منهم قد حضرني يا أمير المؤمنين أبيات لابن المعتز يصف سلة سكارج كوامخ فقال

امنع بسلة قضبان أتتك وقد ... حفت جوانبها الجامات أسطار

فيها سكاريج أنواع مصففة ... حمر وصفر وما فيهن انكار

فمن كامخ طرخون مبوهرة ... وكامخ أحمر فيها وتيار

أعطته شمس الضحى لونا يشابهه ... كأنه من ضياء الشمس عطار

فمن كامخ من زنجوش قابله ... من القرنفل نوع منه مختار

وكامخ الدارصيني فليس له ... في الطعم شبه ولا في لونه عار

أشار عليه بقصد غزنة فلما وصل الى بست أرسل ارسلانشاه صاحبها الى الوزير وضمن له خمسمائة ألف دينار ليثني سنجر عن قصده فأشار عليه بمصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر ومنها انه نقل عنه انه أخذ من غزنة أموالا جليلة عظيمة المقدار ومنها ما ذكر من ايحاشه الامراء وغير هذه الاسباب فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله وأخذ ماله وكان له من الجواهر والاموال ما لا حد عليه والذي وجد له من العين ألفا ألف دينار فلما قتله استوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزاق ابن أخي نظام الملك ويعرف بابن الفقيه الا أنه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس في علو المنزلة فلما اتصل به وفاة أخيه ندم على قتله لانه كان يبلغ به من الاغراض والملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس اليه ومحله عندهم ثم ان السلطان محمودا أرسل الى عمه سنجر شرف الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف وبذل له النزول عن مازندران وحمل مائتي ألف دينار كل سنة فوصلا اليه وأبلغاه الرسالة فتجهز ليسير الى الري فأشار عليه شرف الدين أنوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه في ذلك ان ولد أخي صبي وقد تحكم عليه وزيره والحاجب علي فلما سمع السلطان محمود بمسير عمه نحوه ووصول الامير أنر في مقدمته الى جرجان تقدم الى الامير علي بن عمر وهو أمير حاجب السلطان محمد وبعده صار أمير حاجب السلطان محمود بالمسير وضم له جمعا كثيرا من العساكر والامراء فاجتمعوا في عشرة آلاف فارس فسار والى ان قاربوا مقدمة سنجر التي عليها الامير أنر فراسله الامير علي بن عمر يعرفه وصية السلطان محمد بتعظيم سنجر والرجوع الى أمره ونهيه والقبول منه وانه ظن ان سنجر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود وأخذ علينا بذلك العهود فليس لنا أن نخالفه وحيث جئتم الى بلادنا لا نحتمل ذلك ولا نغضي عليه وقد علمت ان معك خمسة آلاف فارس فانا أرسل اليك أقل منهم لتعلم انكم لا تقاومونا ولا تقوون بنا فلما سمع الامير أنر ذلك عاد عن جرجان ولحقه بعض عسكر السلطان محمود فأخذوا قطعة من سواده وأسروا عدة من أصحابه وكان السلطان محمود قد وصل الى الري وهو بها وعاد الامير علي بن عمر اليه فشكره على فعله وأثنى عليه وعلى عسكره الذين معه وأشير على السلطان محمود بملازمة الري والمقام بها وقيل ان عساكر خراسان اذا علموا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم ولا يتعدون ولايتهم فلم يقبل ذلك وضجر من المقام وسار الى جرجان ووصل السلطان محمود الامير منكبرس من العراق في عشرة آلاف فارس والامير منصور بن صدقة أخو دبيس والامراء البكجية وغيرهم وسار محمود الى همذان وتوفي بها وزيره الربيب واستوزر أبا طالب السميرمي وبلغه وصول عمه سنجر الى الري فسار نحوه قاصدا قتاله فالتقيا بالقرب من ساوة ثاني جمادى الاولى من السنة وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المفازة التي بين يدي عسكر سنجر وهي ثمانية أيام فسبقوهم الى الماء وملكوه عليهم وكان العسكر الخراساني في عشرين ألفا ومعهم ثمانية عشر فيلا اسم كبيرها باذهو ومن الامراء الكبار ولد الامير أبي الفضل صاحب سجستان وخوارزمشاه محمد والامير أنر والامير قماج واتصل به علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه صاحب يزد وهو صهر السلطان محمد وسنجر على أختيهما وكان أخص الناس بالسلطان محمد فلما تولى السلطان محمود تأخر عنه فاقطع بلده لقراجة الساقي الذي صار صاحب بلاد فارس فسار حينئذ علاء الدولة الى سنجر وهو من ملوك الديلم وعرف سنجر الاحوال والطريق الى قصد البلاد وما فعله الامراء من أخذ الاموال وما هم عليه من اختلاف الاهواء وحسن قصد البلاد وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين ألفا ومن الامراء

الكبار

فسكنت مضاف الرجاجة شربة كانت لداخل الصباح صباحا قال وله في هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها في مشامها النار ومخالفة الانوار والرفع للظلام وتصيير الليل نهارا والظلم أنوارا مما هو اغراق الواصف واشتطاط المادح قال وليس الى صفة لونها ونورها ما هو أحسن مما وصفها اذ ليس بعد الانوار شئ في الحسن قال فداخل المستكفي سرور وفرح وابتهاج بما وصف فقال ويحك فرج عني من هذا الوصف قال نعم ياسيدي (قال) عبد الله بن محمد الناشي وقد كان المستكفي ترك النبيذ حتى أفضت الخلافة اليه فدعا بها من وقته ودعا الى شربها وقد كان المستكفي حين أفضت الخلافة اليه طلب الفضل ابن المقتدر على حسب ما قدمنا لما كان بينهما من العداوة فيما ذكرنا وغير ذلك مما عنه أعرضنا فهرب الفضل وقيل انه هرب الى أحمد بن بويه الديلمي منتصرا وأحسن اليه أحمد ولم يظهره فلما مات توزون ودخل الديلمي الى بغداد وخرج الاتراك عنها صار الى ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وانحدر معه هو وابن عمه أبو عبد الله بن العلاء فكان بينه وبين ابن بويه الديلمي من الحروب ما قد اشتهر وانحاز الديلمي الى الجانب الغربي ومعه المستكفي والمطيع مختف ببغداد والمستكفي يطلبه

محمود وقال هذا ما لو كان فاصنع به ما تريد فأخذه وكان فى نفسه منه غيظ شديد لاسباب منها انه لما توفى السلطان محمد أخذ بتربية والدة الملك مسعود فقهرا قبل انقضاء عدتها ومنها جراءته عليه واستبداده بالامور دونه ومسيره الى شحنكية بغداد والسلطان كاره لذلك لكنه لم يقدر على منعه ومنها ما فعله بالعراق من الظلم الى غير ذلك فقتله صبرا وأراح العباد والبلاد من شره

﴿ ذكر قتل الامير على بن عمر ﴾

فى هذه السنة أيضا قتل الامير على بن عمر حاجب السلطان محمد وكان قد صار أكبر أمير مع السلطان محمود وانقادت العساكر له فحسده الامراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا له قتله فعلم فهرب الى قلعة برجين وهى بين بروجرد وكرج وكان بها أهله وماله وسار منها فى مائتى فارس الى خوزستان وكانت بيد أقبورى بن برسق وابنى أخويه أوغلى بن ابلكى وهندو بن زنكى فارسل اليهم وأخذ عهودهم بامانه وحمايته فلما سار اليهم أرسلوا عسكرا منعوه من قصدهم فلقوه على ستة فراسخ من تستر فاقتتلوا فانهزم هو وأصحابه فوقف به فرسه فانتقل الى غيره فتشبث ذيله بسرجه الاول فأزاله فعاود التعلق فابطأ فأدركوه وأسروه وكاتبوا السلطان محمودا فى أمره فأمرهم بقتله فقتل وحمل رأسه اليه

﴿ ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة ﴾

فى هذه السنة وقيل سنة أربع عشرة كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين على بن يوسف وبين أهل قرطبة وسببها ان أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الاضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد أبى بكر يده الى امرأة فأمسكها فاستغاثت بالمسلمين فاغاثوها فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فادركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر الى الامير أبى بكر فاجتمع اليه الفقهاء والاعيان فقالوا المصلحة ان تقتل واحدا من العبيد الذين أثاروا الفتنة فأنكر ذلك وغضب منه وأصبح من الغد وأظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد فركب الفقهاء والاعيان والشبان من أهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا اليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر وأحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة واتصل الخبر بأمير المسلمين فكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر اليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله أهلها قتال من يريد ان يحمى دمه وحريمه وماله فلما رأى امير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا فى الصلح فأجابهم الى ذلك على ان يغرم أهل قرطبة المرابطين ما نهبوه من أموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم

﴿ ذكر ملك على بن سكمان البصرة ﴾

فى هذه السنة استولى على بن سكمان على البصرة وسبب ذلك ان السلطان محمدا كان قد أقطع البصرة الامير آقسنقر البخارى فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتى فاحسن السيرة الى حد أن الماء بالبصرة ملح فاقام سفنا وجرارا للضعفاء والسابلة تحمل لهم الماء العذب فلما توفى السلطان محمد عزم هذا الامير سنقر على القبض على أمير اسمه غزغلى مقدم الاتراك الاسماعيلية وهو مذكور وحج بالناس على البصرة عدة سنين وعلى أمير آخر اسمه سنقر الب وهو مقدم الاتراك البلدقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيداه وأخذا القلعة وما وجداه له ثم ان سنقر الب أراد قتله فمنعه

لى جانب زيتونه * وأوساط سطيرات بزيت الماء مدهونه * وادن الذى الخمسة جوعا وشهيته روع بكسور الند

بالعنبر معجونه
وحريف من الخبز
به الاوساط مقرونه
وطلع كاللآلى فى
سموط العقد مكنونه
وحل ترعف الآ
ف منه وهى مختونه
وباذنجان بوران
به نفسك مفتونه
وهليون وعهدى
لك تستعذب هليونه
ولوزينة فى الده
ن والسكر مدفونه
وعندى لك رستي
ة مطبوخ وقنينه
وساق واعد بالوصـ
ل منه عطفة النونه
له شدة ألحاظ
وفى ألفاظه لينه
وقرى يغنيك
لحونا غير ملحونه
الا يا من لحزون
نأى عن دار محزونه
فما عذرك فى أن لا
ترى من سكره طينه
فقال المستكفى أحسنت
وأحسن القائل فيما وصف
ثم أمر باحضار كل ما يجرى
فى وصفه مما يمكن احضاره
ثم قال هاتوا من معه شئ فى
هذا المعنى فقال آخر فى
هذا المعنى لابن الرومى فى
صفة وسط
ياسائلى عن جمع اللذات
سألت عنه أنعت النعات
فهاك ما أنشأته من قصه

سلها من سويه ونقصه * خذ يا من يريد ان يأكل اللذيذ * جردقتى خبز من السميذ * لم تر عيناناظر مثليهما * فقشر الحرفين عن وجهيهما

صاحب بدليس وارزن وسار بهم الى الشام عازماً على قتال الفرنج فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل سار وافنزلوا قريباً من الاثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق الا من ثلاث جهات وفي هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج ان أحداً لا يسلك اليهم لضيق الطريق فأخلدوا الى المطاولة وكانت عادة لهم اذا رأوا قوة من المسلمين وراسلوا ايلغازي يقولون له لا تتعب نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك فأعلم أصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فأشاروا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج ان أحداً يقدم عليهم لصعوبة المسلك اليهم فلم يشعروا الا وأوائل المسلمين قد غشيهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولوا منهزمين فلقوا باقي العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم وأخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع وأسروا وكان في جملة الاسرى نيف وسبعون فارساً من مقدميهم وحملوا الى حلب فبذلوا في نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة وأما سيرجال صاحب انطاكية فانه قتل وحمل رأسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الاول فمما مدح به ايلغازي في هذه الوقعة قول العظيمي

قل ما تشاء فقولك المقبول * وعليك بعد الخالق التعويل
واستبشر القرآن حين نصرته * وبكى لفقد رجاله الانجيل

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم ايلغازي أيضاً فهزمهم وفتح منهم حصن الاثارب وزردنا وعاد الى حلب وقرر أمرها وأصلح حالها ثم عبر الفرات الى ماردين

﴿ذكر وقعة أخرى مع الفرنج﴾

في هذه السنة سار جوسلين صاحب تل باشر في جمع من الفرنج نحو مائتي فارس من طبرية فكبس طائفة من طيء يعرفون ببني خالد فأخذهم وأخذ غنائمهم وسألهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فأخبروه انهم من وراء الحزن بوادي السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوسلين مائة وخمسين فارساً من أصحابه وسار هو في خمسين فارساً على طريق آخر وواعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فأرادوا الرحيل فمنعهم أميرهم من بني ربيعة وكانوا في مائة وخمسين فارساً فوصلهم المائة والخمسون من الفرنج معتقدين ان جوسلين قد سبقهم أو سيدركهم فأضل الطريق وتساوت العدتان فاقتتلوا وطعنت العرب خيولهم فجعلوا أكثرهم رجالة وظهر من أميرهم شجاعة وحسن تدبير وجودة رأي فقتل من الفرنج سبعون وأسر اثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد في فداء نفسه مالاً جزيلاً وعدة من الاسرى وأما جوسلين فانه ضل في الطريق وبلغه خبر الوقعة فسار الى طرابلس فجمع بها جمعاً وأسرى الى عسقلان فأغار على بلدها فهزمه المسلمون هنالك فعاد مفلولاً

﴿ذكر قتل منكوبرس﴾

في هذه السنة قتل الامير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد وقد تقدم حاله وكان سبب قتله انه لما انهزم مع السلطان محمود وعاد الى بغداد نهب عدة مواضع من طريق خراسان وأراد دخول بغداد فسير اليه دبيس بن صدقة من منعه فعاد وقد استقر الصلح بين السلاطين سنجر ومحمود فقصد السلطان سنجر فدخل اليه ومعه سيف وكفن فقال له أنا لا أؤاخذ أحداً وسلمه الى السلطان

كأنه المسك ريحاً في تنسمه * حريف في طعمه والريح معطار
وكامخ الرعينر المري ان له * لوناً حكاه لدينا المسك والقار
وكامخ الثوم لما أن بصرت به
أبصرت عطر الله بالاكل أمار
كأن زيتونه فيه الظلام دجى
في الجيب منه من المحضور أسفار
اذا تأملت ما فيهن من بصل
كأنهن بحسن حشوه نار
وسلجم مستدير القد خالطه
طعم من الخل قد حازته أسطار
كان أبيضه فيه وأحمره
دراهم صففت فيهن دينار
في كل ناحية منها يلوح لنا
نجم البنات بصفو الفجر نظار
كأنها زهرة البستان قابلها
بدر وشمس واظلام وأنوار
قال المستكفي تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف وهاتوا فانا ليس نأكل اليوم الا ما تصفون فقال آخر من الجلساء يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم في صفة سلة نوادر
متى ننشط للأكل
فقد أصلحت الجونه
وقد زينها الطاهي
لنا أحسن ما زينه
فجاءت وهي من أطيب
ما يؤكل مشحونه
فمن جدي شويناه
وعصبناه صارينه
ونضدنا عليه نعـ
ـنع القلقل وطرخونه
وفرخ وافر الزود
أجدنا لك تسفينه وطيهوج وفروج * أجدنا لك تطحينه وسنبوسجة مقلوة * في أثر طرينه وجرا من البيض محمود

﴿ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما﴾

في هذه السنة في ربيع الاول كان المصاف بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ومسعود حينئذ له الموصل واذربيجان وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابك مسعود يحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة وكان غرضه ان يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلاطين بركيارق ومحمد ابني ملكشاه على ما ذكرناه وكان قسيم الدولة البرسقي أتابك الملك مسعود قد فارق شحنكية بغداد وقد أقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وبينه وبين دبيس عداوة محكمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقي وينسبه الى الميل الى السلطان محمود وبذل له مالا كثيرا على قبضه فعلم البرسقي ذلك ففارقهم الى السلطان محمود فاكرمه واعلى محله وزاد في تقديمه واتصل الاستاذ أبو اسمعيل الحسين ابن علي الاصبهاني الطغرائي بالملك مسعود فكان ولده أبو المؤيد محمد بن أبي اسمعيل يكتب الطغراء مع الملك فلما وصل والده استوزره مسعود بعد ان عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة بباب خوي فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهر ما هم عليه من ذلك فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا الى قوله وأظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود فقوي طمعهم وأسرعوا السير اليه ليلقوه وهو مخف من العساكر فاجتمع اليه خمسة عشر ألفا فسار أيضا اليهم فالتقوا عند عقبة اسداباذ منتصف ربيع الاول واقتتلوا من بكرة الى آخر النهار وكان البرسقي في مقدمة السلطان محمود وأبلى يومئذ بلاء حسنا فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم ومقدميهم واسر الاستاذ أبو اسمعيل وزير مسعود فامر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده فكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالا لا تحصى واما الملك مسعود فانه لما انهزم أصحابه وتفرقوا قصد جبلا بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخا فاختفى فيه ومعه غلمان صغار فارسل ركابيه عثمان الى أخيه يطلب له الامان فسار الى السلطان محمود واعلمه حال أخيه مسعود فرق له وبذل له الامان وامر آقسنقر البرسقي بالمسير اليه وتطييب قلبه واعلامه بعفوه عنه واحضاره فكان مسعود بعد ان أرسل يطلب الامان قد وصل بعض الامراء اليه وحسن له اللحاق بالموصل وكانت له ومعها اذربيجان وأشار عليه بمكاتبة دبيس بن صدقة ليجتمع به ويكثر جمعه ويعاود طلب السلطنة فسار معه من مكانه ووصل البرسقي فلم يره فأخبر بمسيره فسار في أثره وعزم على طلبه ولو الى الموصل وجد في السير فادركه على ثلاثين فرسخا من مكانه ذلك وعرفه عفو أخيه عنه وضمن له ما أراد وأعاده الى العسكر فامر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه ففعلوا ذلك وأمر السلطان ان ينزل عند والدته وجلس له وأحضره واعتنقا وبكيا وانعطف عليه محمود ووفى له بما بذل له وخلطه بنفسه في كل افعاله فعد ذلك من مكارم محمود وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود باذربيجان وبلاد الموصل والجزيرة ثمانية وعشرين يوما واما أتابكه جيوش بك فانه سار الى عقبة اسداباذ وانتظر الملك مسعودا فلم يره وانتظره بمكان آخر فلم يصل اليه فلما أيس منه سار الى

ثم اوقد النار له وقودا واجعله في القدر وصب الماء من فوقه واجعل له غطاء حتى اذا الماء فيه وقلا
وانشفته النار عنك كلا
فاعمله ان شئت في رقاق
ثم احكم الاطراف بالالزاق
أو شئت خذ جزأ من العجين
معتدل التقريك مستكين
فابسطه بالسويق مستديرا
ثم اطفر ن أطرافه تطفيرا
وصب في الطابق زيتا طيبا
ثم اقله بالزيت قليا عجبا
وضعه في جام له لطيف
ووسطه من خردل حريف
وكله أكلا طيبا بخردل
فهو ألذ الماكل المهل

فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين بن السندي كشاجم الكاتب في وصف هليون

لنا رماح في أعاليها أود
متقلات الجسم قتلا كالمسد
مستحسنات ليس فيهن عقد
لها رؤس طالعات في جسد
مكسورة من صنعة الفرد الصمد
منتصبات كالقداح في العمد
ثوب من السندس من فوق برد
قد أشربت حمرة لون يتقد
كأنها عز وجه حمرة خد
قد فرضت حمرته كف حرد
نجا الطنه حمرة خد وبد
كأنها في صحن جام أو برد
منضدات كتناضيد الزرد
نسائج العسجد حسنا متقد
كأنها مطارف خز قد نضد
لو أنها تبقى على طول الابد
كانت فصوصا بخواتيم الخرد من فوقها مودي عليها يطرد يجول في جانبها جرد مرد مكشوفة من فوقها ثوب زبد

غزغلى فلم يقبل منه فلما قتله وثب غزغلى على سنقر البرسقى فقتله ونادى فى الناس بالسكون واطمأنوا وكان أمير الحاج من البصرة هذه السنة أميرا اسمه على بن سكمان أحد الامراء البلدقية وكان فى نفس غزغلى عليه حقد حيث تم الحج على يده ولانه خاف ان يأخذ بثار سنقر البرسقى اذ هو مقدم البلدقية فارسل غزغلى الى عرب البرية يأمرهم بقصد الحاج ونهبهم فطمعوا بذلك وقصدوا الحاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وأبلى بلاء حسنا وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة الى ان بقى بينه وبين البصرة يومان فارسل اليه غزغلى يمنعه من قصد البصرة فقصد العونى أسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلما وصل الى العونى حمل على العرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلى الى على بن سكمان فى عدد كثير وكان على فى قلة فتحاربا واقتتلت الطائفتان فاصابت فرس غزغلى نشابة فسقط وقتل وسار على الى البصرة فدخلها وملك القلعة وأقر عمال آقسنقر البخارى ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وسأله ان يكون نائبا عنه بالبصرة فلم يجبه آقسنقر الى ذلك فطرد حينئذ نواب آقسنقر واستولى على البلد وتصرف تصرف الاصحاب مستبدا واستقر فيه وأحسن السيرة الى سنة أربع عشرة فسير السلطان محمود الامير آقسنقر البخارى فى عسكر الى البصرة فاخذها من على بن سكمان

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أمر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز الى شحنكية العراق وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل عنها وفيها فى ربيع الاول توفى الوزير ربيب الدولة وزير السلطان محمود ووزر بعده الكمال السميرمى وكان ولد ربيب الدولة وزير المسترشد فعزل واستعمل بعده عميد الدولة أبو على بن صدقة ولقب جلال الدين وهذا الوزير هو عم الوزير جلال الدين أبى الرضا صدقة الذى وزر للراشد والاتابك زنكى على ما نذكره وفيها ظهر قبر ابرهيم الخليل وقبور ولديه اسحق ويعقوب عليهم السلام بالقرب من البيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم وعندهم فى المغارة قناديل من ذهب وفضة هكذا ذكره حمزة بن أسد التميمى فى تاريخه والله أعلم وفيها فى المحرم توفى قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد الدامغانى ومولده فى رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة وولى القضاء بباب الطاق من بغداد الى الموصل وله من العمر ست وعشرون سنة وهذا شئ لم يكن لغيره ولما توفى ولى قضاء القضاة الاكمل أبو القاسم على ابن أبى طالب الحسين بن محمد الزينبى وخلع عليه ثالث صفر وفيها هدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه وهذا التاج بناه أمير المؤمنين المكتفى بعد سنة تسعين ومائتين وفيها تأخر الحج فاستغاث الناس وأرادوا كسر المنبر بجامع القصر فارسل الخليفة الى دبيس بن صدقة ليساعد الامير نظر على تسيير الحاج فاجاب الى ذلك وكان خروجهم من بغداد ثانى عشر ذى القعدة وتوالت عليهم الامطار الى الكوفة وفيها أرسل دبيس بن صدقة القاضى أبا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفى قاضى الكوفة الى ايلغازى بن ارتق بماردين يخطب ابنته فزوجها منه ايلغازى وحملها الثقفى معه الى الحلة واجتاز بالموصل وفيها فى جمادى الاولى توفى أبو الوفاء على ابن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة فى وقته ببغداد وكان حسن المناظرة سريع الخاطر وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته على أبى الوليد فاراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون

واجعل عليها أسطرا من لوز
معارضات أسطرا من جوز
اكفاحها الجبن مع الزيتون
وشكلها النعنع بالطرخون
حتى ترى بينهما مثل اللبن
مقسومة كأنها وشى اليمن
واعمد الى البيض السليق الاحمر
فدرهم الوسط به ودر
وترتب الاسطر بالملح ولا
تكثر ولا تزل معتدلا
وردد العينين فيه لحظا
فان للعينين منه حظا
ومتع العين به مليا
وأطبق الوسط وكل هنيا
وامسك بنابيك وأكدم كدمة
تشرع فيما قد بنيت هدما
طورا ترى حلقة الدولاب
حروفه ودوره كالداب
وتارة مثل الرحى بلا سغب
قد شذبت عنها بنابيك الشذب
هذى عليها وأنا الزعيم
بعده شيطانها رجيم
وقال آخر يا أمير المؤمنين
لاسحق بن ابراهيم الموصلى
فى صفة سنبوسج
ياسائلى عن أطيب الطعام
سألت عنه أبصر الانام
اعمد الى اللحم اللطيف الاحمر
فدقه بالشحم غير مكثر
واطرح عليه بصلا مدورا
وكرنبا طريا جنيا أخضرا
والق السذاب بعده موفرا
ودار صينى وكف كزبرا
وبعده شئ من القرنفل
وزنجبيل صالح وفلفل وكف كمون وشئ من مرى * ومل كفين ملح تدمر فدقه ياسيدى شديدا
حتى اذا ما صار باطفاطفا فصف على احداهما بانفا من لحم فروج ولحم فرخ * تدوب جوذاباتها بالنو

ثم

تضيها المحبة والخوان * وفوقها كالنور جيزان * عسكة سقف لها بنيان * مقبب وماله أركان

والداران وقيوان الى أرس فاجتمعوا وساروا الى الكرج فلما قاربوا تفليس وكان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون ثلاثين الفا التقوا واصطفت الطائفتان للقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظن المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب صف المسلمين فظن من بعد انها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل أكثرهم وأسروا أربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازى ودبيس وعاد الكرج فنهبوا بلاد الاسلام وحصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على أهلها ودام الحصار الى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة وكان أهلها لما أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها الى الكرج فى طلب الامان فلم تصغ الكرج اليهما فاحرقوهما ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه ووصل المستنفرون منهم الى بغداد مستنصرين خمس عشرة ومستنصرين سنة ست عشرة فبلغهم ان السلطان محمودا بهمذان فقصدوه واستغاثوا به فسار الى اذربيجان وأقام بمدينة تبريز شهر رمضان وأنفذ عسكرا الى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم ان شاء الله تعالى

﴿ذكر غزوات ايلغازى هذه السنة﴾

فى هذه السنة أرسل المسترشد بالله خلعا مع سديد الدولة ابن الانبارى لنجم الدين ايلغازى وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج ويأمره بابعاد دبيس عنه وسار أبو على بن عمار الذى كان صاحب طرابلس مع ابن الانبارى الى ايلغازى ليقيم عنده يعتبر الاوقات بما يتقسم به عليه فاعتذر بابعاد دبيس ووعد به ثم سار الى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من أعمال حلب فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع ايلغازى وأتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج فى معرة قنسرين يوما وليلة ثم أشار أتابك طغتكين بالافراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على أن يستقتلوا ويخرجوا الى المسلمين فربما ظفروا وكان أكثر خوفه من دبر خيل التركمان وجودة خيل الفرنج فافرج لهم ايلغازى فساروا عن مكانهم وتخلصوا وكان ايلغازى لا يطيل المقام فى بلد الفرنج لانه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر أحدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات لغنيمة يتعجلها ويعود فاذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الاموال ما يفرقها فيهم

﴿ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما﴾

فى هذه السنة كان ابتداء أمر المهدى أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوى الحسنى وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة فى جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير ونذكر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة الى أن فرغ من ملك المغرب لنتبع بعض الحادثة بعضا وكان ابن تومرت قد رحل فى شبيبته الى بلاد الشرق فى طلب العلم وكان فقيها فاضلا عالما بالشريعة حافظا للحديث عارفا بأصول الدين والفقه متحققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل فى سفره الى العراق واجتمع بالغزالى والكيا واجتمع بأبى بكر الطرطوشى بالاسكندرية وقيل انه جرى له حديث مع الغزالى فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالى ان هذا لا يتفق فى هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لامثالنا كذا قال بعض مؤرخى المغرب والصحيح انه لم يجتمع به فحج من هنالك وعاد الى المغرب ولما ركب البحر من الاسكندرية مغربا غير المنكر

أبرزها الاذ كل الولدان
يفتر من لهبها الميقان
والمرء فيه ماله مكان
يؤثرها الجائع والشبعان
ويشتهيها الاهل والضيفان
لها على أضرابها السلطان
تصغو بها العقول والاذهان
وانتفعت باكلها الابدان
أبدعها فى عصرها ساسان
وأعجبت كسرى أنوشروان
اذا رآها الجائع الغرثان
لم يعط صبرا عنها الجيعان
وقال آخر يا أمير المؤمنين لبعض المتأخرين فى صفة المضيرة
ان المضيرة فى الطعام
كالبدر فى ليل التمام
اشراقها فوق الموا
ئد كالضياء على الظلام
مثل الهلال اذا بدا
للناس فى خلل الغمام
فى صحفة مملوءة
للناس من جرع المدام
قد أعجبت لابى هريـ
ـرة اذ أتت بين الطعام
حتى لقد مال الهوى
بهواه عن طلب الصيام
ولقد رأى فى أكلها
حظا فبادر بالقيام
ولقد تنكب ان يكو
ن مؤاكلا عند الامام
اذ ليس ثم مضيرة
تشفى السقيم من السقام
لا عذر فى اتيانها
من غير اتيان الحرام
فهى اللذيذة والغريـ
ـبة والعجيبة فى الانام فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسن فى صفة جوزابة

الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد اليها واجتمع اليه عسكره فلما سمع بما فعله السلطان مع أخيه وانه عنده علم انه لا مقام له على هذا الحال فسار كانه يريد الصيد فوصل الى الزاب وقال لمن معه انني قد عزمت على قصد السلطان محمود وأخاطر بنفسي فسار اليه فوصل وهو بهمذان ودخل اليه فطيب قلبه وأمنه وأحسن اليه واما دبيس فانه كان بالعراق فلما بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد وأخربها وفعل فيها الافاعيل القبيحة الى ان أتاه رسول السلطان محمود وطيب قلبه فلم يلتفت

﴿ذكر حال دبيس وما كان منه﴾

لما كان منه ببغداد وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجر مثله أرسل اليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويأمره بالكف فلم يفعل فارسل اليه السلطان وطيب قلبه وأمره بمنع أصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه الى بغداد وضرب سرادقه بازاء دار الخلافة وأظهر الضغائن التى فى نفسه وكيف طيف برأس أبيه وتهدد الخليفة وقال انك أرسلت تستدعى السلطان فان أعدتموه والا فعلت وصنعت فأعيد جواب رسالته ان عود السلطان وقد سار عن همذان غير ممكن ولكنا نصلح حالك معه وكان الرسول شيخ الشيوخ اسمعيل فكف على ان تسير الرسل فى الاتفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداد فى رجب ووصل السلطان فى رجب الى بغداد فارسل دبيس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير اليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسأل الصفح عنه فأجيب الى ذلك على قاعدة امتنع منها ولزم لجاجه ونهب جشيرا للسلطان فسار السلطان عن بغداد فى شوّال الى قصد دبيس بالحلة واستصحب ألف سفينة ليعبر فيها فلما علم دبيس مسير السلطان أرسل يطلب الامان فأمنه وكان قصده ان يغالطه ليتجهز فأرسل نساءه الى البطيحة وأخذ أمواله وسار عن الحلة بعد ان نهبها الى ايلغازى ملتجئا اليه ووصل السلطان الى الحلة فلم ير أحدا فبات بها ليلة واحدة وعاد وأقام دبيس عند ايلغازى وتردد معه ثم انه أرسل أخاه منصورا فى جيش من قلعة جعبر الى العراق فنظر الحلة والكوفة وانحدر الى البصرة وأرسل الى برنقش الزكوى يسأله ان يصلح حاله مع السلطان فلم يتم أمره فارسل الى أخيه دبيس يعرفه ذلك ويدعوه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وأرسل الى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يجب الى ذلك وسيرت اليه العساكر فلما قاربوه فارق الحلة ودخل الى الازير وهو نهر سنداد ووصل العسكر اليها وهى فارغة قد أجلى أهلها عنها وليس بها اقامة فكانت الميرة تنقل من بغداد وكان مقدم العسكر سعد الدولة برنقش الزكوى فترك بالحلة خمسمائة فارس وبالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على دبيس وأرسل الى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ففعلوا ذلك وعبر عسكر السلطان الى دبيس فبقى بين الطائفتين نهر يخاض فيه مواضع فتراسل برنقش ودبيس واتفقا على ان يرسل دبيس أخاه منصورا رهينة ويلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر الى بغداد سنة ست عشرة

﴿ذكر خروج الكرج الى بلاد الاسلام وملك تفليس﴾

فى هذه السنة خروج الكرج وهم الخزر الى بلاد الاسلام وكانوا قديما يغيرون فامتنعوا أيام السلطان ملكشاه الى آخر أيام السلطان محمد فلما كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم المجاورة لهم فتكاتب الامراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الامير ايلغازى ودبيس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمد وأتابكه كنتغدى وكان لطغرل

كأنه من فوقه حين لبدو شهراك ... فلو رآها ابدا أو مجتهد * أوطار عيا بشره بها او مجد فلما فرغ منها قال له المستكفى هذا انما يتعذر وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد الآن نكتب الى الاخشيد محمد بن طغج يحمل الينا من ذلك السمك من دمشق فانشدونا فيما يمكن وجوده قال آخر يا أمير المؤمنين لمحمد الوزير المعروف بالحافظ الدمشقى فى صفة أرزية

لله در أرزة وافى بها
طاه كحسن البدر وسط سماء
أنقى من الثلج المضاعف سحه
من صنعة الاهواء والانداء
وكأنها فى صحفة مقدودة
بيضاء مثل الدرة البيضاء
تهرب عيون الناظرين بضوئها
وتريك ضوء البدر وقت مساء
وكأن سكرها على أكنافها
نور تجسد فوقها بضياء

فقال آخر يا أمير المؤمنين أنشدت لبعض المتأخرين فى هريسة

ألذ ما يأكله الانسان
اذا أتى من صيفه نيسان
وكانت الجديان والخرفان
هريسة يصنعها النسوان
لهن طيب الكف والاتقان
يجمعن فيه الطير والجلان
وتلتقى فى قدرها الادهان
واللحم والالية والشحمان
وبعده أوزه السمان
والحنطة البيضاء والجلبان
وبعده الارز واللبان
جوّدها بطحنه الطحان
وبعده الملح ونحو لنعمان * كأنها ريد وترسيان
تخجل من رؤيتها الالوان * اذا بدت يجوبها الغلمان

بلد

وبانماء الورد فيه وذهب * فهي عليه حبب فوق حبب اذا رآه واله القلب طرب * مدرج تدريج أثناء الكتب

الشرذمة وبعد قليل تستأصلون دوابهم وترثون أرضهم فنزلوا من الجبل ولقوا جيش أمير المسلمين فهزموهم وأخذوا أسلابهم وقوي ظنهم في صدق المهدي حيث ظفروا كما ذكرهم وأقبلت اليه أفواج القبائل من الحلل التي حوله شرقا وغربا وبايعوه وأطاعته قبيلة هنتاتة وهي من أقوى القبائل فأقبل عليهم واطمأن اليهم وأتاه رسل أهل تينمال بطاعتهم وطلبوه اليهم فتوجه الى جبل تينمال واستوطنه وألف لهم كتابا في التوحيد وكتابا في العقيدة ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن وهو يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بين أظهرهم وأقام بتينمال وبنى له مسجدا خارج المدينة فكان يصلي فيه الصلوات هو وجمع ممن معه عنده ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة فلما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف أن يرجعوا عنه فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ثم انه أمر أصحابه ان يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر وسبى الحريم ونهب الاموال فكان عدة القتلى خمسة عشر ألفا وقسم المساكن والارض بين أصحابه وبنى على المدينة سورا وقلعة على رأس جبل عال وفي جبل تينمال أنهار جارية وأشجار وزروع والطريق اليه صعب فلا جبل أحصن منه وقيل انه لما خاف أهل تينمال نظر فرأى كثيرا من أولادهم شقرا زرقا والذي يغلب على الآباء السمرة وكان لامير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم يغلب على ألوانهم الشقرة وكانوا يصعدون الجبل في كل عام مرة ويأخذون مالهم فيه من الاموال المقررة لهم من جهة السلطان فكانوا يسكنون بيوت أهله ويخرجون أصحابها منها فلما رأى المهدي أولادهم سألهم مالي أراكم سمر الالوان وأرى أولادكم شقرا زرقا فأخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين فقبح الصبر على هذا وأزرى عليهم وعظم الامر عندهم فقالوا له فكيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال اذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم الى نزيله فليقتله واحفظوا جبلكم فانه لا يرام ولا يقدر عليه فصبروا حتى حضر أولئك العبيد فقتلوهم على ماقررلهم المهدي فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين فامتنعوا في الجبل وسدوا مافيه من طريق يسلك اليهم فقويت نفس المهدي بذلك ثم ان أمير المسلمين أرسل اليهم جيشا قويا فحصروهم في الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت عند أصحاب المهدي الاقوات حتى صار الخبز معدوما عندهم وكان يطبخ لهم كل يوم من الحسا مايكفيهم فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يده في ذلك الحسا ويخرجها فما علق عليها قنع به ذلك اليوم فاجتمع أعيان أهل تينمال وأرادوا اصلاح الحال مع أمير المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تومرت وكان معه انسان يقال له أبو عبد الله الونشريشي يظهر البله وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم وبزاقه يجري على صدره وهو كأنه معتوه ومع هذا فالمهدي يقربه ويكرمه ويقول ان لله سرا في هذا الرجل سوف يظهر وكان الونشريشي يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السر بحيث لا يعلم أحد ذلك منه فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدي من أهل الجبل خرج يوما لصلاة الصبح فرأى الى جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الريح فأظهر انه لا يعرفه وقال من هذا فقال أنا أبو عبد الله الونشريشي فقال له المهدي ان أمرك لعجب ثم صلى فلما فرغ من صلاته نادى في الناس فحضروا فقال ان هذا الرجل يزعم انه الونشريشي فانظروه وحققوا أمره فلما أضاء النهار عرفوه فقال له المهدي ماقصتك قال انه أتاني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن

أطيب منه أن تراه يلتهب
كل امرئ لذته فيما أحب
فاقبل المستكفي على معلم
كان يعلمه في صباه طيب
النفس وكان يضحك منه
ويستظرفه فقال له أنشدنا
ما سمعت فقال أنشدنا
أنت قال لا أدري ماقال
هؤلاء وما أنشدوا غير أني
مضيت في أمس يومنا هذا
أدور حتى أتيت باطرنجيا
فرأيت رياضها فذكرت
من أمرها فقلت
نوم عينيك يا ابن وهب غرار
ولنار الهوى بقلبك نار
من حديث أبي مررت بها و
ماوقلبي من الهوى مستطار
وبها ترجمن ينادي علانا
قف فقد أدركت لدينا العقار
وتغني دراج واستقطر الدو
و وجادت بنورها الازهار
فانثنينا الى رياض عيونه
ناظرات مالت بهن احورار
ومكان الجفون منها ابيضاض
ومكان الاحداق منها
اصفرار
بينما نحن عندها صرخ الور
د الينا يامعشر العمار
عند ناده وتغافل منها
دهرها فالوجوه منها اخضرار
وانثنينا للورد من غير أن تذ
بوعن النرجس المضاعف
دار
فرأى النرجس الذي صنع
الور
د فنادى مستصرخا بهار
جيب من وطيبها الاوتار

ورأى الورد عسكرين من الصفـ * ـر فنادى بجاهه الجلنار واستجاشا تناج لبنان لما *

في المركب وألزم من به باقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى الى المهدية وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم سنة خمس وخمسمائة فنزل بمسجد قبلي مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به أهل البلد فقصدوه يقرؤن عليه أنواع العلوم وكان اذا مر به منكر غيره وأزاله فلما كثر ذلك منه أحضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه واحترمه وسأله الدعاء ورحل عن المدينة وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فأخرج منها الى قرية بالقرب منها اسمها ملالة فلقيه بها عبد المؤمن بن علي فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر فسأله عن اسمه وقبيلته فأخبره انه من قيس عيلان ثم من بني سليم فقال ابن تومرت هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ان الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس فقيل من أي قيس فقال من بني سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن في مدينة تاجرة من اعمال تلمسان وهو من عائذ قبيل من كومية نزلوا بذلك الاقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدي ملازما للامر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه الى أن وصل الى مراكش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن علي ابن تاشفين فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر أتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو في بعض الايام في طريقه اذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع أمره الى أمير المسلمين علي بن يوسف فاحضره وأحضر الفقهاء ليناظروه فأخذ يعظه ويخوفه فبكى أمير المسلمين وأمر أن يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته في الذي فعله وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال يا أمير المسلمين ان هذا والله لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي فاقتله وقلدني دمه فلم يفعل ذلك فقال اذ لم تقتله فاحبسه وخلده في السجن والا أثار شرا لا يمكن تلافيه فأراد حبسه فمنعه رجل من أكابر الملثمين يسمى بيان بن عثمان فامر باخراجه من مراكش فسار الى اغمات ولحق بالجبل فسار فيه حتى لحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة فأتوه واجتمعوا حوله وتسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا عليه وحضر أعيانهم بين يديه وجعل يعظهم ويذكرهم بأيام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فاقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمى اتباعه الموحدين وأعلمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال أحدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدي فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى أمير المسلمين فجهز جيشا من أصحابه وسيرهم اليه فلما قربوا من الجبل الذي هو فيه قال لاصحابه ان هؤلاء يريدونني وأخاف عليكم منهم فالرأي أن أخرج بنفسي الى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة هل تخاف شيئا من السماء فقال لا بل من السماء تنصرون فقال ابن توفيان فليأتنا كل من في الارض ووافقه جميع قبيلته فقال المهدي ابشروا بالنصر والظفر بهذه

جوزابه من أرز فائق * مصفرة ٢٠٢ في اللون كالعاشق * محيبة مفرقة لونها * في كف طاه محكم حاذق * نسجة كالبرق في خر

وردية من صنعة الخالق
بسكر الاهواز مصنوعة
فطعمها أحلى من الرائق
غريقة في الدهن رجراجة
تزور بالنفح من الرائق
لينة ملمسها زبدة
وريحها كالعنبر الفائق
كأنها في جامها اذ بدت
تزهر كالكوكب في الغاسق
عتيقة صفرتها فاقع
في جيد خود بضة عاتق
أحلى من الامن أتى موهنا
الى فؤاد قلق خافق
(وقال آخر يا أمير المؤمنين
هي لبعض المحدثين في صفة
جوزابة أخرى)
وجوزابة مثل لون العقيق
وفي الطعم عندي كطعم
الرحيق
من السكر المحض معمولة
ومن خالص الزعفران
السحيق
مغرقة بشحوم الدجاج
وبالشحم أكرم بها من غريق
لذيذة طعم اذا استعملت
وفي اللون منها كلون الخلوق
عليها اللآلئ من فوقها
تضم جوانبها ضم ضيق
ترددها في الاناء فخه
وما في حلاوتها من مطيق
(وقال آخر يا أمير المؤمنين
لمحمود بن الحسين كشاجم
في صفة قطائف)
عندي أصحابي اذا اشتد
السغب
قطائف مثل أضابير الكتب

كأنه اذا ابتدى من كثب * كوافر النحل بياضا تنتقب * قد مج دهن اللوز مما قد شرب * وابتل مما عام فيه ورسب * الشرذمة

بحصر وهرا وضيقوا عليها وبها أمير المسلمين على بن يوسف فبقى الحصار عليها عشرين يوما فأرسل أمير المسلمين الى متولى سجلماسة يأمره أن يحضر ومعه الجيوش فجمع جيشا كثيرا وسار فلما قارب عسكر المهدى خرج أهل مراكش من غير الجهة التى أقبل منها فاقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل فى أصحاب المهدى فقتل الونشريشى أميرهم فاجتمعوا الى عبد المؤمن وجعلوه أميرا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامة النهار وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف الظهر والعصر والحرب قائمة ولم تصل بالمغرب قبل ذلك فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم أسندوا ظهورهم الى بستان كبير هناك والبستان يسمى عندهم البحيرة فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة وصاروا يقاتلون من جهة واحدة الى ان أدركهم الليل وقد قتل من المصامدة أكثرهم وحين قتل الونشريشى دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة فلم يروه فى القتلى فقالوا رفعته الملائكة ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتلى الى الجبل

﴿ذكر وفاة المهدى وولاية عبد المؤمن﴾

لما سير الجيش الى حصار مراكش مرض مرضا شديدا فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم فقال ما مات أحد الامر قائم وهو الذى يفتح البلاد ووصى أصحابه باتباعه وتقديمه وتسليم الامر اليه والانقياد له ولقبه أمير المؤمنين ثم مات المهدى وكان عمره احدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته عشرين سنة وعاد عبد المؤمن الى تينمل وأقام بها يتألف القلوب ويحسن الى الناس وكان جوادا مقداما فى الحروب ثابتا فى الهزاهز الى ان دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة فتجهز وسار فى جيش كثير وجعل يمشى مع الجبل الى ان وصل الى تادلة فمانعه أهلها وقاتلوه فقهرهم وفتحها وسائر البلاد التى تليها ومشى فى الجبال يفتح ما امتنع عليه وأطاعه صنهاجة الجبل وكان أمير المسلمين قد جعل ولى عهده ابنه سيرفسات فاحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الاندلس وكان أميرا عليها فلما حضر عنده جعله ولى عهده سنة احدى وثلاثين وجعل معه جيشا وسار يمشى فى الصحراء قبالة عبد المؤمن فى الجبال وفى سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن فى النواظر وهو جبل عال مشرف وتاشفين فى الوطأة ويخرج من الطائفتين قوم يترامون ويتطاردون ولم يكن بينهم لقاء ويسمى عام النواظر وفى سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن مع الجبل فى الشعراء حتى انتهى الى جبل كرباطة فنزل فى أرض صلبة بين شجر ونزل تاشفين قبالته فى الوطأة فى أرض لانبات فيها وكان الفصل شاتيا فتوالت الامطار أياما كثيرة لاتقلع فصارت الارض التى فيها تاشفين وأصحابه كثيرة الوحل تسوخ فيها قوائم الخيل الى صدورها ويعجز الرجل عن المشى فيها وتقطعت الطرق عنهم فأوقدوا رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعا وبردا وسوء حال وكان عبد المؤمن وأصحابه فى أرض خشنة صلبة فى الجبل لايبالون بشئ والميرة متصلة اليهم وفى ذلك الوقت سير عبد المؤمن جيشا الى وجرة من أعمال تلمسان ومقدمهم أبو عبد الله محمد بن رقو وهو من ايت خمسين فبلغ خبرهم الى محمد بن يحيى بن فانو متولى تلمسان فخرج فى جيش من الملثمين فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر فهزمهم جيش عبد المؤمن وقتل محمد بن يحيى وكثير من أصحابه وغنموا ما معهم ورجعوا فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه الى غمارة فأطاعوه قبيلة بعد قبيلة وأقام عندهم مدة ومابرح يمشى فى الجبال وتاشفين يحاذيه فى الصحارى فلم يزل عبد المؤمن كذلك الى سنة خمس وثلاثين فتوفى أمير المسلمين على بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين فقوى طمع عبد المؤمن فى البلاد الا انه لم ينزل

أخباره والمهل بنا من أقواله على بعد الدار وفساد السبل وانقطاع الأخبار وكوننا ٢٠٥ ببلاد مصر والشام (قال المسعودى) ولم يتأت لنا من أخبار المستكفى مع قصر أيامه غير ماذكرنا والله الموفق للصواب

﴿ذكر خلافة المطيع لله﴾

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقيل انه بويع فى جمادى الاولى من هذه السنة وغلب على الامر ابن بويه والمطيع فى يده لاأمر له ولا نهى ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يدبر الامر بحضرة الديلمى قيما بأمر الوزارة برسم الكتبة ولم يخاطب بالوزارة الى أن استأمن الحسين بن على بن حمدان الى الجانب الغربى وخرج معه عند خروجه الى ناحية الموصل الى أن اتهمه بتقريته الاتراك عليه فسمل عينيه وقد قيل ان أبا الحسن محمد ابن على بن مقلة يعرض الكتب على الديلمى والمطيع ويتصرف برسم الكتبة لابرسم الوزارة فى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم نفرد بجوامع تاريخ المطيع بابا منفصلا عن أخباره كافرادنا لغيره مما سلف ذكره فى هذا الكتاب لانا فى خلافته بعد (قال المسعودى) وقد كنا شرطنا فى صدر كتابنا هذا ان نذكر مقاتل آل

والموطأ وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدى بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أى موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله تعالى قد أعطانى نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار وآمركم ان تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله تعالى ملائكة الى البئر التى فى المكان الفلانى يشهدون بصدقى فسار المهدى والناس معه وهم يبكون الى تلك البئر وصلى المهدى عند رأسها وقال يا ملائكة الله ان أبا عبد الله الونشريشى قد زعم كيت وكيت فقال من بها صدق وكان قد وضع فيها رجالا يشهدون بذلك فلما قيل ذلك من البئر قال المهدى ان هذه مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة أو ما لا يجوز فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها ثم نادى فى أهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريشى يعمد الى الرجل الذى يخاف ناحيته فيقول هذا من أهل النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغر ومن لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين ألفا فلما فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستقام أمره هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون فى التمييز وسمعت منهم من يقول ان ابن تومرت لما رأى كثرة أهل الشر والفساد فى أهل الجبل أحضر شيوخ القبائل وقال لهم انكم لا يصح لكم دين ولا يقوى الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واخراج المفسد من بينكم فابحثوا عن كل من عندكم من أهل الشر والفساد فانهوهم عن ذلك فان انتهوا والا فاكتبوا أسماءهم وارفعوها الى لانظر فى أمرهم ففعلوا ذلك وكتبوا له أسماءهم من كل قبيلة ثم أمرهم بذلك مرة ثانية وثالثة ثم جمع المكتوبات فاخذ منها ما تكرر من الاسماء فاثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة ورفع الاسماء التى كتبها ودفعها الى الونشريشى المعروف بالبشير وأمره ان يعرض القبائل ويجعل أولئك المفسدين فى جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل ذلك وأمر ان يكتف من على شمال الونشريشى فكتفوا وقال ان هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم وأمر كل قبيلة ان يقتلوا أشقياءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز ولما فرغ ابن تومرت من التمييز رأى أصحابه الباقين على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وسيرهم الى جبال اغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلوهم فانهزم أصحاب ابن تومرت وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشى وقتل منهم كثير وجرح عمر الهنتاتى وهو من أكبر أصحابه وسكن حسه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشى أما انه لم يمت ولا يموت حتى يملك البلاد فبعد ساعة فتح عينيه وعادت قوته اليه فافتتنوا به وعادوا منهزمين الى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم على صبرهم ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا فى أطراف بلاد المسلمين فاذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل فامنوا وكان المهدى قد رتب أصحابه مراتب فالاولى يسمون ايت عشرة يعنى أهل عشرة وأولهم عبد المؤمن ثم أبو حفص الهنتاتى وغيرهما وهم أشرف أصحابه وأهل الثقة عنده والسابقون الى متابعته والثانية ايت خمسين يعنى أهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من رؤساء القبائل والثالثة ايت سبعين يعنى أهل سبعين وهم دون التى قبلها وسمى عامة أصحابه والداخلين فى طاعته موحدين فاذا ذكر الموحدون فى أخبارهم فانما يعنى أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو الى سنة أربع وعشرين فجهز المهدى جيشا كثيفا يبلغون أربعين ألفا أكثرهم رجالة وجعل عليهم الونشريشى وسير معهم عبد المؤمن فنزلوا وساروا الى مراكش

واستقبل ابن الجبار جيشا من ٢٠٤ الا... ح فيه صغاره والكبار فرأيت الرجل فى عسكر الصف... ووقفى بشفة الاجرار ابن الاجمرة من حدود من أناس تمواعلينا وجاروا فلم أر المستكفى منذ ولى الخلافة أشد سرورا منه فى ذلك اليوم وأجاز جميع من حضر من الجلساء والمغنين والملهين ثم أحضر ما حضره فى وقته من عين وورق عن ضيف الامر اليه فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوما مثله حتى قبض عليه أحمد بن بويه الديلمى وسمل عينيه وذلك أن الحرب لما طالت بين أبى محمد الحسين بن عبد الله بن حمدان وكان فى الجانب الشرقى ومعه الاتراك وابن عمه الحسين بن سعيد ابن حمدان وابن أحمد بن بويه الديلمى فى الجانب الغربى والمستكفى معه اتهم الديلمى المستكفى بمسالمة بنى حمدان ومكاتبتهم بأخباره واطلاعهم على أسراره مع ما كان قد تقدم له فى نفسه فسمل عينيه وولى المطيع وأعمل الديلمى الحيلة فى البيات بالديلم فحملهم فى السفن مع بوقات ودبادب فى الليل وألقاهم فى مواضع كثيرة من الشارع الى الجانب الشرقى فتوجهت له على بنى حمدان الحيلة فخرجوا نحو الموصل من بعد أحداث كثيرة بين الاتراك وبينهم ببلاد تكريت واستوثق الامر لاحمد بن بويه الديلمى وشرع فى عمارة البلد وسد البثوق على حسب ما يمنو اليناهن فحصروها

جماعة منهم وراسلوا الموحدين أصحاب عبد المؤمن بغير علم الفقيه عثمان وأدخلوهم البلد فلم يشعر أهله الا والسيف يأخذهم فقتل أكثر أهله وسبيت الذرية والحريم ونهب من الاموال مالا يحصى ومن الجواهر مالا تحد قيمته ومن لم يقتل بيع بأوكس الاثمان وكان عدة القتلى مائة ألف قتيل وقيل ان عبد المؤمن هو الذي حصر تلمسان وسار منها الى فاس والله أعلم وسير عبد المؤمن سرية الى مكناسة فحصروها مدة ثم سلمها اليهم أهلها بالامان فوفوا لهم وسار عبد المؤمن من فاس الى مدينة سلا ففتحها وحضر عنده جماعة من أعيان سبتة فدخلوا في طاعته فأجابهم الى بذل الامان وكان ذلك سنة احدى وأربعين

﴿ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش﴾

لما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحي سار الى مراكش وهي كرسي مملكة الملثمين وهي من أكبر المدن وأعظمها وكان صاحبها حينئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو صبي فنازلها وكان نزوله عليها سنة احدى وأربعين فضرب خيامه في غربيها على جبل صغير وبنى عليه مدينة له ولعسكره وبنى بها جامعا وبنى له بناء عاليا يشرف منه على المدينة ويرى أحوال أهلها وأحوال المقاتلين من أصحابه وقاتلها قتالا كثيرا وأقام عليها أحد عشر شهرا فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد واشتد الجوع على أهله وتعذرت الاقوات عندهم ثم زحف اليهم يوما وجعل لهم كمينا وقال لهم اذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا وجلس هو بأعلى المنظرة التي بناها يشاهد القتال وتقدم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم انهم انهزموا لاهل مراكش ليتبعوهم الى الكمين الذي لهم فتبعهم الملثمون الى ان وصلوا الى مدينة عبد المؤمن فهدموا أكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين فقال لهم اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد فلما خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضرب وخرج الكمين عليهم ورجع المصامدة المنهزمون الى الملثمين فقتلوهم كيف شاؤا وعادت الهزيمة على الملثمين فمات في زحمة الابواب مالا يحصيه الا الله سبحانه وكان شيوخ الملثمين يدبرون دولة اسحق بن علي بن يوسف لصغر سنه فاتفق ان انسانا من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج الى عبد المؤمن مستأمنا وأطلعه على عوراتهم وضعفهم فقوى الطمع فيهم واشتد عليهم البلاء ونصب عليهم المنجنيقات والابراج وفنيت أقواتهم وأكلوا دوابهم ومات من العامة بالجوع مايزيد على مائة ألف انسان فأنتن البلد من ريح الموتى وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم فجاؤا اليهم نجدة فلما طال عليهم الامر راسلوا عبد المؤمن يسألون الامان فأجابهم اليه ففتحوا له بابا من أبواب البلد يقال له باب أغمات فدخلت عساكره بالسيف وملكوا المدينة عنوة وقتلوا من وجدوا ووصلوا الى دار أمير المسلمين فأخرجوا الامير اسحق وجميع من معه من أمراء المرابطين فقتلوا وجعل اسحق يرتعد رغبة في البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكي فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفا فبزق في وجهه وقال تبكي على أبيك وأمك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين فقام الموحدون اليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة وقدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة اثنتين وأربعين وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولي منهم أربعة يوسف وعلي وتاشفين واسحق ولما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام أمر

والجبل سنين وهم جاهلية ومنهم مجوس فدعاهم الى الله تعالى فاستجابوا وأسلموا الا قليلا منهم في مواضع من بلاد الجبل والديلم في جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة على الشرك الى هذه الغاية وبنى في بلادهم مساجد وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وسالوس وغيرهما من بلاد طبرستان وقد كان بمدينة شالوس حصن منيع وبنيان عظيم بنته ملوك فارس يسكن فيه الرجال المرابطون بازاء الديلم ثم جاء الاسلام فكان كذلك الى أن هدمه الاطروش والحسن بن القاسم الحسني الداعي وافى الري وذلك في سنة سبع عشرة وثلثمائة في جيوش كثيرة من الجبل والديلم ووجوههما فأخرج عساكر أحمد بن اسمعيل بن أحمد وصاحبه عنها واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وقم وأبهر وغير ذلك مما اتصل بالري فكتب المقتدر كتابا الى نصر بن أحمد بن اسمعيل ابن أحمد صاحب خراسان ينكر عليه ذلك ويقول اني ضمنتك المال والدم فأهملت أمر الرعية وأضعفت البلد حتى دخلته المبيضة وأزمة أخراجهم عنه فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على انفاذ رجل من أصحابه بالجبل يقال له اسفار بن شيرويه وأخرج معه ابن النساج وهو أمير من أمراء خراسان في جيش كثير لمحاربة من مع الداعي وما كان بن كالي من الديلم لما

الصحراء وفي سنة ثمان وثلاثين توجه عبد المؤمن الى تلمسان فنازلها وضرب خيامه في جبل بأعلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد وكان بينهم مناوشة فبقوا كذلك الى سنة تسع وثلاثين فرحل عبد المؤمن منها الى جبل تاجرة ووجه جيشا مع عمر الهنتاتي الى مدينة وهران فهاجمها بغتة وحصل هو وجيشه فيها فسمع بذلك تاشفين فسار اليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين ظاهر وهران على البحر في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين فجاءت ليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة يعظمها أهل المغرب وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر وبأعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظم عندهم فسار اليه تاشفين في نفر يسير من أصحابه مختفيا لم يعلم به الا النفر الذين معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر الى عمر بن يحيى الهنتاتي فسار لوقته بجميع عسكره الى ذلك المتعبد وأحاطوا به وملكوا الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه ان يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه الى جهة البحر فسقط من جرف عال على الحجارة فهلك ورفعت جثته على خشبة وقتل كل من كان معه وقيل ان تاشفين قصد حصنا هنالك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار فاتفق ان عمر الهنتاتي مقدم عسكر عبد المؤمن سير سرية الى ذلك الحصن لعلمهم بضعف من فيه ولم يعلموا ان تاشفين فيه فالقوا النار في بابه فاحترق فاراد تاشفين الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن الى خارج السور فسقط في النار فأخذ تاشفين فاعترف فأرادوا حمله الى عبد المؤمن فمات في الحال لان رقبته كانت قد اندقت فصلب وقتل كل من معه وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة وملك بعده أخوه اسحق بن علي ابن يوسف ولما قتل تاشفين أرسل عمر الى عبد المؤمن بالخبر فجاء من تاجرة في يومه بجميع عسكره وتفرق عسكر أمير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف وقتل فيها ما لا يحصى ثم سار الى تلمسان وهما مدينتان بينهما شوط فرس احداهما تاجرت وبها عسكر المسلمين والاخرى اقادير وهي بناء قديم فامتنعت اقادير وغلقت أبوابها وتأهب أهلها للقتال وأما تاجرت فكان فيها يحيى بن الصحراوية فهرب منها بعسكره الى مدينة فاس وجاء عبد المؤمن اليها فدخلها المسافر منها العسكر ولقيه أهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل أكثرهم ودخلها عسكره ورتب أمرها ورحل عنها وجعل على أقادير جيشا يحصرها وسار الى مدينة فاس سنة أربعين فنزل على جبل مطل عليها وحصرها تسعة أشهر وفيها يحيى بن الصحراوية وعسكره الذين فروا من تلمسان فلما طال مقام عبد المؤمن عمد الى نهر يدخل البلد فسكره بالاخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بحيرة تسير فيها السفن ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد وكل ما يجاور النهر من البلد وأراد عبد المؤمن ان يدخل البلد فقاتله أهله خارج السور فتعذر عليه ما قدره من دخوله وكان بفاس عبد الله بن خيار الجياني عاملا عليها وعلى جميع أعمالها فاتفق هو وجماعة من أعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن في طلب الامان لاهل فاس فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من أبوابها فدخله عسكره وهرب يحيى بن الصحراوية وكان فتحها آخر سنة أربعين وخمسمائة وسار الى طنجة ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس وأمر فنودي في أهلها من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه فحمل كل من في البلد ما عندهم من سلاح اليه فأخذه منهم ثم رجع الى مكناسة ففعل بأهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والاجناد واما العسكر الذي كان على تلمسان فانهم قاتلوا أهلها ونصبوا المجانيق وابراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلما اشتد الامر على أهل البلد اجتمع

أبي طالب ومن ظهر منهم في أيام بني أمية وبني العباس وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو ضرب ثم ذكرنا ما نأتي لما ذكره من أخبارهم من قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وأتى) علينا من ذلك ما لم نورده وقد ذكرناه في هذا الموضع وفاء بما تقدم من شرطنا في هذا الكتاب (فمن) ذلك أنه قام بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وذلك نحو سنة سبعين ومائتين وكان خروج ابن عبد الرحمن العمري على أحمد بن طولون بصعيد مصر وما كان من أمره الى أن قتل (ومن ذلك) ظهور ابن الرضا وهو محمد ابن جعفر بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في أعمال دمشق سنة ثلثمائة فكانت له مع أميرها أحمد ابن كيغلغ فقتل صبرا وقيل قتل في المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي (وظهر) ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن علي بن محمد ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأخرج عنها المسودة وذلك في سنة احدى وثلثمائة وقد كان أقام في الديلم

جماعة

جمادى الاولى منها توفى أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري الامام ابن الامام وكان أخذ العلم من قرابته والطريقة أيضا ثم استفاد أيضا من امام الحرمين أبي المعالي الجويني وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولما توفي جلس الناس في البلاد البعيدة للعزاء به حتى في بغداد برباط شيخ الشيوخ

﴿ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر اقطاع البرسقي الموصل﴾

في هذه السنة في صفر أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير آقسنقر البرسقي وسبب ذلك أنه كان في خدمة السلطان محمود ناصحا له ملازما له في حروبه كلها وكان له الاثر الحسن في الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذي أحضر الملك مسعودا عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقي وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار اليها في عسكر كثير وملكها وأقام يدبر أمورها ويصلح أحوالها

﴿ذكر وفاة الامير علي وولاية ابنه الحسن افريقية﴾

في هذه السنة توفي الامير علي بن يحيى بن تميم صاحب افريقية في العشر الاخير من ربيع الآخر وكان مولده بالمهدية وقد تقدم من حروبه وأعماله ما يستدل به على علو همته ولما توفي ولي الملك بعده ابنه الحسن بعهد أبيه وقام بأمر دولته صندل الخصي لانه كان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة لا يستقل بتدبير الملك فقام صندل في الحفظ والاحتياط فلم تطل أيامه حتى توفي فوقع الاختلاف بين أصحابه وقواده كل منهم يقول أنا المقدم على الجميع وبيدي الحل والشد فلم يزالوا كذلك الى ان فوض أمور دولته الى قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفق فصلحت الامور

﴿ذكر قتل أمير الجيوش﴾

في هذه السنة في الثالث والعشرين من رمضان قتل أمير الجيوش الافضل بن بدر الجمالي وهو صاحب الامر والحكم بمصر وكان ركب الى خزانة السلاح ليفرق على الاجناد على جاري العادة في الاعياد فسار معه عالم كثير من الرجالة والخيالة فتأذى بالغبار فأمر بالبعد عنه وسار منفردا معه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين في خاصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه الى دار الافضل فدخل عليه الخليفة وتوجع له وسأله عن الاموال فقال اما الظاهر منها فأبو الحسن بن أسامة الكاتب يعرفه وكان من أهل حلب وتولى أبوه قضاء القاهرة وأما الباطن فابن البطائحي يعرفه فقالا صدق فلما توفي الافضل نقل من أمواله ما لا يعلمه الا الله تعالى وبقي الخليفة في داره نحو أربعين يوما والكتاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلا ونهارا ووجد له من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة القليلة الوجود ما لا يوجد مثله لغيره واعتقل أولاده وكان عمره سبعا وخمسين سنة وكانت ولايته بعد أبيه ثمانية وعشرين سنة منها آخر أيام المستنصر وجميع أيام المستعلي الى هذه السنة من أيام الآمر وكان الاسماعيلية يكرهونه لاسباب منها تضييقه على امامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها تركه معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم واذنه للناس في اظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد

البلاد وحاربت السلطان وصاحب خراسان فسير المقتدر هرون بن غريب في الحال نحو قزوين فكانت له معه حروب فانكشف هرون وقتل من أصحابه خلق كثير وذلك بباب قزوين وقد كان أصحاب قزوين عاونوا أصحاب السلطان فقتلوا منهم عدة وكانت لهم بعد هزيمة هرون بن غريب مع الديلم حروب وسار اليهم اسفار بن شيرويه فأتى على خلق عظيم بها وملك القلعة التي في وسط قزوين وتدعى بالفارسية مكثر بن وهو الحصن الذي كان للمدينة أولا في نهاية المنعة مما كانت الفرس جعلته ثغرا بازاء الديلم وشحنته بالرجال لان الديلم والجبل منذ كانوا لم ينقادوا الى ملة ولا استجابوا لشرع الى ان جاء الاسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للمسلمين ثغرا وهي وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها المطوعة والغزاة فرابطوا وغزوا ونفروا منها الى ان كان من أمر الحسن بن علي العلوي الداعي والاطروش واسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره في صدر هذا الباب من خبره والآن فقد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم وألحد أكثرهم وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون في الاسلام وينصرون من

فنودي بأمان من بقي من أهلها فخرجوا فاراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الاسواق من ننتفع به فتركوا وأمر باخراج القتلى من البلد فاخرجوهم وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه فاحسن عمله وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد وارتكب بحبسه على الحالة المذكورة أقبح مركب فلا جرم سلط الله عليه في أعقابه من ارى في الاخذ عليه وزاد فتبارك الحي الدائم الملك الذي لا يزول ملكه وهذه سنة الدنيا فاف لها ثم أف أسأل الله ان يختم اعمالنا بالحسنى ويجعل خير ايامنا يوم نلقاه بمحمد وآله

﴿ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة﴾

في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين الى دكالة فاجتمع اليه قبائلها وصاروا يغيرون على اعمال مراكش وعبد المؤمن لا يلتفت اليهم فلما كثر ذلك منهم سار اليهم سنة أربع وأربعين فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم الى ساحل البحر في مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر وكان الموضع الذي فيه دكالة كثير الحجر والحزونة فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن اذا سلكه فمن الاتفاق الحسن له انه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء فانحل عليهم ما قدروه وفارقوا ذلك الموضع فاخذهم السيف فدخلوا البحر فقتل أكثرهم وغنمت ابلهم وأغنامهم وأموالهم وسبي نساؤهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة وعاد عبد المؤمن الى مراكش مظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس في جميع المغرب واذعنوا له بالطاعة

﴿ذكر حصر مدينة كنندة﴾

في هذه السنة يعني سنة أربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالاندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى الى كنندة وهي بالقرب من مرسية في شرق الاندلس فحصرها وضيق على أهلها وكان أمير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والاجناد المتطوعة فسيرهم الى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا أشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل في المسلمين وكان فيمن قتل أبو عبد الله بن الفراء قاضي المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد في الدنيا العادلين في القضاء

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة كسر بلك بن ارتق عفراس الرومي وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد ايكان وأسر عفراس وكثيرا من عسكره وفيها أغار جوسلين الفرنجي صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربي الفرات وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيأ كثيرا ولما عاد خرب بزاعة وفيها تسلم أتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف وفيها أمر السلطان محمود الامير جيوش بك بالمسير الى حرب أخيه طغرل فسار اليه فسمع طغرل وأتابكه كنتغدي ذلك فسار الى كنجة من بين يدي العسكر ولم يجر قتال وفيها في المحرم توفي خالصة الدولة أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن السيبي صاحب المخزن ببغداد وولي مكانه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والدعم الدين الكاتب المعروف وفي

بين الجبل والديلم من الصعاليك والتناهر فسار اسفار بن شيرويه الجيلي فيمن معه من الجيوش الى حدود الري فكانت الوقعة بين اسفار بن شيرويه الجيلي وبين ما كان بن كالي الديلمي فاستأمن أكثر أصحاب ما كان بن كالي الديلمي وقواده مثل مستر وتابعين وسليمان بن سلكه والاسكري ومرد الاشكري وهشونه ابن أومكن في آخرين من قواد الجيلي فحمل عليهم ما كان في نفر يسير من غلمانه سبع عشرة حملة ومدت له عساكر خراسان ومن معه من الاتراك فولى ما كان ودخل بلاد طبرستان وانهزم الداعي بين يديه وما كان على حاميته فلحقته خيول خراسان والجبل والديلم والاتراك فيهم اسفار بن شيرويه ومضى ما كان لكثرة الخيول وانحاز الداعي وقد لحق بقرب بلاد طبرستان الى ناحية هذا الشق وقد تخلى عنه ما كان معه من الانصار فقتل هنالك ولحق ما كان بالديلم واستولى اسفار ابن شيرويه على بلاد طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وابهر وقم وهمذان والكرج ودعا لصاحب خراسان واستوثقت له الامور وعظمت جيوشه وكثرت عدته فتجبر وطغى وكان لا يدين بملة الاسلام وعصى صاحب خراسان وخالف عليه وأراد أن يعقد التاج على رأسه وينصب بالري سريرا من ذهب للملك ويقاتل ما في يديه مما قد ذكرنا من

في هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد أخي ايلغازي الى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقي على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه انسان تركماني وأعلمه ان جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك أصحابه وبقي في أربعمائة فارس فوقف مستعدا لقتالهم وأقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج وصلوا الى أرض قد نضب عنها الماء فصارت وحلا فغاصت خيولهم فيه فلم تتمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الاسراع والجري فرماهم أصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسلين وجعل في جلد جمل وخيط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل في فداء نفسه أموالا جزيلة وأسرى كثيرة فلم يجبه الى ذلك وحمله الى قلعة خرتبرت فحبسه بها وأسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الكفار وأسر أيضا جماعة من فرسانه المشهورين فحبسهم معه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفيت جدة السلطان محمود لابيه وهي والدة السلطان سنجر وكانت تركية تعرف بخاتون السفرية وكان موتها بمرو فجلس محمود ببغداد للعزاء بها وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس وفيها توفي الخطير محمد بن الحسين الميبذي ببلاد فارس وهو في وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمد وكان قديما وزر للسلطانين بركيارق ومحمد وكان جوادا حليما سمع ان الابيوردي هجاه فلما سمع الهجو مضه فمضى على ابرامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله وفيها توفي الشهاب أبو المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله وزير السلطان سنجر وهو ابن أخي نظام الملك وكان يتفقه قديما على امام الحرمين الجويني فكان يفتي ويوقع ووزر بعده أبو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمي وتوفي بعد شهور فوزر بعده عثمان القمي وفيها في جمادى الاولى أوقع أتابك طغتكين بطائفة من الفرنج وقتل منهم وأسر وأرسل من الاسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة وفيها تضعضع الركن اليماني من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعث بعض حرم النبي صلى الله عليه وسلم وتشعث غيره من البلاد وكان بالموصل كثير منها وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد ففرغت قبل وفاته بيسير فلما كان الآن احترقت وسبب الحريق ان جارية كانت تختضب ليلا فاستندت شمعة الى الخيش فاحترق وعلقت النار منه في الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لا حد عليه من الجواهر والحلي والفرش والثياب وأقيم الغسالون يخلصون الذهب وما أمكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك الا الياقوت الاحمر وترك السلطان الدار لم تجدد عمارتها وتطير منها الا ان أيامه لم يتمتع بها ثم احترق فيها من أموالهم الشيء العظيم واحترق قبلها باسبوع جامع أصبهان وهو من أعظم الجوامع وأحسنها أحرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على أخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق باشارة الوزير السميرمي عليه بذلك فتجدد من هذين الحريقين ما هاله واتعظ فاعرض عنه وفيها في ربيع الآخر انقض كوكب عشاء وصار له نور عظيم وتفرق منه أعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة وفيها ظهر بمكة انسان علوي وأمر بالمعروف فكثر جمعه ونازع أمير مكة ابن أبي هاشم وقوي أمره وعزم على ان يخطب لنفسه فعاد ابن أبي هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز الى البحرين وكان هذا العلوي من فقهاء النظامية ببغداد وفيها ألزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار فجرى فيه مراجعات انتهت الى ان قرر عليهم للسلطان عشرون ألف دينار وللخليفة أربعة آلاف دينار وفيها حضر السلطان محمود وأخوه

بكابته فلما وردت الكتب على صاحب خراسان أبى أن يقبل شيأ من ذلك وعزم على المسير اليه فأشار عليه وزيره أن يقبل منه وأن يرضى منه بما يحمل من الاموال واقامة الدعوة فان الحرب عثراتها لا تقال ولا يدرى الى ما تؤول لان الرجل قوي بالمال والرجال فان هزم لم يكن في ذلك كبير فتح اذ كان رجلا من رجالك انتدبته لحرب عدوك وضممت اليه عساكرك وغلمانك تخالف عليك وان كانت وعائذا بالله عليك لم تستقل من ذلك فشاور صاحب خراسان ذوي الرأي من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسددوا رأيه وصوبوا قوله فجنح الى قولهم وما أشير عليه فأجاب اسفار بن شيرويه الى ما سأل وأعطاه ما طلب من شروط اشترطها عليه من حمل أموال وغير ذلك فلما ورد الكتاب على اسفار بن شيرويه قال لوزيره هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها ولا سبيل الى اخراجها من بيت المال قالوا اجب أن نستفتح خراج هذه البلاد فقال له وزيره ان في استفتاح الخراج في غير وقته مضرة على أرباب الضياع وخراب البلاد وخلالا لكثير من أهل الخراج قبل ادراك غلاتهم قال له اسفار فما الوجه قال الوزير الخراج انما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة وههنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم من المسلمين وسائر

مصر وكان حسن السيرة عادلا حكي انه لما قتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا الى الخليفة وكان من جملة قولهم انهم لعنوا الافضل فسألهم عن سبب لعنهم اياه فقالوا انه عدل وأحسن السيرة ففارقنا بلادنا وأوطاننا وقصدنا بلاده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا فأحسن الخليفة اليهم وأمر بالاحسان الى الناس ومنها ان صاحبه الآمر بأحكام الله صاحب مصر وضع عليه وسبب ذلك ماذكرناه قبل ففسد الامر بينهما فاراد الآمر ان يضع عليه من يقتله اذا دخل عليه قصره للسلام أو في أيام الاعياد فمنعه من ذلك ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد وهو الذى ولى الامر بعده بمصر وقال له في هذا الفعل شناعة وسوء سمعة لانه قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة ولم يعلم الناس منهم الا النصح لنا والمحبة لدولتنا وقد سار ذلك في أقطار البلاد فلا يجوز ان يظهر منا هذه المكافأة الشنيعة ومع هذا فلا بد وان نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه في منصبه فيتمكن مثله أو ما يقارب به فيخاف ان نفعل به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول الينا خوفا على نفسه وان دخل علينا كان خائفا مستعدا للامتناع وفي هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة والرأى ان تراسل أبا عبد الله بن البطائحي فانه الغالب على أمر الافضل والمطلع على سره وتعده ان توليه منصبه وتطلب منه ان يدبر الامر في قتله لمن يقاتله اذا ركب فاذا ظفرنا بمن قتله قتلناه وأظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنا قبح الاحدوثة ففعلوا ذلك فقتل كما ذكرناه ولما قتل ولى بعده أبو عبد الله بن البطائحي الامر ولقب المأمون وتحكم في الدولة فبقى كذلك حاكما في البلاد الى سنة تسع عشرة فصلب كما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عصيان سليمان بن ايلغازى على أبيه ﴾

في هذه السنة عصى سليمان بن ايلغازى بن ارتق على أبيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة ممن عنده فسمع والده الخبر فسار مجدا الوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذرا فأمسك عنه وقبض على من كان أشار عليه بذلك منهم أمير كان قد التقطه ارتق والد ايلغازى ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه ومنهم انسان من أهل حماه من بيت قرناص كان قد قدمه ايلغازى على أهل حلب وجعل اليه الرياسة فجازاه بذلك وقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات وأحضر ولده وهو سكران فأراد قتله فمنعه رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فأرسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه الى ذلك واستناب بحلب سليمان بن أخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

﴿ ذكر اقطاع ميافارقين ايلغازى ﴾

في هذه السنة أقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازى وسبب ذلك انه أرسل ولده حسام الدين تمرتاش وعمره سبع عشرة سنة الى السلطان ليشفع في دبيس بن صدقة ويبذل عنه الطاعة وحمل الاموال والخيل وغيرها وان يضمن الحلة كل يوم بألف دينار وفرس وكان المتحدث عنه القاضى بهاء الدين أبو الحسن على بن القاسم ابن الشهرزورى فتردد الخطاب في ذلك ولم ينفصل حال فلما أراد العود أقطع السلطان أباه مدينة ميافارقين وكانت مع الامير سكمان صاحب خلاط فتسلمها ايلغازى وبقيت في يده ويد أولاده الى ان ملكها صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر حصر بلك بن بهرام الرها وأسر صاحبها ﴾

ظهر ببلاد طبرستان من آل أبي طالب مثل الحسن بن محمد بن زيد الحسني وخرّب أسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله وقلع أبوابها وسبا وأباح الفروج وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع فأمر أن ينكس منها على أم رأسه وخرّب المساجد ومنع الصلوات فاستغاث الناس في المساجد في أمصار المشرق واستفحل أمره وسار صاحب خراسان يريد الري لحرب أسفار بن شيرويه في عساكره وانفصل عن مدينة بخارى وهي دار مملكة صاحب خراسان في هذا الوقت وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور وسار اسفار بن شيرويه الى الري وجمع عساكره وضم اليه رجاله من الاطراف وعزم على محاربة صاحب خراسان فأشار عليه وزيره وهو مطرف الجرجاني وكان يخاطب بالوزير الرئيس أن يلاطف صاحب خراسان ويراسله ويطمعه في المال واقامة الدعوة فان الحرب تارات وأوقاتها سجال والانفاق عليها من رأس المال فان جنح الى ما دعوته وراسلته به والا فالحرب بين يديك لان معك من الاتراك وأكثر فرسان خراسان انما هم رجاله وانما قد تملكتهم بالاحسان اليهم ولا يدرى عليه اذا قرب منك صاروا مع صاحبهم فتقبل قوله وأمر

في

بالمسير اليه وان عاجزه عن الحلة فارسل البرسق الى الموصل واحضر عساكره وسار الى الحلة وأقبل دبيس نحوهم فالتقوا عند مر بشير بشر فى الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسق وكان سبب الهزيمة انه رأى فى ميسرته خللا وبها الامراء البكجية فامر بالقاء خيمته وان تنصب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها فلما رأوا الخيمة وقد سقطت ظنوها عن هزيمة فانهزموا وتبعهم الناس والبرسق وقيل بل أعطى رقعة فيها ان جماعة من الامراء منهم اسمعيل البكجي يريدون القتك به فانهزم وتبعه العسكر ودخل بغداد ثانى ربيع الآخر وكان فى جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن أبى الجبر وكان ناظرا بالبطيحة لرضوان محكويه خادم السلطان لانها كانت من جملة اقطاعه وحضر أيضا المظفر بن حماد بن أبى الجبر وبينهما عداوة شديدة فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك فقتله المظفر ومضى الى واسط مختفيا وسار منها الى البطيحة وتغلب عليها وكاتب دبيسا وأطاعه وأما دبيس فانه لم يعرض لنهر ملك ولا غيره وأرسل الى الخليفة انه على الطاعة ولولا ذلك لاخذ البرسق وجميع من معه وسأل ان يخرج الناظر الى القرى التى تخاص الخليفة لقبض دخلها وكانت الوقعة فى حزيران وحمى البلد فاحمد الخليفة فعله وترددت الرسل بينهما فاستقرت القاعدة ان يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبى على بن صدقة ليعود الى الطاعة فقبض على الوزير ونهبت داره ودور أصحابه والمنتمين اليه وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا الى الموصل ولما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة أخى دبيس و ولده و رفعهما الى قلعة برجين وهى تجاور كرج ثم ان دبيسا أمر جماعة من أصحابه بالمسير الى اقطاعهم بواسط فسار واليها فمنعهم اتراك واسط فجهز دبيس اليهم عسكرا مقدمهم مهلهل ابن أبى العسكر وأرسل الى المظفر بن أبى الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيين فاتفقا على ان تكون الوقعة تاسع رجب وأرسل الواسطيون الى البرسق يطلبون منه المدد فامدهم بجيش من عنده وعجل مهلهل فى عسكر دبيس ولم ينتظر المظفر طمعا منه انه بفرده ينال منهم ما أراد وينفرد بالفتح فالتقى هو والواسطيون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيون وأخذ مهلهل أسيرا وجماعة من أعيان العسكر وقتل ما يزيد على ألف قتيل ولم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد وأما المظفر بن أبى الجبر فانه أصعد من البطيحة ونهب وافسد وجرى من أصحابه القبيح فلما قارب واسط سمع بالهزيمة فعاد منحدرا وكان فى جملة ما أخذ العسكر الواسطى من مهلهل تذكرة بخط دبيس يأمره فيها بقبض المظفر بن أبى الجبر ومطالبته باموال كثيرة أخذها من البطيحة فارسلوا الخط الى المظفر وقالوا هذا خط الذى تختاره وقد اسخط الله تعالى والخلق كلهم لاجله فمال اليهم وصار معهم فلما جرى على أصحاب دبيس من الواسطيين ما ذكرناه ثم عن ساعده فى الشر و بلغه ان السلطان كحل أخاه فجز شعره ولبس السواد ونهب البلاد وأخذ كل ما للخليفة بنهر ملك فاجلى الناس الى بغداد وسار عسكر واسط الى النعمانية فاجلوا عنها عسكر دبيس واستولوا عليها وجرى بينهم هنالك وقعة كان الظفر للواسطيين وتقدم الخليفة الى البرسق بالتبريز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر قتل السميرمى ﴾

وفى هذه السنة قتل الوزير الكمال أبو طالب السميرمى وزير السلطان محمود سلخ صفر وكان قد برز مع السلطان ليسير الى همذان فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو فى موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التى بناها خمارتكين التتشى واجتاز فى منفذ ضيق فيه حظائر

سلام الذى ولاه فى هذا الوقت صاحب أذربيجان وغيرها لما أخذ عليه البيعة ٢١٣ لاسفار بن شيرويه والعهد والدخول فى طاعته فسار مرداويج الى سلام فتشاكيا ما نزل بالاسلام من اسفار بن شيرويه واخرابه البلاد وقتله الرعية وتركه العمارة والنظر فى عواقب الامور فتحالفا وتعاقدا على التظاهر على اسفار والتعاون على حربه وقد كان اسفار سار فى عساكره الى قزوين وقرب من نحو الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن اسوار منتظرا لمساعدته مرداويج بن زياد وانه ان لم ينقد ابن اسوار الى طاعته ورجع اليه ريث وله بما لا يحب وطئ بلاده وسلام هذا هو خال على بن دهشوذان المعروف بابن حسان ملك آخر من ملوك الديلم وهو الذى قتل بالرى قتله ابن اسوار هذا فى خبر يطول ذكره فلما قرب مرداويج من عساكر اسفار راسل قواده وكاتبهم فى معاونته على الفتك باسفار وأعلمهم مظافرة سلام عليه وقد كان القواد وسائر أصحابه سئموا وملوا دولته وكرهوا سيرته فاجابوا مرداويج الى ذلك فلما دنا من الجيش استشعر اسفار بن شيرويه البلاء وعلم توجه الحيلة عليه وان لا ناصر له من أصحابه ولا غيرهم لما تقدم من سوء سيرته فهرب فى نفر من غلمانه فوافى مرداويج وقد فاته اسفار فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والاموال وأحضر

الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من أصحاب السلطان منهم وزيره أبو طالب السميرمي وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير أبو نصر أحمد بن محمد بن حامد المستوفي وعلى غيرهم من الامراء وفيها في ذي القعدة وهو الحادي والعشرون من كانون الثاني سقط بالعراق جميعه من البصرة الى تكريت ثلج كثير وبقي على الارض خمسة عشر يوما وسمكه ذراع وهلكت أشجار النارنج والاترج والليمون فقال فيه بعض الشعراء

ياصدور الزمان ليس بوفر * مارأيناه في نواحي العراق

انما عم ظلمكم سائر الخلـــق * فشابت ذوائب الآفاق

وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام فاهلكت كثيرا من الناس وغيرهم من الحيوانات وفيها توفي أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات المشهورة وهزار سب بن عوض الهروي وكان قد سمع الحديث كثيرا

(ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة)

(ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود)

وفي المحرم من هـذه السنة اطاع الملك طغرل أخاه السلطان محمودا وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصـد اذربيجان في السنة الخالية ليتغلب عليها وكان اتابكه كنتغدي يحسن له ذلك ويقويه عليـه فاتفق انه مرض وتوفي في شوّال سنة خمس عشرة وكان الامير آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداد فاستأذنه في المضي الى اقطاعه فاذن له فلما سار عن السلطان ظن انه يقوم مقام كنتغدي من الملك طغرل فسار اليه واجتمع به وأشار عليه بالمكاشفة لاخيه السلطان محمود وقال له اذا وصلت الى مراغة اتصل بك عشرة آلاف فارس وراجل فسار معه فلما وصلوا الى أردبيل أغلقت أبوابها دونهم فساروا عنها الى قريب تبريز فأتاهم الخبران السلطان محمود اسير الامير جيوش بك الى أذربيجان واقطعه البلاد وانه نزل مراغة في عسكر كثيف من عند السلطان فلما تيقنوا ذلك عدلوا الى خونج وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الامير شيركير الذي كان أتابك طغرل أيام أبيه يدعونه الى انجادهم وقد كان كنتغدي قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ماذكرناه ثم أطلقه السلطان سنجر فعاد الى اقطاعه ابهر وزنجان وكاتبوه فأجابهم واتصل بهم وسار معهم الى ابهر فلم يتم لهم ما أرادوا فراسلوا السلطان بالطاعة فاجابهم الى ذلك فاستقرت القاعدة أول هذه السنة وتمت

(ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه)

قد ذكرنا سنة أربع عشرة حال دبيس بن صـدقة وصلحه على يد برنقش الزكوي ومقامه بالحلة وعود برنقش الى السلطان ومعه منصور بن صـدقة أخو دبيس وولده رهينـة فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسـل السلطان محمودا في ابعاد دبيس عن العراق الى بعض النواحي وتردد الخطاب في ذلك وعزم السلطان على المسير الى همذان فاعاد الخليفة الشكوى من دبيس وذكر انه يطالب الناس بعقوده منها قتل أبيه وأن يحضر السلطان آقسنقر البرسقي من الموصل ويوليه شحنكية بغداد والعراق ويجعله في وجه دبيس ففعل السلطان ذلك وأحضر البرسقي فلما وصل اليه زوّجه والدة الملك مسعود وجعله شحنة بغداد وأمره بقتال دبيس ان تعرض الى البلاد وسار السلطان عن بغداد في صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فلما فارق بغداد والعراق تظاهر دبيس بأمور تأثر بها المسترشد بالله وتقدم الى البرسقي

بالمسير

المال من أهل هـذه البلاد وغيرهم من الغرباء من غير ضرر يلحقهم ولا كثير مؤنة بل اعطائي أشياء وهو أن يجعل على كل رأس دينارا فيكون في ذلك ما اشترط علينا من المال وزيادة عليه كثيرة فأمره اسفار بذلك فكتب أهل الاسواق والمحال من المسلمين وأهل الذمة حتى استوفى الاحصاء الى من في الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم وحشر الناس الى دار الخراج بالري وسائر أعمالها فطولبوا بهذه الجزية فمن أدى كتب له براءة بالاداء مختومة على حسب ماتكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية في سائر الامصار فأخبرني جماعة من أهل الري وغيرهم ممن طرأ عليهم من الغرباء والتجار والكتاب وغيرهم وأناومئذ بالاهواز وفارس أنهم أدوا هـذه الجزية وأخذوا هـذه البراءة بادائها فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط حمله وكان الباقي من ذلك ألف ألف دينار ونيفا وقيل أضعاف ماذكرنا على حسب الالاف الذين بالري وأعمالها ورجع صاحب خراسان الى بخارى وعظم أمر اسفار على خلاف ما عهد وبعث برجل من أصحابه يقال له مرداويج ابن زياد الى ملك من ملوك الديلم عمـا يلي قزوين وهو صاحب الطرم من ارض الديلم وهو ابن أسوار المعروف

جماعة من الامراء امنافره ومنازعات فاغروا به السلطان فقتله فى رمضان على باب تبريز وكان تركيا من مماليك السلطان محمد عادلا حسن السيرة ولما ولى الموصل والجزيرة كان الاكراد بتلك الاعمال قد انتشروا وكثر فسادهم وكثرت قلاعهم والناس معهم فى ضيق والطريق خائفة فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيرا منها بلد الهكارية وبلد الزوزان وبلد البشنوية وخافه الاكراد وتولى قصدهم بنفسه فهربوا منه فى الجبال والشعاب والمضايق وأمنت الطرق وانتشر الناس واطمأنوا وبقى الاكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته

﴿ذكر وفاة ايلغازى وأحوال حلب بعده﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى ايلغازى بن ارتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار ابن ارتق فبقى بها الى ان أخذها ابن عمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البرسقى مدينة واسط وأعمالها مضافا الى ولاية الموصل وغيرها مما بيده وشحنكية العراق فلما أقطعها البرسقى سير اليها عماد الدين زنكى ابن آقسنقر الذى كان والده صاحب حلب وأمره بحمايتها فسار اليها فى شعبان ووليها وقد ذكرنا اخبار زنكى فى كتاب الباهر فى ذكر ملكه وملك أولاده الذين هم ملوكنا الآن فينظر منه وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريبا من قلعة ذى القرنين وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يعهد مثلها فدخل الماء الى ربض قلعة جعبر وكان الفرات حينئذ بالقرب منها فغرق أكثر دوره ومساكنه وحمل فرسا من الربض وألقاه من فوق السور الى الفرات وفيها بنيت مدرسة بحلب لاصحاب الشافعى وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوج السلطان محمود وفيها فى شعبان قدم الى بغداد البرهان أبو الحسن على بن الحسين الغزنوى وعقد مجالس الوعظ فى جميع المواضع وورد بعده أبو القاسم على بن يعلى العلوى ونزل رباط شيخ الشيوخ فوعظ فى جامع القصر والتاجية ورباط سعادة وصار له قبول عند الحنابلة وحصل له مال كثير لانه أظهر موافقتهم وورد بعده أبو الفتوح الاسفراينى ونزل برباط شيخ الشيوخ أيضا ووعظ فى هذه المواضع وفى النظامية وأظهر مذهب الاشعرى فصار له قبول كثير عند الشافعية وحضر مجالسه الخليفة المسترشد بالله وسلم اليه رباط الارجونية والدة المقتدى بالله بدرب زاخى وفيها توفى عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمد السمرقندى أخو أبى القاسم بن السمرقندى ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ونشأ ببغداد وسمع الصريفينى وابن النقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظا للحديث عالما به وفى ذى الحجة توفى عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو طالب ومولده سنة ست وثلاثين وأربعمائة وسمع البرمكى والجوهرى والعشارى وكان ثقة حافظا للحديث

﴿ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس﴾

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة وكان سبب ذلك ان دبيسا أطلق عفيفا خادم الخليفة وكان مأسورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة بارسال البرسقى الى قتاله وتقويته بالمال وان السلطان كحل أخاه وبالغ فى الوعيد ولبس السواد وجز شعره وحلف لينهبن بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب وتقدم الى البرسقى

وكثرت جيوشه واشتد أمره ولم يسعه ما فى يديه من الامصار ولا كفى رجاله ما فيها من الاموال ففرق قواده الى البلاد فكم وخرج أو دلف الى الكرج وهمذان واتم روزبهان فكان من أنفذ الى همذان ابن أخت له فى جيش كثيف مع جماعة من قواده ورجال وكان بها جيش السلطان مع أبى عبد الله محمد بن خلف الدينورى الشرمانى ومعه خليفة غلام أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان فى جماعة من قواد السلطان فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة وعاون أهل همذان أصحاب السلطان فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل أربعة آلاف وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش المعروف بأبى الكراديس بن علي الطلبى وكان من وجوه قواد مرداويج وولت الديلم ومرداويج أوحش هزيمة فلما أتاه الخبر وضجت أخته ورأى ما نزل بها من أمر ولدها سار عن الرى فى جيوشه حتى نزل مدينة همذان على الباب المعروف بباب الاسد وانما سمى هذا الباب بباب الاسد لان أسدا من حجارة كان على أعمدة من هذا الباب على الطريق المؤدية الى الرى وجادة خراسان أعظم ما يكون من الاسد كالثور العظيم كأنه أسد حى يدنو الانسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل أقرب ما يكون من تمثيل الاسد فكان أهل همذان به يتوارثون

الشوك فتقدم أصحابه الى الموضع فوثب عليه باطني وضربه بسكين فوقعت في البغلة وهرب الى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكين في خاصرته وجذبه عن البغلة الى الارض وضربه عدة ضربات وعاد أصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيان فانهزموا منهما ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاه فحمل قتيلا وبه نيف وثلاثون جراحة وقتل قاتلوه ولما كان في الحمام كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد وان تأخرت يفوت طالع السعد فاسرع وركب وأراد ان يأكل طعاما فمنعوه لاجل الطالع فقتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وانتهب ماله وأخذ السلطان خزانته ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السميرمي قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير معها نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع بمراكب الذهب فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعز هوانا وبالمسرة أحزانا فسبحان من لا يزول ملكه وكان السميرمي ظالما كثير المصادرة للناس سيء السيرة فلما قتل أطلق السلطان ما كان جدده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة

﴿ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة علي بن طراد﴾

في جمادى الاولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدم ذكره قبل واقيم نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي في نيابة الوزارة فارسل السلطان الى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك أبي نصر أحمد بن نظام الملك وكان أخا شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فاجيب الى ذلك واستوزر في شعبان وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل ولزم دارا استجدها ببغداد الى الآن فلما خلع على نظام الملك وجلس في الديوان طلب ان يخرج ابن صدقة عن بغداد فلما علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة ان يسير الى حديثة عانة ليكون عند الامير سليمان بن مهارش فأجيب الى ما طلب وسار الى الحديثة فخرج عليه في الطريق انسان من مفسدي التركمان يقال له يونس الحرامي فاسره ونهب أصحابه فخاف الوزير ان يعلم دبيس فارسل الى يونس وبذل له مالا يأخذه منه للعداوة التي بينهما فقرر أمره مع يونس على ألف دينار يحصل منها ثلثمائة ويؤخر الباقي الى ان يرسله من الحديثة وراسل عامل بلد الفرات في تخليصه وانفاذ من يضمن الباقي الذي عليه فاعمل العامل الحيلة في ذلك فاحضر انسانا فلاحا وألبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا وأركبه وسير معه غلمانا وأمره ان يمضي الى يونس ويدعي انه قاضي بلد الفرات ويضمن الوزير منه بما بقي من المال فسار السوادي الى يونس فلما حضر عند الوزير ويونس احترماه وضمن السوادي الوزير منه وقال له أقيم عندك الى ان يصل المال مع صاحبك تنفذه مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك وأطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه فلما وصل الحديثة قبض على من معه منهم فاطلق يونس ذلك السوادي والمال الذي أخذه حتى أطلق الوزير أصحابه وعلم الحيلة التي تمت عليه ولما سار الوزير من عند يونس لقي انسانا أنكره فاخذه فرأى معه كتابا من دبيس الى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير اليه وكان خلاصه من أعجب الاشياء

﴿ذكر قتل جيوش بك﴾

في هذه السنة قتل الامير جيوش بك الذي كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود وعوده الى خدمته فلما رضي عنه أقطعه أذربيجان وجعله مقدم عسكره فجرى بينه وبين

وزير اسفار المعروف بمطرف الجرجاني فاستخرج منه الاموال وأخذ البيعة على القواد والرجال وفرق فيهم الاموال من الارزاق والجوائز وزاد في ارزاقهم وأحسن اليهم فلما لم يكونوا يعرفونه من اسفار ومضى اسفار الى نحو مدينة السارية من بلاد طبرستان فلم يجد له ملجأ يقصده وحار في أمره فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة ألموت وكان فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بأبي موسى مع عدة من الرجال قبله ذخائر اسفار ابن شيرويه من خزائنه وأمواله وكان مرداويج لما توجه له ذلك وملك الجيش والاموال خرج يتصيد على أميال من قزوين نحو الطريق الذي سلكه اسفار ليستعلم أمره وأي البلاد سلك والى أي القلاع مال فسال الى القلعة فنظر الى خيل يسيرة في بعض الاودية فاسرع أصحابه نحوها ليأخذوا اخبرها فوجدوا اسفار بن شيرويه في عدة يسيرة من غلمانه يؤم القلعة ليأخذ ماله فيها من الاموال ويجمع الرجال والديلم والجبل ويعود الى حرب مرداويج ابن زياد فأتى عليه مرداويج فلما وقعت عينه عليه نزل فذبحه من ساعته وأقبل رجال الديلم والجبل نحو مرداويج لما ظهر من بذله واحسانه الى جنده وتسامع الناس بادراره الارزاق على جنده فقصدوه من سائر الامصار فعظمت عساكره جماعة

بحاشيته وسلاحه وأدركه الخيل فقاتلهم وعبر الفرات فرأته امرأة عجوز وقد عبر فقالت له دبير جئت فقال دبير من لم يجئ واختفى خبره بعد ذلك وأرجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره انه قصد غزية من عرب نجد فطلب منهم ان يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا انا نخاف الخليفة والسلطان فرحل الى المنتفق واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها فسار واليها ودخلوها ونهبوا أهلها وقتل الامير بخت كان مقدم عسكرها وأجلى أهلها فارسل الخليفة الى البرسقي يعاتبه على اهماله أمر دبيس حتى تم له من أمر البصرة ما أخربها فتجهز البرسقي للانحدار اليه فسمع دبيس ذلك ففارق البصرة وسار على البرالى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب وأطمعهم في أخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد فاقام معه وحسن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع وعشرين ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب)

في هذه السنة في صفر ملك الفرنج حصن الاثارب من أعمال حلب وسبب ذلك انهم كانوا قد اكثروا قصد حلب وأعمالها بالاغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على ان يسلم الاثارب ويكفوا عن بلاده فاجابوه الى ذلك وتسلموا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام أمر الرعية باعمال حلب وجلبت اليهم الاقوات وغيرها ولم تزل الاثارب بايدى الفرنج الى ان ملكها اتابك زنكي بن آقسنقر على مانذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك بلك حران وحلب)

في هذه السنة في ربيع الاول ملك بلك بن بهرام مدينة حران وكان حصرها فلما ملكها سار عنها الى مدينة حلب وسبب مسيره اليها أنه بلغه ان صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الاثارب الى الفرنج فعظم ذلك عليه وعلم عجزه عن حفظ بلاده فقوى طمعه في ملكها فسار اليها ونازلها في ربيع الاول وضايقها ومنع الميرة عنها وأحرق زروعها فاستسلم اليه ابن عمه البلد والقلعة بالامان غرة جمادى الاولى من السنة وتزوج ابنة الملك رضوان وبقي مالكها الى ان قتل على مانذكره

(ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية)

قدذكرنا ان الامير على بن يحيى صاحب افريقية لما استوحش من رجار صاحب صقلية جدد الاسطول الذى له وكثرعدده وعدده وكاتب أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين بمراكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية فلما علم رجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله فاتفق ان عليا مات سنة خمس عشرة وولى ابنه الحسن وقد ذكرناه فلما دخلت سنة ست سير أمير المسلمين اسطولا ففتحوا نقوطرة بساحل بلاد قلورية فلم يشك رجار ان عليا كان سبب ذلك فجد في تعمير الشوانى والمراكب وحشد فاكثر ومنع من السفر الى افريقية وغيرها من بلاد الغرب فاجتمع له من ذلك مالم يعهد مثله قيل كان ثلثمائة قطعة فلما انقطعت الطريق عن افريقية توقع الامير الحسن بن على خروج العدو الى المهدية فامر باتخاذ العدد وتجديد الاسوار وجمع المقاتلة فاتاه من أهل البلاد ومن العرب جمع كثير فلما كان في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة سار الاسطول الفرنجي في ثلثمائة قطعة فيها ألف فرس وفرس واحد الا انهم لما ساروا ومن معهم على فرقتهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحوها وقتل من بها وسبي وغنموا وساروا عنها فوصلوا الى افريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس أواخر جمادى

الاحتماء عن حمل السلاح في المعركة نحوا من أربعين ألفا وأقام السيف يعمل فيهم ثلاثة أيام والنار والسبي ثم نادى برفع السيف في اليوم الثالث وأمن بقيتهم ونادى أن تخرج شيوخ البلد ومستوروه اليه فلما سمعوا النداء أتاهم الفرج فخرج من وثق بنفسه من الشيوخ وأهل الستر ومن لحق بهم فخرجوا الى المصلى فدخل اليه صاحب عذابه وكان يقال له الشقطيني فسأله عن أمره فيهم فأمره أن يطوف بهم الديلم والجبل بحرابهم وخناجرهم فيوفي عليهم فطافت بهم الرجال من الديلم فأتى على القوم جميعا وألحقوا بمن مضى منهم وبعث منها بقائد من قواده يعرف بابن علان القزويني وكان يلقب بخواجه وذلك أن أهل خراسان اذا عظموا الشيخ فيهم سموه خواجه في عسكر من عساكره الى مدينة الدينور ومن همذان اليها ثلاثة أيام فدخلها بالسيف وقتل من أهلها في اليوم الاول سبعة عشر ألفا في قول المقلل والمكثر يقول خمسة وعشرين ألفا فخرج اليه رجل من مشهوري أهل الدينور وصوفيتها وزهادها يقال له ممشاد وبيده مصحف قد نشره فقال لابن علان المعروف بخواجه أيها الشيخ اتق الله وارفع السيف عن هؤلاء المسلمين فبلا ذنب لهم ولا جناية يستحقون ما قد نزل بهم فأمر بأخذ المصحف

بالنهر الى حرب دبيس وبرز في رمضان سنة ست عشرة وبرز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى
العساكر فأتاه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة في عقيل وأتاه قرواش بن مسلم وغيرهما
وأرسل دبيس الى نهر الملك فنهب وعمل أصحابه كل عظيم من الفساد فوصل أهله الى بغداد فأمر
الخليفة فنودي ببغداد لا يتخلف من الاجناد أحد ومن أحب الجندية من العامة فليحضر فجاء
خلق كثير ففرق فيهم الاموال والسلاح فلما علم دبيس الحال كتب الى الخليفة يستعطفه
ويسأله الرضا عنه فلم يجب الى ذلك وأخرجت خيام الخليفة في العشرين من ذي الحجة من سنة ست
عشرة فنادى أهل بغداد النفير النفير الغزاة الغزاة وكثر الضجيج من الناس وخرج منهم عالم كثير
لا يحصون كثرة وبرز الخليفة رابع عشري ذي الحجة وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء
وطرحة وعلى كتفه البردة وفي يده القضيب وفي وسطه منطقة حديد صيني ونزل الخيام ومعه
وزير نظام الدين أحمد بن نظام الملك ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء علي بن طراد وشيخ الشيوخ
صدر الدين اسمعيل وغيرهم من الاعيان وكان البرسقي قد نزل بقرية جهارطاق ومعه عسكره فلما
بلغهم خروج الخليفة عن بغداد عادوا الى خدمته فلما رأوا الشمسة ترجلوا بأجمعهم وقبلوا
الارض بالبعد منه ودخلت هذه السنة فنزل الخليفة مستهل المحرم بالحديثة بنهر الملك واستدعى
البرسقي والامراء واستحلفهم على المناصحة في الحرب ثم ساروا الى النيل ونزلوا بالمباركة وعبى
البرسقي أصحابه ووقف الخليفة من وراء الجميع في خاصته وجعل دبيس أصحابه صفا واحدا ميمنة
وميسرة وقلبا وجعل الرجالة بين يدي الخيالة بالسلاح وكان قد وعد أصحابه بنهب بغداد وسبي
النساء فلما تراءت الفئتان بادر أصحاب دبيس وبين أيديهم الاماء يضربن بالدفوف والمخانيث
بالملاهي ولم ير في عسكر الخليفة غير قارئ ومسبح وداع فقامت الحرب على ساق وكان مع أعلام
الخليفة الامير كرباوي بن خراسان وفي الساقة سليمان بن مهارش وفي ميمنة عسكر البرسقي الامير
أبو بكر بن الياس مع الامراء البكجية فحمل عنتر بن أبي العسكر في طائفة من عسكر دبيس على
ميمنة البرسقي فتراجعت على أعقابها وقتل ابن أخ للامير أبي بكر البكجي وعاد عنتر وحمل حملة
ثانية على هذه الميمنة فكان حالها في الرجوع على أعقابها كحالها الاول فلما رأى عسكر واسط ذلك
ومقدمهم الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقر حملوا وهم معه على عنتر ومن معه وأتوهم من
ظهورهم فبقي عنتر في الوسط وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه والامراء البكجية بين يديه
فأسر عنتر وأسر معه بريك بن زائدة وجميع من معهما ولم يفلت أحد وكان البرسقي واقفا على
نشز من الارض وكان الامير آقبوري في الكمين في خمسمائة فارس فلما اختلط الناس خرج
الكمين على عسكر دبيس فانهزموا جميعهم وألقوا نفوسهم في الماء فغرق كثير منهم وقتل كثير
ولما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرد سيفه وكبر وتقدم الى الحرب فلما انهزم عسكر دبيس
وحملت الاسرى الى بين يديه أمر الخليفة أن تضرب أعناقهم صبرا وكان عسكر دبيس عشرة
آلاف فارس واثني عشر ألف راجل وعسكر البرسقي ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل
ولم يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الاسر سوى
بنت ايلغازي وبنت عميد الدولة بن جهير فانه كان تركهما في المشهد وعاد الخليفة الى بغداد
فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة الى بغداد ثار العامة بها ونهبوا مشهد باب
التبن وقلعوا أبوابه فأنكر الخليفة ذلك وأمر نظرا أمير الحاج بالركوب الى المشهد وتأديب من
فعل ذلك وأخذ ما نهب ففعل وأعاد البعض وخفي الباقي عليه وأما دبيس بن صدقة فانه لما انهزم

أخبارهم عن أسلافهم مستفيضا فيهم أن الاسكندر بن فيلبس بنى همذان حين انصرف من بلاد
خراسان ورجوعه من
مطافه من الهند والصين
وغيرهما وأن ذلك الاسد
جعل طلسما للمدينة
وسورها وأن خراب البلد
وفناء أهله وهدم سوره
والقتل الذريع يكون عند
كسر ذلك الاسد وقلعه من
موضعه وأن ذلك من وجه
الديلم والجبل وكان أهل
همذان يمنعون من يجتاز
بهم من العساكر والسابلة
والمتآلفة من أحداثهم
أن يقلبوا ذلك الاسد
أو يكسروا شيئا منه ولم يكن
ينقلب لعظمه وصلابة حجره
الا بالخلق الكثير من الناس
وقد كان عسكر مرداويج
الذي سير مع ابن أخته نزلوا
على هذا الباب وانبسطوا
في تلك الصحراء قبل الوقعة
بينهم وبين أصحاب
السلطان فقلب على
ما ذكر هذا الاسد فكسر
فكان من أمر الوقعة
ما ذكرنا وذلك على طريق
الولوع من الديلم فلما سار
مرداويج ونزل على هذا
الباب ونظر الى مصارع
أصحابه وقتل أهل همذان
لابن أخته اشتد غضبه لذلك
فكانت بينه وبين أهل
همذان ثورة ثم ولى القوم وقد
أسلمهم قبل ذلك أصحاب
السلطان فدخلوا فقتلوا
في اليوم الاول في قول المقلل من الناس على ما أدركه

سيفك فاقتدى به ولا تعتدى فقتل ثانى جمادى الآخرة فلما سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الدين أحمد من وزارته وأعاد جلال الدين أبا على بن صدقة الى الوزارة وأقام نظام الدين بالجنة التى فى المدرسة النظامية ببغداد وأما العزيز المستوفى فانه لم تطل أيامه حتى قتل على ما نذكره جزاء لسعيه فى قتل الوزير

❁(ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج)❁

فى هذه السنة اشتدت نكاية الكرج فى بلاد الاسلام وعظم الامر على الناس لاسيما أهل دربند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم الى السلطان وشكوا اليه ما يلقون منهم وأعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار اليهم والكرج قد وصلوا الى شماخى فنزل السلطان فى بستان هناك وتقدم الكرج اليه فخافهم العسكر خوفا شديدا وأشار الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك على السلطان بالعود من هناك فلما سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له نحن نقاتل مهما أنت عندنا وان تأخرت عنا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا فقبل قولهم وأقام بمكانه وبات العسكر على وجل عظيم وهم بنية المصاف فأتاهم الله بفرج من عنده وألقى بين الكرج وقفجاق اختلافا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المؤمنين القتال وأقام السلطان بشروان مدة ثم عاد الى همذان فوصلها فى جمادى الآخرة

❁(ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر)❁

فى هذه السنة وصل جمع كثير من لواتة من الغرب الى ديار مصر فافسدوا فيها ونهبوها وعملوا اعمالا شنيعة فجمع المأمون بن البطائحى الذى وزر بمصر بعد الافضل عسكر مصر وسار اليهم فقاتلهم فهزمهم وأسر منهم وقتل خلقا كثيرا وقرر عليهم خراجا معلوما كل سنة يقومون به وعادوا الى بلادهم وعاد المأمون الى مصر مظفرا منصورا

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة فى صفر أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداد وان يجبى ما يخرج عليه من البلد فشق ذلك على الناس وجمع من ذلك مال كثير فلما علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر باعادة ما أخذ منهم فسروا بذلك وكثر الدعاء له وقيل ان الوزير أحمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال تقسط الباقى على أرباب الدولة وكان أهل بغداد يعملون بانفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل يعمل أهل كل محلة منفردين بالطبول والزمور وزينوا البلد وعملوا فيه القباب وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت دار على بن أفلح وكان الخليفة يكرمه فظهر انه عين لدبيس يطالعه بالاخبار وجعل الخليفة نقابة العلويين الى على بن طراد نقيب العباسيين وفيها جمع الامير بلك عساكره وسار الى غزاة بالشام فلقيه الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر بشر كثير من مقدميهم ورجالتهم وفيها كان فى أكثر البلاد غلاء شديد وكان أكثره بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الخشكار ستة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك موت كثير وامراض زائدة هلك فيها كثير من الناس وفيها فى صفر توفى قاسم بن أبى هاشم العلوى الحسنى أمير مكة وولى بعده ابنه أبو فليتة وكان أعدل منه وأحسن سيرة فاسقط المكوس وأحسن الى الناس وفيها توفى عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبى على الحداد الاصبهانى ومولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة وهو من أعيان المحدثين سافر الكثير فى طلب الحديث وفيها سار طغتكين صاحب دمشق الى حمص فهجم المدينة ونهبها وأحرق كثيرا منها وحصرها وصاحبها قرجان بالقلعة

رائق وهو بازائه من بلاد ديار مضر قبل دخول الشام ومحاربته الاخشيد محمد بن طغج فاحتال عليه رافع القرمطى وكان من قواد ابن رائق حتى فرق بينه وبين عسكره وغرقه فى الفرات وذلك نحو رحبة مالك بن طوق وقد أتينا على خبره وما كان من الحيلة فى أمره ومدة بقائه فى الماء مقيدا الى أن خرج ثم قتل بعد ذلك فى الكتاب الاوسط فى أخبار محمد بن رائق وسار ابن وهبان فيمن معه من العساكر الى أوسع كور الاهواز وذلك على طريق مناذر والبش ونوح واحتوى على هذه البلاد وجبى أموالها وحمل ذلك الى مرداويج فكثر وعظمت جيوشه وأمواله وعساكره وضرب سريرا من الذهب رصع له بالجوهر وعملت له بدلة وتاج من الذهب وجمع فى ذلك أنواع الجواهر وقد كان سأل عن تيجان الفرس وهيآتها فصورت له ومثلت فاختار منها تاج أنوشروان بن قبادة (وكان) نمى اليه من كتابه ومن أطاف به من أتباعه من دهاة العالم وشياطينه أن الكواكب ترى شعاعاتها الى بلاد أصبهان فيظهر بها ديانة وينصب بها سرير ملك ويجبى له كنوز الارض وأن الملك الذى يليها يكون مصير الرجلين ويكون من صفته كيت وكيت وأن مدة عمره فى الملك كذا وكذا ثم يتلوه من بعده فى هذه المملكة أربعون ملكا

الاولى فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك والديماس حصن منيع فى وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر وسير الحسن من عنده من الجموع الى الفرنج وأقام هو بالمهدية فى جمع آخر يحفظها وأخذ الفرنج حصن الديماس وجنود المسلمين محيطة بهم فلما كان بعد ليال اشتد القتال على الحصن الداخل فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجت لها الارض وكبروا فوقع الرعب فى قلوب الفرنج فلم يشكوا ان المسلمين يهجمون عليهم فبادروا الى شوانيهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيولهم وغنم المسلمون منها أربعمائة فرس ولم يسلم معهم غير فرس واحد وغنم المسلمون جميع ما تخلف عن الفرنج وقتلوا كل من عجز عن الطلوع الى المراكب فلما صعد الفرنج الى مراكبهم أقاموا بها ثمانية أيام لا يقدرون على النزول الى الارض فلما أيسوا من خلاص أصحابهم الذين فى الديماس ساروا والمسلمون يكبرون عليهم ويصيحون بهم وأقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس فى أمم لا يحصون كثرة فحصروه فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوته فلما عدم الماء على من به من الفرنج وضجروا من مواصلة القتال ليلا ونهارا فتحوا باب الحصن وخرجوا فقتلوا عن آخرهم وذلك يوم الاربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة اقامتهم فى الحصن ستة عشر يوما ولما رجع الفرنج مقهورين أرسل الامير الحسن البشرى الى سائر البلاد وقال الشعراء فى هذه الحادثة فأكثروا وتركنا ذلك خوف التطويل

❁(ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت وأخذها منهم)❁

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل استولى الفرنج على خرتبرت من بلاد ديار بكر وسبب ذلك أن بلك ابن بهرام بن أرتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهى تقارب خرتبرت فسمع الفرنج بالشام الخبر فسار بغدوين ملك الفرنج فى جموعه اليه ليرحله عنها خوفا ان يقوى بملكها فلما سمع بلك بقربه منه رحل اليه والتقيا فى صفر واقتتلا فانهزم الفرنج وأسر ملكهم ومعه جماعة من أعيان فرسانهم وسجنهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة أيضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدمى الفرنج كان قد أسرهم سنة خمس عشرة وسار بلك عن خرتبرت الى حران فى ربيع الاوّل فملكها فأعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة فأما الملك بغدوين فانه اتخذ الليل جملا ومضى الى بلاده واتصل الخبر ببلك صاحبها فعاد فى عساكره اليها وحصرها وضيق على من بالقلعة واستعادها من الفرنج وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها

❁(ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة الى وزارة الخليفة)❁

فى هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله وسبب ذلك انه لما أشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة فى مخالفته تغير عليه وذكره أعداؤه عنده بسوء ونبهوا على تهوره وقلة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة فسد رأى السلطان فيه ثم ان الشهاب أبا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفى وهو ابن أخى نظام الملك ووزر بعده أبو طاهر القمى وهو عدو للبيت النظامى فسعى مع السلطان سنجر حتى أرسل الى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس الملك فصادف وصول الرسول وهو متغير عليه فقبض عليه وسلمه الى طغايرك فبعثه الى بلده خلخال فحبسه فيها ثم ان أبا نصر المستوفى الملقب بالعزيز قال للسلطان محمود لا نأمن ان يرسل السلطان سنجر يطلب الوزير ويتصل به لا نأمن شرا يحدث منه وكان بينهما عداوة فأمر السلطان بقتله فلما دخل عليه السياف ليقتله قال امهلنى حتى أصلى ركعتين ففعل فلما صلى جعل يرتعد وقال للسياف سيفى أجود من

من يده فضربه وجهه ثم أمر به فذبح وسبى وأباح الاموال والدماء والفروج وبلغت عساكر مرداويج وجنوده الى الموضع المعروف بالصحوص وهو قرز بين الجبل واعمال حلوان مما يلى العراق وذلك من بلاد طرز والطامير ومهرج القلعة قتلا وسبيا وغنم الاموال ثم وافت جيوشه راجعة وقد غنمت الاموال وقتلت الرجال وملكت الاولاد وأخذوا الغلمان وتملكوهم وسبوا من بلاد الدينور وقدسابين والربذة الى حيث ما بلغوا مما وصفنا من البلاد مما أدركه الاحصاء من الجوارى العتق العواتق والغلمان فى قول المقلل خمسين ألفا وفى قول المكثر مائة ألف فلما تم لمرداويج ما وصفنا وحملت اليه الاموال والغنائم بعث بها الى اصبهان بجماعة من قواده فى قطعة من عساكره فملكوها وأقيمت لهم الانزال والعلوفات وعمرت لهم قصور أحمد بن أبى دلف العجلى وهيئت له البساتين والرياض وزرع له فيها أنواع الرياحين على حسب ما كان فى آل عبد العزيز فسار مرداويج الى اصبهان فنزلها وهو فى نحو من خمسين ألفا وقيل أربعين سوى ماله بالرى وقم وهمذان وسائر أعماله من العساكر وقد كان أنفذ جماعة من قواده وعساكره مع أبى الحسن محمد بن وهبان الصنعانى وهو الذى استأمن بعد ذلك الى السلطان ثم قصد الى محمد بن

سيفك

على القدم عليه فلما صعد الى المركب الذي فيه القدم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الاسطول الى مصر وفيه الامير مسعود فأكرم وأحسن اليه وأعيد الى دمشق وأما الوالي من قبل المصريين فانه طيب قلوب الناس وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد وان سبب ما فعل هو شكوى أهل صور من مسعود فأحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه المساعدة ولما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها وحدثوا نفوسهم بملكها وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالي بها المصريين الخبر فعلم أنه لا قوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها لقلة من بها من الجند والميرة فارسل الى الآمر بذلك فرأى أن يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق فارسل اليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ما ظن فيه كفاية وسار الفرنج اليهم ونازلوهم في ربيع الاول من هذه السنة وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج اذا رأوا قربه منهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار فأرسل طغتكين الى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه وتمادت الايام وأشرف أهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين صاحب دمشق وقرر الامر على ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وغيرها فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت أبواب البلد وملكه الفرنج وفارقه أهله وتفرقوا في البلاد وحملوا ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج الى أحد منهم ولم يبق الا الضعيف الذي عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد في الثالث والعشرين من جمادى الاولى من السنة وكان فتحه وهنا عظيما على المسلمين فانه من أحصن البلاد وأمنعها فالله يعيده الى الاسلام ويقر أعين المسلمين بفتحه بمحمد وآله

﴿ذكر عزل البرسقي عن شحنكية العراق وولاية برنقش الزكوي﴾

في هذه السنة عزل البرسقي عن شحنكية العراق ووليها سعد الدولة برنقش الزكوي وسبب ذلك ان البرسقي نفر عنه المسترشد بالله فارسل الى السلطان محمود يلتمس منه ان يعزل البرسقي عن العراق و يعيده الى الموصل فأجابه السلطان الى ذلك وأرسل الى البرسقي يأمره بالعود الى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلما علم البرسقي الخبر شرع في جباية الاموال ووصل نائب برنقش فسلم اليه البرسقي الامر وأرسل السلطان ولدا له صغيرا مع أمه الى البرسقي ليكون عنده فلما وصل الصغير الى العراق خرجت العساكر والمراكب الى لقائه وحملت له الاقامات وكان يوم دخوله يوما مشهودا وتسلمه البرسقي وسار الى الموصل وهو ووالدته معه ولما سار البرسقي الى الموصل كان عماد الدين زنكي بن آقسنقر بالبصرة قد سيره البرسقي اليها ليحميها فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب و يقاتلهم في حللهم حتى أبعدوا الى البر فارسل اليه البرسقي يأمره باللحاق به فقال لاصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم للموصل أمير جديد ونريد نخدمه وقد رأيت ان أسير الى السلطان فأكون معه فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فقدم عليه باصبهان فأكرمه وأقطعه البصرة وأعاده اليها

﴿ذكر ملك البرسقي مدينة حلب﴾

في هذه السنة في ذي الحجة ملك آقسنقر البرسقي مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك ان الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لاسيما

ثم ان الجبل والديلم ثاروا واجتمعوا وتشاوروا وقالوا ان قتلنا الى ما نحن عليه من العرب نفر ... فتعاد اليه هلكنا فاجتمع أمرهم على مبايعة وشمكير أخي مرداويج وتشيير مرداويج معلق الرجال وقد يكتب مرداويج بالرأي فبايعوا وشمكير بعد أن تفرق كثير من الجيش ففرق فيهم كثيرا مما بقي من الاموال وأحسن اليهم وتوجه فيمن معه من العساكر الى الري فنزلها وسار بجكم التركي فيمن معه من الاتراك وقد جمعوا أنفسهم الى أن يخلصوا من الديلم وسار الى بلاد الدينور فجبى منها الخراج وأخذ كثيرا من الاموال وسار الى النهروان على أقل من يومين من مدينة السلام فراسل الراضي وكان الغالب على أمره الساجية وعدة من الغلمان الحجرية فأبوا أن يتركوه يصل الى الحضرة خوفا أن يغلب على الدولة فمضى بجكم لما منع من الحضرة الى واسط الى محمد بن رائق وكان مقيما بها فأدناه وحباه وغلب عليه وقوي أمر بجكم واصطنع الرجال وضعف أمر ابن رائق عنه فكان من أمره ما قد اشتهر وقد قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من اختفائه وخروج بجكم مع الراضي الى الموصل ومعهم علي بن خلف بن طباب الى ديار بني حمدان من بلاد الموصل وديار ربيعة وظهور محمد بن رائق ببغداد ومعاونة الفوغاء له ومسيره الى دار السلطان

فاستمد صاحبها طغان ارسلان فسار اليه في جمع كثير فعاد طغتكين الى دمشق وفيها التقى اسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة وأخذ من أسطول مصر عدة قطع وعاد الباقي سالما وفيها سار الامير محمود بن قراجة صاحب حماه الى حصن افامية فهجم على الربض بغتة فأصابه سهم من القلعة في يده فاشتد ألمه فعاد الى حماه وقلع الزج من يده ثم ماتت عليه فمات منه واستراح أهل عمله من ظلمه وجوره فلما سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سير الى حماه عسكرا فملكها وصارت في جملة بلاده ورتب فيها واليا وعسكرا لحمايتها

﴿ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة﴾

(ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاش حلب)

في هذه السنة في صفر قبض بلك بن بهرام بن ارتق صاحب حلب على الامير حسان البعلبكي صاحب منبج وسار اليها فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة فامتنعت عليه فسار الفرنج اليه ليرحلوه عنها لئلا يقوى بأخذها فلما قاربوه ترك على القلعة من يحصرها وسار في باقي عسكره الى الفرنج فلقيهم وقاتلهم فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى منبج فحصرها فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله لا يدرى من رماه واضطرب عسكره وتفرقوا وخلص حسان من الحبس فكان حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق مع ابن عمه بلك فحمله مقتولا الى ظاهر حلب وتسلمها في العشرين من ربيع الاول من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج وعاد اليها صاحبها حسان واستقر تمرتاش بحلب واستولى عليها ثم انه جعل فيها نائبا له يثق اليه ورتب عنده ما يحتاج اليه من جند وغيرهم وعاد الى ماردين لانه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج وكان رجلا يحب الدعة والرفاهة فلما عاد الى ماردين أخذت حلب منه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام)

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر ولم تزل كذلك الى سنة ست وخمسمائة فكان بها وال من جهة الافضل أمير الجيوش وزير الآمر باحكام الله العلوي يلقب عز الملك وكان الفرنج قد حصروها وضيقوا عليها ونهبوا بلدها غير مرة فلما كان سنة ست تجهز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير الى صور فخافهم أهل صور فارسلوا الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون منه ان يرسل اليهم أميرا من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون البلد له وقالوا له ان أرسلت الينا واليا وعسكرا والا سلمنا البلد الى الفرنج فسير اليهم عسكرا وجعل عندهم واليا اسمه مسعود وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها وأمده بعسكر وسير اليهم ميرة ومالا فرقه فيهم وطابت نفوس أهل البلد ولم تغير الخطبة للآمر صاحب مصر ولا السكة وكتب الى الافضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول متى وصل اليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها اليه ويطلب ان الاسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الافضل على ذلك واثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله وجهز اسطولا وسيره الى صور فاستقام أحوال أهلها ولم يزل كذلك الى سنة ست عشرة بعد قتل الافضل فسير اليها اسطولا على جاري العادة وأمر المقدم على الاسطول ان يعمل الحيلة على الامير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه وكان السبب في ذلك ان أهل صور أكثروا الشكوى منه الى الآمر باحكام الله صاحب مصر بما يعتمده من مخالفتهم والاضرار بهم فسار الاسطول فأرسى عند صور فخرج مسعود اليه للسلام

على

وقربوا له الزمان في ذلك وجددوه وتقربوا اليه بأشياء من هذه المعاني مما حال اليه هواه واستدعاهم واستهواه وأنه المسمى الرجل الذي يملك الارض وكان معه من الاتراك نحو أربعة آلاف مماليك دون من في عسكره من الاتراك مع ما عنده من الامراء والاتراك وكان سيء الصحبة لهم كثير القتل فيهم فعملوا على قتله وتحالفوا وقد كان على المسير الى مدينة السلام والقبض على الملك وتولية أصحابه مدن الاسلام بامرها في شرق البلاد وغربها مما في يد ولد العباس وغيرهم فأقطع الدور ببغداد لاهله ولم يشك أن الامر في يده والملك له فخرج ذات يوم الى الصيد وهو فرح مسرور لما قد تم له من الامر وتأتى له من الملك فدخل الحمام بعد رجوعه في قصر أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دلف العجلي باصبهان فدخل اليه غلام من وجوه الاتراك وهو بجكم وكان من خواص الغلمان ومعه ثلاثة نفر من وجوه الاتراك أرى أحدهم توزون مدبر الدولة بعد بجكم فقتلوه فخرج بجكم ومن معه وقد كان أعلم الاتراك بذلك فكانوا له متأهبين فركبوا من فورهم وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في خلافة الراضي وتفرق الجيش عند وقوع الضجة ونهب بعض الناس بعضا وأخذت الخزائن وانتهبت الاموال

سوى الرجالة وأهل بغداد وفرق السلاح وبرز خامس صفر وبين يديه أرباب الدولة رجالة وخرج من باب النصر وكان قد أمر بنقضه تلك الايام وتمام باب النصر ونزل صحراء الشماسية ونزل يرنقش عند السبق ثم سار فنزل الخالص تاسع صفر فلما سمع طغرل بخروج الخليفة عدل الى طريق خراسان وتفرق أصحابه فى النهب والفساد ونزل هو برباط جلولاء فسار اليه الوزير جلال الدين بن صدقة فى عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجه طغرل ودبيس الى الهارونية وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقر الامر بين دبيس وطغرل ان يسيرا حتى يعبرا ديالى وتامرا ويقطعا جسر النهروان ويقيم دبيس ليحفظ المعابر ويتقدم طغرل الى بغداد فيملكها وينهبها فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرا ونزل طغرل بينه وبين ديالى وسار دبيس على أن يلحقه طغرل فقدر الله تعالى ان الملك طغرل لحقه حمى شديدة ونزل عليهم من المطر ما لم يشاهدوا مثله وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدسكرة وسار دبيس فى مائتى فارس وقصد معبر النهروان وهو وتعب سهران وقد لقى هو وأصحابه من المطر والبلل ما آذاهم وليس معهم ما يأكلون ظنا منهم أن طغرل وأصحابهم يلحقونهم فتأخر والمأخذ كرناه فنزلوا جياعا قد نالهم البرد وقد طلع عليهم ثلاثون جملا تحمل الثياب المخيطة والعمائم والاقبية والقلانس وغيرها من الملبوس وتحمل أيضا أنواع الاطعمة المصنوعة قد حملت من بغداد الى الخليفة فأخذ دبيس الجميع فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب الندية وأكلوا الطعام وناموا فى الشمس مما نالهم تلك الليلة وبلغ الخبر أهل بغداد فلبسوا السلاح وبقوا يحرسون الليل والنهار ووصل الخبر الى الخليفة والعسكر الذين معه ان دبيسا قد ملك بغداد فرحل من الدسكرة ووقعت الهزيمة على العسكر الى النهروان وتركوا أثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت اليها أحد ولولا أن الله تعالى لطف بهم بحمى الملك طغرل وتأخره والا كان قد هلك العسكر والخليفة أيضا وأخذوا وكان السواقى مملوءة بالوحل والماء من السيل فتمزقوا ولو لحقهم مائة فارس لهلكوا ووصلت رايات الخليفة ودبيس وأصحابه نيام وتقدم الخليفة وأشرف على ديالى ودبيس نازل غرب النهروان والجسر ممدود شرق النهروان فلما أبصر دبيس شمسة الخليفة قبل الارض بين يدى الخليفة وقال أنا العبد المطرود فليعف امير المؤمنين عن عبده فرق الخليفة له وهم بصلحه حتى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه وركب دبيس ووقف بازاء عسكر يرنقش الزكوى يحادثهم ويماجنهم معهم ثم أمر الوزير الرجالة فعبروا الجسر آخر النهار فسار حينئذ دبيس عائدا الى الملك طغرل وسير الخليفة عسكرا مع الوزير فى أثره وعاد الى بغداد فدخلها وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان الملك طغرل ودبيسا عادا وسارا الى السلطان سنجر فاجتازا بهمذان فقسطا على أهلها مالا كثيرا وأخذوه وعاثوا فى تلك الاعمال فبلغ خبرهم السلطان محمودا فجد السير اليهم فانهزموا من بين يديه وتبعتهم العساكر فدخلوا خراسان الى السلطان سنجر وشكيا اليه من الخليفة ويرنقش الزكوى

﴿ذكر فتح البرسقى كفرطاب وانهزامه من الفرنج﴾

فى هذه السنة جمع البرسقى عساكره وسار الى الشام وقصد كفرطاب وحصرها فملكها من الفرنج وسار الى قلعة عزاز وهى من أعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها جوسلين فحصروها فاجتمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فلقيهم وضرب معهم مصافا واقتتلوا قتالا شديدا صبروا كلهم فيه فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر كثير وكان عدد القتلى أكثر من

وما كان من أمر اسفار بن شيرويه ومرداويج عند ذكرنا لآل أبى طالب وأمر ٢٢٣ الداعى الحسن بن القاسم الحسنى صاحب طبرستان ومقتله وخبر الاطروش الحسن بن على بن الحسن (قال المسعودى) وقد أتينا على ذكر سائر الاحداث والكوائن فى أيام من ذكرنا من الخلفاء والملوك فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا فى هذا الكتاب ما يكتفى به الناظر فيه وانتهى التصنيف فيه الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ونحن بفسطاط مصر والغالب على أمر الدولة والحضرة أبو الحسن أحمد ابن بويه الديلمى المسمى معز الدولة وأخوه الحسن ابن بويه صاحب بلاد أصبهان وكور الاهواز وغيرها المسمى ركن الدولة وأخوهما الاكبر والرئيس المعظم على بن بويه الملقب بعميد الدولة المقيم بأرض فارس والمدبر منهم لامر المطيع أحمد بن بويه معز الدولة وهو المحارب للبريديين بأرض البصرة والمطيع معه على حسب ما نمى الينا من أخبارهم ودللنا فى كتابنا هذا بالقليل على الكثير وبالجزء القليل على الجليل الخطير وذكرنا فى كل كتاب من هذه الكتب ما لم نذكره فى الا مختصرا الا ما لا يسع تركه ولم نجد بدا من ايراده لما دعت الحاجة الى وصفه وأتينا على أخبار أهل كل عصر وما حدث فيه من الاحداث وما كان فيه من

في حلب وقال لهم ان أهلها شيعة وهم يميلون الي لاجل المذهب فمتى رأوني سلموا البلد الي وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال اني أكون ههنا تابعا لكم ومطيعا لكم فساروا معه اليها وحصروها وقاتلوه قتالا شديدا ووطنوا نفوسهم على المقام الطويل وانهم لا يفارقونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لاجل البرد والحر فلما رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز وقلت الاقوات عندهم فلما رأوا ما دفعوا اليه من هذه الاسباب أعملوا الرأي في طريق يتخلصون به فرأوا انه ليس لهم غير البرسقي صاحب الموصل فارسلوا اليه يستنجدونه ويسألونه المجيء اليهم ليسلموا البلد اليه فجمع عساكره وقصدهم وأرسل الى من بالبلد وهو في الطريق يقول انني لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابي وصار أصحابي فيها لانني لا أدري ما يقدره الله تعالى اذا أنا لقيت الفرنج فان انهزمنا منهم وليست حلب بيد أصحابي حتى احتمي انا وعسكري بها لم يبق منا أحد وحينئذ تؤخذ حلب وغيرها فاجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقروا فيها واستولوا عليها سار في العساكر التي معه فلما أشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يراهم فاراد من في مقدمة عسكره ان يحمل عليهم فمنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر أمر حلب ونصلح حالها ونكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم فلما رحل الفرنج خرج أهل حلب والقوه وفرحوا به وأقام عندهم حتى أصلح الامور وقررها

((ذكر عدة حوادث))

في هذه السنة انقطعت الامطار في العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من البلاد فقلت الاقوات وغلت الاسعار في جميع البلاد ودام الى سنة تسع عشرة وفيها وصل منصور بن صدقة أخو دبيس الى بغداد تحت الاستظهار فرض بها فاحضر الخليفة الاطباء وأمرهم بمعالجته وأحضره عنده وجعل في حجرة وأدخل أصحابه اليه وفيها سار دبيس من الشام بعد رحيله عن حلب وقصد الملك طغرل فاغراه بالخليفة وأطمعه في العراق وكان ما نذكره سنة تسع عشرة ان شاء الله تعالى وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب ألموت وقد تقدم من أخباره ما يعلم به محله من الشجاعة والرأي والتجربة وفيها أيضا توفي داود ملك الابخاز وشمس الدولة بن نجم الدين ايلغازي وفيها ثار أهل آمد بمن فيها من الاسماعيلية وكانوا قد كثروا فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل فضعف أمرهم بها بعد هذه الوقعة وفيها في صفر توفي محمد ابن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفراني وهو من أصحاب الخطيب البغدادي وفيها توفي أحمد ابن علي بن برهان أبو الفتح الفقيه المعروف بابن الحمامي لان أباه كان حماميا وكان حنبليا تفقه على ابن عقيل ثم صار شافعيا وتفقه على الغزالي والشاشي

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة)

((ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه))

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة الى الملك طغرل من الشام فلما وصل اليه لقيه وأكرمه وأحسن اليه وجعله من أعيان خواصه وامرائه فحسن اليه دبيس قصد العراق وهون أمره عليه وضمن له انه يملكه فسار معه الى العراق فوصلوا دقوقا في عساكر كثيرة فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة خبرهما فتجهز للسير ومنعهما وأمر يرنقش الزكوي شحنة العراق ان يكون مستعدا للحرب وجمع العساكر والامراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة العساكر اثني عشر ألفا

وقتله لابن بدر الشرابي وخروجه من الحضرة ومن تبعه من الجيل والقرامطة مثل رافع وعمارة وغيرهم وكانوا أنصاره ومسيره الى ديار مصر ونزوله الرقة وما كان بينه وبين غيره ودخول يانس المؤنسي وجماعته ومسيره الى جند قنسرين والعواصم واخراجه طريفا اليشكري عنها وتوليته الثغر الشامي (وقد أتينا) في الكتاب الاوسط الذي كتابنا هذا تال له والاوسط لكتابنا أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة على ما كان منه ومحاربته الاخشيد ابن محمد بن طغج بالعريش من بلاد مصر وانكشافه ورجوعه الى دمشق وما كان من قتله لاخيه الاخشيد محمد بن طغج باللجون من بلاد الاردن وما كان قبل وقعة العريش بينه وبين عبد الله بن طغج وما كان معه من القواد وانكشافهم عنه واستئمان من استأمن منهم اليه مثل محمد بن بكس بن الخاصة وبكير الخاقاني غلام خاقان المفلحي وغيرهما وغير ذلك من أخباره وأخبار غيره وذكرنا مقتل طريف اليشكري في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة على باب طرسوس وما كان من وقعته مع الثملية وهم غلمان ثميل الخادم فأغنى ذلك عن اعادته مبسوطا في هذا الكتاب وانما تغلغل بنا الكلام في التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجبل سوى

باعمال بنوق فقصدها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك وكذلك العسكر المنفذ الى طرثيث قتلوا من أهلها فأكثروا وغنموا من أموالهم وعادوا

❁(ذكر ملك الاسماعيلية قلعة بانياس)❁

في هذه السنة عظم أمر الاسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس في ذي القعدة منها وسبب ذلك ان بهرام ابن أخت الاسداباذي لما قتل خاله ببغداد كما ذكرناه هرب الى الشام وصار داعي الاسماعيلية فيه وكان يتردد في البلاد ويدعو أوباش الناس وطغامهم الى مذهبه فاستجاب له منهم من لا عقل له فكثر جمعه الا انه يخفي شخصه فلا يعرف وأقام بحلب مدة ونفق على ايلغازي صاحبها وأراد ايلغازي ان يعتضد به لاتقاء الناس شره وشر أصحابه لانهم كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم وأشار ايلغازي على طغتكين صاحب دمشق بان يجعله عنده لهذا السبب فقبل رأيه وأخذه اليه فاظهر حينئذ شخصه وأعلن عداوته فكثر اتباعه من كل من يريد الشر والفساد وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المزدغاني قصد الاعتضاد به على ما يريد فعظم شره واستفحل أمره وصار اتباعه اضعاف ما كانوا فلولا ان عامة دمشق يغلب عليهم مذاهب أهل السنة وانهم يشددون عليه فيما ذهب اليه لملك البلد ثم ان بهرام رأى من أهل دمشق فظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا يأوي اليه هو ومن اتبعه فاشار الوزير بتسليم قلعة بانياس اليه فسلمت اليه فلما سار اليها اجتمع اليه أصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين لاسيما أهل السنة والستر والسلامة الا انهم لا يقدرون على ان ينطقوا بحرف واحد خوفا من سلطانهم أولا ومن شر الاسماعيلية ثانيا فلم يقدم أحد على انكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر

❁(ذكر قتل البرسقي وملك ابنه عز الدين مسعود)❁

في هذه السنة ثامن ذي القعدة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقي صاحب الموصل بمدينة الموصل قتلته الباطنية يوم جمعة بالجامع وكان يصلي الجمعة مع العامة وكان قد رأى تلك الليلة في منامه ان عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقي ما آذاه فقص رؤياه على أصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة أيام فقال لا أترك الجمعة لشيء أبدا فغلبوا على رأيه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فأخذ المصحف يقرأ فيه فأول ما رأى وكان أمر الله قدرا مقدورا فركب الى الجامع على عادته وكان يصلي في الصف الاول فوثب عليه بضعة عشر نفسا عدة الكلاب التي رآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان مملوكا تركيا خيرا يحب أهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات في أوقاتها ويصلي من الليل متهجدا وحكى لي والدي رحمه الله عن بعض من كان يخدمه قال كنت فراشا معه فكان يصلي كل ليلة كثيرا وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين باحد ولقد رأيته في بعض ليالي الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبر وبيده ابريق فمشى نحو دجلة ليأخذ ماء فمنعني البرد من القيام ثم انني خفته فقمت بين يديه لآخذ الابريق منه فمنعني وقال يا مسكين ارجع الى مكانك فانه برد فاجتهدت لآخذ الابريق فلم يعطني وردني الى مكاني ثم توضأ وقام يصلي ولما قتل كان ابنه عز الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فارسل اليه

منورا ذا أنواع مختلفة وفنون متباينة فنظم منها ما شاكلها واتخذ مقدار منه ما لا يليق بالاطالة وليعلم من نظر فيه أني لم أتعصب فيه لمذهب ولا تعصبت الى قول ولا حكيت عن الناس الا مجالس أخبارهم ولم أعرض فيه لغير ذلك فلنذكر الآن الباب التالي من جامع التاريخ على حسب ما قدمنا الوعد بايراده في صدر هذا الكتاب

❁(ذكر جامع التاريخ الباقي من الهجرة الى هذا الوقت)❁

وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذي فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب قد أفردنا فيما سلف من هذا الكتاب بابا للتاريخ في تاريخ العالم والانبياء والملوك الى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه الى هجرته ثم ذكرنا هجرته الى وفاته وأيام الخلفاء والملوك الى هذا الوقت على حسب ما يوجبه الحساب وما في كتب السير وأصحاب التواريخ ممن عني باخبار الخلفاء والملوك ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما في كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم على حسب ما يوجبه تاريخهم فلنذكر في هذا الباب جميع ما أثبتوه في كتب زيجات النجوم من الهجرة الى هذا الوقت المؤرخ ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الاخباريين

والمنجمين وما اتفقوا عليه من ذلك فالذي وجدناه من ذلك في كتاب الزيجات أن الابتداء في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى للتروية وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة تسعمائة وثلاثة وثلاثين للذي القرنين وكانت هجرة النبي

ألف قتيل من المسلمين وعاد منهزما الى حلب فخافهم ابنه مسعود وعبر الفرات الى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر قتل المأمون بن البطائحى﴾

فى هذه السنة فى رمضان قبض الآمر بأحكام الله العلوى صاحب مصر على وزيره أبى عبد الله ابن البطائحى الملقب بالمأمون وصلبه واخوته وكان ابتداء أمره أن أباه كان من جواسيس الافضل بالعراق فمات ولم يخلف شيأ فتزوجت أمه وتركته فقيرا فاتصل بانسان يتعلم البناء بمصر ثم صار يحمل الامتعة بالسوق الكبير فدخل مع الحمالين الى دار الافضل أمير الجيوش مرة بعد أخرى فرآه الافضل خفيفا رشيقا حسن الحركة حلو الكلام فأعجبه فسأل عنه فقيل هو ابن فلان فاستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتى صار وزيرا وكان كريما واسع الصدر قتالا سفاكا للدماء وكان شديد التحرز كثير التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد مصر والشام والعراق وكثر الغمازون فى أيامه وأما سبب قتله فانه كان قد أرسل الامير جعفرا أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبى أسامة وكان خصيصا بالآمر قريبا منه وقد ناله من الوزير أذى واطراح فحضر عند الآمر وأعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل الاحسان بالاساءة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفى شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر وتعرف قديما بقلعة دوسر وفيها قتل القاضى أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروى بهمذان قتله الباطنية وكان قد مضى الى خراسان فى رسالة الخليفة الى السلطان سنجر فعاد فقتل وكان ذا مروءة غزيرة وتقدم كثير فى الدولة السلجوقية وفى هذه السنة توفى هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد وهو من ولد بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو سعد طاف البلاد وسمع وقرأ القرآن وكان موته بسمرقند

﴿ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس﴾

فى هذه السنة عظم شأن ابن ردمير الفرنجى بالاندلس واستطال على المسلمين فخرج فى عساكر كثيرة من الفرنج وجاس فى بلاد الاسلام وخاضها حتى وصل الى قريب قرطبة وأكثر النهب والسبى والقتل فاجتمع المسلمون فى جيش عظيم زائد الحد فى الكثرة وقصدوه فلم يكن له بهم طاقة فتحصن منهم فى حصن منيع له اسمه ارنيسول فحصروه وكبسهم ليلا فانهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعاد الى بلاده

﴿ذكر قصد بلاد الاسماعيلية بخراسان﴾

فى هذه السنة أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية وقتلهم أين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب أموالهم وسبى حريمهم وجهز جيشا الى طريثيث وهى لهم وجيشا الى بيهق من أعمال نيسابور وكان فى هذه الاعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز ومقدمهم بها انسان اسمه الحسن بن سمين وسير الى كل طرف من أعمالهم جمعا من الجند ووصاهم أن يقتلوا من لقوهم منهم فقصد كل طائفة الى الجهة التى سيرت اليها فاما القرية التى

أعمال

الكوائن الى وقتنا هذا مع ما أسلفناه فى هذا الكتاب من ذكر البدو والحضر والعامر منها والغامر والدول وسيرها والامم وأخبارها وأرجو أن يفسح الله تعالى لنا فى البقاء ويمدنا بالعمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنونا من الاخبار وأنواعا من طرائف الآثار على غير نظم من التأليف ولا ترتيب من التصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومختلط الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا بما تقدم من تصنيفنا وجميع ما أوردناه فى هذا الكتاب لا يسع ذوى الدراية جهله ولا يعذر فى تركه والتغافل عنه فمن عد أبواب كتابى هذا ولم يمعن النظر فى قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ما قلنا ولا عرف للعلم مقداره فلقد جمعنا فيه فى عدة السنين باجتهاد وتعب عظيم وجولان فى الاسفار وطواف فى البلدان من الشرق والغرب وكثير من الممالك غير مملكة الاسلام فمن قرأ كتابنا هذا فليتدبره بعين المحبة وليتفضل هو باصلاح ما أنكره مما غيره الناسخ وصحفه الكاتب وليرع لى نسبة العلم وحرمة الادب وموجبات الرواية مما تجشمت من التعب فيها فان منزلتى فيه وفى نظمه وتأليفه بمنزلة من وجد جوهرا

وتغافل عن عقاب حتى نمت المودة كانت بينهما ثم ان الخليفة جمع السفن جميعها اليه وسد أبواب دار الخلافة سوى باب النوبي وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشي الخليفة بالجانب الشرقي سواه ووصل السلطان الى بغداد في العشرين من ذي الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره الى بغداد ونزلوا في دور الناس فشكا الناس ذلك الى السلطان فأمر باخراجهم وبقي فيها من له دار وبقي السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع وكان يجري بين العسكرين مناوشة والعامة من الجانب الغربي يسبون السلطان أفحش سب ثم ان جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة أول المحرم سنة احدى وعشرين وضج أهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا الغزاة فاقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من السرادق والشمسة على رأسه والوزير بين يديه وأمر بضرب الكوسات والبوقات ونادى بأعلى صوته بالهاشم وأمر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له في الدار ألف رجل مختفين في السرداب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فأسر منهم جماعة من الامراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامراء ودار عزيز الدين المستوفي ودار الحكيم أوحد الزمان الطبيب وقتل منهم خلق كثير في الدروب ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقي ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الامر عليهم وكان القتال كل يوم عليهم عند أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الامير أبو الهيجاء الكردي صاحب اربل وخرج كأنه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد أرسل الى عماد الدين بواسط يأمره أن يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة في السفن وعلى الدواب في البر فجمع كل سفينة في البصرة الى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة وأكثر من السلاح وأصعد فلما قارب بغداد أمر كل من معه في السفن وفي البر بلبس السلاح واظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن في الماء والعسكر في البر على شاطئ دجلة قد انتشروا وملؤا الارض برا وبحرا فرأى الناس منظرا عجيبا كبر في أعينهم وملأ صدورهم وركب السلطان والعسكر الى لقائهم فنظروا الى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين في أعينهم وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ والجد في ذلك في البر والماء فلما رأى الامام المسترشد بالله الامر على هذه الصورة وخروج الامير أبي الهيجاء من عنده أجاب الى الصلح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه باذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوي الدنيا فعل مثل هذا وأقام ببغداد الى رابع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وحمل الخليفة من المال اليه كل ما استقرت القاعدة عليه وأهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك فمرض السلطان ببغداد فأشار عليه الاطباء بمفارقتها فرحل الى همذان فلما وصلها عوفي

﴿ذكر مصاف بين طغتكين أتابك والفرنج بالشام﴾

في هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقمامصتها وكنودها وساروا الى نواحي دمشق فنزلوا

(عمر) بن عبد العزيز بن مروان سنتين وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما (يزيد) بن عبد الملك أربع سنين ويوما واحدا (هشام) بن عبد الملك تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام فذلك مائة سنة وأربعة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام (الوليد) ابن يزيد بن عبد الملك حتى قتل سنة وشهرين وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوما وكانت الفتنة بعد مقتله بشهرين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنان وعشرون يوما (يزيد) بن الوليد بن عبد الملك شهرين وسبعة أيام فذلك مائة وخمس وعشرون سنة وأحد عشر شهرا ويوم واحد (ابراهيم) ابن الوليد بن عبد الملك حتى خلع شهرين وأحد عشر يوما فذلك مائة سنة وست وعشرون سنة وشهر واثنا عشر يوما (مروان) بن محمد حتى قتل خمس سنين وشهرين فذلك مائة سنة واحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوما

﴿ذكر الخلفاء من بني هاشم﴾

أبو العباس عبد الله بن محمد أربع سنين وثمانية أشهر ويومين فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة واحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما حتى انتهت البيعة الى المنصور وأربعة عشر يوما فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما (أبو جعفر) عبد الله بن محمد المنصور احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة أيام حتى انتهى الخبر الى المهدي اثنى عشر يوما فذلك مائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا

أصحاب أبيه بالخبر فسار الى الموصل ودخلها أول ذي الحجة وأحسن الى أصحاب أبيه بها وأمر وزيره المؤيد أبا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزاق على وزارته وأطاعه الامراء والاجناد وانحدر الى خدمة السلطان محمود فأحسن اليه وأعاده ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد أبيه ووقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن أخبارهم فقيل انهم كانوا يجلسون الى اسكاف بدرب ايليا فاحضر ووعد الاحسان ان أقر فلم يقر فهدد بالقتل فقال انهم وردوا من سنين اقتله فلم يكونوا منه الى الآن فقطعت يداه ورجلاه وذكره ورجم بالحجارة فمات ومن العجب ان صاحب انطاكية أرسل الى عز الدين بن البرسقي يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدة عنايته بمعرفة الاحوال الاسلامية ولما استقر عز الدين في الولاية قبض على الامير بابكر بن ميكائيل وهو من أكابر الامراء وطلب منه ان يسلم ابن أخيه قلعة اربل الى الامير فضل وأبي علي ابني أبي الهيجاء وكان ابن أخيه قد أخذها منه سنة سبع عشرة فراسل ابن أخيه بتسليم اربل الى المذكورين

❀(ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود)❀

كان قد جرى بين يرنقش الزكوي شحنة بغداد وبين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدده الخليفة فيها فخافه على نفسه فسار عن بغداد الى السلطان محمود في رجب من هذه السنة وشكا اليه وحذره جانب الخليفة وأعلمه انه قد قاد العساكر ولقي الحروب وقويت نفسه ومتى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه وحينئذ يتعذر عليك ماهو الآن بيده فتوجه السلطان نحو العراق فارسل اليه الخليفة يعرفه ما البلاد وأهلها عليه من الضعف والوهن بسبب دبيس وافساد عسكره فيها وان الغلاء قد اشتد بالناس لعدم الغلات والاقوات لهرب الاكرة عن بلادهم ويطلب منه ان يؤخر هذه الدفعة الى ان يصلح حال البلاد ثم يعود اليها ولا مانع له عنها وبذل له على ذلك مالا كثيرا فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوي عنده ما قرره الزكوي وأبى أن يجيب الى التأخر وصمم العزم وسار اليها مجدا فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحرمه ومن عنده من أولاد الخلفاء الى الجانب الغربي في ذي القعدة مظهرا للغضب والانتزاح عن بغداد ان قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيما لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وبلغ منه كل مبلغ فارسل يستعطف الخليفة ويسأله العود الى داره فاعاد الجواب انه لابد من عودك هذه الدفعة فان الناس هلكى بشدة الغلاء وخراب البلاد وانه لا يرى في دينه ان يزداد ما بهم وهو يشاهدهم فان عاد السلطان والا رحل هو عن العراق لئلا يشاهد ما يلقى الناس بمجيء العساكر فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد وأقام الخليفة بالجانب الغربي فلما حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وأرسل عفيفا الخادم وهو من خواصه في عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فارسل السلطان اليه عماد الدين زنكي بن آقسنقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقي واتصل بالسلطان فاقطعه البصرة فلما وصل عفيف الى واسط سار اليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقي وكان عفيف بالجانب الغربي فارسل اليه عماد الدين يحذره القتال ويأمره بالانتزاح عنها فأبى ولم يفعل فعبر اليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر مثلهم

صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة سنة احدى بعد ان مضى منها شهران وثمانية أيام فمكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين واحدى عشر شهرا واثنين وعشرين يوما فذلك عشر سنين وشهران (أبو بكر) الصديق رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام فذلك اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما فذلك اثنتان وعشرون سنة (عثمان بن عفان) رضي الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما (علي) بن أبي طالب رضي الله عنه أربع سنين وسبعة أشهر فذلك تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما والى بيعة معاوية ابن أبي سفيان ستة أشهر وثلاثة أيام فذلك أربعون سنة وشهران وعشرون يوما (معاوية) بن أبي سفيان رضي الله عنه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة وعشرون يوما (يزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر (معاوية) بن يزيد بن معاوية ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما (مروان) بن الحكم أربعة أشهر (عبد الله) ابن الزبير ثمان سنين وخمسة أشهر (عبد الملك) بن مروان حتى قتل ابن الزبير سنة وشهرين وستة أيام ❀ذكر أيام بني مروان❀ عبد الملك بن مروان بن الحكم اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وخمسة وتغافل أيام (الوليد) بن عبد الملك تسع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما (سليمان) بن عبد الملك سنتين وسبعة أشهر وعشرين يوما

ببغداد وقبض على وزيره أبي القاسم علي بن القاسم الانساباذي في رجب لانه اتهمه عمالاة المسترشد بالله لقيامه في أمره واتمام الصلح فقاما ظاهر أمره فسعى به أعداؤه فلما قبض عليه أرسل السلطان الى بغداد أحضر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان مقيما بها فلما علم بذلك جاءته الهدايا من كل أحد حتى من الخليفة وسار عن بغداد خامس شعبان فوصل الى السلطان وهو باصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقي فيها نحو عشرة أشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد الى بغداد في شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة واما الوزير أبو القاسم فانه بقي مقبوضا الى ان خرج السلطان سنجر الى الري سنة اثنتين وعشرين فاخرجه من الحبس في ذي الحجة وأعاده الى وزارة السلطان محمود وهي الوزارة الثانية

(ذكر وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي الموصل واعمالها)

في هذه السنة توفي عز الدين مسعود بن البرسقي وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة وسبب مسيره اليها انه لما استقامت أموره في ولايته وراسل السلطان محمودا وخطب له ولاية ما كان أبوه يتولاه من الموصل وغيرها فاجاب السلطان الى ما طلب فرتب الامور وقررها فكثر جنده وكان شجاعا شهما فطمع في التغلب على بلاد الشام فجمع عساكره وسار الى الشام يريد قصد دمشق فابتدأ بالرحبة فوصل اليها ونازلها وقام يحاصرها فاخذه مرض حاد وهو يحاصرها فتسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها اليه ولما مات بقي مطروحا على بساط لم يدفن وتفرق عنه عسكره ونهب بعضهم بعضا فشغلوا عنه ثم دفن بعد ذلك وقام بعده أخ له صغير واستولى على البلاد مملوك للبرسقي يعرف بالجاولي ودبر أمر الصبي وأرسل الى السلطان يطلب ان يقرر البلاد على ولد البرسقي وبذل الاموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول في هذا الامر القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد أمير حاجب البرسقي فحضرا درگاه السلطان ليخاطبا في ذلك وكانا يخافان جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بما يحكم به فاجتمع صلاح الدين ونصير الدين جقر الذي صار نائبا عن اتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وأفشى اليه سره فخوفه نصير الدين من جاولي وقبح عنده طاعته وقرر في نفسه انه انما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ومتى أجيب الى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم وتحدث معه في المخاطبة في ولاية عماد الدين زنكي وضمن له الولايات والاقطاع الكثيرة وكذلك للقاضي بهاء الدين الشهرزوري فاجابه الى ذلك واحضره معه عند القاضي بهاء الدين وخاطباه في هذا الامر وضمناله كل ما أراده فوافقهما على ما طلباه وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير وهو حينئذ شرف الدين انوشروان بن خالد وقالا له قد علمت أنت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها فاستولوا على اكثرها وقد أصبحت ولايتهم من حدود ماردين الى عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقي مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر اليه يكف بعض عاديتهم وشرهم فمذ قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع ذي رأي وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمي حوزتها وقد أنهينا الحال لئلا يجري خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ويقال لم لا أنهيتم الينا جلية الحال فرفع الوزير قولهما الى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه وأحضرهما

مائتان واحدى وخمسون سنة وأربعة أيام والى أن خلع الا ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما فذلك مائتان وأربعة وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة وعشرون يوما والى بيعة المهتدى يومين فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وسبعة أشهر (المهتدى) احد عشر شهرا وثمانية وعشرين يوما فذلك مائتان وخمس وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام فذلك مائتان وثمانون سنة وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما (المقتدر) حتى خلع احدى وعشرين سنة وشهرين وخمسة أيام فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وتسعة عشر يوما (ابن المعتز) حتى خلع يومين فذلك ثلثمائة سنة وستة عشر سنة واحدى وعشرون يوما (المقتدر) حتى قتل ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وتسع عشرة سنة وعشرون يوما (القاهر) حتى خلع سنة وستة أشهر واثني عشر يوما فذلك ثلثمائة واحدى وعشرون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام (الراضي) ست سنين وأحد عشر شهرا وثمانية ايام فذلك ثلثمائة وثمانية وعشرون سنة وسبعة عشر يوما (المتقي) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما فذلك ثلثمائة واثنتان وثلاثون سنة وشهر واحد وثلاثة ايام (المستكفي) سنة وثلاثة أشهر فذلك ثلثمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة وسبعة أشهر واثنا عشر يوما (المطيع لله) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلثمائة وخمسة وثلاثون سنة وأربعة أشهر الا ثلاث ليال

وثمانية عشر يوما (المهدى) عشر سنين وشهرا واحدا وخمسة أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وثلاثة عشر يوما حتى انتهى
الخبر الى الهادى ثمانية أيام فذلك مائة ٢٣٨ وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد (الهادى) سنة وثلاثة أشهر فذلك مائة

عرج الصفر عند قرية يقال لها شقحبا بالقرب من دمشق فعظم الامر على المسلمين واشتد خوفهم وكاتب طغتكين أتابك صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار عن دمشق الى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بورى فكان بها كلما جاءت طائفة أحسن ضيافتهم وسيرهم الى أبيه فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين الى الفرنج فالتقوا أواخر ذى الحجة واقتتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه فظن اصحابه انه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقى التركمان لم يقدروا أن يلحقوا بالمسلمين فى الهزيمة فتخلفوا فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وان معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجالة فقتلوهم ولم يسلم منهم الا الشريد ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم وأموالهم وجميع مامعهم وفى جملته كنيسة فيها من الذهب والجوهر مالا يقوم كثرة فنهبوا ذلك جميعه وعادوا الى دمشق سالمين لم يعدم منهم أحد ولما رجع الفرنج من أثر المنهزمين ورأوا رجالتهم قتلى وأموالهم منهوبة تموا منهزمين لا يلوى الاخ على أخيه وكان هذا من الغريب ان طائفتين تنهزمان كل واحدة منهما من صاحبتها

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة حصر الفرنج رفنية من أرض الشام وهى بيد المسلمين وضيقوا عليها فملكوها وفيها توفى أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد الغزالى الواعظ وهو أخو الامام أبى حامد محمد وقد ذمه أبو الفرج بن الجوزى باشياء كثيرة منها روايته فى وعظه الاحاديث التى ليست له بصحة والعجب انه يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو ووعظه محشو به مملوء منه نسأل الله ان يعيذنا من الوقيعة فى الناس ثم ياليت شعرى اما كان للغزالى حسنة تذكر مع ماذكر من المساوى التى نسبها اليه لئلا ينسب الى الهوى والغرض

﴿ ثم دخلت سنة احدى وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكى شحنكية العراق ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر أسند السلطان محمود شحنكية العراق الى عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان سبب ذلك ان عماد الدين لما اصعد من واسط فى التجمل والجمع الذى ذكرناه وقام فى حفظ واسط والبصرة وتلك النواحى القيام الذى عجز غيره عنه عظم فى صدر السلطان وصدور أمرائه فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح ان يلى شحنكية العراق يأمن معه من الخليفة فاعتبر امراءه وأعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم فى هذا الامر مقام عماد الدين فاستشار فى ذلك فكل أشار به وقالوا لانقدر على رقع هذا الخرق واعادة ناموس هذه الولاية ولا تقوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكى فوافق ماعنده فاسند اليه الولاية وفوضها اليه مضافة الى ماله من الاقطاع وسار عن بغداد وقد اطمأن قلبه من جهة العراق فكان الامر كما ظن

﴿ ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة أنوشروان بن خالد ﴾

فى هذه السنة فى عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداد بعد تقرير القواعد بها ولما عزم على المسير حمل اليه الخليفة الخلع والدواب الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولما ابعد عن

وتسع وستون سنة وشهران وستة عشر يوما (الرشيد) ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوما فذلك مائة واثنتان وتسعون سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما (الامين) حتى خلع وحبس ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما وأخرج وبويع له وحارب وحوصر حتى قتل سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوما (المأمون) عشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما فذلك مائتان وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوما (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر ويوما فذلك مائتان وستة وعشرون سنة وشهران وتسعة عشر يوما (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام فذلك مائتان واحدى وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وأربعة وعشرون يوما (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام فذلك مائتان وست وأربعون سنة وتسعة أشهر ويوم واحد (المنتصر) ستة أشهر فذلك

مائتان وسبعة وأربعون سنة وثلاثة أشهر ويوم واحد الى أن انحدر المستعين الى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر بغداد
وثلاثة أيام فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوما والى أن خطب للمعتز بمدينة السلام احد عشر شهرا وعشرين يوما فذلك

وأطاعوه وسلموا اليه فلما ملكها ارسل الى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدة يسيرة وكان غرضه أن يتفرغ لاصلاح البلاد وجند الاجناد وكان أهم الامور اليه ان يعبر الفرات الى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصلح بينهم وأمن الناس ونحن نذكر ملك حلب ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قتل معين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتلته الباطنية وكان له في قتالهم آثار حسنة ونية صالحة فرزقه الله الشهادة وفيها ولى السلطان شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز لما سار أتابك زنكى الى الموصل وفيها رتب الحسن بن سلمان في تدريس النظامية ببغداد وفيها أوقع السلطان سنجر بالباطنية في ألموت فقتل منهم خلقا كثيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس وتوفى هذه السنة على بن المبارك أبو الحسن المقرى المعروف بابن الفاعوس الحنبلي ببغداد في شوال وكان صالحا وفى شوال توفى محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن أحمد أبو الحسن بن أبي الفضل الهمذاني الفرضى صاحب التاريخ

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك أتابك عماد الدين زنكى مدينة حلب)

في هذه السنة أول المحرم ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها فنقول قد ذكرنا ملك البرسقى لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعودا ولما قتل البرسقى سار مسعود عنها الى الموصل وملكها واستناب بحلب أميرا اسمه قومان ثم انه ولى عليها أميرا اسمه قتلغ ابه وسيره بتوقيع الى قومان بتسليمها فقال بيني وبين عز الدين علامة لم أرها ولا أسلم الا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقى حسن التصوير فعاد قتلغ ابه الى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد الى حلب مسرعا وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد وأطاعه المقدمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد ان صح عنده وفاة صاحبه مسعود وأعطوه ألف دينار فتسلم قتلغ القلعة في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين فظهر منه بعد أيام جور شديد وظلم عظيم ومد يده الى أموال الناس لاسيما التركات فانه أخذها وتقرب اليه الاشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذى كان قد ملكها قبل فأطاعه أهلها وقاموا ليلة الثلاثاء ثانى شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من أصحاب قتلغ ابه وكان أكثرهم يشربون في البلد صبيحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصن قتلغ ابه فيها بمن معه فحصروه ووصل الى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة لاصلاح الامر فلم ينصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره الى المدينة فصونع بمال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب انطاكية في جمع من الفرنج فخندق الحلبيون حول القلعة فمنع الداخل والخارج اليها من ظاهر البلد وأشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذى الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير الى حلب الامير سنقر دراز والامير حسن قراقوش وهما من أكابر أمراء البرسقى وقد صاروا معه في عسكر قوى ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقر الامر ان يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وقتلغ ابه الى الموصل الى عماد الدين فسارا

(سليمان) بن عبد الملك سنتين وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوما (عمر) بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (يزيد) بن عبد الملك أربع سنين وشهرا ويومين (هشام) بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر واحدى عشرة ليلة (الوليد) بن يزيد سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما (مروان) بن محمد خمس سنين وعشرة أيام (عبد الله) ابن محمد السفاح أربع سنين وتسعة أشهر (المنصور) اثنين وعشرين سنة الا تسع ليال (المهدى) عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما (الهادى) سنة وستة أشهر (الرشيد) ثلاثة وعشرين سنة وستة أشهر (الامين) أربع سنين وستة أشهر (المأمون) احدى وعشرين سنة سواء (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال (المنتصر) ستة أشهر (المستعين) ثلاث سنين وثمانية أشهر (المعتز) أربع سنين وستة أشهر (المهتدى) احد عشر شهرا (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة (المعتضد) تسع سنين وتسعة أشهر ويومين (المكتفى) ست سنين وستة أشهر ويومين (المقتدر) أربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما (القاهر) سنة وستة أشهر وستة أيام (الراضى) ست سنين واحد عشر شهرا وثمانية أيام (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر (المطيع) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما (وثمن ذو مل من الله)

واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه تقربا الى خزانة السلطان مالا جليلا فأجاب السلطان الى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فأحضره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وسار فبدأ بالبوازيج ليملكها ويتقوى بها ويجعلها ظهره لانه خاف من جاولي انه ربما صده عن البلاد فلما دخل البوازيج سار عنها الى الموصل فلما سمع جاولي بقربه من البلد خرج الى تلقيه ومعه جميع العسكر فلما رآه جاولي نزل عن فرسه وقبل الارض بين يديه وعاد في خدمته الى الموصل فدخلها في رمضان وأقطع جاولي الرحبة وسيره اليها وأقام بالموصل يصلح أمورها ويقرر قواعدها فولى نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل وجعل اليه سائر دزدارية القلاع وجعل صلاح الدين محمدا أميرا حاجبا وبهاء الدين قاضي قضاة بلاده جميعها وزاده أملاكا واقطاعا واحتراما وكان لا يصدر الا عن رأيه فلما فرغ من أمر الموصل سار عنها الى جزيرة ابن عمر وبها مماليك البرسقي فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم البذول الكثيرة ان سلموا فلم يجيبوه الى ذلك فجد في قتالهم وبينه وبين البلد دجلة فأمر الناس فالقوا أنفسهم في الماء ليعبروه الى البلد ففعلوا وعبر بعضهم سباحة وبعضهم في السفن وبعضهم في الاكلاك وتكاثروا على أهل الجزيرة وكانوا قد خرجوا عن البلد الى أرض بين الجزيرة ودجلة تعرف بالزلاقة ليمنعوا من يريد عبور دجلة فلما عبر العسكر اليهم قاتلوهم ومانعوهم فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم فانهزم أهل البلد ودخلوه وتحصنوا باسواره واستولى عماد الدين على الزلاقة فلما رأى من بالبلد ذلك ضعفوا ووهنوا وأيقنوا أن البلد يملك سلما أو عنوة فارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وكان هو أيضا مع عسكره بالزلاقة فسلموا البلد اليه فدخله هو وعسكره ثم ان دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة فلحقت سور البلد وصارت الزلاقة ماء فلو أقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره ولم ينج منهم احد فلما رأى الناس ذلك أيقنوا بسعادته وأيقنوا ان امرا هذا بدايته لعظيم ثم سار عن الجزيرة الى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش صاحب ماردين فلما نازلها سار حسام الدين الى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن ارتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده على اتابك زنكي فوعده النجدة بنفسه وجمع عسكره وعاد تمرتاش الى ماردين وأرسل رقاعا على أجنحة الطيور الى نصيبين يعرف من بها من العسكر انه وابن عمه سائران في العسكر الكثير اليهم وازاحة عماد الدين عنهم ويأمرهم بحفظ البلد خمسة أيام فبينما اتابك في خيمته اذ سقط طائر على خيمة تقابله فأمر به فصيد فرأى فيه رقعة فقرأها وعرف ما فيها فأمر ان يكتب غيرها يقول فيها انني قصدت ابن عمي ركن الدولة وقد وعدني النصرة وجمع العساكر وما يتأخر عن الوصول اكثر من عشرين يوما ويأمرهم بحفظ البلد هذه المدة الى ان يصلوا وجعلها في الطائر وأرسله فدخل نصيبين فلما وقف من بها على الرقعة سقط في أيديهم وعلموا انهم لا يقدرون ان يحفظوا البلد هذه المدة فارسلوا الى الشهيد وصالحوه وسلموا البلد اليه فبطل على تمرتاش وداود ما كانا عزما عليه وهذا من غريب ما يسمع فلما ملك نصيبين سار عنها الى سنجار فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموا البلد اليه وسير منها الشحن الى الخابور فملكه جميعه ثم سار الى حران وهي للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحي جميعها للفرنج وأهل حران معهم في ضر عظيم وضيق شديد لخلو البلاد من حام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج أهل البلد

(قال المسعودي) وسنو الهجرة فخرية وبها هذا التاريخ وتاريخ أصحاب الاخبار والسيرة أرخ من زيادات الشهور والايام ومولانا فيما ذكرناه من التاريخ من ٣٣٢ الهجرة الى هذا الوقت على ما وجدناه في كتب الزيجات وكان أهل هذه الصناعة يراعون هذه الاوقات ويحيطون علمها على التحديد والذي نقلناه من التاريخ من زيج أبي عبد الله محمد ابن جابر البتاني وغيره من الزيجات الى هذا الوقت وأما ما قدمنا ذكره في هذا الوقت من الهجرة الى هذا الوقت فانا نعيد ذكره مفصلا في هذا الكتاب لكي يقرب تناوله على الطالب له ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات (فالذي صح) من تاريخ أصحاب السير والاخبار من اهل النقل والآثار أنه بعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم (أبو بكر) سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام (عمر) بن الخطاب عشر سنين وتسعة أشهر وأربع ليال (عثمان) بن عفان احدى عشرة سنة (علي) ابن أبي طالب أربع سنين (الحسن) بن علي ستة أشهر وعشرة أيام (معاوية) بن ابي سفيان سبع عشرة سنة وثمانية أشهر (يزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثمان ليال (معاوية) بن يزيد شهرا واحدا واحد عشر يوما (مروان) بن الحكم ثمانية اشهر وخمسة وا... أيام (عبد الملك) بن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا (الوليد) بن عبد الملك سبع سنين وثمانية أشهر ويومين

وصوّرت معنى العقل شخصاً مصوّراً * وان أمير المؤمنين مثاله
ولولا طريق الدين والشرع والتقى * لقلت من الاعظام جلّ جلاله

وأقيم في النيابة بعده شرف الدين علي بن طراد الزينبي ثم جعل وزيراً وخلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يوزر للخلفاء من بني العباس هاشمي غيره وفيها هبت ريح شديدة اسودّ لها الآفاق وجاءت بتراب أحمر يشبه الرمل وظهر في السماء أعمدة كأنها نار فخاف الناس وعدلوا الى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم ما يخافونه

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداد﴾

في هذه السنة في المحرم قدم السلطان محمود بغداد بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر ومعه دبيس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتأخر دبيس عن السلطان ثم دخل بغداد ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الاجابة الى ان تولى دبيس شيأ من البلاد وبذل مائة ألف دينار لذلك وعلم أتابك زنكي أن السلطان يريد أن يولي دبيس الموصل فبذل مائة ألف دينار وحضر بنفسه الى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به الا وهو عند الستر وحمل معه الهدايا الجليلة فاقام عند السلطان ثلاثة أيام وخلع عليه وأعاده الى الموصل وخرج السلطان يتصيد فعمل له شيخ المزرفة دعوة عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان وأدخله الى حمام في داره وجعل فيها عوض الماء ماء الورد فاقام السلطان الى رابع جمادى الآخرة وسار عنها الى همذان وجعل بهروز على شحنكية بغداد وسلمت اليه الحلة أيضاً

﴿ذكر ما فعله دبيس بالعراق وعود السلطان الى بغداد﴾

لما رحل السلطان الى همذان ماتت زوجته وهي ابنة السلطان سنجر وهي التي كانت تعنى بأمر دبيس وتدافع عنه فلما ماتت انحل أمر دبيس ثم ان السلطان مرض مرضاً شديداً فاخذ دبيس ابناً له صغيراً وقصد العراق فلما سمع المسترشد بالله بذلك جند الاجناد وحشد وكان بهروز بالحلة فهرب منها فدخلها دبيس في شهر رمضان فلما سمع السلطان الخبر عن دبيس أحضر الاميرين قزل والاحمديلي وقال أنتما ضمنتما دبيساً مني وأريده منكما فسار الاحمديلي الى العراق الى دبيس ليكف شره عن البلاد ويحضره الى السلطان فلما سمع دبيس الخبر ارسل الى الخليفة يستعطفه ويقول ان رضيت عني فانا أرد أضعاف ما أخذت وأكون العبد المملوك فتردد الرسل ودبيس يجمع الاموال والرجال فاجتمع معه عشرة آلاف فارس وكان قد وصل في ثلثمائة فارس ووصل الاحمديلي بغداد في شوال وسار في أثر دبيس ثم ان السلطان سار الى العراق فلما سمع دبيس بذلك أرسل اليه هدايا جليلة المقدار وبذل ثلثمائة حصان منعلة بالذهب ومائتي ألف دينار ليرضى عنه السلطان والخليفة فلم يجبه الى ذلك ووصل السلطان الى بغداد في ذي القعدة فلقيه الوزير الزينبي وأرباب المناصب فلما تيقن دبيس وصوله رحل الى البرية وقصد البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة ومال الخليفة والسلطان هنالك من الدخل فسير السلطان اثره عشرة آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية

﴿ذكر قتل الاسماعيلية بدمشق﴾

بدنة ثم أرسل على أثره علي بن أبي طالب رضي الله عنه فادركه بالعرج ومعه سورة براءة فاذن بها يوم النحر عند العقبة فاقام أبو بكر الحج وخطب أبو بكر بمكة قبل التروية بيوم ويوم عرفة بعرفة ويوم النحر بمنى ثم كانت سنة عشر فحج بالناس سيد المرسلين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كانت سنة احدى عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كانت سنة اثنتي عشرة فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم كانت سنة ثلاث عشرة فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة أربع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كانت سنة خمس عشرة فحج بالناس ثم كانت سنة ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة سبع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثمان عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة تسع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة عشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة احدى وعشرين فحج بالناس عمر ابن الخطاب ثم كانت سنة اثنتين وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثلاث وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم قتل رضي الله عنه آخر ذي الحجة ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة خمس وعشرين فحج بالناس عثمان بن عفان الى سنة أربع وثلاثين ثم كانت سنة خمس وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان وهو محصور ثم كانت سنة ست وثلاثين

اليه وأقام حسن قراقوش بحلب والياً لها ولاية مستعارة فلما وصل بدر الدولة وقتلغ ابه الى عماد الدين أصلح بينهما ولم يرد واحداً منهما الى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمد الباغيسياني الياغي عسكره فصعد الى القلعة ورتب الامور وجعل فيها والياً وسار عماد الدين زنكي الى الشام في جيوشه وعساكره فلك في طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج أهل حلب اليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب أموره وأقطع أعماله الاجناد والامراء فلما فرغ من الذي أراده قبض على قتلغ ابه وسلمه الى ابن بديع فكحله بداره بحلب فمات قتلغ ابه واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعبر واستجار بصاحبها فأجاره وجعل عماد الدين في رياسة حلب أبا الحسن علي بن عبد الرزاق ولولا ان الله تعالى منّ على المسلمين بملك أتابك ببلاد الشام لملكها الفرنج لانهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية واذا علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها وأغار عليها فيضطر الفرنج الى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى أنه توفي هذه السنة فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة أهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج مانذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قدوم السلطان سنجر الى الري)

في هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان الى الري في جيش كثير وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة لما وصل اليه هو والملك طغرل على ماذكرناه لم يزل يطمعه في العراق ويسهل عليه قصده ويلقي في نفسه أن المسترشد بالله والسلطان محمود امتنعا على الامتناع منه ولم يزل به حتى أجابه الى المسير الى العراق فلما سار وصل الى الري وكان السلطان محمود بهمذان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته أم قد تغير على مازعم دبيس فلما جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمه فلما وصل اليه أمر العسكر جميعه بلقائه وأجلسه معه على التخت وبالغ في اكرامه وأقام عنده الى منتصف ذي الحجة ثم عاد السلطان سنجر الى خراسان وسلم دبيسا الى السلطان محمود ووصاه باكرامه واعادته الى بلده ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثم سارا الى العراق فلما قاربا بغداد خرج الوزير الى لقائه وكان قدومه تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وكان الوزير أبو القاسم الانساباذي قد قبض السلطان محمود عليه فلما اجتمع بالسلطان سنجر أمر باطلاقه فأطلقه وقرره سنجر في وزارة ابنته التي زوجها بالسلطان محمود فلما وصل معه الى بغداد أعاده محمود الى وزارته في الرابع والعشرين من المحرم وهي وزارته الثانية

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ثامن صفر توفي أتابك طغتكين صاحب دمشق وهو مملوك الملك تتش بن ألب أرسلان وكان عاقلا خيرا كثير الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة في رعيته مؤثرا للعدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولما توفي ملك بعده ابنه تاج الملوك بوري وهو أكبر أولاده بوصية من والده له بالملك وأقر وزير أبيه أبا علي طاهر بن سعد المزدقاني على وزارته وفيها مستهل رجب توفي الوزير جلال الدين أبو علي بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعا محبا لاهل العلم مكرما لهم وله شعر حسن فمنه في مدح المسترشد بالله

وجدت الورى كالماء طعما ورقة * وان أمير المؤمنين زلاله

تعالى البقاء والزيادة في العمر لنزيد في هذا الكتاب مايحدث في أيامهم ومايكون في المستقبل من دولتهم فهذا جمل التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى ٣٣٢ سنة ست وثلاثين وثلثمائة وقد أوردنا في الكتاب ماذكرناه من جمل لكي لا يبعد فهم ذلك على مريده والطالب له ان شاء الله تعالى والتاريخ من المولد الى هذا الوقت معلوم ومن المبعث الى الوفاة معروف غير مجهول ولا يتعذر تناوله على ذي الدراية من هذا الكتاب الآن معوّل الناس أن بدء التاريخ من الهجرة على حسب ما بينا فيما سلف في كتبنا من مشاورة عمر الناس في التاريخ عند حدوث بدئه وماقاله الناس من كل فريق منهم وأخذه بقول علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن يؤرخ بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وتركه أرض الشرك وان ذلك كان من عمر رضي الله عنه في سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة على حسب التنازع في ذلك والله أعلم

(ذكر تسمية من حج بالناس أوّل الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة)

(قال المسعودي) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ورجع الى المدينة واستعمل عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية على مكة فحج بالناس سنة ثمان وقيل بل حج الناس أوزاعا ليس عليهم أحد ثم كانت سنة تسع فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين خرج من المدينة مع ثلثمائة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين وصورت

والبردعظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثر القتلى منهم وكان نزولهم ورحيلهم فى ذى الحجة من هذه السنة

﴿ذكر ملك عماد الدين زنكى مدينة حماه﴾

فى هذه السنة ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل مدينة حماه وسبب ذلك أنه عبر الفرات الى الشام وأظهر أنه يريد جهاد الفرنج وأرسل الى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق يستنجده ويطلب منه المعونة على جهادهم فاجاب الى المراد وأرسل من أخذ له العهود والمواثيق فلما وصلت الثوثقة جرد عسكرا من دمشق مع جماعة من الامراء وأرسل الى ابنه سونج وهو بمدينة حماه يأمره بالنزول الى العسكر والمسير معهم الى زنكى ففعل ذلك فسار واجتمعهم فوصلوا اليه فاكرمهم وأحسن لقاءهم وتركهم أياما ثم انه غدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الامراء المقدمين ونهب خيامهم ومافيها من الكراع واعتقلهم بحلب وهرب من سواهم وسار من يومه الى حماه فوصل اليها وهى خالية من الجند الحماة الذابين فملكها واستولى عليها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها قرجان بن قراجة معه فى عسكره وهو الذى أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك فقبض عليه ونزل على حمص وحصرها وطلب من قرجان صاحبها ان يأمر نوابه وولده الذين فيها بتسليمها فارسل اليهم بالتسليم فلم يقبلوا منه ولا التفتوا الى قوله فاقام عليها محاصرا لها ومقاتلا لمن فيها مدة طويلة ثم لم يقدر على ملكها فرحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الامراء الدمشقيين وترددت الرسل فى اطلاقهم بينه وبين تاج الملوك واستقر الامر على خمسين ألف دينار فاجاب تاج الملوك الى ذلك ولم ينتظم بينهم أمر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ملك بيمند صاحب انطاكية حصن القدموس من المسلمين وفى هذه السنة أيضا وثب الاسماعيلية على عبد اللطيف بن الخجندى رئيس الشافعية باصبهان فقتلوه وكان ذا رياسة عظيمة وتحكم كثير وفى هذه السنة توفى الامام أبو الفتح أسعد بن أبى نصر الميهنى الفقيه الشافعى مدرس النظامية ببغداد وله طريقة مشهورة فى الخلاف وتفقه على أبى المظفر السمعانى وكان له قبول عظيم عند الخليفة والسلطان وسائر الناس وفيها توفى حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسن الشريف العلوى الحسنى النيسابورى سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وجمع مع شرف النسب شرف النفس والتقوى وكان زيدى المذهب

﴿ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وسبب ذلك أنه كان قد رتب فيها لما ملكها أولا ارسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان داود فاصابه فالج فاستناب ابنا له يعرف بنصر خان وكان شهما شجاعا وكان بسمرقند انسان علوى فقيه مدرس اليه الحل والعقد والحكم فى البلد فاتفق هو ورئيس البلد على قتل نصر خان فقتلاه ليلا وكان أبوه محمد خان غائبا فعظم عليه واشتد وكان له ابن آخر غائب فى بلاد تركستان فارسل اليه واستدعاه فلما قارب

عثمان بن أبى سفيان ثم كانت سنة ستين حج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص ثم كانت سنة احدى وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة اثنتين وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة ثلاث وستين حج بالناس عبد الله بن الزبير الى سنة احدى وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف وقتل عبد الله بن الزبير ثم كانت سنة أربع وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس الى سنة ثمانين أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة احدى وثمانين حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس الى سنة خمس وثمانين هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد ابن مغيرة المخزومى ثم كانت سنة ست وثمانين حج بالناس العباس بن الوليد ابن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز بن مروان ثم كانت سنة ثمان وثمانين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة احدى وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة اثنتين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عثمان بن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع وتسعين حج بالناس مسلمة بن عبد الملك ثم كانت

قد ذكرنا فيما تقدم قتل ابراهيم الاسداباذى ببغداد وهرب ابن أخته بهرام الى الشام وملكه قلعة بانياس ومسيره اليها ولما فارق دمشق أقام له بها خليفة يدعو الناس الى مذهبه فكثروا وانتشروا وملك هو عدة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادى التيم من أعمال بعلبك أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وغيرهم وأميرهم اسمه الضحاك فسار اليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقاتلهم فخرج اليه الضحاك فى ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة وقتل بهرام وانهزم من سلم وعادوا الى بانياس على أقبح صورة وكان بهرام قد استخلف فى بانياس رجلا من أعيان أصحابه اسمه اسمعيل فقام مقامه وجمع شمل من عاد اليه منهم وبث دعاته فى البلاد وعاضده المزدقانى أيضا وقوى نفسه على ما عنده من الامتعاض بهذه الحادثة والهم بسببها ثم ان المزدقانى أقام بدمشق عوض بهرام انسانا اسمه أبو الوفا فقوى أمره وعلا شأنه وكثر أتباعه وقام بدمشق فصار المستولى على من بها من المسلمين وحكمه أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك ثم ان المزدقانى راسل الفرنج ليسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور واستقر الامر بينهم على ذلك وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه وقرر المزدقانى مع الاسماعيلية ان يحتاطوا ذلك اليوم بأبواب الجامع فلا يمكنون أحدا يخرج منه ليجىء الفرنج ويملكوا البلاد فبلغ الخبر تاج الملوك صاحب دمشق فاستدعى المزدقانى اليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق رأسه على باب القلعة ونادى فى البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان ذلك منتصف رمضان من السنة وكفى الله المسلمين شرهم ورد على الكافرين كيدهم ولما تمت هذه الحادثة بدمشق على الاسماعيلية خاف اسمعيل والى بانياس أن يثور به وبمن معه من الناس فهلكوا فراسل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فأجابوه فسلم القلعة اليهم وانتقل هو ومن معه من أصحابه الى بلادهم ولقوا شدة وذلة وهوانا وتوفى اسمعيل أوائل سنة أربع وعشرين وكفى الله المؤمنين شرهم

(ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم)

لما بلغ الفرنج قتل المزدقانى والاسماعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك وتأسفوا على دمشق حيث لم يتم لهم ملكها وعمتهم المصيبة فاجتمعوا كلهم صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من الفرنج وقمامصتهم ومن وصل اليهم فى البحر للتجارة والزيارة فاجتمعوا فى خلق عظيم نحو ألفى فارس وأما الراجل فلا يحصى وساروا الى دمشق ليحصروها ولما سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب والتركمان فاجتمع معه ثمانية آلاف فارس ووصل الفرنج فى ذى الحجة فنازلوا البلد وأرسلوا الى أعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلد فلما سمع تاج الملوك ان جمعا كثيرا قد سار والى حوران لنهبه واحضار الميرة سير أميرا من أمرائه يعرف بشمس الخواص فى جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم فى ليلة شاتية كثيرة المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوهم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم ومعه أربعون رجلا وأخذوا ما معهم وهى عشرة آلاف دابة موقرة وثلثمائة أسير وعادوا الى دمشق لم يمسسهم قرح فلما سمع من عليها من الفرنج ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين وأحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد

حج بالناس عبد الله بن عباس ثم كانت سنة سبع وثلاثين وبعث على بن أبى طالب على الموسم عبد الله بن العباس وبعث معاوية بن أبى سفيان شجرة الرهاوى فاجتمعا بمكة وتنازعا الامارة ولم يسلم أحدهما لصاحبه فاصطلحا على أن يصلى بالناس شيبة بن عثمان الحجبى ففعل ذلك ثم كانت سنة ثمان وثلاثين حج بالناس قثم بن عباس نائب مكة ثم كانت سنة تسع وثلاثين حج شيبة بن عثمان ثم كانت سنة أربعين والتنازع مع معاوية والحسن بن على فى الخلافة فحج بالناس المغيرة بن شعبة عن كتاب يقال انه افتعله فيما قيل ثم كانت سنة احدى وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم حج بعده مروان بن الحكم ثم كانت سنة أربع وأربعين حج معاوية بن أبى سفيان ثم كانت سنة خمس وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة سبع وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة ثمان وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة تسع وأربعين حج بالناس سعيد بن العاص ثم كانت سنة خمسين حج بالناس معاوية بن أبى سفيان ثم كانت سنة اثنتين وخمسين حج بالناس سعيد ابن العاص عامين ثم كانت سنة أربع وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة خمس وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وخمسين والبرد حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة سبع وخمسين حج بالناس الوليد بن عتبة عامين ثم كانت سنة تسع وخمسين حج بالناس

وعلموا ان البلاد قد جاءها مالم يكن لهم فى حساب وصار قصاراهم حفظ ما بايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع

﴿ذكر ملك عماد الدين زنكى أيضا مدينة سرجى ودارا﴾

لما فرغ من أمر الاثارب وتلك النواحى عاد الى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش ابن ايلغازى صاحب ماردين وابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا انو ارض فعاد اليهم وحصر مدينة سرجى وهى بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقا كثيرا من التركمان بلغت عدتهم عشرين ألفا وساروا اليه فتصافوا بتلك النواحى فهزمهم عماد الدين وملك سرجى فحكى لى والدى قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر عماد الدين فسار نحو الجزيرة وأراد دخول بلد داود ثم عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التى فى الطريق وسار الى دارا فملكها وهى من القلاع فى تلك الاعمال

﴿ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوى﴾

فى هذه السنة ثانى ذى القعدة قتل الآمر باحكام الله أبو على بن المستعلى العلوى صاحب مصر خرج الى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لانه كان سئ السيرة فى رعيته وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعمره أربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدى عبد الله الذى ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بافريقية وهو أيضا العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدى أيضا ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولى بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد ابن الامير أبى القاسم ابن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وانما بويع له لينظر فى الامر نيابة حتى يكشف عن حمل ان كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائبا عنه ومولد الحافظ بعسقلان لان أباه خرج من مصر اليها فى الشدة فاقام بها فولد ابنه عبد المجيد هنالك ولما ولى استوزر أبا على أحمد بن الافضل بن بدر الجمالى واستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه وأودعه فى خزانة ولا يدخل اليه الا من يريده أبو على وبقى الحافظ له اسم لا معنى تحته ونقل أبو على كل ما فى القصر الى داره من الاموال وغيرها ولم يزل الامر كذلك الى ان قتل أبو على سنة ست وعشرين فاستقامت أمور الحافظ وحكم فى دولته وتمكن من ولايته وبلاده

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهى زوجة السلطان محمود وفيها قتل بغدوين الفرنجى صاحب انطاكية وفيها توفى نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك فى شعبان ببغداد ووقع الحريق فى داره بعد وفاته وفى حظائر الحطب والسوق التتشى فذهب من الناس أموال كثيرة وفيها وزر الرئيس أبو الذواد المفرج بن الحسن بن الصوفى لصاحب دمشق تاج الملوك وفيها كان الرصد بالدار السلطانية شرقى بغداد تولاه البديع الاسطرلابى ولم يتم وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فنال الناس منها خوف شديد واذى عظيم وفيها فى ذى الحجة خرج الملك مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل الى ساوة ووقع الارجاف ان عزمه على مخالفة أخيه السلطان محمود وقوى وان عمه سنجر أمره بذلك فاستشعر

عشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل الى سنة أربع وعشرين ومائة ثم كانت سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف بن أخى الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله ابن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك ابن مروان وكان أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى من الازد داعية المعروف بطالب الحق قد وقف وخرج تلك السنة فكلمه الناس حتى نزل عبد الواحد يصلى بالناس ويخرج الى منزله ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة احدى وثلاثين ومائة حج بالناس عروة بن محمد بن عطية السعدى بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والى الحجاز واليمن لمروان ابن محمد (قال المسعودى) فهذا آخر ما حج بنو أمية ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة حج بالناس داود بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد بن عبد الله الحارثى ثم كانت سنة أربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن على

سمرقند خرج العلوى ورئيس البلد الى استقباله فقتل العلوى فى الحال وقبض على الرئيس وكان والده أرسلان خان قد أرسل الى السلطان سنجر رسولا يستدعيه ظنا منه ان ابنه لا يتم أمره مع العلوى والرئيس فتجهز سنجر وسار يريد سمرقند فلما ظفر ابن أرسلان خان ندم على استدعائه السلطان سنجر فارسل اليه يعرفه انه قد ظفر بالعلوى والرئيس وانه وابنه على الطاعة ويسأله العود الى خراسان فغضب سنجر من ذلك وأقام أياما فبينما هو فى الصيد اذ رأى اثنى عشر رجلا فى السلاح التام فقبض عليهم وعاقبهم فاقروا أن محمدخان أرسلهم ليقتلوه فقتلهم ثم سار الى سمرقند فملكها عنوة ونهب بعضها ومنع من الباقى وتحصن منه محمدخان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بامان بعد مدة فلما نزل اليه أكرمه وأرسله الى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقى عندها الى ان توفى وأقام سنجر بسمرقند مدة حتى أخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد الى الامير حسن تكين وعاد الى خراسان فلم يلبث حسن تكين ان مات فملك سنجر بعده عليها محمود بن محمدخان بن سليمان بن داود المقدم ذكره وقيل ان السبب غير ما ذكرناه وسيرد ذكره سنة ست وثلاثين للحاجة الى ذكره هنالك

❁(ذكر فتح عماد الدين زنكى حصن الاثارب وهزيمة الفرنج)❁

لما فرغ عماد الدين زنكى من أمر البلاد الشامية حلب وأعمالها وما ملكه وقرر قواعده عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم أمرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا وأعدوا واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب فقوى عزمه على قصد حصن الاثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها وبين انطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع أعمالها الغربية حتى على رحا لاهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق وكان أهل البلد معهم فى ضر شديد وضيق كل يوم قد أغاروا عليهم ونهبوا أموالهم فلما رأى الشهيد هذه الحال صمم العزم على حصر هذا الحصن فسار اليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلموا أن هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيأ الا واستنفذوه فلما فرغوا من أمرهم ساروا نحوه فاستشار أصحابه فيما يفعل وكل أشار بالعود عن الحصن فان لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لا يدرى على أى شئ تكون العاقبة فقال لهم ان الفرنج متى رأونا قد عدنا من أيديهم طمعوا وساروا فى أثرنا وخربوا بلادنا ولا بد من لقائهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم اليهم فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الامر بينهم ثم ان الله تعالى أنزل نصره على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج أقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم فى الاسر وقتل منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين الى عسكره بالانجاز وقال هذا أول مصاف عملناه معهم فلنذقهم من بأسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ما أمرهم ولقد اجتزت بتلك الارض سنة أربع وثمانين وخمسمائة ليلا فقيل لى ان كثيرا من العظام باق الى ذلك الوقت فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وأخربه عماد الدين وجعله دكا وبقى الى الآن خرابا ثم سار منه الى قلعة حارم وهى بالقرب من انطاكية فحصرها وهى أيضا للفرنج فبذل له أهلها نصف دخل بلد حارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين

سنة خمس وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة ست وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العاص بن أمية ثم كانت سنة تسع وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة مائة حج بالناس أبو بكر أيضا ثم كانت سنة احدى ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة ثم كانت سنة اثنتين ومائة حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى ثم كانت سنة ثلاث ومائة حج بالناس عبد الله بن كعب بن عمير ابن سبيع بن عوف بن نصر بن معاوية النصرى ثم كانت سنة أربع ومائة حج بها أيضا ثم كانت سنة خمس ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومى ثم كانت سنة ست ومائة حج بالناس هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام المخزومى الى سنة اثنتى عشرة ومائة ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان ابن هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم ابن العاص بن أمية ثم كانت سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل بن الوليد بن المغيرة ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو ولى عهده ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن

وعلوا

له الاقوات والسلاح والدواب وسائر امتعة الخزائن وقدمه حتى على نفسه وفعل معه ما فعل مع أكابر الملوك ولما سمع المسترشد بالله بقضية دمشق أرسل سديد الدولة بن الانبارى وأبا بكر ابن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر الى تاج الملوك يطلب منه ان يسلم دبيسا اليه لما كان يعتقد انه من عداوة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الانبارى بتسليمه الى عماد الدين وهو فى الطريق فسار الى دمشق ولم يرجع وذم أتابك زنكى بدمشق واستخف به وبلغ الخبر عماد الدين فارسل الى طريقه من يأخذه اذا عاد فلما رجع من دمشق قبضوا عليه وعلى ابن بشر وحملوهما اليه فاما ابن بشر فاهانه وجرى فى حقه مكروه وأما ابن الانبارى فحبسه ثم ان المسترشد بالله شفع فيه فاطلق ولم يزل دبيس مع زنكى حتى انحدر معه الى العراق على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود ﴾

فى هذه السنة فى شوال توفى السلطان محمود ابن السلطان محمد بهمذان وكان قبل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الانساباذى من جماعة من الامراء وأعيان الدولة منهم عزيز الدين أبو نصر أحمد ابن حامد المستوفى والامير أنوشتكين المعروف بشيركير وولده عمر وهو أمير حاجب السلطان وغيرهم فاما عزيز الدين فارسله مقبوضا عليه الى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قتل بها وأما شيركير وولده فقتلا فى جمادى الآخرة ثم ان السلطان مرض وتوفى فى شوال وأقعد ولده الملك داود فى السلطنة باتفاق من الوزير أبى القاسم واتابكه آقسنقر الاحمديلى وخطب له فى جميع بلاد الجبل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت فلما اطمأن الناس وسكنوا سار الوزير باموالة الى الرى فامن فيها حيث هى للسلطان سنجر وكان عمر السلطان محمود لما توفى نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وكان حليما كريما عاقلا يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع فى أموال الرعايا عفيفا عنها كافا لاصحابه عن التطرق الى شئ منها

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين فبرأ أحدهما وتنسر الآخر وبقى فيه ألمه الا انه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه وفيها توفى الامير أبو الحسن بن المستظهر بالله أخو المسترشد بالله فى رجب وفيها فى شوال توفى الحسن بن سلمان بن عبد الله أبو على الفقيه الشافعى الواعظ مدرس النظامية ببغداد واصله من الروزان والخطيب أبو نصر أحمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسى خطيب الموصل توفى فى ربيع الاول وحماد بن مسلم الدباس الرحبى الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله أصحاب وتلامذة كثيرون ساروا ورأيت الشيخ أبا الفرج بن الجوزى قد ذمه وثلبه ولهذا الشيخ أسوة بغيره من الصالحين فان ابن الجوزى قد صنف كتابا سماه تلبيس ابليس لم يبق فيه على أحد من سادة المسلمين وصالحيهم وهبة الله محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة سمع أبا على بن المذهب وأبا طالب بن غيلان وغيرهما وهو راوى مسند أحمد بن حنبل والغيلانيات وغيرها ومحمد بن الحسن بن على بن الحسن أبو غالب الماوردى ولد سنة خمسين وأربعمائة بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن ابى داود

ومائة حج بالناس المهدى محمد بن عبد الله بن محمد بن على ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة ست وخمسين ومائة حج بالناس العباس ابن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائة حج بالناس يزيد بن منصور بن عبد الله ابن شمر بن يزيد بن مثوب الحميرى ثم كانت سنة ستين ومائة حج بالناس الهادى بن موسى بن المهدى وهو ولى عهد ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن جعفر بن أبى جعفر ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس على بن المهدى ثم كانت سنة أربع وستين ومائة حج بالناس صالح بن أبى جعفر ثم كانت سنة خمس وستين ومائة حج بالناس صالح أيضا ثم كانت سنة ست وستين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وستين ومائة حج بالناس على بن محمد المهدى ثم كانت سنة تسع وستين ومائة حج بالناس سليمان بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة سبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة احدى وسبعين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة حج بالناس ثم كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد خرج محرما من عسكره الى

السلطان محمود وسار من بغداد الى همدان فلما وصل الى كرمانشاهان وصل اليه أخوه الملك مسعود وخدمه ولم يظهر للارجاف أثر فاقطعه السلطان مدينة كنجة واعمالها وسيره اليها وفيها كانت زلزلة عظيمة فى ربيع الاول بالعراق وبلاد الجبل والموصل والجزيرة فخربت كثيرا وفيها ملك السلطان محمود قلعة ألموت وفيها توفى ابراهيم بن عثمان بن محمد أبو اسحق الغزى من أهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة احدى وأربعين وأربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فن قوله من قصيدة يصف فيها الاتراك

فى فتية من جيوش الترك ماتركت * للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

﴿وله فى الزهد﴾

انما هذه الحياة متاع * والسفيه الغوى من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

وفيها توفى الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الدباس أبو عبد الله النحوى الشاعر المعروف بالبارع أخو أبى الكرم بن فاخر النحوى لامه ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وله شعر مليح فنه قوله

ردى على الكرى ثم اهجرى سكنى * فقد قنعت بطيف منك فى الوسن

لاتحسبى النوم قد أوحشت أطلبه * الا رجاء خيال منك يؤنسنى

تركتنى والهوى فردا أغالبه * ونام ليلك عن هم يؤرقنى

وهى طويلة وفيها توفى هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطاء بن محمد أبو سعد المهروانى النيسابورى ومولده سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وكان محدثا حافظا صالحا

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر أسر دبيس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكى﴾

فى هذه السنة فى شعبان أسر تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق الامير دبيس بن صدقة صاحب الحلة وسلمه الى أتابك الشهيد زنكى بن آقسنقر وسبب ذلك أنه لما فارق البصرة على ماذكرناه جاءه قاصد من الشام من صرخد يستدعيه اليها لان صاحبها كان خصيا فتوفى هذه السنة وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة ومافيها وعلمت انها لا يتم لها ذلك الا بان تتصل برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس بن صدقة وكثرة عشيرته وذكر لها حاله وماهو عليه بالعراق فارسلت تدعوه الى صرخد لتتزوج به وتسلم القلعة ومافيها من مال وغيره اليه فاخذ الادلاء معه وسار من أرض العراق الى الشام فضل به الادلاء بنواحى دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقى الغوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع أتابك عماد الدين زنكى الخبر وكان دبيس يقع فيه وينال منه فارسل الى تاج الملوك يطلب منه دبيسا ليسلمه اليه ويطلق ولده ومن معه من الامراء المأسورين وان امتنع من تسليمه سار الى دمشق وحصرها وخربها ونهب بلدها فاجاب تاج الملوك الى ذلك وأرسل أتابك سونج بن تاج الملوك والامراء الذين معه وأرسل تاج الملوك دبيسا فايقن دبيس بالهلاك ففعل زنكى معه خلاف ماظن وأحسن اليه وحمل له

ابن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وفيها بويع لابى جعفر المنصور ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس اسمعيل بن على بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة حج بالناس الفضل بن صالح بن على ثم كانت سنة تسع وثلاثين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة أربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة احدى وأربعين ومائة حج بالناس صالح بن على ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائة حج بالناس اسمعيل بن على ثم كانت سنة ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة أربع وأربعين ومائة حج بالناس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائة حج بالناس السرى بن عبد الله بن الحرث بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن على بن على بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة سبع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وقيل محمد بن ابراهيم الامام وقتل فى سنة ثمان ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة خمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين

ذكرناه سار الملك داود من همذان في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين الى زنجان فاتاه الخبر ان عمه السلطان مسعودا قد سار من جرجان ووصل الى تبريز واستولى عليها فسار الملك داود اليه وحصره بها وجرى بينهما قتال الى سلخ المحرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحا وتاخر الملك داود مرحلة وخرج السلطان مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وأرسل يطلب الخطبة ببغداد وكانت رسل الملك داود قد تقدمت في طلب الخطبة فاجاب المسترشد بالله ان الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر من أراد خطب له وأرسل الى السلطان سنجر أن لا ياذن لاحد في الخطبة فان الخطبة ينبغي أن تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعا حسنا ثم ان السلطان مسعودا كاتب عماد الدين زنكي صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوعده النصر فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة ثم ان الملك سلجوقشاه ابن السلطان محمد سار به اتابكه قراجة الساقي صاحب فارس وخوزستان في عسكر كثير الى بغداد فوصل اليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل في دار السلطان وأكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ويتهدد ان منعها فلم يجب الى ماطلبه فسار حتى نزل عباسية الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوقشاه وقراجة الساقي نحو مسعود الى ان يفرغ من حرب اتابك عماد الدين زنكي وسار يوما وليلة الى المعشوق وواقع عماد الدين زنكي فهزمه وأسر كثيرا من أصحابه وسار زنكي منهزما الى تكريت فعبر فيها دجلة وكان الدزدار بها حينئذ نجم الدين أيوب فاقام له المعابر فلما عبر أمن الطلب وسار الى بلاده لاصلاح حاله وحال رجاله وهذا الفعل من نجم الدين أيوب كان سببا لاتصاله به والمصير في جملته حتى آل بهم الامر الى ملك مصر والشام وغيرهما على مانذكره وأما السلطان مسعود فانه سار من العباسية الى الملكية ووقعت الطلائع بعضها على بعض ثم لم تزل المناوشة تجري بينه وبين أخيه سلجوقشاه يومين وأرسل سلجوقشاه الى قراجة يستحثه على المبادرة فعاد سريعا وعبر دجلة الى الجانب الشرقي فلما علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكي رجع الى ورائه وأرسل الى الخليفة يعرفه وصول السلطان سنجر الى الري وانه عازم على قصد الخليفة وغيره وان رأيتم أن نتفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فانا موافق على ذلك فاعاد الخليفة الجواب يستوقفه وترددت الرسل في الصلح فاصطلحوا على أن يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوقشاه ولي عهده وتحالفوا على ذلك وعاد السلطان مسعود الى بغداد فنزل بدار السلطان ونزل سلجوقشاه في دار الشحنكية وكان اجتماعهم في جمادي الاولى

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر)

لما توفي السلطان محمود سار السلطان سنجر الى بلاد الجبال ومعه الملك طغرل ابن السلطان محمد وكان عنده قد لازمه فوصل الى الري ثم سار منها الى همذان فوصل الخبر الى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله الى همذان فاستقرت القاعدة بينهما على قتاله وان يكون الخليفة معهم وتجهز الخليفة فتقدم قراجة الساقي والسلطان مسعود وسلجوقشاه نحو السلطان سنجر وتأخر المسترشد بالله عن المسير معهم فارسل الى قراجة وألزمه وقال ان الذي تخاف من سنجر

بن داود بن عيسى بن محمد بن علي ووثب ابن الافطس العلوي بمكة فقبض عليها فنحى محمد بن داود ولم يمض الى عرفة وخرج الناس فوقفوا بغير امام فلما كانوا بالمزدلفة طلع عليهم ابن الافطس فاقام لهم باقي حجهم ثم كانت ٢٤١ سنة مائتين حج بالناس المعتصم بن اسحق ثم كانت سنة احدى ومائتين حج بالناس اسحق ابن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أول طالبي أقام للناس الحج في الاسلام على انه أقام متغلبا عليه لا مولى من قبل خليفة وكان ممن سعى في الارض بالفساد وقتل أصحاب ابراهيم بن عبيد الله الحجبي وغيره في المسجد الحرام ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وغيره من أهل العبادة ثم كانت سنة ثلاث ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله ابن جعفر بن سليمان بن علي ثم كانت سنة أربع ومائتين حج بالناس عبيد الله ابن الحسن بن عبيد الله ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضا ثم كانت سنة ست وسبع ومائتين حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان ومائتين حج بالناس صالح ابن الرشيد ومعه زبيدة الى سنة عشر ومائتين ثم كانت سنة احدى عشرة ومائتين حج بالناس اسحق بن العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتي عشرة ومائتين حج بالناس المأمون ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ثم كانت سنة اربع عشرة ومائتين حج

السجستاني وكان صالحا

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة)

(ذكر قتل أبي علي وزير الحافظ ووزارة يانس وموته)

في هذه السنة في المحرم قتل الافضل أبو علي بن الافضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ لدين الله العلوي صاحب مصر وسبب قتله أنه كان قد حجر على الحافظ ومنعه أن يحكم في شئ من الامور قليل أو جليل وأخذ ما في قصر الخلافة الى داره وأسقط من الدعاء ذكر اسمعيل الذي هو جدهم واليه تنسب الاسماعيلية وهو ابن جعفر بن محمد الصادق وأسقط من الاذان حي على خير العمل ولم يخطب للحافظ وأمر الخطباء أن يخطبوا له بألقاب كتبها لهم وهي السيد الافضل الاجل سيد مماليك أرباب الدول والمحامي عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الاقربين والابعدين ناصر امام الحق في حالتي غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضي سيفه وصائب رأيه وتدبيره أمين الله على عباده وهادي القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وارشاده مولى النعم ورافع الجور عن الامم ومالك فضيلتي السيف والقلم أبو علي أحمد بن السيد الاجل الافضل شاهنشاه أمير الجيوش وكان امامي المذهب يكثر ذم الآمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويين ومماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج في العشرين من المحرم من هذه السنة الى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه فكمن له جماعة منهم مملوك افرنجي كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الفرنجي عليه فطعنه فقتله وحز رأسه وخرج الحافظ من الخزانة التي كان فيها ونهب الناس دار أبي علي وأخذوا منها ما لا يحصى وركب الناس والحافظ الى داره فأخذ ما بقي فيها وحمله الى القصر وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وأن يكون كافلا لحمل ان كان للآمر فلما بويع بالخلافة استوزر أبا الفتح يانس الحافظي في ذلك اليوم بعينه ولقب أمير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير الشر فخافه الحافظ على نفسه وتخيل منه يانس فاحتاط ولم يأكل عنده شيأ ولا شرب فاحتال عليه الحافظ بان وضع له فراشه في بيت الطهارة ماء مسموما فاغتسل به فوقع الدود في سفله وقيل له متى قمت من مكانك هلكت وكان يعالج بان يجعل اللحم الطري في المحل فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفاء فقيل للحافظ انه قد صلح وان تحرك هلك فركب اليه الحافظ كأنه يعوده فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفي من ليلته وكان موته في السادس والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ولما مات يانس استوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين وانما ذكرت ألقاب أبي علي تعجبا منها ومن حماقة ذلك الرجل فان وزير صاحب مصر وحدها اذا كان هكذا فينبغي أن يكون وزير السلاطين السلجوقية كنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على ان تربة مصر هكذا تولد ألا ترى الى فرعون يقول أنا ربكم الاعلى والى أشياء أخر لا نطيل بذكرها

(ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوق شاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود)

لما توفي السلطان محمود ابن السلطان محمد وخطب ببلاد الجبل واذربيجان لولده الملك داود على

مكة ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد الى سنة تسع وسبعين ومائة ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن ٢٤٠ علي ثم كانت سنة احدى وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة اثنين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن محمد المهدي ثم كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس ابراهيم بن المهدي ثم كانت سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس منصور بن المهدي ثم كانت سنة ست وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة حج بالناس عبد الله بن العباس بن علي وقيل منصور بن المهدي ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي ثم كانت سنة تسعين ومائة حج بالناس علي بن الرشيد ثم كانت سنة احدى وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ثم كانت سنة اثنين وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ابن محمد بن علي ثم كانت سنة أربع وتسعين ومائة حج بالناس علي بن الرشيد ثم كانت سنة خمس وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ثم كانت سنة ست وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن موسى الى ثمان وتسعين ثم كانت سنة تسع وتسعين ومائة حج بالناس ما

نظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس وأراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم أيضا وقتل من العسكر جماعة وأسر جماعة وبات الخليفة هنالك ليلته وعاد من الغد الى بغداد

(ذكر حال دبيس بعد الهزيمة)

وفيها عاد دبيس بعد انهزامه المذكور ولوذ ببلاد الحلة وتلك النواحي وجمع جمعا وكانت تلك الولاية بيد اقبال المسترشدي فأمده بعسكر من بغداد فالتقى هو ودبيس فانهزم دبيس واختفى في أجمة هنالك وبقي ثلاثة أيام لم يطعم شيأ ولم يقدر على التخلص منها حتى أخرجه حماس على ظهره ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم اليه عسكرها وبختيار وشاق وابن أبي الجبر ولم يزل فيها الى أن دخلت سنة سبع وعشرين فنفذ اليهم يرنقش بازدار واقبال الخادم المسترشدي في عسكر فاقتتلوا في الماء والبر فانهزم الواسطيون ودبيس وأسر بختيار وشاق وغيره من الامراء

(ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق)

في هذه السنة في رجب توفي تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق وسبب موته ان الجرح الذي كان به من الباطنية وقد ذكرناه اشتد عليه الآن وأضعفه وأسقط قوته فتوفي في الحادي والعشرين من رجب ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسمعيل ووصى بمدينة بعلبك وأعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان بوري كثير الجهاد شجاعا مقداما سد مسد أبيه وفاق عليه وكان ممدحا أكثر الشعراء مدائحه لاسيما ابن الخياط وملك بعده ابنه شمس الملوك وقام بتدبير الامر بين يديه الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق وهو حاجب أبيه واعتمد عليه وابتدأ أمره بالرفق بالرعية والاحسان اليهم فكثر الدعاء له والقصاد عليه

(ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره بعلبك)

في هذه السنة ملك شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن راس وسبب ذلك انهما كانا لابيه تاج الملوك وفي كل واحد منهما مستحفظ يحفظه فلما ملك شمس الملوك بلغه ان أخاه شمس الدولة محمدا صاحب بعلبك قد راسلهما واستمالهما اليه فسلما الحصنين اليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطف يقبح هذه الحال ويطلب ان يعيدهما اليه فلم يفعل فاغضى على ذلك وتجهز من غير أن يعلم أحد او سار هو وعسكره آخر ذي القعدة فطلب جهة الشمال ثم عاد مغربا فلم يشعر من بحصن اللبوة الا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكنوا من نصب منجنيق ولا غيره فطلبوا الامان فبذله لهم وتسلم الحصن من يومه وسار من آخر النهار الى حصن راس فبغتهم وجرى الامر فيه على تلك القضية وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما ثم رحل الى بعلبك وحصرها وفيها أخوه شمس الدولة محمد وقد استعد وجمع في الحصن ما يحتاج اليه من رجال وذخائر فحصرهم شمس الملوك وزحف في الفارس والراجل وقاتله أهل البلد على السور ثم زحف عدة مرات فملك البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وبقي الحصن فقاتله وفيه أخوه ونصب المجانيق ولازم القتال فلما رأى أخوه شمس الدولة شدة الامر أرسل يبذل الطاعة ويسأل أن يقر على ما بيده وجعله أبوه باسمه فاجابه الى مطلوبه وأقر عليه بعلبك وأعمالها

محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الامام ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر ٢٤٣ بن الفضل بن موسى بن عيسى بن موسى وراقب بساسان ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائتين وقف بالناس اسمعيل بن يوسف العلوي المقدم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب وبطل الحج الا يسيرا لان اسمعيل هذا طلع على الحاج وهم بعرفة في جموعه فقتل من المسلمين خلقا عظيما حتى زعم انه كان يسمع بالليل تلبية القتلى وكان شأنه في الفساد عظيما ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى ابن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس عبد الله ابن محمد بن سليمان بن عبد الله الزيني ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائتين حج بالناس علي بن الحسين بن اسمعيل بن العباس بن محمد ابن علي ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائتين حج بالناس علي بن الحسين أيضا ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى ابن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل ابن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد ابن علي ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس ابراهيم ابن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن بويه ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن بويه أيضا ثم كانت سنة احدى

آجلا أبا أفعله عاجلا فبرز حينئذ وسار على تريث وتوقف الى أن بلغ الى خانقين وأقام بها وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه ووصلت الاخبار بوصول عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة الى قريب بغداد فأما دبيس فانه ذكر أن السلطان سنجر أقطعه الحلة وأرسل الى المسترشد بالله يضرع ويسأل الرضا عنه فامتنع من اجابته الى ذلك وأما عماد الدين زنكي فانه ذكر أن السلطان سنجر قد أعطاه شحنكية بغداد فعاد المسترشد بالله الى بغداد وأمر أهلها بالاستعداد للمدافعة عنها وجند أجنادا جعلهم معهم ثم ان السلطان مسعودا وصل الى دادمرج فلقيهم طلائع السلطان سنجر في خلق كثير فتأخر السلطان مسعود الى كرمانشاهان ونزل السلطان سنجر في اسداباذ في مائة ألف فارس فسار مسعود وأخوه سلجوقشاه الى جبلين يقال لهما كاو وماهي فنزلا بينهما ونزل السلطان سنجر كنكور فلما سمع بانحرافهم أسرع في طلبهم فرجعوا الى ورائهم مسيرة أربعة أيام في يوم وليلة فالتقى العسكران بعولان عند الدينور وكان مسعود يدافع الحرب انتظارا لقدوم المسترشد فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بدا من المصاف وجعل سنجر على ميمنته طغرل ابن أخيه محمد وقماج وأميرأميران وعلى ميسرته خوارزمشاه اتسز بن محمد مع جمع من الامراء وجعل مسعود على ميمنته قراجة الساقي والامير قزل وعلى ميسرته يرنقش بازدار ويوسف جاووش وغيرهما وكان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام ووقعت الحرب وقامت على ساق وكان يوما مشهودا فحمل قراجة الساقي على القلب وفيه السلطان سنجر في عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر وبين يديه الفيلة فلما حمل قراجة على القلب رجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى وراء ظهره فصار قراجة في الوسط فقاتل الى أن جرح عدة جراحات وقتل كثير من أصحابه وأخذ هو أسيرا وبه جراحات كثيرة فلما رأى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة وقتل يوسف جاووش وحسين ازبك وهما من أكابر الامراء وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلما تمت الهزيمة على مسعود نزل سنجر وأحضر قراجة فلما حضر قراجة سبه وقال له يا مفسد أي شئ كنت ترجو بقتالي قال كنت أرجو أن أقتلك وأقيم سلطانا أحكم عليه فقتله صبرا وأرسل الى السلطان مسعود يستدعيه فحضر عنده وكان قد بلغ جونج فلما رآه قبله وأكرمه وعاتبه على العصيان عليه ومخالفته وأعاده الى كنجة وأجلس الملك طغرل ابن أخيه محمد في السلطنة وخطب له في جميع البلاد وجعل في وزارته أبا القاسم الانساباذي وزير السلطان محمود وعاد الى خراسان فوصل الى نيسابور في العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وأما المسترشد بالله فكان منه ما نذكره

﴿ذكر مسير عماد الدين زنكي الى بغداد وانهزامه﴾

لما سار المسترشد بالله من بغداد وبلغه انهزام السلطان مسعود عزم على العود الى بغداد فأتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكي الى بغداد ومعه دبيس بن صدقة وكان السلطان سنجر قد كاتبهما وأمرهما بقصد العراق والاستيلاء عليه فلما علم الخليفة بذلك أسرع العود اليها وعبر الى الجانب الغربي وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البرامكة سابع عشر رجب فابتدأ زنكي فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزموا منه وحمل

بالناس عبد الله بن عبيد الله ثم كانت سنة خمس عشرة ومائتين حج بالناس عبد الله بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ست عشرة ومائتين حج بالناس ثم كانت سنة سبع عشرة ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله بن علي ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس ابن محمد ثم كانت سنة تسع عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة عشرين ومائتين حج بالناس صالح بن العباس أيضا ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائتين حج بالناس أيضا صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ومائتين حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ثم كذلك الى سنة ست وعشرين ومائتين ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائتين حج بالناس جعفر المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائتين حج بالناس الى سنة خمس وثلاثين ومائتين محمد بن داود بن عيسى ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس محمد المنتصر ومعه جدته شجاع ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين حج بالناس علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائتين الى سنة احدى وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وأربعين ومائتين نظر

صفر وقاتله لساعته وزحف اليه زحفا متتابعا وكانوا غير متأهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجأ من كان من جند الفرنج الى الحصن وتحصنوا به فقتل من البلد كثيرا من الفرنج وأسر كثيرا ونهبت الاموال وقاتل القلعة قتالا شديدا ليلا ونهارا فملكها رابع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها سادسه وأما الفرنج فانهم لما سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرا يسيرون به اليه فأتاهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه

﴿ذكر حرب بين المسلمين والفرنج﴾

في هذه السنة في صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدس في خيالته ورجالته الى أطراف أعمال حلب فتوجه اليه الامير اسوار النائب بحلب فيمن عنده من العساكر وانضاف اليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهزم المسلمون الى حلب وتردد ملك الفرنج في أعمال حلب فعاد أسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فاوقع بهم وأكثر القتل فيهم والاسر فعاد من سلم منهزما الى بلادهم وانجبر بذلك المصاب بهذا الظفر ودخل أسوار حلب ومعه الاسرى ورؤس القتلى وكان يوما مشهودا ثم ان طائفة من الفرنج من الرها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم أسوار فخرج اليهم هو والامير حسان البعلبكي فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم في بلد الشمال وأسروا من لم يقتل ورجعوا الى حلب سالمين

﴿ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل﴾

قد تقدم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر وعوده الى كنجة وولاية الملك طغرل السلطنة وانه تحارب هو والملك داود بن أخيه محمود وانهزام داود ودخوله بغداد فلما بلغ السلطان مسعودا انهزام داود وقصده بغداد سار هو الى بغداد أيضا فلما قاربها لقيه داود وترجل له وخدمه ودخلا بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة في صفر من هذه السنة وخاطب في الخطبة له فاجيب الى ذلك وخطب له ولداود بعده وخلع عليهما ودخلا الى الخليفة فاكرمهما ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود الى اذربيجان وان يرسل الخليفة معهما عسكرا فساروا فلما وصلوا الى مراغة حمل آقسنقر الاحمديلي مالا كثيرا واقامة عظيمة وملك مسعود سائر بلاد اذربيجان وانهزم من بها من الامراء مثل قراسنقر وغيره من بين يديه وتحصن منه كثير منهم بمدينة أردبيل فقصدهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون ثم سار بعد ذلك الى همذان لمحاربة أخيه الملك طغرل فلما سمع طغرل بقربه برز الى لقائه فاقتتلوا الى الظهر ثم انهزم طغرل وقصد الري واستولى السلطان مسعود على همذان في شعبان ولما استقر مسعود بهمذان قتل آقسنقر الاحمديلي قتله الباطنية فقيل ان السلطان مسعودا وضع عليه من قتله ثم ان طغرل لما بلغ قم عاد الى أصبهان ودخلها وأراد التحصن بها فسار اليه أخوه مسعود ليحاصره بها فرأى طغرل ان أهل أصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم الى بلاد فارس واستولى مسعود على أصبهان وفرح أهلها به وسار من أصبهان نحو فارس يقتص أثر أخيه طغرل فوصل

أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد خليفة لعمه الحسن ثم كانت سنة أربع عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن سليمان بن محمد الاكبر ثم كانت سنة خمس عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد المعروف بابي أحمد الازرق خليفة الحسن بن عبد العزيز بن العباس ثم كانت سنة ست عشرة وثلثمائة حج بالناس أبو أحمد الازرق أيضا ثم كانت سنة سبع عشرة وثلثمائة دخل سليمان بن الحسن صاحب البحرين مكة وقد حضر عمر بن الحسن بن عبد العزيز المقدم نسبه اليها لاقامة الحج خليفة لابيه فكان من أمر الناس ما كان فيها قد مناذكره فيما سلف من هذا الكتاب ولم يتم حج في موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة هذه من أجل حادثة القرامطة لعنهم الله الا قوم يسير غدروا فتموا حجهم دون امام وكانوا رجالة ثم كانت سنة ثمان عشرة وثلثمائة حج بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي خليفة لابيه الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع عشرة وثلثمائة حج بالناس فيها جعفر بن علي بن سليمان خليفة الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة عشرين وثلثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفة لابيه أيضا ولم يزل يحج بالناس الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو على قضاء مكة في هذا الوقت وهو جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمائة واليه قضاء مصر وغيرها

(قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي رحمه الله) قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنواعا من الاخبار وفنونا من العلم

وتحالفوا وعاد شمس الملوك الى دمشق وقد استقامت له الامور

﴿ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود﴾

فى هذه السنة فى رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل و بين ابن أخيه الملك داود بن محمود وكان سببها ان السلطان سنجر أجلس الملك طغرل فى السلطنة كما ذكرناه وعاد الى خراسان لانه بلغه أن صاحب ماوراء النهر أحمد خان قد عصى عليه فبادر الى العود لتلافى ذلك الخرق فلما عاد الى خراسان عصى الملك داود على عمه طغرل وخالفه وجمع العساكر باذربيجان و بلاد كنجة وسار الى همذان فنزل مستهل رمضان عند قرية يقال لها واهان بقرب همذان وخرج اليه طغرل وعبى كل واحد منهما أصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل بن برسق وعلى ميسرته قزل وعلى مقدمته قراسنقر وكان على ميمنة داود برنقش الزكوى ولم يقاتل فلما رأى التركمان ذلك نهبوا خيمه وبركه جميعه ووقع الخلف فى عسكر داود فلما رأى اتابكه آقسنقر الاحمديلى ذلك ولى هاربا وتبعه الناس فى الهزيمة وقبض طغرل على برنقش الزكوى وعلى جماعة من الامراء وأما الملك داود فانه لما انهزم بقى متحيرا الى أوائل ذى القعدة فقدم بغداد ومعه اتابكه آقسنقر الاحمديلى فاكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلما سمع انهزام الملك داود توجه نحو بغداد على مانذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين على بن طراد الزينبى واستوزر انوشروان بن خالد بعد ان امتنع وسأل الاقالة وفى هذه السنة قتل أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر المستوفى السلطان محمود الملقب بالعزيز بقلعة تكريت وقد تقدم سبب ذلك سنة خمس وعشرين وفى المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين أبو الحسين بن أبى يعلى بن الفراء الحنبلى ومولده فى شعبان فى سنة احدى وخمسين وأربعمائة وسمع الحديث من الخطيب أبى بكر وابن الحسين بن المهتدى وغيرهما وتفقه فقتله أصحابه غيلة وأخذوا ماله وفى جمادى الاولى توفى أحمد بن عبيد الله ابن كادش أبو العز العكبرى وكان محدثا مكثرا وتوفى فيها أبو الفضل عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان أديبا وله شعر حسن فمنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير

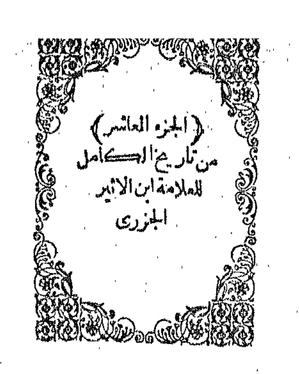
أمولانا جلال الدين يامن * أذكره بخدمتى القديمه
ألم تك قد عزمت على اصطناعى * فماذا صد عن تلك العزيمه

﴿ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر ملك شمس الملوك بانياس﴾

فى هذه السنة فى صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج وسبب ذلك ان الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التى بينهم فتعرضوا الى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها فشكى التجار الى شمس الملوك فراسل فى اعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيأ فحملته الانفة من هذه الحالة والغيظ على ان جمع عسكره وتأهب ولا يعلم أحد أين يريد ثم سار وسبق خبره أواخر المحرم من هذه السنة ونزل على بانياس أوّل

وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وسبعين ومائتين خمس عشرة سنة متوالية هرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة تسع وسبعين ومائتين حج بالناس الى سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متوالية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى ابن موسى ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هرون بن العباس بن ابراهيم بن عيسى ابن جعفر بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد ابن على ولم يزل يحج بالناس كل سنة الى سنة خمس وثلثمائة ثم كانت سنة ست وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى ابن سليمان بن محمد بن ابراهيم الامام وهو المعروف باخى أم موسى الهاشمية قهرمانة شغب أم المقتدر بالله ثم كانت سنة سبع وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثمان وثلثمائة حج بالناس الى سنة احدى عشرة وثلثمائة اسحق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة حج بالناس الحسن ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة حج بالناس


(الجزء العاشر)
من تاريخ الكامل
للعلامة ابن الاثير
الجزرى

الى موضع بقرب البيضاء فاستأمن اليه أمير من أمراء أخيه معه أربعمائة فارس فامنه فخاف طغرل من عسكره ان يخاز والى أخيه فانهزم من بين يديه وقصد الرى فى رمضان وقتل وزيره أبا القاسم الانساباذى فى الطريق وفى شوّال قتله غلمان الامير شيركير الذى سعى فى قتله كما تقدم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له ذكراور فوقع بينهما المصاف هنالك فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره فى أرض قد نضب عنها الماء وهى وحل فاسر منهم جماعة من الامراء منهم الحاجب تنكر وابن بغرا فاطلقهم السلطان مسعود ولم يقتل فى هذا المصاف الانفر يسير ورجع السلطان مسعود الى همذان

﴿ تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر أوّله ذكر حصر المسترشد بالله الموصل ﴾

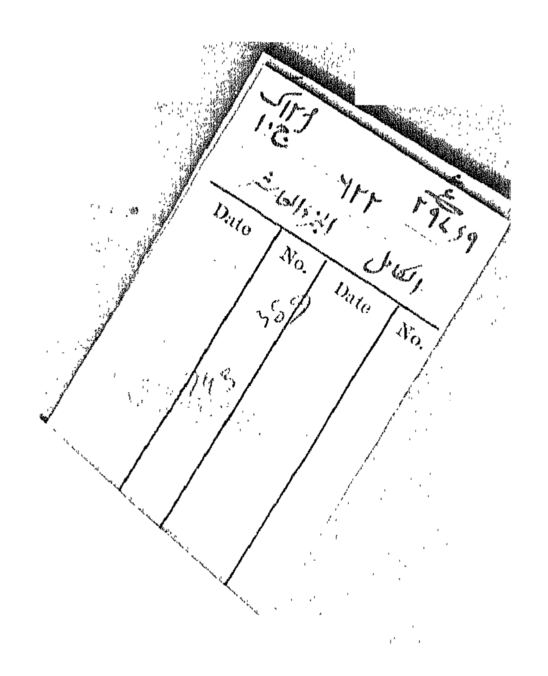
من أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملوك وسيرها والامم وأخبارها وأخبار الارض والبحار وما فيها من العجائب والآثار وما اتصل بذلك ليستدل به على ما سلف من كتبنا وعدلا الى ما تقدم من تصنيفنا فى أنواع العلوم مما قدمنا ذكره ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقا من الآثار الا أوردناه فى هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو أشرنا اليه بضرب من الاشارات أو لوحنا اليه بحوى من ٢٤٦ العبارات من أخبار العجم والعرب والكوائن والاحداث فى سائر الامم فمن حرف شيأ من معنى هذا الكتاب أو أزال ركنا من مبناه أو طمس واضحة من معالمه أو لبس شاهرة من تراجمه أو غيره أو بدله أو انتحله أو اختصره أو نسبه الى غيرنا أو أضافه الى سوانا أو أسقط منه ذكرنا فوافاه من غضب الله وسرعة [illegible] وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للتوسمين وسلبه الله ما أعطاه وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مبدع السموات والارض من أى الملل كان والآراء انه على كل شئ قدير وقد جعلنا هذا التخويف فى أوّل كتابنا هذا وآخره وكذلك نقول فى سائر ما تقدم من تصنيفنا ونظمناه من تأليفنا فليراقب امرؤ ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير (وقد قدمنا) الاعتذار فى مواضع مما سلف من هذا الكتاب من سهو ان عرض أو تصحيف أو تغيير من الكاتب ان وقع ولما قد دفعنا اليه من الاسفار المتواترة والحركة المتصلة تارة مشرقين وتارة مغربين وطورا متيامنين وطورا متشائمين وما يلحقنا من سهو الانسانية ويصحبنا من عجز البشرية عن بلوغ الغاية وتقصى النهاية ولو كان لا يؤلف كتابا الا من حوى جميع العلوم اذن ما ألف أحد كتابا ولا تأتى له تصنيف لان الله عز وجل يقول وفوق كل ذى علم عليم جعلنا الله ممن يؤثر طاعته ويوفق لرشده ونسأله أن يعصمنا بخير شرا أو يجد هزلا ثم يعود علينا بعد ذلك بعفوه ويتغمدنا بفضله انه جواد منان لا اله الا هو رب العرش العظيم

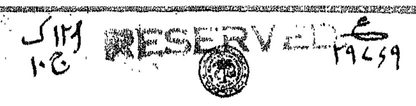
غيره

﴿تمت﴾

صحيفة

(فهرسة تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي الذي بهامش هذا الجزء)




RESERVED